

الفصل

في الملل والأهواء والنحل

للإمام ابن حزم الظاهري الأندلسي المتوفى ٤٥٦ هـ

وبهامشه

الملل والنحل للشهرستاني المتوفى سنة ٥٤٨ هـ

صححه وذيله بهوامش مفيدة

بقلمه
عبد الرحمن خليفة
المدرس بمدرسة ماهر باشا ومن علماء الأزهر

الجزء الأول — الطبعة الأولى سنة ١٣٤٧ هـ

مصدر بمقدمة بقلم مصححه

يطلب من مكتبة ومطبعة محمد علي صبيح وأولاده
بميدان الأزهر بمصر

الاهداء

إلى كل من يمت الى العالم بسبب ، ويدلي الى الاسلام بنسب في عامة أقطار المسكونة ممن عمرت قلوبهم بالايمان ، وثلجت صدورهم ببرد اليقين ، وخلصت أفئدتهم من شوائب الزيغ والالحاد، والى الشباب الناهض من المتعلمين ، والى من يريد الانابة الى الله، والتخلص من أشواك الريب والشكوك، ويزمع الاستقامة على طريق الهدى والسلامه ، والامن والكرامه

عبد الرحمن خليفة

ترجمة ابن حزم

نسبه ومحتده

هو الامام ابو محمد علي بن احمد بن سعيد بن حزم بن غالب بن صالح بن خلف بن معدان بن سفيان بن يزيد مولى يزيد ابن أبى سفيان صخر بن حرب بن أمية بن عبد شمس الاموى

كان والده أبو عمرو أحمد بن سعيد بن حزم من وزراء المنصور محمد بن أبى عامر ووزراء ابنه المظفر بعده ومن المدبرين لدولتيهما بالاندلس ، وجده يزيد أول من أسلم من أجداده وأصله من فارس ، وجده خلف أول من دخل الاندلس من آبائه، هذا :- وفي نسبته الى قريش بالولاء ، وفي انتمائه في فارس بالنسب غرابة ، فقد نقل ياقوت فى معجم الادباء عن أبى مروان بن حيان : ان الوزير أحمد بن سعيد بن حزم قد عهده الناس خامل الابوة ، مولد الارومة ، وعرفوا فى جده الادنى أنه من سكان الاندلس الاصليين ببادية (لبله) من غرب الاندلس وأنه حديث عهد بالاسلام لم يتقدم لسلفه نباهة ولاذكر. فالله أعلم كيف تخطي نسبهم رابية (لبله) مسكنهم بالاندلس فارتقي قلعة اصطخر من أرض فارس ؟ ثم تطاول فامتد الى الانتساب في قريش بولاء جده الاعلى يزيد لبني أميه، والمعروف أن أبا المترجم الوزير أحمد بن سعيد تمولى لبنى أمية أولياء نعمته لا عن صحة ولاية لهم عليه ، الا أن ما لا سبيل الى انكاره ، أنه على الحقيقة هو الذى بنى بيت نفسه ، ودعمه بالخلال الفاضلة من الرجاحة والمعرفة والدهاء والرجولة والرأى فكان جرثومة سلف لمن نماهم أغنيتهم عن الرسوخ في أول السابقة . الي هنا موجز كلام أبي حيان:

مولده ونشأته

ولد بقرطبه فى الجانب الشرقى من الاندلس بعد صلاة الصبح من آخر يوم من رمضان سنة ٣٨٤ هجريه، وهو ابن اثنتين وسبعين سنة الا شهراً . وأصل آبائه من قريه (منتلجنم) بضم أوله وسكون ثانيه وكسر اللام وفتح الجيم وتاء مثناة ساكنة وميم من عمل (أونبه) بفتحات وسكون الواو على خليج البحر المحيط غربى الاندلس ، ثم سكن هو وآباؤه قرطبه ونالوا فيها جاها عريضا ، فكان كأبيه من الوزراء المدبرين لدولتين ، ولى الوزارة لعبد الرحمن المستظهر بالله بن هشام بن عبد الجبار بن عبد الرحمن الناصر لدين الله ، ثم لهشام المعتد بالله بن محمد بن عبد الملك ابن عبد الرحمن الناصر ، وأقام فى الوزارة الى أن بلغت سنه ستا وعشرين سنة ، وأخبرحاكيا عن نفسه :

انى بلغت هذه السن وأنا لا أعرف كيف أجبر صلاة من الصلوات ، وأن سبب تعلمه الفقه أنه شهد جنازة لرجل كبير من اخوان أبيه ، فدخل المسجد قبل صلاة العصر والحفل فيه فجلس ولم يركع ، فقال له استاذه (مربيه) باشارة « أن قم فصل تحية المسجد » فلم يفهم ، فقال له بعض الجالسين بجواره . « أبلغت هذه السن ولم تعلم أن تحية المسجد واجبه » قال فقمت وركعت وفهمت اذن اشارة الاستاذ الي بذلك ، فلما انصرفنا من الصلاة على الجنازة وعدنا الى المسجد مشاركة للاحياء من أقرباء الميت ، دخلت المسجد فبادرت بالركوع فقيل لى : اجلس ، اجلس ، ليس هذا وقت صلاه . فانصرفت عن الميت وقد خزيت ولحقني ما هانت على به نفسى وقلت لاستاذى: دلنى على دار الشيخ الفقيه المشاور أبى عبد الله بن دحون . فدلني عليه فقصدته من ذلك المشهد وأعلمته بما جرى لى فيه وسألته الابتداء بقراءة العلم فدلنى على كتاب الموطأ لمالك بن أنس رضي الله عنه ، فبدأت به قراءة عليه من اليوم التالى لذلك اليوم ، ثم تتابعت قراءتى عليه وعلى غيره نحو ثلاثة أعوام و بدأت بالمناظرة

علمه وتصانيفه

لما بلغت سنه ستا وعشرين سنة نبذ طريق الوزارة ، وتفرغ للاستبحار في العلوم والفنون، والاشتغال بالتأليف والمناظرة والجدل ، والرد على مخالفيه في المذهب والعقيدة وعلى اليهود والنصارى وأصحاب الملل والآراء والنحل وأقبل من ذلك الحين على قراءة العلوم ، وتقييد الآثار والسنن ودراسة الفنون والآداب ، والتوسع في علوم الشريعة وعلوم اللسان ، والتوفر على البلاغة والخطابة والشعر ومعرفة الانساب والسير والاخبار والطب والفلسفة وغير ذلك فعني أولا به لم المنطق والف فيه كتابا سماه « التقريب لحدود المنطق » استعمل فيه مثلا فقهية ، وجوامع شرعية ، وسلك في الاستدلال الفقهي طريقة لم يسلكها أحد قبله خالف فيها ارسطو واضع هذا الفن مخالفة من لم يفهم غرضه ولا ارتاض في كتبه ، وكان شيخه في المنطق محمد بن الحسن المذحجي القرطبي المعروف بابن الكتاني ، وأوغل بعد هذا في الاستكثار من علوم الشريعة حتي نال منها مالم ينله أحد قط بالاندلس قبله ، وصنف فيه مصنفات كثيرة العدد شرعية المقصد في أصول الفقه وفروعه على مذهبه الذى انتحله ، وطريقه الذى سلكه : وهو مذهب داود بن علي بن خلف الاصبهاني ومن قال بقوله من أهل الظاهر ، ونفاة القياس والتعليل . حتى قال ابنه الفضل المكنى ابا رافع : ان مبلغ تواليفه في الفقه والاصول والحديث والمسندات والنحل والملل وسائر المصنفات في التاريخ والادب والانساب والرد على المعارض مما اجتمع عنده لابيه نحو اربعمائة مجلد بخطه تشتمل على قريب من ثمانين الف ورقة قالوا . وهذا شيء لم يجتمع لاحد ممن كان في دولة الاسلام قبله الا لابي جعفر محمد بن جرير الطبري، ولابي محمد بن حزم بعد هذا نصيب وافر من علم النحو واللغة ، وقسم صالح من قرض الشعر والخطابة والمناظرة والحوار ، ذكروا انه اجتمع يوما مع الفقيه ابي الوليد سليمان بن خلف بن سعيد الباجي صاحب التصانيف وجرت بينهما مناظرة فلما انتهت . قال الفقيه ابو الوليد « تعذرني ، فان كثر مطالعتي كانت على سرج الحراس » قال ابن حزم . « وتعذرني ايضا ، فان اكثر مطالعتي كانت على منائر الذهب والفضة » يريد ان الغنى أمنع لطالب العلم من الفقر :

ومن تواليفه التي كانت عنده « كتاب الايصال . الي فهم الخصال . الجامعة لجمل شرائع الاسلام . في الواجب والحلال والحرام » في اربعة وعشرين مجلدا بخط يده، وكانت في غاية الادماج ، أورد فيه أقوال الصحابة والتابعين ومن بعدهم من أئمة المسلمين رضي الله عنهم اجمعين في مسائل الفقه ، والحجة لكل مذهب وعليه ، وله كتاب « الاحكام لاصول الاحكام » في غاية التقصي وايراد الحجج ، ورأيت له « كتابه « المحلى بالآثار » من المخطوطات بالمكتبة الملكية في أربعة مجلدات ضخام وخطه في غاية الادماج على نمط نيل الاوطار يحتج فيه لاهل الظاهر ويرد فيه على الأئمة المجتهدين ، ومن مصنفاته كتاب في الاجماع ومسائله على أبواب الفقه . وكتاب في مراتب العلوم وكيفية طلبها وتعلق بعضها ببعض وكتاب « الصادع والرادع » وكتاب في شرح الموطا وكتاب « الجامع في صحيح الحديث » باختصار الاسانيد . والاقتصار على أصحها . واجتلاب اكمل الفاظها . وأصح معانيها . وكتاب « التلخيص والتخليص » في المسائل النظرية وفروعها مما لانص عليه في الكتاب ولا الحديث . وكتاب « الامامة والسياسة » في قسم سير الخلفاء ومراتبها والندب والواجب منها وكتاب « أخلاق النفس » وكتاب « كشف الالتباس بين اصحاب الظاهر واصحاب القياس » . وكتاب في الغريب والنوادر سماه « نقط العروس » وكتاب « تبديل اليهود

والنصارى للتوراة والانجيل . و بيان ما بايديهم من ذلك مما لا يحتمل التاويل » الى تواليف غيرها ورسائل فى معان شتى كثير عددها

واجل كتاب « الفصل في الملل والاهواء والنحل » بعد من أنفس الكتب ، والزمها للعصر الحاضر . واجمعها للبحث المستقصي في الديانات والنبوات والكتب السماوية وآراء الفلاسفة والخلاف بينهم وبين المليين ، والرد على منكرى الالوهية . ومعتنقى الاديان المخالفة لدين الاسلام . وبيان ما طرأ على معتقداتهم من زيغ وتضليل . ودخل على كتبهم من تحريف وتبديل . عنى فيه مؤلفه الامام العلامة ابو محمد بن حزم رضي الله عنه بالبحث والتمحيص . وايراد الادلة والحجاج العقلية والنقلية التى تثبت باجلى البراهين . وادمغ الحجج حقية الشريعة المحمدية . ووضوح محجتها . وخلوصها من كل شوائب التغيير والفساد . ومتانة اصولها . وبعدها عن كل ما ينافى التوحيد وعصمة الانبياء وسلامة نصوصها من كيد الكائدين . وعبث العابثين . وزيغ المضلين . وبحث فى كل ذلك بحثا دقيقا تحليليا منطبقا على اصول المنطق وقواعد الفلسفة . منتهية مقدمات دلائله و براهينه اليقينية بالزاماته القوية الى الحس و بدايات العقول

كتبه مؤلفه — رضى الله عنه — في أزهى عصر من عصور الاسلام التى قوى فيها نفوذ المسلمين وسلطان عظمتهم التاريخية . وامتد رواق حضارتهم على بلدان العالم . واشرقت فيه شمس علومهم ومعارفهم على ربوع بغداد والاندلس وعامة بلاد المشرق . فنفذ منها بصيص من نور العقل . وشعاع الحكمة الى أوربا المظلمة فى ذلك العهد فابصرت بعد عمايه . واسترشدت بعد غواية . واستولت بعد حين على ذلك الميراث الاسلامى وتلك الكنوز الفنية بنفائس الجواهر الثمينة من العلوم والفنون والاداب . فصقلتها وحلت بها جيد حضارتها . وقبضت بسببها على صولجان العزة والقوة

وشاء القدر لسلف هذه الامة أن يبددوا تلك الثروة العلمية ، ولم يهتدوا الى فتح تلك الكنوز الثمينة ، ولم يحتفظوا بتلك التركة الضامنة للشرقيين غنى عقولهم ، وتهذيب وجدانهم بالاخلاق الفاضلة والآراء والمعتقدات الصحيحة هم وانسالهم وأعقابهم من بعدهم ، وعاكس الحظ الامم الاسلامية معاكسة أخرى فامتدت يد الاهمال والاغتيال والضياع والاحراق على ماأفلت من تلك الكنوز ووصل الى الخلف من نفائس الكتب ، فضاع من ذلك جله ووصل اليناقله :

ومن ذلك كتب الامام ابن حزم نفسه التى أضيع أكثرها ودفنت محاسنها بيد معاصريه الذين كادوا له لسلاطة لسانه ، وصدعه بما عنده من الحق ، ومصارحتهم القول في غير تربص ولا موارية ، حتى قال فيه أبو العباس ابن العريف الاندلسى « كان لسان ابن حزم وسيف الحجاج بن يوسف الثقفى شقيقين » واستمر على وقوعه في الائمة ومجادلة مخالفيه فى الرأي ، ومقارعتهم الحجة ، على استرسال في طباعه واستناد على العهد الذى أخذه الله على العلماء من عباده (لتبيننه للناس ولا تكتمونه) حتى أثار بذلك غيظ قلوبهم ، وغل صدورهم ، وأظهر كوامن حقدهم وحسدهم فتمالؤا على بغضه ورد أقواله ، وأجمعوا على تضليله ، وتنفير العامة منه ، وحذروا سلاطينهم من فتنته ونهوا الطلبة عن الدنو منه والاخذ عنه وطفق الملوك يقصونه عن بلادهم ويشردونه عن ممالكهم الي ان استقربه المقام أخيراً فى قريته (منتجم) وكانت ملكا له وهي على نصف فرسخ من (أونبه) الواقعة على فرضة من فرض

المحيط الاطلنطي فلم يثنه ذلك عن العلم والتحديث والدرس والمواظبة على التأليف والاكثار من التصنيف الى أن توصل أعداؤه الى أحراق بعض كتبه (باشبيليه) وتمزيقها علانية فلم يزده ذلك الا بصيرة فى اعادة نشرها ومضيا فى الطريق التى رسمها لنفسه الى أن مضى لسبيله ورحل الى جوار ربه :

أشعاره

وللامام أبي محمد رضي الله بديهة سريعة فى قرض الشعر وله أشعار مأثورة :

فمن شعره يصف ماأحرقه له ابن عباد من كتبه قوله :

ان تحرقوا القرطاس لاتحرقوا الذى ... تضمنه القرطاس بل هو في صدرى
يسير معي حيث ارتحلت وأن أقم ... أقام معى حتى أغيب فى قبرى
دعونى من أحراق كتب ودونكم ... حجاج فقيه كي يرى الناس من يدري
والا فعودوا للمكاتب بدأة ... لادراك ماقدفاتكم أول الدهر
ولا تطلبوا من سائر الناس عورة ... فكم دون ماتبغون لله من ستر

وقوله يعرض بمذهبه :

وذى عذل فيمن سباني حسنه ... يطيل ملامي فى الهوى ويقول
أفى حسن وجه لاح لم تر غيره ... ولم تدر كيف الحسن أنت قتيل
فقلت له أسرفت في اللوم ظالما ... وعندى رد لو أردت طويل
ألم تر أني ظاهرى وأنني ... على مابدا حتى يقوم دليل

وقوله يصف فجائع الدهر ويذكر المعاد

هل الدهر الا ماعرفنا وأدركنا ... فجائعه تبقي ولذاته تفنى
اذا أمكنت منه مسرة ساعة ... تولت كمر الطيف واستخلفت حزنا
الى تبعات في المعاد وموقف ... نود لديه أننا لم نكن كنا
حصلنا على هم واثم وحسرة ... وفات الذى كنا نلذ به عنا
حنين لما ولى وشغل بما أتى ... وغم لما يرجى بعيشك لاتهنا
كأن الذى كنا نسر بكونه ... اذا حققته النفس لفظ بلا معنى

وقوله فى الاخوانيات :

لئن أصبحت مرتحلا بجسمي ... فروحي عندكم أبداً مقيم
ولكن للعيان لطيف معنى ... له سأل المعاينة الكليم

وفي هذا المعنى أيضاً قوله

يقول أخي شجاك رحيل جسم ... وروحك ماله عنا رحيل
فقلت له المعاين مطمئن ... اذا طلب المعاينة الخليل

وقوله فى الفراق بعد التلاق

أقمنا ساعة ثم ارتحلنا وهل يغنى المشوق وقوف ساعه
كأن الشمل لم يك ذا اجتماع اذا ماشتت البين اجتماعه

وله يذكر ما بعد الموت

كأنك بالزوارى قد تناذروا وقيل لهم أودى على بن أحمد
فيارب محزون هناك وضاحك وكم أدمع تذرى وخد مخدد
عفا الله عني يوم أرحل ظاعنا عن الاهل محمولا الى ضيق ملحد
واترك ماقد كنت مغتبطا به والقي الذى آنست منه بمرصد
فوارا حتى أن كان زادى مقدما ويانصبي ان كنت لم أتزود

وفاته

ثم توفي رحمه الله فيما ذكره صاعد بن احمد الجيانى في كتاب أخبار الحكماء فى سلخ شعبان سنة ٤٥٦ هجريه

ترجمة الشهر ستانى

هوابن ابوالفتح محمدبن أبي القاسم عبدالكريم بن أبي بكر أحمد الشهرستاني بفتح فسكون ففتح الراء وسكون السين ولد بشهرستان فى آخر حدود خراسان بين نيسابور وخوارزم سنة ٤٧٩ هجرية ودخل بغداد سنة ٥١٠ وكان كثير المحفوظ واسع الاطلاع حسن المحاوره يعظ الناس وقد حاز عندهم قبولا كثيرا . يروى بالاسناد المتصل الى النظام البلخى العالم المشهور . وبرع فى الفقه وقرأ الكلام على ابي القاسم الانصارى وتفرد فيه

وصنف كتاب « نهاية الاقدام . فى علم الكلام » وكتاب « الملل والنحل » وكتاب « تلخيص الاقسام . لمذاهب الانام » وغيرها من الكتب :

وتوفى بشهرستان سنه ٥٤٨ هجريه رحمه الله رحمة واسعة :

الى هنا انتهى تلخيص ما عثرت عليه من ترجمة هذين الامامين الجليلين فى معجم الادباء لياقوت وفى وفيات الاعيان لابن خلكان وغيرهما . والله الموفق والمعين

عبد الرحمن خليفه

تنبيه

زعم بعض من كتب على طبعة الخانجي لكتاب « الفصل فى الملل. والاهواء والنحل » ان الفصل بكسر ففتح جمع فصلة بفتح فسكون وهى الفسيلة من النخل المحولة من منبتها. وكتبت الطابع (الاكاشيه) ملاحظا فيه هذا الضبط. ثم قرأت فى معجم الادباء مانصه: — « ولابى محمد مع يهود لعنهم الله ومع غيرهم من أولى المذاهب المرفوضة من أهل الاسلام مجالس محفوظة. واخبار مكتوبة. وله مصنفات فى ذلك معروفة. من أشهرها فى الجدل كتابه المسمى كتاب (الفصل بين أهل الاراء والنحل) الخ. فثارت عندى شبهة اضطررت معها الى البحث فى كتب اللغة التي تحت متناول يدى. ومنها لسان العرب والي مراجعة كتاب سيبويه وغيره من كتب الصرف فلم أجد ان فعله بفتح فسكون يجمع على فعل بكسر ففتح الاسماعا كضبعه وبضع وبدره وبدر وقالوا فى قصع ونظائره أنه مخفف عن قصاع وأن فعال هو الجمع القياسى لفعله وحاولت أن أعثر على فصل مسموعا بهذا الجمع فاخفقت. وأخيراً ظننت أن المفرد فصله بكسر فسكون وقياس الجمع فيه فعل كقطعة وقطع وكسرة وكسر يطارد فى كل مافصل عن الشيء وبقى أصله فلم أعثر له كذلك على أثر

فاستقر الرأى على أنه بفتح الفاء وسكون الصاد مفرد وليس بجمع الا أن يظهر خلاف مارأيت اه (المصحح)

بسم الله الرحمن الرحيم

﴿ قال الامام ابو محمد على بن احمد بن حزم (رضى الله عنه ﴾

الحمد لله كثيراً ، وصلى الله على محمد عبده ورسوله خاتم انبيائه بكرة واصيلا ، وسلم تسليما ، (اما بعد) فان كثيرا من الناس كتبوا في افتراق الناس فى دياناتهم ومقالاتهم كتبا كثيرة جدا . فبعض أطال وأسهب وأكثر وهجر (١) واستعمل الاغاليط والشغب (٢) فكان ذلك شاغلا عن الفهم قاطعا دون العلم وبعض أحذف وقصر وقال واختصر واضرب عن كثير من قوى معارضات أصحاب المقالات ، فكان في ذلك غير منصف لنفسه في أن يرضي لها بالغبن فى الابانة . وظالما لخصمه فى ان لم يوفه حق اعتراضه . وباخسا حق من قرأ كتابه اذ لم يغنه عن غيره . وكلهم ـ الا تحلة القسم ـ عقد كلامه تعقيدا يتعذر فهمه على كثير من أهل الفهم . وحلق على المعانى من بعد حتى صار ينسي آخر كلامه أوله . واكثر هذا منهم ستائر دون فساد معانيهم . فكان هذا منهم غير محمود في عاجله وآجله

(قال ابو محمد رضي الله عنه) فجمعنا كتابنا هذا مع استخارتنا الله عز وجل فى جمعه . وقصدنا به قصد ايراد البراهين المنتجة عن المقدمات الحسية أو الراجعة الى الحس من قرب أو من بعد على حسب قيام البراهين التى لا تخون أصلا مخرجها الى ما أخرجت له وألا يصح منه الا ما صححت البراهين المذكورة فقط . اذ ليس الحق الا ذلك . وبالغنا فى بيان اللفظ وترك التعقيد . راجين من الله تعالى على ذلك الاجر الجزيل وهو تعالى ولى من تولاه ومعطي من استعطاه لا اله الا هو وحسبنا الله ونعم الوكيل

(قال ابو محمد رضى الله عنه) فنقول وبالله التوفيق . رؤس الفرق المخالفة الدين الاسلام ست . ثم تتفرق كل فرقة من هذه الفرق الست على فرق . وساذكر جماهيرها ان شاء الله عز وجل ـ فالفرق الست التى ذكرناها على مراتبها فى البعد عنا . أولها مبطلو الحقائق وهم الذين يسميهم المتكلمون السوفسطائية . ثم القائلون باثبات الحقائق الا أنهم قالوا ان العالم لم يزل وانه

﴿ بسم الله الرحمن الرحيم ﴾

الحمد لله حمد الشاكرين بجميع محامده كلها على جميع نعمائه كلها حمداً كثيراً طيباً مباركا كما هو أهله وصلى الله على محمد المصطفى رسول الرحمة خاتم النبيين وعلى آله الطيبين الطاهرين صلاة دائمة بركتها الى يوم الدين كما صلى على ابراهيم وعلى آل ابراهيم انه حميد مجيد (وبعد) فلما وفقني الله تعالى لمطالعة مقالات أهل العلم من أرباب الديانات والملل . وأهل الاهواء والنحل . والوقوف على مصادرها ومواردها . واقتناص أوانسها وشواردها . أردت أن أجمع ذلك في مختصر يحوى جميع ما تدين به المتدينون . وانتحله المنتحلون . عبرة لمن استبصر . واستبصارا لمن اعتبر . وقبل الخوض فيما هو الغرض لابد من أن قدم خمس مقدمات (المقدمة الاولى) في بيان أقسام أهل العالم جملة مرسلة (المقدمه الثانية) فى تعيين قانون يبتنى عليه تعديل الفرق الاسلامية (المقدمة الثالثة) في بيان أول شبهة وقعت فى الخليقة ومن مصدرها ومن مظهرها (المقدمة الرابعة) فى بيان أول

(١) هجر فى كلامه يهجر هجراً من باب نصر اذا خلط (٢) الشغب قال بسكون الغين وفتحها تهييج الشر

لا محدث له ولا مدبر . ثم القائلون باثبات الحقائق وان العالم لم يزل وان له مدبراً لم يزل ، ثم القائلون باثبات الحقائق فبعضهم قال إن العالم لم يزل وبعضهم قال هو محدث واتفقوا على أن له مدبراً لم يزالوا وأنهم أكثر من واحد واختلفوا فى عددهم ، ثم القائلين باثبات الحقائق وأن العالم محدث وأن له خالقاً واحداً لم يزل وأبطلوا النبوات كلها ، ثم القائلون باثبات الحقائق وأن العالم محدث وأن له خالقاً واحداً لم يزل وأثبتوا النبوات إلا أنها خالفوا في بعضها فأقروا ببعض الانبياء عليهم السلام وأنكروا بعضهم :

(قال أبو محمد رضي الله عنه) وقد تحدث في خلال هذه الاقوال آراء هى منتجة من هذه الرؤوس مركبة منها ، فمنها ماقد قالت به طوائف من الناس مثل ماذهبت اليه فرق من الامم من القول بتناسخ الارواح أو القول بتواتر النبوات فى كل وقت أو ان في كل نوع من أنواع الحيوان انبياء . ومثل ماقد ذهب اليه جماعة من القائلين به وناظرتهم عليه من القول بأن العالم محدث وأن له مدبراً لم يزل الا أن النفس والمكان المطلق وهو الخلاء والزمان المطلق لم يزل معه :

(قال أبو محمد) وهذا قول قد ناظرني عليه عبد الله بن خلف ابن مروان الانصارى وعبد الله بن محمد السلمى الكاتب ومحمد بن على بن أبى الحسين الاصبحي الطبيب وهو قول يؤثر عن محمد بن زكريا الرازي الطبيب ولنا عليه فيه كتاب مفرد فى نقض كتابه فى ذلك وهو المعروف بالعلم الالهي . ومثل ماذهب اليه قوم من أن الفلك لم يزل وانه غير الله تعالى وأنه هو المدبر للعالم الفاعل له اجلالا — بزعمهم — لله عن أن يوصف بأنه فعل شيئاً من الاشياء وقد كنى بعضهم عن ذلك بالعرش

(ومنها) مالا نعلم أن أحداً قال به الا انه ما لايؤمن ان يقول به قائل من المخالفين عند تضييق الحجج عليهم فليجئون البهاء فلا بد ان شاء الله تعالى من ذكر مايقتضيه مساق الكلام منها ، وذلك مثل القول بان العالم محدث ولا محدث له فلا بد بحول الله تعالى من اثبات المحدث بعد الكلام فى اثبات الحدوث ، وبالله تعالى التوفيق والعون لا اله الا هو

﴿ باب مختصر جامع فى ماهية البراهين الجامعة الموصلة الى معرفة الحق في كل مااختلف فيه الناس وكيفية إقامتها ﴾

(قال أبو محمد رضي الله عنه) هذا باب قد أحكمناه في كتابنا الموسوم

شبهة وقعت فى الملة الاسلامية وكيف انشعابها ومن مصدرها ومن مظهرها (المقدمة الخامسة) في السبب الذى أوجب ترتيب هذا الكتاب على طريق الحساب

﴿ المقدمة الاولى ﴾

في بيان تقسيم أهل العالم جملة مرسلة . من الناس من قسم أهل العالم بحسب الاقاليم السبعة وأعطي أهل كل اقليم حظه من اختلاف الطبائع والانفس التى تدل عليها الالوان والالسن . ومنهم من قسمهم بحسب الاقطار الاربعة التى هي الشرق والغرب والجنوب والشمال ووفر على كل قطر حقه من اختلاف الطبائع وتباين الشرائع . ومنهم من قسمهم بحسب الامم فقال كبار الامم أربعة العرب والعجم والروم والهند ثم زاوج بين أمة وأمة فذكر أن العرب والهند يتقاربان على مذهب واحد وأكثر ميلهم الى تقرير خواص الاشياء والحكم باحكام الماهيات والحقائق واستعمال الامور الروحانية والروم والعجم يتقاربان على مذهب واحد وأكثر ميلهم الى تقرير طبائع الاشياء والحكم باحكام الكيفيات والكميات واستعمال الامور الجسمانية . ومنهم من قسمهم بحسب الآراء والمذاهب وذلك غرضنا فى تاليف هذا الكتاب

بالتقريب في حدود الكلام ، وتقصيناه هنالك غاية التقصي والحمد لله رب العالمين ، إلا أننا نذكر هاهنا جملة كافية فيه لتكون مقدمة لما يأتي بعده مما اختلف الناس فيه يرجع اليها ان شاء الله تعالى فنقول وبالله التوفيق :

إن الانسان يخرج الى هذا العالم ونفسه قد ذهب ذكرها (١) جملة في قول من يقول إنها كانت قبل ذلك ذا كرة ، أولا ذكر لها البتة في قول من يقول انها حدثت حينئذ أو أنها مزاج عرض ، الا انه قد حصل أنه لاذكر للطفل حين ولادته ولا تمييز الا ما لسائر الحيوان من الحس والحركة الارادية فقط ، فتراه يقبض رجليه ، ويمدها ويقلب أعضاءه حسب طاقته ويألم اذا أحس البرد أو الحر أو الجوع واذا ضرب أو قرص ، وله سوى ذلك ما يشاركه فيه الحيوان والنوامي مما ليس حيوانا من طلب الغذاء لبقاء جسمه على ماهو عليه ولمائه ، فيأخذ الثدي ويميزه بطبعه من سائر الاعضاء بفمه دون سائر أعضائه ، كما تأخذ عروق الشجر والنبات رطوبات الارض والماء لبقاء أجسامها على ماهي عليه ولمائها

فاذا قويت النفس على قول من يقول انها مزاج أو انها حدثت حينئذ أو أخذت يعاودها ذكرها وتمييزها في قول من يقول انها كانت ذاكرة قبل ذلك وأنها كالمفيق من مرض (فاول) ما يحدث لها من التمييز الذي ينفرد به الناطق من الحيوان فهم ما أدركت بحواسها الخمس كعلمها أن الرائحة الطيبة مقبولة من طبعها والرائحة الرديئة منافرة لطبعها وكعلمها أن الاحمر مخالف للاخضر والاصفر والابيض والاسود * وكالفرق بين الخشن والاملس والمكتنز (٢) والمتهيل واللزج والحار والبارد والدفيء وكالفرق بين الحلو والحامض والمر والمالح والعفص والزاعق والتفه والعذب والحريف وكالفرق بين الصوت الحاد والغليظ والرقيق والمطرب والمفزع

(قال ابو محمد) فهذه ادراكات الحواس لمحسوساتها ، والادراك السادس علمها بالبديهيات * فمن ذلك علمها بان الجزء أقل من الكل فان الصبي الصغير في أول تمييزه اذا أعطيته تمرتين بكي ، واذا زدته ثالثة سر ، وهذا علم منه بان الكل

وهم منقسمون بالقسمة الصحيحة الاولى الى أهل الديانات والملل وأهل الاهواء والنحل

(فارباب الديانات) مطلقاً مثل المجوس واليهود والنصارى والمسلمين (وأهل الاهواء) والآراء مثل الفلاسفة والدهرية والصابئة وعبدة الكواكب والاوثان والبراهمة

ويفترق كل منهم فرقا . فاهل الاهواء ليست تنضبط مقالاتهم في عدد معلوم . وأهل الديانات قد انحصرت مذاهبهم بحكم الخبر الوارد فيها فافترقت المجوس على سبعين فرقة واليهود على احدى وسبعين فرقة والنصارى على اثنتين وسبعين فرقة والمسلمون على ثلاثة وسبعين فرقة والناجية أبدا من الفرق واحدة اذ الحق من القضيتين المتقابلتين في واحدة ولا يجوز أن يكون قضيتان متناقضتان متقابلتان على شرائط التقابل الا وان تقتسما الصدق والكذب فيكون الحق في أحداها دون الاخرى ومن المحال الحكم على المتخاصمين المتضادين في

« ١ » الذكر بالضم عدم النسيان يقال مازال مني على ذكر أي لم انسه . وهذا البحث قريب بما أثبتته النفسولوجيه الحديثه من ان للنفس الناطقة عند التفكير قوتين باطنة تسمى في اصطلاحهم بالعقل الباطن وظاهرة تسمى بالعقل الواعي . وقالوا في العقل الباطن انه العقل القديم الموروث عن الانسان الاول ايام ان كان يسكن الكهوف ويأوي الى الغابات ولكونه موروثا عن السلالات الاولى يولد مع الطفل وهذا موافق لرأي من يقول ان النفس الناطقة كانت قبل ان يخرج صاحبها الى هذا العالم ذاكرة واثبتوا ان الطفل في ايام حياته الاولى يتصور بعقله الباطن الرغبة في الرضاع وهو نائم فيحلم انه يمتص ثدي أمه فيعيد تلك الصورة اللذيذة ويرددها في نفسه بتحريك شفتيه تلك الحركة المعهودة وقالوا في العقل الواعي انه مجموع التجارب والمعلومات والثقافات الحديثة التي اكتسبها الشخص عن طريق الحواس بالرياضة والتعليم فهو اذن حديث لاعهد للنفس به اه مصححه

(٢) المكتنز المجتمع والمتهيل من هلت التراب ونحوه فانهال أي جرى وانصب المراد به المتخلخل غير المجتمع (مصححه)

اكثر من الجزء وان كان لا يتنبه لتحديد ما يعرف من ذلك ، ومن ذلك علمه بان لايجتمع المتضادان فانك اذا وقفته قسرا بكى ونزع الى القعود علما منه بانه لايكون قائماً قاعداً معا * ومن ذلك علمه بان لايكون جسم واحد في مكانين ، فانه اذا أراد الذهاب الى مكان ما فامسكته قسرا بكى وقال كلاما معناه دعني أذهب علما منه بانه لايكون في المكان الذي يريد أن يذهب اليه مادام في مكان واحد * ومن ذلك علمه بانه لايكون الجسمان في مكان واحد ، فانك تراه ينازع على المكان الذي يريد أن يقعد فيه علما منه بانه لايسعه ذلك المكان مع مافيه ، فيدفع من في ذلك المكان الذي يريد أن يقعد فيه ، اذ يعلم أنه مادام في المكان ما يشغله فانه لايسعه وهو فيه * واذا قلت له ناولني مافي هذا الحائط وكان لايدركه قال لست أدركه ، وهذا علم منه بان الطويل زائد على مقدار ماهو أقصر منه ، وتراه يمشي الى الشيء الذي يريد ليصل اليه ، وهذا علم منه بان ذا النهاية يحصر ويقطع بالعدو ، وأن لم يحسن العبارة بتحديد مايدرى من ذلك * ومنها علمه بانه لايعلم الغيب أحد وذلك أنك اذا سألته عن شيء لايعرفه أنكر ذلك وقال لاأدرى * ومنها فرقه بين الحق والباطل فانه اذا أخبر بخبر تجده في بعض الاوقات لايصدقه حتى اذا تظاهر عنده بخبر آخر وآخر صدقه وسكن الى ذلك * ومنها علمه بانه لايكون شيء الا في زمان ، فانك اذا ذكرت له أمرا ما قال : متى كان ؟ واذا قلت له : لم تفعل كذا وكذا قال ما كنت أفعله ، وهذا علم منه بانه لايكون شيء مما في العالم الا في زمان * ويعرف أن للاشياء طبائع وماهية تقف عندها ولا تتجاوزها . فتراه اذا رأى شيئا لايعرفه قال ، أى شيء ، هذا ؟ فاذا شرح له سكت » ومنها علمه بانه لايكون فعل الا لفاعل ، فانه اذا رأى شيئا قال : من عمل هذا ؟ ولا يقنع البتة بانه انعمل دون عامل ، واذا رأى بيد آخر شيئا قال : من أعطاك هذا ؟ ومنها معرفته بان في الخبر صدقا وكذبا فتراه يكذب بعض مايخبر به ويصدق بعضه ويتوقف في بعضه ؛ هذا كله مشاهد من جميع الناس في مبدأ نشاتهم

(قال أبو محمد) فهذه أوائل العقل التي لايختلف فيها ذو عقل ، وهاهنا أيضا أشياء غير ماذكرنا اذا فتشت وجدت وميزها كل ذى عقل من نفسه ومن غيره ، وليس يدرى أحد كيف وقع العلم بهذه الاشياء كلها بوجه من الوجوه ، ولا يشك ذو تمييز صحيح في ان هذه الاشياء كلها صحيحة لا امتراء فيها . وانما يشك فيها بعد صحة علمه بها من دخلت عقله آفة ، وفسد تمييزه ، أو مال الى بعض الآراء الفاسدة ، فكان ذلك أيضا آفة دخلت على تمييزه كالآفة الداخلة على من به هيجان الصفراء فيجد العسل مراً * ومن في

أصول المعقولات بانهما محقان صادقان واذا كان الحق في كل مسالة عقلية واحدا فالحق في جميع المسائل يجب أن يكون مع فرقة واحدة

وانما عرفنا هذا بالسمع . وعنه أخبر التنزيل في قوله عز وجل وممن خلقنا أمة يهدون بالحق وبه يعدلون واخبر النبي عليه السلام ستفترق أمتي على ثلاث وسبعين فرقة الناجية منها واحدة والباقون هالكى (قيل) ومن الناجيه (قال) أهل السنة والجماعة (قيل) ومن اهل السنة والجماعة (قال) ما أنا عليه اليوم وأصحابي . وقال عليه السلام لاتزال طائفة من أمتي ظاهرين على الحق الى يوم القيامة وقال عليه السلام لاتجتمع أمتي على الضلالة « المقدمة الثانية » في تعيين قانون يبني عليه تعديد الفرق الاسلامية اعلم أن لاصحاب المقالات طرقاً في تعديد الفرق الاسلاميه لاعلى قانون مستند الى نص ولا على قاعدة مخبرة عن الوجود فاوجدت مصنفين منهم متفقين على منهاج واحد في تعديد الفرق

ومن المعلوم الذى لامراء فيه أن ليس كل من تميز عن غيره بمقالة ما في مسالة ما عد صاحب مقالة والا فتكاد تخرج المقالات عن حد الحصر والعد ويكون من

عينه ابتداء نزول الماء فيرى خيالات لاحقيقة لها . وكسائر الافات الداخلة على الحواس (قال أبو محمد) فهذه المقدمات التى ذكرناها هي الصحيحة التى لاشك فيها ولا سبيل الي أن يطلب عليها دليلا الا مجنون أو جاهل لا يعلم حقائق الاشياء ، ومن الطفل أهدى منه . وهذا أمر يستوي فى الاقرار به كبار جميع بنى آدم وصغارهم في أقطار الارض الا من غالط حسه ، وكابر عقله ، فيلحق بالمجانين ، لان الاستدلال على الشيء لايكون الا في زمان ولا بد ضرورة أن يعلم ذلك باول العقل ، لانه قدعلم بضرورة العقل انه لايكون شيء مما فى العالم الا فى وقت ، وليس بين أول أوقات تميز النفس في هذا العالم وبين أدراكها لكل ماذكرنا مهلة البتة لادقيقة ولا جليلة ، ولا سبيل على ذلك ، فصح انها ضرورات أوقعها الله فى النفس ولاسبيل الى الاستدلال البتة الا من هذه المقدمات ، ولا يصح شيء الا بالرد اليها ، فما شهدت له مقدمة من هذه المقدمات بالصحة فهو صحيح متيقن . ومالم تشهدله بالصحة فهو باطل ساقط . الا أن الرجوع اليها قد يكون من قرب ومن بعد . فما كان من قرب فهو أظهر الى كل نفس وأمكن للفهم . وكلما بعدت المقدمات المذكورة صعب العمل في الاستدلال حتى يقع فى ذلك الغلط الا للفهم (١) القوى الفهم والتمييز . وليس ذلك مما يقدح فى أن مارجع الى مقدمة من المقدمات التى ذكرنا حق . كما أن تلك المقدمة حق لافرق بينهما فى أنهما حق . وهذا مثل الاعداد . فكلما قلت الاعداد سهل جمعها . ولم يقع فيها غلط . حتى اذا كثرت الاعداد وكثر العمل فى جمعها صعب ذلك حتي يقع فيها الغلط الا مع الحاسب الكافى الجيد . وكلما قرب من ذلك وبعد فهو كله حق . ولا تفاضل فى شيء من ذلك : ولا تعارض مقدمة مما ذكرنا مقدمة أخرى منها . ولا يعارض مايرجع الى مقدمة أخري منها رجوعا صحيحا وهذا كله يعلم بالضرورة . ومن علم النفس بان علم الغيب لايعارض صح ضرورة انه لايمكن أن يحكي أحد خبراً كاذبا طويلا . فياتى من لم يسمعه فيحكى ذلك الخبر بعينه كما هو لايزيد فيه ولا ينقص : اذلو أمكن ذلك لكان الحاكي لمثل ذلك الخبر عالماً بالغيب . لان هذا هو علم الغيب نفسه وهو الاخبار عما لايعلم المخبر عنه بما هو عليه . وذلك كذلك بلا شك . فكل ما نقله من الاخبار اثنان فصاعدا مفترقان قد أيقنا أنهما لم يجتمعا ولا تشاعرا فلم يختلفا فيه . فبالضرورة يعلم أنه حق متيقن مقطوع به على غيبه وبهذا علمنا صحة موت من مات وولادة من ولد وعزل من عزل وولاية من ولى ومرض من مرض وافاق من أفاق ونكبة من نكب ، والبلاد الغائبة عنا والوقائع

« ١ » الفهم كجعفر السريع الفهم

انفرد بمسألة في أحكام الجواهر مثلا معدوداً فى عداد أصحاب المقالات

فلا بد اذاً من ضابط فى مسائل هى أصول وقواعد يكون الاختلاف فيها اختلافاً يعتبر مقالة ويعد صاحبه صاحب مقالة وما وجدت لاحد من أرباب المقالات عناية بتقرير هذا الضابط الا أنهم استرسلوا فى ايراد مذاهب الامة كيف اتفق وعلى الوجه الذى وجد لا على قانون مستقر وأصل مستمر

فاجتهدت على ما تيسر من التقدير وتقدر من التيسير حتى حصرتها في اربع قواعد هى الاصول الكبار (القاعدة الاولى) الصفات والتوحيد فيها وهى تشتمل على مسائل الصفات الازلية اثباتا عند جماعة ونفيا عند جماعة وبيان صفات الذات وصفات الفعل وما يجب لله تعالى ومايجوز عليه وما يستحيل وفيها الخلاف بين الاشعرية والكرامية والجسمة والمعتزلة (القاعدة الثانية) القدر والعدل وهي تشتمل على مسائل القضاء والقدر والجبر والكسب فى ارادة الخير والشر والمقدور والمعلوم اثباتاً عند جماعة ونفياً عند جماعة وفيها الخلاف بين القدرية والنجارية والجبرية والاشعرية والكرامية

والملوك والانبياء عليهم السلام . ودياناتهم والعلماء وأقوالهم والفلاسفة وحكمهم لاشك عند أحد يوفى عقله حقه فى شيء مما نقل من ذلك كما ذكرنا . وبالله تعالى التوفيق

﴿ باب الكلام على أهل القسم الاول ﴾
(وهم مبطلو الحقائق وهم السوفسطائية (١))

(قال ابو محمد) ذكر من سلف من المتكلمين أنهم ثلاثة أصناف . فصنف منهم نفى الحقائق جملة . وصنف منهم شكوا فيها . وصنف منهم قالوا هى حق عند من هي عنده حق . وهى باطل عند من هي عنده باطل : وعمدة ما ذكر من اعتراضهم فهو اختلاف الحواس فى المحسوسات كادراك المبصر من بعد عنه صغيرا ومن قرب منه كبيرا . وكوجود من به حمى صفراء حلو المطاعم مرا وما يرى فى الرؤيا مما لايشك فيه رائيه انه حق من انه فى البلاد البعيدة (قال ابو محمد) وكل هذا لامعنى له . لان الخطاب وتعاطي المعرفة انما يكون مع أهل المعرفة . وحس العقل شاهد بالفرق بين مايخيل الي النائم وبين مايدركه المستيقظ . اذ ليس فى الرؤيا من استعمال الجرى على الحدود المستقرة فى الاشياء المعروفة وكونها أبدا على صفة واحدة مافي اليقظة . وكذلك يشهد الحس أيضا بان تبدل المحسوس عن صفته اللازمة له تحت الحس انما هو لآفة في حس الحاس له لافى المحسوس جار كل ذلك على رتبة واحدة لاتتحول . وهذه هي البداية والمشاهدات التى لايجوز أن يطلب عليها برهان . اذ لوطلب على كل برهان برهان لاقتضى ذلك وجود موجودات لانهاية لها . ووجود أشياء لانهاية لها محال لاسبيل اليه على ما سنبينه ان شاء الله تعالى . والذى يطلب على البرهان برهانا فهو ناطق بالمحال . لانه لايفعل ذلك الا وهو مثبت لبرهان ما . فاذا وقفنا عند البرهان الذى ثبت لزمه الاذعان له . فان كان لايثبت برهانا فلا وجه لطلبه . الايثبته لو وجده والقول بنفي الحقائق مكابرة للعقل والحس . ويكفي من الرد عليهم أن يقال لهم . قولكم انه لاحقيقة للاشياء حق هو أم باطل ؟ فان قالوا هو حق اثبتوا حقيقة ما وان قالوا ليس هو حقا أقروا ببطلان قولهم وكفوا خصمهم أمرهم — ويقال للشكاك منهم وبالله تعالى التوفيق . أشككم موجود صحيح منكم أم غير صحيح ولا موجود . فان قالوا هو موجود صحيح منا أثبتوا أيضا حقيقة ما . وأن قالوا هو غير موجود نفوا الشك وابطلوه . وفي أبطال الشك اثبات الحقائق أو القطع علي أبطالها . وقد قدمنا بعون الله تعالي ابطال قول من ابطالها فلم يبق الا الاثبات

ويقال — وبالله التوفيق — لمن قال هى حق عند من هي عنده حق وهي

١ السوفسطائية فرقة ينكرون الحسيات والبديهيات والنظريات . قالوا لان الحس يغلط كالاحول يرى الواحد اثنين والصفراوى يجد الحلو مرا والراكب فى السفينة يرى الساحل متحركا فلا جزم . وكذلك لاجزم فى البديهيات والنظريات لاختلاف آراء العقلاء فيها وكل يجزم بحقية قوله * لمصححه *

(القاعدة الثالثة) الوعد والوعيد والاسماء والاحكام وهي تشتمل علي مسائل الايمان والتوبة والوعيد والارجاء والتكفير والتضليل اثباتا على وجه عند جماعة ونفيا عند جماعة وفيها الخلاف بين المرجئة والوعيدية والمعتزلة والاشعرية والكرامية (القاعدة الرابعة) السمع والعقل والرسالة والامامة وهى تشتمل على مسائل التحسين أو التقبيح والصلاح والاصلح واللطف والعصمة فى النبوة وشرائط الامامة نصا عند جماعة واجماعا عند جماعة وكيفية انتقالها على مذهب من قال بالنص وكيفية اثباتها على مذهب من قال بالاجماع والخلاف فيها بين الشيعة والخوارج والمعتزلة والكرامية والاشعرية

فاذا وجدنا انفراد واحد من أئمة الامة بمقالة من هذه القواعد عددنا مقالته مذهبا وجماعته فرقة وأن وجدنا واحداً انفرد بمسألة فلا نجعل مقالته مذهبا وجماعته فرقة بل نجعله مندرجا تحت واحد ممن وافق سواها مقالته ورددنا باقى مقالته الى الفروع التى لاتعد مذهباً مفرداً فلا تذهب المقالات الى غير النهاية

واذ تعينت المسائل التي هي قواعد الخلاف تبينت أقسام الفرق وانحصرت كبارها فى أربع بعدان

باطل عند من هي عنده باطل ، ان الشيء لايكون حقا باعتقاد من اعتقد انه حق ، كما انه لايبطل باعتقاد من اعتقد انه باطل ، وانما يكون الشيء حقا بكونه موجودا ثابتا سواء اعتقد انه حق أو اعتقد انه باطل ، ولو كان غير هذا لكان الشيء معدوما موجودا في حال واحدة في ذاته ، وهذا عين المحال ، واذا اقروا بان الاشياء حق عند من هي عنده حق فمن جملة تلك الاشياء التي تعتقد انها حق عند من يعتقد ان الاشياء حق بطلان قول من قال ان الحقائق باطل ، وهم قد أقروا ان الاشياء حق عند من هي عنده حق وبطلان قولهم من جملة تلك الاشياء ، وقد أقروا بان بطلان قولهم حق مع أن هذه الاقوال لاسبيل الى أن يعتقدها ذو عقل البتة ، اذ حسه يشهد بخلافها ، وانما يمكن ان يلجأ اليها بعض المنقطعين على سبيل الشغب وبالله تعالى التوفيق

﴿ باب الكلام على من قال بان العالم لم يزل وانه لامدبر له ﴾

(قال ابو محمد رضي الله عنه) لايخلو العالم من أحد وجهين ، أما ان يكون لم يزل ، أو ان يكون محدثا لم يكن ثم كان ، فذهبت طائفة الى انه لم يزل وهم الدهرية (١) وذهب سائر الناس الى انه محدث ، فنبتدىء بحول الله تعالى وقوته بايراد كل حجة شغب بها القائلون بان العالم لم يزل وتوفية اعتراضهم بها ، ثم نبين بحوله تعالى نقضها وفسادها ، فاذا بطل القول بان العالم لم يزل وجب القول بالحدوث وصح . اذ لاسبيل الى وجه ثالث ، لكننا لانقنع بذلك حتى نأتي بالبراهين الظاهرة والنتائج الموجبة والقضايا الضرورية على اثبات حدوث العالم ولا قوة الا بالله العلي العظيم

(فمما اعترضوا به) أن قالوا لم نر شيئا حدث الا من شيء أو في شيء فمن ادعى غير ذلك فقد ادعى مالا يشاهد ولم يشاهد (وقالوا ايضا) لايخلو محدث الاجسام الجواهر والاعراض وهي كل مافي العالم ان كان العالم محدثا من ان يكون احدثه لانه (٢) أو احدثه لعلة * فان كان لانه فالعالم لم يزل لان محدثه لم يزل ، واذ هو علة خلقه فالعلة لاتفارق المعلول ، وما لم يفارق من لم يزل فهو أيضا لم يزل اذ هو مثله بلا شك ، فالعالم لم يزل . وان كان احدثه لعلة فتلك العلة لاتخلو من أحد وجهين ، اما ان تكون لم تزل ، واما ان تكون محدثة ، فان كانت لم تزل فمعلولها لم يزل ، فالعالم لم يزل ،

(١) الدهرية فرقة من الكفار ذهبوا الى قدم الدهر واسناد الحوادث اليه كما أخبر الله تعالى عنهم في قوله ان هي الا حيوتنا الدنيا نموت ونحيا وما يهلكنا الا الدهر اه مقاصد

(٢) قوله احدثه لانه الخبر محذوف والتقدير احدثه لانه العلة في احداثه أو احدثه لعلة اخرى وقد تكرر منه هذا الحذف طلباً للاختصار وجريا في الحذف على سنة المناظرة اه مصحح

تداخل بعضها في بعض . كبار الفرق الاسلامية أربع القدرية الصفاتية الخوارج الشيعة ثم يتركب بعضها مع بعض ويتشعب عن كل فرقة أصناف فتصل الى ثلاث وسبعين فرقة

ولاصحاب كتب المقالات طريقان في الترتيب . احدهما انهم وضعوا المسائل أصولا ثم أوردوا في كل مسئلة مذهب طائفة طائفة وفرقة فرقة . والثاني انهم وضعوا الرجال وأصحاب المقالات اصولا ثم اوردوا مذاهبهم في مسئلة مسئلة

وترتيب هذا المختصر على الطريقة الأخيرة لاني وجدتها اضبط للاقسام واليق بابواب الحساب وشرطي على نفسي أن اورد مذهب كل فرقة على ما وجدته في كتبهم من غير تعصب لهم ولا كسر عليهم دون ان ابين صحيحه من فاسده واعين حقه من باطله وان كان لايخفى على الافهام الزكية في مدارج الدلائل العقلية لمحات الحق ونفحات الباطل

(المقدمة الثالثة) في بيان اول شبهة وقعت في الخليقة ومن مصدرها في الاول ومن مظهرها في الآخر (اعلم) ان أول شبهة وقعت في الخليقة شبهة ابليس لعنه الله ومصدرها

وان كانت تلك العلة محدثة لزم في حدوثها مالزم في حدوث سائر الاشياء من انه احدثها لانه أو لعلة . فان كان لعلة لزم ذلك أيضا في علة العلة وهكذا أبدا . وهذا يوجب وجود محدثات لا اوائل لها . قالوا وهذا قولنا . قالوا وان كان احدثها لانه فهذا يوجب ان العلة لم تزل كما بينا آنفا (وقالوا ايضا) ان كان الاجسام محدث لم يخل من احد ثلاثة أوجه . اما ان يكون مثلها من جميع الوجوه لزم واما ان يكون خلافها من جميع الوجوه . واما ان يكون مثلها من بعض الوجوه وخلافها من بعض الوجوه : قالوا فان كان مثلها من جميع الوجوه لزم ان يكون محدثا مثلها وهكذا في محدثه ايضا ابدا : وان كان مثلها في بعض الوجوه لزمه ايضا من مماثلتها في ذلك البعض مايلزمه من مماثلته لها في جميع الوجوه من الحدوث اذ الحدوث اللازم للبعض كلزومه للكل ولا فرق : وان كان خلافها من جميع الوجوه فمحال أن يفعلها لان هذا هو حقيقة الضد والمناقض اذ لاسبيل الى ان يفعل الشيء خلافه من جميع الوجوه كما لا تفعل النار التبريد (وقالوا ايضا) لا يخلو ان كان للعالم فاعل من ان يكون فعله لاحراز منفعة او لدفع مضرة او طباعا او لا لشيء من ذلك : قالوا فان كان فعله لاحراز منفعة او لدفع مضرة فهو محل المنافع والمضار وهذه صفة المحدثات عندكم فهو محدث مثلها . قالوا وان كان فعله طباعا فالطباع موجبة لما حدث بها ففعله لم يزل معه . قالوا وإن كان فعله لا لشيء من ذلك فهذا لا يعقل وما خرج عن المعقول فمحال . وقالوا أيضاً ، لو كانت الاجسام محدثة لكان محدثها قبل أن يحدثها فاعلا لتركها . قالوا وتركها لا يخلو من أن يكون جسما أو عرضا . وهذا يوجب ان الاجسام والاعراض لم تزل موجودة

(قالوا ابو محمد رضي الله عنه) فهذه المشاغب الخمس هي كل ماعول عليه القائلون بالدهر قد تقصيناها لهم ونحن أن شاء الله نبدأ بحول الله وقوته في مناظرتهم فننقضها واحداً واحدا

(افساد الاعتراض الاول) قال ابو محمد رضي الله عنه ، يقال وبالله التوفيق والعون لمن قال لم نر شيئا حدث الا من شيء أو في شيء ، هل تدرك حقيقة شيء عندكم من غير طريق الرؤية والمشاهدة أو لا يدرك شيء من الحقائق الا من طريق الرؤية فقط ، فان قالوا انه قد تدرك الحقائق من غير طريق الرؤية والمشاهدة تركوا استدلالهم وأفسدوه اذ قد أوجبوا وجود أشياء من غير طريق الرؤية والمشاهدة وقد نفوا ذلك قبل هذا ، فاذا صاروا الى الاستدلال نوظروا في ذلك الا أن دليلهم هذا على كل حال قد بطل بحمد الله تعالى . فان قالوا لا بل لا يدرك شيء الا من طريق المشاهدة ، قيل لهم فهل شاهدتم شيئا قط لم يزل فلا بد من نعم أو لا ، فان قالوا لا

استبداده بالراي في مقابلة النص واختياره الهوى في معارضة الامر واستكباره بالمادة التي خلق منها وهي النار على مادة آدم عليه السلام وهي الطين وانشعبت من هذه الشبهة سبع شبهات وسارت في الخليقة وسرت في أذهان الناس حتى صارت مذاهب بدعة وضلال وتلك الشبهات مسطورة في شرح الاناجيل الاربعة انجيل لوقا وما رقوس ويوحنا ومتي ومذكورة في التوراة متفرقة على شكل مناظرة بينه وبين الملائكة بعد الامر بالسجود والامتناع منه قال كما نقل عنه أني سلمت أن الباري تعالى الهي واله الخلق عالم قادر ولا يسأل عن قدرته ومشيئته وانه مهما أراد شيئا قال له كن فيكون وهو حكيم الا أنه يتوجه على مساق حكمته أسئلة قالت الملائكة ماهي وكم هي قال لعنة الله سبع (الاول) منها أنه علم قبل خلقي أي شيء يصدر عني ويحصل مني فلم خلقني أولا وما الحكمة في خلقه اياي والثاني اذ خلقني على مقتضى ارادته ومشيئته فلم كلفني بمعرفته وطاعته وما الحكمة في التكليف بعد أن لا ينتفع بطاعة ولا يتضرر بمعصية والثالث اذ خلقني وكلفني فالتزمت تكليفه بالمعرفة والطاعة فعرفت واطعت فلم كلفني بطاعة آدم والسجود له

وصدقوا وأبطلوا استدلالهم ، وان قالوا نعم كابروا وادعوا مالا سبيل الى مشاهدته اذ مشاهدة قائل هذا القول للاشياء هي ذات أول بلاشك ، وذو الاول هو غير الذى لم يزل لان الذى لم يزل هو الذى لا أول له ولاسبيل الى أن يشاهد ماله أول مالا أول له مشاهدة متصلة ، فبطل هذا الاستدلال على كل وجه والحمد لله رب العالمين

(افساد الاعتراض الثاني) قال أبو محمد رضى الله عنه ويقال لمن قال لايخلو من أن يفعل لانه أو لعلة ، هذه قسمة ناقصة ، وينقص منها القسم الثالث وهو لانه فعل لا لانه ولا لعلة أصلا لكن كما شاء لان كلا القسمين المذكورين أولا وهما أنه فعل لانه أو لعلة قد بطلا بما قدمنا هنالك اذ العلة توجب اما الفعل او الترك وهو تعالى يفعل ولا يفعل فصح بذلك انه لاعلة لفعله اصلا ولا لتركه البتة ، فبطل هذا الشغب والحمد لله رب العالمين * فان قالوا ان ترك البارى تعالى في الازل فعل منه للترك ففعله الذى هو الترك لم يزل ، قلنا ـ وبالله تعالي التوفيق .. ان ترك البارى تعالى الفعل ليس فعلا اصلا على ما نبين في فساد الاعتراض الخامس ان شاء الله تعالى

(افساد الاعتراض الثالث) قال أبو محمد رضى الله عنه ، يقال لمن قال لو كان الاجسام محدث لم يخل من احد ثلاثة اوجه ، اما ان يكون مثلها من جميع الوجوه اومن بعض الوجوه لامن كلها اوخلافها من جميع الوجوه الى انقضاء كلامهم ، بل هو تعالى خلافها من جميع الوجوه وادخالكم على هذا الوجه أنه حقيقة الضد والنقيض والضد لايفعل ضده كما لا تفعل النار التبريد ادخال فاسد ، لان البارى تعالى لا يوصف بانه ضد لخلقه لان الضد هو ماحمل حمل التضاد والتضاد هو اقتسام الشيئين طرفي البعد تحت جنس واحد فاذا وقع احد الضدين ارتفع الآخر ، وهذا الوصف بعيد عن البارى تعالى ، وانما التضاد كالخضرة والبياض اللذين يجمعهما اللون او الفضيلة والرذيلة اللتين يجمعهما الكيفية والخلق ، ولا يكون الضدان الا عرضين تحت جنس واحد ولا بد ، وكل هذا منفى عن الخالق عز وجل ، فبطل بالضرورة ان يكون عز وجل ضداً لخلقه * وايضا فان قولهم لو كان خلافاً لخلقه من جميع الوجوه لكان ضداً لهم قول فاسد ، اذ ليس كل خلاف ضداً ، فالجوهر خلاف العرض من كل وجه حاشا الحدوث فقط وليس ضداً له ـ ويقال أيضاً لمن قال هذا القول ، هل تثبت فاعلا وفعلا على وجه من الوجوه اوتنفى ان يوجد فاعل وفعل البتة ، فان نفى الفاعل والفعل

وما الحكمة فى هذا التكليف على الخصوص بعد أن لا يزيد ذلك فى معرفتى وطاعتى (والرابع) اذ خلقني وكلفني على الاطلاق وكلفنى بهذا التكليف على الخصوص فاذ لم أسجد فلم لعننى واخرجنى من الجنة وما الحكمة فى ذلك بعد أن لم ارتكب قبيحاً الا قولي لااسجد الا لك (والخامس) اذ خلقنى وكلفني مطلقاً وخصوصاً فلم اطع فلعننى وطردنى فلم طرقنى الى آدم حتى دخلت الجنة ثانياً وغررته بوسوستي فاكل من الشجرة المنهى عنها واخرجه من الجنة معى وما الحكمة فى ذلك بعد أن لومنعنى من دخول الجنة لاستراح مني آدم وبقى خالدا فيها (والسادس) اذ خلقني وكلفنى عموما وخصوصاً ولعننى ثم طرقنى الى الجنة وكانت الخصومة بيني وبين آدم فلم سلطنى على اولاده حتى اراهم من حيث لا يرونني وتؤثر فيهم وسوستى ولا يؤثر في حولهم وقوتهم وقدرتهم واستطاعتهم وما الحكمة في ذلك بعد أن لوخلقهم على الفطرة دون من يحتالهم عنها فيعيشوا طاهرين سامعين مطيعين كان احرى بهم واليق بالحكمة (والسابع) سلمت هذا كله خلقنى وكلفنى مطلقاً ومقيداً واذ لم اطع لعنني وطردنى واذا اردت دخول الجنة مكنني وطرقنى واذ

البتة كابر العيان لانكاره الماشي والقائم والقاعد والمتحرك والساكن ، ومن دفع بهذا كان فى نصاب من لايكلم ، وان اثبت الفعل والفاعل فيما بيننا قيل له هل يفعل الجسم الا الحركة والسكون فلابد من نعم ، والحركة والسكون خلاف الجسم وليسا ضداً له ، اذ ليسا معه تحت جنس واحد اصلا ، وانما يجمعها واياه الحدوث فقط ، فلو كان كل خلاف ضدا لكان الجسم فاعلا لضده وهو الحركة او السكون ، وهذا هو نفس ما ابطلوا ، فصح بالضرورة انه ليس كل خلاف ضدا ، وصح ان الفاعل يفعل خلافه ولا بد من ذلك ، فبطل اعتراضهم والحمد لله رب العالمين

(افساد الاعتراض الرابع) قال ابو محمد رضى الله عنه ويقال لمن قال لايخلو من ان يكون خدث الاجسام احدثها لاحراز منفعة او لدفع مضرة اوطباعاً اولالشيء من ذلك الى انقضاء كلامهم * أما الفعل لاحراز منفعة او لدفع مضرة فانما يوصف به المخلوقون المختارون * وأما فعل الطباع فانما يوصف به المخلوقون غير المختارين ، وكل صفات المخلوقين فهى منفية عن الله تعالى الذى هو الخالق لكل مادونه * وأما القسم الثانى وهو انه فعل لا لشئ من ذلك فهذا هو قولنا ، ثم نقول لمن قال ان الفعل لالشيء من ذلك امر غير معقول ، ماذا تعنى بقولك غير معقول ، اتريد انه لا يعقل حسا او مشاهدة ام تقول انه لا يعقل استدلالا - فان قلت إنه لا يعقل حسا ومشاهدة ، قلنا لك صدقت كما ان ازلية الاشياء لا تعقل حسا ومشاهدة - وان قلت انه لا يعقل استدلالا ، كان ذلك دعوى منك مفتقرة الى دليل ، والدعوى اذا كانت هكذا فهى ساقطة ، فالاستدلال بها ساقط ، فكيف والفعل لالشيء من ذلك متوهم ممكن غير داخل في الممتنع ، وما كان هكذا فالمانع منه مبطل والقول به يعقل فسقط هذا الاعتراض - ثم نقول ، لما كان البارى تعالى بالبراهين الضرورية خلافا لجميع خلقه من جميع الوجوه كان فعله خلافا لجميع افعال خلقه من جميع الوجوه ، وجميع خلقه لاتفعل الا طباعاً او لاجتلاب منفعة او لدفع مضرة ، فوجب ان يكون فعله تعالى بخلاف ذلك ، وبالله التوفيق

(افساد الاعتراض الخامس) قال ابو محمد رضى الله عنه ، ويقال لمن قال ان ترك الفاعل ان يفعل الاجسام لايخلو من ان يكون جسما او عرضا الى منتهى كلامهم ، ان هذه قسمة فاسدة بينة العوار ، وذلك ان الجسم هو الطويل العريض العميق ، وترك الفعل ليس طويلا ولا عريضاً ولا عميقاً ، فترك الفعل من الله تعالى للجسم والعرض ليس جسما ، والعرض هو المحمول

عملت عملى اخرجني ثم سلطني على بني آدم فلم اذا استمهلته امهلنى فقلت أنظرنى الى يوم يبعثون قال انك من المنظرين الى يوم الوقت المعلوم وما الحكمة فى ذلك بعد أن لو اهلكني فى الحال استراح آدم والخلق مني وما بقى شر ما في العالم أليس بقاء العالم على نظام الخير خيراً من امتزاجه بالشر * قال فهذه حجتى على ما ادعيته فى كل مسئلة قال شارح الانجيل فاوحى الله تعالى الى الملائكة عليهم السلام قالوا له انك فى تسليمك الاول انى الهك واله الخلق غير صادق ولا مخلص اذ لو صدقت انى اله العالمين ما احتكمت على بلم فانا الله الذى لا اله الا انا لا أسأل عما أفعل والخلق مسؤلون * هذا الذى ذكرته مذكور في التوراة ومسطور فى الانجيل على الوجه الذى ذكرته وكنت برهة من الزمان اتفكر واقول ان من المعلوم الذى لامراء فيه ان كل شبهة وقعت لبني آدم فانما وقعت من اضلال الشيطان الرجيم ووساوسه نشأت من شبهاته واذا كانت الشبهات محصورة فى سبع عادت كبار البدع والضلالات الى سبع ولا يجوز أن تعدو شبهات فرق الزيغ والكفر هذه الشبهات وان اختلفت العبارات وتباينت الطرق فانها بالنسبة الى انواع الضلالات

في الجسم ، وترك فعل الله تعالى للجسم والعرض ليس محمولا فليس عرضاً ، فترك فعل الله تعالي للجسم والعرض ليس هو جسما ولا عرضاً وانما هو عدم والعدم ليس معنى ولا هو شيئاً ، وترك الله تعالى للفعل ليس فعلا البتة بخلاف صفة خلقة لان الترك من المخلوق للفعل فعل - برهان ذلك ، ان ترك المخلوق للفعل لا يكون الا بفعل آخر منه ضرورة ، كتارك الحركة لا يكون الا بفعل السكون وتارك الاكل لا يكون الا باستعمال آلات الاكل في مقاربة بعضها بعضاً أو فى مباعدة بعضها بعضاً وبتعويض الهواء وغيره من الشيء المأكول ، وكتارك القيام لا يكون الا باشتغاله بفعل آخر من قعود أو غيره ، فصح أن فعل البارى تعالى بخلاف فعل خلقه وان تركه للفعل ليس فعلا اصلا ، فبطل استدلالهم ، وبالله التوفيق

(قال أبو محمد رضى) الله عنه فاذ قد بطل جميع ما تعلقوا به ، ولم يبق لهم شغب اصلا بعون الله وتأييده ، فنحن مبتدئون بتأييده عز وجل فى ايراد البراهين الضرورية على اثبات حدوث العالم بعد أن لم يكن ، وتحقيق ان له محدثا لم يزل لا اله الا هو

(برهان أول) قال ابو محمد رضى الله عنه ، فنقول - وبالله التوفيق - ان كل شخص فى العالم وكل عرض فى شخص وكل زمان فكل ذلك متناه ذو اول نشاهد ذلك حسا وعيانا ، لان تناهى الشخص ظاهر بمساحته باول جرمه وآخره وايضاً بزمان وجوده ، وتناهي العرض المحمول ظاهر بين بتناهي الشخص الحامل له ، وتناهي الزمان موجود باستئناف ما يأتى منه بعد الماضى ، وفناء كل وقت بعد وجوده ، واستئناف آخر يأتى بعده ، اذ كل زمان فنهايته الآن وهو حد الزمانين فهو نهاية الماضي وما بعده ابتداء للمستقبل وهكذا أبدا يفني زمان ويبتدىء آخر ، وكل جملة من جمل الزمان فهى مركبة من ازمنة متناهية ذات اوائل كما قدمنا ، وكل جملة اشخاص فهى مركبة من اجزاء متناهية بعددها وذوات أوائل كما قدمنا ، وكل مركب من اجزاء متناهية ذات اوائل فليس هو شيئاً غير اجزائه اذ الكل ليس هو شيئاً غير الاجزاء التي ينحل اليها واجزاؤه متناهية كما بينا ذات اوائل ، فالجمل كلها بلا شك متناهية ذات اوائل ، والعالم كله انما هو اشخاصه ومكانه وازمانها ومحمولاتها ليس العالم كله شيئا غير ما ذكرناه ، واشخاصه ومكانه وازمانها ومحمولاتها ذوات اوائل كما ذكرنا ، فالعالم كله متناه ذو اول ولا بد ، فان كانت اجزاؤه كلها متناهية ذات اول بالمشاهدة والحس وكان هو غير ذى اول وقد اثبتنا بالضرورة والعقل والحس انه ليس هو شيئاً غير

كالبذور ويرجع جملتها الى انكار الامر بعد الاعتراف بالحق والى الجنوح الى الهوى فى مقابلة النص * هذا ومن جادل نوحاً وهوداً وصالحا وابراهيم ولوطا وشعيبا وموسى وعيسى ومحمداً صلوات الله عليهم اجمعين كلهم نسجوا على منوال اللعين الاول في إظهار شبهاته وحاصلها يرجع الى دفع التكليف عن انفسهم وجحدا اصحاب الشرائع والتكاليف باسرهم اذ لا فرق بين قولهم أبشر يهدوننا وبين قوله أأسجد لمن خلقت طيناً وعن هذا صار مفصل الخلاف ومحز الافتراق كما هو فى قوله تعالى وما منع الناس ان يؤمنوا اذ جاءهم الهدي الا ان قالوا ابعث الله بشراً رسولا فبين ان المانع من الايمان هو هذا المعنى كما قال فى الاول ما منعك ان لا تسجد اذ أمرتك قال أنا خير منه * وقال المتأخر من ذريته كما قال المتقدم أنا خير من هذا الذى هو مهين * وكذلك لو تعقبنا احوال المتقدمين منهم وجدناها مطابقة لاقوال المتاخرين كذلك قال الذين من قبلهم مثل قولهم تشابهت قلوبهم فما كانوا ليؤمنوا بما كذبوا به من قبل فاللعين الاول لما ان حكم العقل على من لا يحتكم عليه العقل لزمه ان يجرى حكم الخالق فى الخلق أو حكم الخلق في الخالق والاول غلو والثانى تقصير فثار من الشبهة الاولى مذاهب الحلولية والتناسخية والمشبهة والغلاة من الروافض حيث غالوا فى حق شخص

اجزائه ، فهو ذواول لاذواول وهذا عين المحال، ويجب من ذلك ايضا ان لاجزائه اوائل محسوسة ،واجزاؤه ليست غيره وهو غير ذي اول،فاجزاؤه اذن لها اول ليس لها اول ،وهذا محال وتخليط ،فصح بالضرورة ان للعالم اولا اذ كل اجزائه لها اول وليس هو شيئاً غير اجزائه ، وبالله تعالى التوفيق

(برهان ثان) قال ابو محمد رضي الله عنه ، فنقول كل موجود بالفعل فقد حصره العدد واحصته طبيعته ؛ ومعنى الطبيعة وحدها هو أن تقول، الطبيعة هي القوة التي فى الشيء فتجرى بها كيفيات ذلك الشيء على ما هي عليه ، وان اوجزت قلت هي قوة فى الشيء يوجد بها على ماهو عليه ، وحصر العدد واحصاء الطبيعة نهاية صحيحة ، اذ مالا نهاية له فلا احصاء له ولا حصر له ، إذ ليس معنى الحصر والاحصاء الاضم ما بين طرفى المحدى المحصور ، والعالم موجود بالفعل وكل محصور بالعدد محصى بالطبيعة فهو ذو نهاية ،فالعالم كله ذو نهاية ، وسواء فى ذلك ماوجد في مدة واحدة أو مدد كثيرة ، إذ ليست تلك المدد الا مدة محصاة الى جنب مدة محصاة فهى مركبة من مدد محصاة ، وكل مركب من اشياء فهو تلك الاشياء التى ركب منها،فهى كلها مدد محصاة كما قدمنا في الدليل الاول ، فصح من كل ذلك ان مالانهاية له فلا سبيل الى وجوده بالفعل ، ومالم يوجد الابعد مالا نهاية له فلا سبيل الى وجوده ابداً،لان وقوع البعدية فيه هو وجود نهاية له ، ومالا نهاية له فلا بعد له ، فعلى هذا لايوجد شيء بعد شيء أبد الابد ، والاشياء كلها موجودة بعضها بعد بعض، فالاشياء كلها ذات نهاية ، وهذان الدليلان قد نبه الله تعالى عليهما وحصرها بحجته البالغة اذ يقول وكل شيء عنده بمقدار

(برهان ثالث) قال أبومحمد رضي الله عنه ، مالانهاية له فلاسبيل الى الزيادة فيه ، اذ معنى الزيادة انما هو أن تضيف الى ذى النهاية شيئاً من جنسه يزيد ذلك فى عدده أو فى مساحته ، فان كان الزمان لا اول له يكون به متناهياً فى عدده الآن فاذن كل ما زاد فيه ويزيد مما يأتى من الازمنة منه فانه لايزيد ذلك فى عدد الزمان شيئاً ، وفي شهادة الحس ان كل ما وجد من الاعوام على الابد الي زماننا هذا الذى هو وقت ولاية هشام المعتمد بالله (١) هو أكثر من كل ماوجد من الاعوام على الابد الي وقت هجرة رسول الله صلى الله عليه وسلم ، فان لم يكن هذا صحيحاً فيجب اذن انه اذا دار زحل دورة واحدة فى كل ثلاثين سنة و زحل لم يزل يدور دار الفلك الاكبر فى تلك الثلاثين سنة احدى عشرة الف دورة غير خمسين دورة والفلك لم يزل يدور ، واحدى عشرة الف غير خمسين دورة أكثر من دورة

من الاشخاص حتى وصفوه بصفات الجلال وثار من الشبهة الثانية مذاهب القدرية والجبرية والمجسمة حيث قصروا في وصفه تعالى بصفات المخلوقين فالمعتزلة مشبهة الافعال والمشبهة حلولية الصفات وكل واحد منهم اعور باى عينيه شاء فان من قال انما يحسن منه مايحسن منا ويقبح منه مايقبح منا فقد شبه الخالق بالخلق * ومن قال يوصف البارى تعالى بما يوصف به الخلق أو يوصف الخلق بما يوصف به الباري تعالى عزاسمه فقد اعتزل عن الحق * وسنخ القدرية طلب العلة فى كل شيء وذلك من سنخ اللعين الاول اذ طلب العلة في الخلق اولا والحكمة في التكليف ثانياً والفائدة في تكليف السجود لآدم عليه السلام ثالثاً وعنه نشأ مذهب الخوارج اذ لافرق بين قولهم لاحكم الا الله ولا بحكم الرجال وبين قوله لا أسجد الا لك أأسجد لبشر خلقته من صلصال وبالجملة كلا طرفى قصد الامور ذميم فالمعتزلة غالوا فى التوحيد بزعمهم حتى وصلوا الى التعطيل بنفى الصفات والمشبهة قصروا حتى وصفوا الخالق بصفات الاجسام والروافض غالوا فى النبوة والامامة حتي وصلوا الى الحلول والخوارج قصروا حيث نفوا تحكيم الرجال * وانت ترى ان هذه الشبهات كلها ناشئة من شبهات اللعين الاول وتلك فى الاول مصدرها وهذه فى الآخر

(١) ولى الملك بالاندلس سنة ٣٦٦ ووفاته فى سنة ٤٠٣ هـ

واحدة بلا شك ، فاذن مالانهاية لها كثر مما لانهاية له بنحو احدى عشرة الف مرة ، وهـذا محال لما قدمنا ولان مالانهاية له فلا يمكن البتة ان يكون عدد اكثر منه بوجه من الوجوه ، فوجبت فى الزمان من قبل ابتدائه ضرورة ولا مخلص منها * ويجب ايضاً من ذلك ان الحس يوجب ضرورة ان اشخاص الانس مضافة الى اشخاص الخيل اكثر من اشخاص الانس مفردة عن اشخاص الخيل ، ولو كانت الاشخاص لانهاية لها لوجب ان مالانهاية له اكثر مما لانهاية له ، وهذا محال ممتنع لا يتشكل فى العقل ولا يمكن ، وايضاً فلا شك فى ان الزمان مذكان الى وقت الهجرة جزء للزمان مذكان الى وقتنا هذا وبلا شك ايضا فى ان الزمان مذ كان الي وقتنا هذا كل للزمان مذ كان الي وقت الهجرة ولما بعده الى وقتنا هذا ، فلا يخلو الحكم في هذه القضية من احد ثلاثة اوجه لا رابع لها ، اما ان يكون الزمان مذ كان موجودا الى وقتنا هذا اكثر من الزمان مذ كان الى عصر الهجرة ، واما ان يكون اقل منه ، واما ان يكون مساويا له ، فان كان الزمان مذ كان الى وقتنا هذا اقل من الزمان مذ كان الى وقت الهجرة ، فالكل اقل من الجزء والجزء اكثر من الكل ، وهذا هو الاختلاط وعين المحال . اذ لا يخيل (١) على احد ان الكل اكثر من الجزء . وهذا مالا شك فيه ببديهة العقل وضرورة الحس . وان كان مساويا له فالكل مساو للجزء . وهذا عين المحال والتخليط . وان كان اكثر منه وهذا هو الذى لا شك فيه فالزمان مذ كان الى وقت الهجرة ذو نهاية . ومعنى الجزء انما هو ابعاض الشيء . ومعنى الكل انما هو جملة تلك الابعاض فالكل والجزء واقعان فى كل ذى ابعاض . والعالم ذو ابعاض هكذا توجد حاملاته ومحمولاته وازمانها . فالعالم كل لابعاضه وابعاضه اجزاء له والنهاية كما قدمنا لازمة لكل ذى كل وذى اجزاء . والزمان هو مدة بقاء الجرم ساكنا او متحركا ولو فارقه لم يكن الجرم موجوداً ولا كان الزمان ايضا موجوداً . والجرم والزمان موجودان فكلاهما لم يفارق صاحبه . والزمان ذو اول والجرم ذو اول وهذا مما لا انفكاك له البتة . واما ما لم يأت بعد من زمان اوشخص اوعرض فليس كل ذلك شيئا . فلا يقع على شيء من ذاك عدد ولا نهاية ولا يوصف بشيء اصلا لانه لا وجود له بعد . فاذا وجد لزمه حينئذ ما لزم سائر ما قد وجد من اجناسه وانواعه من النهاية والعدد وغير ذاك من الصفات * وايضا فلا شك فى ان ما وقع من الزمان ووجد من الزمان الى يومنا هـذا مساو لما من يومنا هذا الى ما وقع من الزمان معكوسا . وواجب فيه الزيادة بما يأتى من الزمان . والمساوى

(١) لا يخيل بضم أوله من أخال الشيء بمعنى اشتبه يقال هذا الامر لا يخيل على أحد أى لا يشكل اه مصحح

مظهرها واليه اشار التنزيل في قوله تعالى ولا تتبعوا خطوات الشيطان انه لكم عدو مبين « وشبه النبي صلى الله عليه وسلم كل فرقة ضالة من هذه الامة بامة ضالة من الامم السالفة فقال القدرية مجوس هذه الامة وقال المشبهة يهود هذه الامة والرافضة نصاراها وقال عليه الصلاة والسلام جملة لتسلكن سبل الامم قبلكم حذو القذة بالقذة (١) والنعل بالنعل حتى لو دخلوا حجر ضب لدخلتموه

(المقدمة الرابعة) في بيان اول شبهة وقعت فى الملة الاسلامية وكيف انشعابها ومن مصدرها ومن مظهرها وكما قررنا أن الشبهات التي فى آخر الزمان هي بعينها تلك الشبهات التي وقعت في اول الزمان كذلك يمكن أن مقرر في زمان كل نبي ودور كل صاحب ملة وشريعة ان شبهات امته فى آخر زمانه ناشئة من شبهات خصماء اول زمانه من الكفار والمنافقين واكثرها من المنافقين وان خفي علينا ذاك فى الامم السالفة لتمادى الزمان فلم يخف

(١) قوله القذة بضم القاف وتشديد الذال المعجمة ريشة السهم وفى رواية لتركبن سنن من كان قبلكم حذو القذة بالقذة قال ابن الاثير يضرب مثلا للشيئين يستويان ولا يتفاوتان اه مصحح

لايقع الا في ذى نهاية . فالزمان متناه ضرورة . وقد الزمت بعض الملحدين وهو ثابت بن محمد الجرجانى فى هذا البرهان . فاراد ان يعكسه على فى بقاء البارى عز وجل ووجودنا اياه . فاخبرته بان هذا شغب ضعيف مضمحل ساقط . لان البارى تعالى ليس فى زمان ولا له مدة لان الزمان انما هو حركة كل ذى الزمان وانتقاله من مكان الى مكان اومدة بقائه ساكنا فى مكان واحد . والبارى تعالى ليس متحركا ولا ساكنا . ولا شك انه ليس في زمان ولا له مدة ولا هو فى مكان اصلا وليس هو جرماً ولا جوهراً ولا عرضا ولا عدداً ولا جنسا ولا نوعا ولا فصلا ولا شخصا ولا متحركا ولا ساكنا . وانما هو تعالى حق في ذاته موجود مطلق بمعنى انه معلوم لا اله غيره واحد لا واحد في العالم سواه مخترع للموجودات كلها دونه لا يشبه شيئا من خلقه بوجه من الوجوه . وبالله تعالى التوفيق

(قال ابو محمد رضي الله عنه) وقد نبه الله تعالى على هذا الدليل وحصره فى قوله تعالى يزيد فى الخلق ما يشاء

(برهان رابع) قال ابو محمد رضى الله عنه . ان كان العالم لا اول له ولا نهاية له فالاحصاء مناله بالعدد والطبيعة الى مالا نهاية له من اوائل العالم الماضية محال لا سبيل اليه . اذ لو احصي ذلك كله لكان له نهاية ضرورة فاذا لا سبيل اليه . فكذلك ايضا هو محال ان تكون الطبيعة والعدد احصيا مالا نهاية له من اوائل العالم الخالية حتي يبلغا الينا . واذا كان ذلك محالا فالعدد والطبيعة اذاً لم يبلغا الينا . وقد تيقنا وقوع العدد والطبيعة فى كل ما خلا من العالم حتي بلغا الينا بلا شك . فاذاً قد احصي العدد والطبيعة كل ما خلا من اوائل العالم الى ان بلغا الينا . فكذلك الاحصاء منا الى أولية العالم صحيح موجود ضرورة بلا شك . واذ ذلك كذلك فللعالم اول ضرورة . وبالله تعالى التوفيق

(برهان خامس) قال ابو محمد رضى الله عنه لا سبيل الى وجود ثان الا بعد اول ولا الى وجود ثالث الا بعد ثان وهكذا ابدا ولو لم يكن لاجزاء العالم اول لم يكن ثان . ولو لم يكن ثان لم يكن ثالث . ولو كان الامر هكذا لم يكن عدد ولا معدود . وفى وجودنا جميع الاشياء التي فى العالم معدودة ايجاب انها ثالث بعد ثان وثان بعد أول . وفي صحة هذا وجوب أول ضرورة . وقد نبه الله تعالى على هذا الدليل وعلى الذى قبله وحصرهما في قوله تعالى واحصى كل شيء عددا . وأيضا فالآخر والاول من باب المضاف فالآخر آخر للاول والاول أول للآخر . ولو لم يكن اول لم يكن آخر . ويومنا هذا بما فيه آخر لكل موجود قبله اذ مالم يأت بعد فليس شيئا ولا وقع عليه بعد شيء من الاوصاف فله أول ضرورة

فى هذه الامة ان شبهاتها نشأت كلها من شبهات منافقي زمن النبي عليه السلام اذ لم يرضوا بحكمه فيما كان يأمر وينهى وشرعوا فيما لا مسرح للفكر فيه ولا مسرى وسالوا عما منعوا من الخوض فيه والسؤال عنه وجادلوا بالباطل فيما لا يجوز الجدال فيه « اعتبر حديث ذى الخويصرة التميمى اذ قال اعدل يا محمد فانك لم تعدل حتى قال عليه السلام ان لم أعدل فمن يعدل فعاود اللعين وقال هذه قسمة ما اريد بها وجه الله تعالى وذلك خروج صريح على النبي عليه السلام ولو صار من اعترض على الامام الحق خارجياً فمن اعترض على الرسول الحق اولي ان يصير خارجياً أوليس ذاك قولا بتحسين العقل وتقبيحه وحكما بالهوى فى مقابلة النص واستكباراً على الامر بقياس العقل حتى قال عليه السلام سيخرج من ضئضئ هذا الرجل قوم يمرقون من الدين كما يمرق السهم من الرمية الخبر بتمامه » واعتبر حال طائفة من المنافقين يوم احد اذ قالوا هل لنا من الامر من شيء وقولهم لو كان لنا من الامر شيء ماقتلنا ههنا وقولهم لو كانوا عندنا ما ماتوا وما قتلوا فهل ذلك الا تصريح بالقدر وقول طائفة من المشركين لو شاء الله ما عبدنا من دونه من شيء وقول طائفة

(قال أبو محمد رضي الله عنه) وقد أخبرني بعض أصدقائنا وهو محمد بن عبد الرحمن بن عقبة رحمه الله تعالى انه عارض بهذا البرهان بعض الملحدين وهو عبد الله بن عبد الله بن شنيف فعارضه الملحد فى قوله بخلود الجنة والنار وأهلها فقال له ابن عقبة ، انما أخذنا خلود دارى الجزاء وخلود أهلها بلا نهاية على غير هذا الوجه ، لكن على أن الله تعالى ينشيء لكل ذلك بقاء محدوداً وحركات حادثة ولذات مترادفة أبداً وقتاً بعد وقت الا أن الاول والآخر جاريان حادثان في كل موجود من ذلك ، واذا ثبت الاول فغير ممتنع تمادى الزمان حينا بعد حين أبدا بلا نهاية ، وهذا مثل العدد فانه لو لم يكن له أول لم يقدر أحد على عد أى شيء أبدا فالعدد له أول ضرورة يعرف ذلك بالحس والمشاهدة ، وهو قولنا واحد فان هذا مبدأ العدد الذى لا عدد قبله ، ثم الاعداد يمكن فيها الزيادة أبد الابد لا الى غاية لكن كلما خرج منه جزء الى حد الوجود وحد الفعل فله نهاية وهكذا أبدا سرمدا ، وبالله تعالى التوفيق ، فانقطع الشنيفى ولم يكن عنده الا الشغب

(قال أبو محمد رضى الله عنه) وقد قال بعض أهل الالحاد فى هذه البراهين التى أوجبنا بها استحالة وجود موجودات لاأوائل لها ، أتقولون ان الله تعالى يوفى أهل الجنة ما وعدهم من النعيم الذى لاآخر له ولا نهاية أم لا يوفيهم ما وعدهم من ذلك * فان قلتم انه تعالى يوفيهم اياه دخل عليكم كل ماأدخلتموه علينا فى هذه البراهين ولافرق *وان قلتم انه تعالى لايوفيهم ذلك الزمتموه خلف الوعد وهو كفر عندكم

(قال أبو محمد رضي الله عنه) هذه شغيبة قد طالما حذرنا من مثلها في كتبنا التي جمعناها فى حدود المنطق ، وهي منفسخة من وجهين (احدها) أن تعلق المرء بما يقول خصمه ضعف ، وانما يلزم المرء أن يخلص قوله مجردا ولا أسوة له في تناقض خصمه . بل لعل خصمه لا يقول ذلك (الثانى) ان المسؤل بها ان كان جهميا (١) سقط عنه هذا السؤال المذكور * واما نحن فعلينا بحول الله تعالى بيان فساد هذا الاعتراض وتمويهه ، فنقول — وبالله التوفيق — ان من شغب أهل السفسطة ادخال كلمة لا يؤبه لها يجعلونها مقدمة وهى كذب فيموهون بها على

(١) الجهمية هم أصحاب جهم بن صفوان الترمذى وهم طائفة من الجبرية . قالوا لا قدرة للعبد أصلا لا مؤثره ولا كاسبه والجنة والنار تفنيان بعد دخول أهل كل منهما فيها حتى لا يبقى موجود سوى الله تعالى ووافقوا المعتزلة فى أكثر أقوالهم اه مصححه

انطعم من لو يشاء الله اطعمه فهل ذلك الا تصريح الجبر* واعتبر حال طائفة اخرى حيث جادلوا فى ذات الله تفكراً في جلاله وتصرفاً فى افعاله حتى منعهم وخوفهم بقوله تعالى ويرسل الصواعق فيصيب بها من يشاء وهم يجادلون فى الله وهو شديد المحال فهذا ما كان فى زمانه عليه السلام وهو على شوكته وقوته وصحة بدنه والمنافقون يخادعون فيظهرون الاسلام ويبطنون النفاق وانما يظهر نفاقهم فى كل وقت بالاعتراض على حركاته و سكناته فصارت الاعتراضات كالبذور وظهر منها الشبهات كالزروع واما الاختلافات الواقعة فى حال مرضه وبعد وفاته بين الصحابة رضى الله عنهم فهى اختلافات اجتهادية كما قيل كان غرضهم منها اقامة مراسم الشرع وادامة مناهج الدين ﴿ فاول تنازع ﴾ في مرضه عليه السلام فيما رواه محمد بن اسماعيل البخارى باسناده عن عبد الله بن عباس قال لما اشتد بالنبى صلى الله عليه وسلم مرضه الذى مات فيه قال ائتونى بدواة وقرطاس اكتب لكم كتابا لا تضلوا بعدى فقال عمر ان رسول الله قد غلبه الوجع حسبنا كتاب الله وكثر اللغط فقال النبى عليه السلام قوموا عنى لا ينبغى عندى التنازع قال ابن عباس الرزية كل الرزية ما حال بيننا وبين كتاب رسول الله ﴿ الخلاف

الجهال وما يبنون عليها . وهذا الاعتراض من هـذا الباب . وذلك انهم أرادوا الزامنا بان الله عز وجل وعد أهل الجنـة أن يوفيهم نعيماً لا نهاية له ، وهذا خطأ وكذب ، وما وعدهم الله عزوجل قط بان يوفيهم ذلك النعيم . ولو وعدهم بذلك لكان ذلك النعيم اذا استوفى بطل وفنى وانقضى . وانما وعدهم تعالى بنعيم لا نهاية له . وكل ما ظهر ووجد من ذلك النعيم فهو محصور ذو نهاية . وما لم يخرج الى حد الفعل فهو عدم بعد ولا يقع عليه عدد ولا صفة وهكذا أبدا . فقد ظهر ان لفظة يوفيهم هي الشغبية الفاسدة التى موهوا بها . فاذا أسقطها المعترض من كلامه سقط اعتراضه جملة وصحت القضية . وبالله التوفيق (فان قال قائل) ان الله تعالى يقول وانا لموفوهم نصيبهم غير منقوص (قلنا) هـذا لا يخلو من أحد وجهين لا ثالث لهما : اما ان يكون أراد بذلك نصيبهم من الجزاء . ويكون أراد نصيبهم من مساحة الجنـة * فان كان عنى عز وجل بذلك نصيبهم من الجزاء بالعقاب والنعيم . فهو صحيح لان كل ما خرج من ذلك الى حد الوجود فهو مستوفى بيقين وهكذا أبدا * وان كان تعالى عنى بذلك نصيب كل واحد من الجنة والنار ، فهذا صحيح لان كل مكان منها متناه من جهة المساحة . وانما نفينا التوفية التى توجب الانقضاء بلا زيادة فيهـا . وقد قال عز وجل : فاما الذين آمنوا وعملوا الصالحات فيوفيهم أجورهم ويزيدهم من فضله . وقال تعالى : انما يوفى الصابرون أجرهم بغير حساب وهاتان الآيتان تبينان أن الاجر المستوفي هو ما يعطونه من مساحة الجنه وكل ما خرج الى الوجود من النعيم . ثم لا يزال تعالى يزيدهم من فضله كما قال تعالى : بغير حساب ، فهذا لا يستوفى أبدا لانه لا نهاية له ولا كل ولو استوفي لم يمكن أن تكون فيـه زيادة اذ بالضرورة يعلم أن ما استوفى فلا زيادة فيه . وما تمكن الزيادة فيه فلم يستوف بعد . والله تعالى قـد نص على أن بعد تلك التوفية زيادة . فصح أنها توفية لشيء محدود متناه وان ما لا نهاية له فلا يسـتوفي أبدا . فقد ثبت بكل ما ذكرنا ان العالم ذو أول واذا كان ذا أول فلا بد ضرورة من أحـد ثلاثة أوجه لا رابع لهـا وهى : اما أن يكون أحدث ذاته . واما أن يكون حـدث بغير أن يحدثه غيره و بغير أن يحدث هو نفسه . واما أن يكون أحدثه غيره فان كان هو أحدث ذاته فلا يخلو من أحد أربعة أوجه لا خامس لها وهى : اما أن يكون أحدث ذاته وهو معدوم وهى موجودة . أو أحدث ذاته وهو موجود وهى معدومة . أو أحدثها وكلاهما موجود . أو أحدثها وكلاهما معدوم . وكل هذه الاربعة الاوجه محال ممتنع لا سبيل الي شيء منها .

الثاني) فى مرضه انه قال جهزوا جيش اسـامة لعن الله من تخلف عنها فقال قوم يجب علينا امتثال امره واسـامة قد برز من المدينة وقال قوم قد اشـتد مرض النبي عليه السـلام فلا تسع قلوبنا مفارقته والحالة هذه فنصبر حتى نبصر أى شيء يكون من امره وانما اوردت هذين التنازعين لان المخالفين ربما عدوا ذلك من المخالفات المؤثرة فى امر الدين وهو كذلك وان كان الغرض كله اقامة مراسم الشرع فى حال تزلزل القلوب و تسكين ثائر الفتنة المؤثرة عند تقلب الامور

« الخلاف الثالث » فى موته عليه السـلام قال عمر بن الخطاب من قال ان محمدا مات قتلته بسـيفى هذا وانما رفع الى السماء كما رفع عيسى ابن مريم عليه السلام وقال ابو بكر الصديق من كان يعبد محمداً فان محمدا قد مات ومن كان يعبد الله محمد فانه حى لا يموت وقرأ هذه الآية وما محمد الا رسول قد خلت من قبله الرسل أفان مات أو قتل انقلبتم على اعقابكم فرجع القوم الى قوله وقال عمر كانى ما سمعت هذه الآية حتى قرأها أبو بكر

« الخلاف الرابع » فى موضع دفنه عليه السـلام اراد اهل مكة من المهـاجرين رده الي مكة لانها مسقط رأسه ومأنس نفسه

لان الشيء وذاته هي هو وهو هي وكل ما ذكرنا من الوجوه يوجب أن يكون الشيء غير ذاته . وهذا محال وباطل بالمشاهدة والحس . فهذاوجه قد بطل ثم نقول – وان كان خرج عن العدم الى الوجود بغير أن يخرج هو ذاته أو يخرجه غيره ، فهذا أيضاً محل لانه لاحال أولي بخروجه الى الوجود من حال اخرى ولا حال اصلاً هنالك ، فاذاً لاسبيل الى خروجه ، وخروجه مشاهد متيقن ، فحال الخروج غير حال اللا خروج ، وحال الخروج هى علة كونه ، وهذا لازم في تلك الحال اعنى ان حال الخروج يلزم في حدوثها مثل مالزم فى حدوث العالم من أن تكون أخرجت انفسها أو اخرجها غيرها أو خرجت بغير هذين الوجهين ، وهكذا فى كل حال ، فان تمادى الكلام وجب بما قدمناه الا نهاية ، والا نهاية فى العالم من مبدئه باطل ممتنع محال ، فاذاً قد بطل ان يخرج العالم بنفسه ، و بطل أن يخرج دون أن يخرجه غيره ، فقد ثبت الوجه الثالث ضرورة اذ لم يبق غيره البتة فلا بد من صحته ، وهو أن العالم اخرجه غيره من العدم الى الوجود ، وبالله تعالى التوفيق « وأيضاً » فان الفلك بكل مافيه ذو آثار محمولة فيه من نقلة زمانية وحركة دورية فى كون كل جزء من اجزائه في مكان الذى يليه ، والاثر مع المؤثر من باب المضاف فان لم يكن أثر لم يكن مؤثروان لم يكن مؤثر لم يكن اثر ، فوجب بذلك انه لا بد لهذه الآثار الظاهرة من مؤثر اثرها (١) ، ولا سبيل الى ان يكون الفلك أو شيء مما فيه هو المؤثر لانه يصير هو المؤثر والمؤثر فيه ، مع أن المؤثر والاثر من باب المضاف أيضاً ، ومعني قولنا ان المؤثر والاثر والمؤثر فيه من باب المضاف انما هو ان الاثر والمؤثر فيه يقتضيان مؤثرا ولا بد ، ولم يرد أن البارى تعالى يقع تحت الاضافة فلا بد ضرورة من مؤثر ليس مؤثراً فيه وليس هوشيئاً مما فى العالم ، فهو بالضرورة الخالق الاول الواحد تبارك و تعالى ، فصح بهذا ان العالم كله محدث وان له محدثاً هو غيره ، هذا الي ما نراه ونشاهد بالحواس من آثار الصنعة التى لا يشك فيها ذو عقل * ومن بعض ذلك تراكيب الافلاك وتداخلها ، و دوام دورانها على اختلاف مراكزها ، ثم افلاك تداويرها والبون بين حركة افلاك التداوير والافلاك الحاملة لها ، ودوران الافلاك كلها من غرب الى شرق ، ودوران الفلك التاسع الكلي بخلاف ذلك من شرق الي غرب ، وادارته لجميع الافلاك مع نفسه كذلك ، فحدث من ذلك حركتان متعارضتان في حركة واحدة ، فبالضرورة نعلم أن لها محركاً على هذه

وموطىء قدمه وموطن أهله وموقع رحله واراد اهل المدينة من الانصار دفنه بالمدينة لانها دار هجرته ومدار نصرته وارادت جماعة نقله الى بيت المقدس لانه موضع دفن الانبياء ومنه معراجه الي السماء ثم اتفقوا على دفنه بالمدينة لما روى عنه عليه السلام الانبياء يدفنون حيث يموتون

﴿ الخلاف الخامس فى الامامة واعظم خلاف بين الامة خلاف الامامة اذ ما سل سيف فى الاسلام على قاعدة دينية مثل ما سل على الامامة فى كل زمان وقد سهل الله تعالى ذلك فى الصدر الاول فاختلف المهاجرون والانصار فيها وقالت الانصار منا امير ومنكم اميروانفقوا على رئيسهم سعد بن عبادة الانصارى فاستدركه أبو بكر وعمر فى الحال بان حضروا سقيفة بنى ساعدة وقال عمر كنت ازور فى نفسي كلاماً فى الطريق فلما وصلنا الى السقيفة اردت أن اتكلم فقال أبو بكر مه يا عمر فحمد الله وأثنى عليه وذكر ما كنت اقدره فى نفسى كانه يخبر عن غيب فقبل ان يشتغل الانصار بالكلام مددت يدى اليه فبايعته وبايعه الناس وسكنت الثائرة الا أن بيعة أبى بكر كانت فلتة وقى الله شرها فمن عاد الى مثلها فاقتلوه فايما رجل بايع رجلا من غير مشورة

« ١ » اى اثر فيها

الوجوه المختلفة * ثم تراكيب أعضاء الانسان والحيوان من ادخال العظام المحدبة فى المقعرة ، وتركيب العضل على تلك المداخل ، والشد على ذلك بالعصب والعروق صناعة ظاهرة لاشك فيها لا ينقصها الا رؤية الصانع فقط * ومن ذلك مايظهر فى الاصباغ الموضوعة فى جلود كثير من الحيوان وريشه ووبره وشعره وظفره وقشره على رتبة واحدة ووضع واحد لايخالف فيه ، كاصباغ الحجل والشفانين (اليمام) و السمان والبزاة وكثير من الطير والسلاحف والحشرات والسمك ، لا يختلف تنقيطه البتة ولا تكون اصباغه موضوعة الاوضاعاً واحداً كأذناب الطواويس، وفي السمك(١) والجراد و الحشرات نوعا واحداً كالذى يصوره المصور بيدنا * ثم منها مايأتي مختلفاً كاصباغ الدجاج والحمام والبط وكثير من الحيوان ، فبالضرورة والحس نعلم ان لذلك صانعاً مختاراً يفعل ذلك كله كما شاء ، وبخصيه احصاء لايضطرب ابداً عما شاء من ذلك، وليس يمكن البتة في حس العقل أن تكون هذه المختلفات المضبوطة ضبطاً لاتفاوت فيه من فعل طبيعة ، ولا بد لها من صانع قاصد الى صنعة كل ذلك ، ومن درى ما الطبيعة علم أنها قوة موضوعة فى الشىء تجرى بها صفاته على ماهى عليه فقط ، وبالضرورة يعلم أن لها واضعاً ومرتباً وصانعاً لانها لا تقوم بنفسها وانما هى محمولة على ذى الطبيعة . ومنها مانرى في ليف النخل والدوم من النسج المصنوع يقيناً بنير بن وسدى كالذى يصنعه النساج ماتنقصنا الا رؤية الصانع فقط وليس هذا البتة من فعل طبيعة ولا بنسج ناسج ولا بناء ولا صانع اصباغ مرتبة . بل هو صنعة صانع مختار قاصد الى ذلك غير ذى طبيعة لكنه قادر على ما يشاء : هذا أمر معلوم بضرورة العقل واوله يقيناً . كما نعلم ان الثلاثة أكثر من الاثنين . فصح أنه خالق أول واحد حق لا يشبه شيئاً من خلقه البتة لا اله الا هو الواحد الاول الخالق عز وجل

﴿ باب الكلام على من قال أن العالم لم يزل وله مع ذلك فاعل لم يزل ﴾

(قال أبو محمد رضي الله عنه) قد افسدنا بحول الله و قوته بالبراهين التى قدمنا هذه المقالة . ولكن بقي لهم اعتراض وجب ايراده تقصياً لكل ما موهوا به

قال ابو محمد رضى الله عنه . اعتمد أهل هذه المقالة على أن قالوا إن علة فعل البارى تعالى انما هو وجوده وحكمته وقدرته . وهو تعالى لم يزل جواداً حكيما قادراً . فالعالم لم يزل . اذ علته لم تزل . فهذا فاسد البتة بالدلالة

(١) وفى السمك عطف على قوله ومن ذلك مايظهر في الاصباغ الخ اه مصحح

من المسلمين فانهما تغرة ان يقتلان وانما سكتت الانصار عن دعواهم لرواية أبي بكر عن النبي عليه السلام الائمة من قريش وهذه البيعة هى التى جرت في السقيفة ثم لما عاد الى المسجد انثال الناس عليه وبايعوه عن رغبة سوى جماعة من بنى هاشم وأبى سفيان من بنى أمية وأمير المؤمنين على كرم الله وجهه كان مشغولا بما امره النبي صلى الله عليه وسلم من تجهيزه ودفنه وملازمة قبره من غير منازعة ولا مدافعة

(الخلاف السادس) فى أمر فدك والتوارث عن النبي عليه السلام ودعوى فاطمة عليها السلام وراثة تارة وتمليكا أخرى حتى دفعت عن ذلك بالرواية المشهورة عن النبى عليه السلام نحن معاشر الانبياء لا نورث ماتركناه صدقة

(الخلاف السابع) فى قتال مانعي الزكاة فقال قوم لا نقاتلهم قتال الكفرة وقال قوم بل نقاتلهم حتى قال أبو بكر لو منعونى عقالا مما اعطوا رسول الله لقاتلتهم عليه ومضى بنفسه الى قتالهم ووافقه الصحابة باسرهم وقد أدى اجتهاد عمر فى أيام خلافته الى رد السبايا والاموال اليهم واطلاق المحبوسين منهم

(الخلاف الثامن) فى تنصيص أبي بكر على عمر بالخلافة وقت الوفاة فمن الناس من قال قد وليت علينا فظاً غليظا وارتفع الخلاف بقول

التي قدمنا التي تضطر الى المعرفة والتيقن بحدوث العالم - ثم نقول ، انما نما يلزم هذا من أقر بهذه المقدمة أعنى أن للعالم علة ، وأما نحن فانا نقول انه لاعلة لتكوين الله عز وجل كل ما كونه ، وانه لاشيء غير الخالق وخلقه ثم نقول على علم هؤلاء قولا كافيا ان شاء الله تعالى ، وهو أن المفعول هو المنتقل من العدم الى الوجود بمعنى من ليس الى شيء فهذا هو المحدث . ومعنى المحدث هو مالم يكن ثم كان وهم يقولون انه الذى لم يزل وهذا هو خلاف المعقول لان الذى لم يكن ثم كان هو غير الذى لم يزل فالعالم اذا هو غير نفسه . وهذا عين المحال . وبالله تعالى التوفيق — فان قال لنا قائل . لما كان البارى تعالى غير فاعل على قولكم ثم صار فاعلا فقد لحقته استحالة وتعالى الله عن ذلك — قلنا) له وبالله التوفيق . هذا السؤال راجع عليكم اذ صححتموه فهو لكم لازم لا لنا اذ لم نصححه . وذلك انه ان كان عندكم الفعل منه بعد أن كان غير فاعل يوجب الاستحالة على الفاعل تعالى . فان فعله لما احدث من الاعراض عندكم بعد أن كان غير محدث لها واعدامه ما أعدم منها بعد أن كان غير معدم لها موجب عليه الاستحالة . فأجيبوا عن سؤلكم الذى صححتموه ولا جواب لكم الا بافساده وأما نحن فنقول ان الاستحالة ليست ماذكرتم . وانما معنى الاستحالة انه حدوث شيء في المستحيل لم يكن فيه قبل ذلك صار به مستحيلا عن صفته المحمولة عليه الى غيرها . وهذا المعنى منفى عن الله تعالى أي أنه تعالى يجل عن أن يكون حاملا لصفة عليه . بل بذاته لم يفعل أن كان غير فاعل . وبذاته فعل أن فعل . ولا علة لما فعل ولا علة لما لم يفعل - وأيضا : فان الذى لم يزل هو الذى لا فاعل له ولا مخرج له من عدم الى وجود . فلو كان العالم لم يزل لكان لامخرج له ولا فاعل له . وقد أقر أهل هذه المقالة بأن العالم لم يزل وان له فاعلا لم يزل يفعل . وهذا عين المحال والتخليط والفساد وبالله تعالى التوفيق

﴿ باب الكلام على من قال ان للعالم خالقا لم يزل وأن النفس ﴾
﴿ والمكان المطلق الذى هو الخلا والزمان المطلق الذى هو المدة لم ﴾
﴿ تزل موجودة وانها غير محدثة ﴾

(قال أبو محمد رضى الله عنه) . النفس عند هؤلاء جوهر قائم بنفسه حامل لاعراضه لامتحرك ولامنقسم ولا متمكن أى لافي مكان ، وقد ناظرنى قوم من أهل هذا الرأى ورأيته كالغالب على ملحدي أهل زماننا ، فألزمتهم الزامات لم ينفكوا منها أظهرت بطلان قولهم بعون الله تعالى

ابى بكر لو سالنى ربى يوم القيامة لقلت وليت عليهم خير أهلهم * وقد وقع فى زمانهم اختلافات كثيرة فى مسائل ميراث الجد والاخوة والكلالة وفى عقل الاصابع وديات الاسنان وحدود بعض الجرائم التى لم يردفيها نص وانما أهم أمورهم الاشتغال بقتال الروم وغزو العجم وفتح الله الفتوح على المسلمين وكثرت السبايا والغنائم وكانوا كلهم يصدرون عن رأي عمر وانتشرت الدعوة وظهرت الكلمة ودانت العرب ولانت العجم

﴿ الخلاف التاسع ﴾ فى أمر الشورى واختلاف الآراء فيها واتفقوا كلهم على بيعة عثمان رضى الله عنه وانتظم الملك واستقرت الدعوة فى زمانه وكثرت الفتوح وامتلاء بيت المال وعاشر الخلق على احسن خلق وعاملهم با بسط يد غير أن أقاربه من بني أمية قد ركبوا نهاير فركبته وجاروا فجير عليه ووقعت اختلافات كثيرة واخذوا عليه احداثا كلها محالة على بني أمية * منها رده الحكم بن أمية الى المدينة بعد أن طرده النبى صلى الله عليه وسلم وكان يسمى طريد رسول الله و بعد أن تشفع الى ابى بكر وعمر رضى الله عنهما ايام خلافتهما فما اجابا الى ذلك ونفاه عمر من مقامه باليمن اربعين فرسخا

وقوته ، ولم نر أحدا ممن تكلم قبلنا ذكر هذه الفرقة ، فجمعت ما نظرتهم به وأضفت اليهما وجبت اضافته اليه مما فيه تزييف قولهم ، وما توفيقنا الا بالله ، وهذا الزمان والمكان عندهم هما غير المكان المعهود عندنا وغير الزمان المعهود عندنا ، لان المكان المعهود عندنا هو المحيط بالمتمكن فيه من جهاته أو من بعضها ، وهو ينقسم قسمين ، أما مكان يتشكل المتمكن فيه بشكله كالبر أو الماء فى الخابية وما أشبه ذلك ، وأما مكان يتشكل هو بشكل المتمكن فيه كالماء لما حل فيه من الاجسام وما أشبهه ، والزمان المعهود عندنا هو مدة وجود الجرم ساكنا أو متحركا ، أو مدة وجود العرض فى الجسم ، ويعمه أن نقول هو مدة وجود الفلك وما فيه من الحوامل والمحمولات ، وهم يقولون أن الزمان المطلق والمكان المطلق هما غير ما حددناه آنفا من الزمان والمكان ويقولون أنهما شيئا متغايران ، ولقد كان يكفى من بطلان قولهم اقرارهم بمكان غير ما يعهد وزمان غير ما يعهد بدليل على ذلك ، ولكن لا بد من ايراد البراهين على ابطال دعواهم فى ذلك بحول الله وقوته : — فيقال لهم وبالله تعالى التوفيق ، أخبرونا عن هذا الخلاء الذى أثبتم (١) وقلتم أنه كان موجودا قبل حدوث الفلك وما فيه ، هل بطل بحدوث الفلك ما كان منه فى مكان الفلك قبل أن يحدث الفلك أو لم يبطل ، فان قالوا لم يبطل وبذلك اجابني بعضهم — فيقال لهم فان كان لم يبطل فهل انتقل عن ذلك المكان بحدوث الفلك فى ذلك المكان أو لم ينتقل ، فان قالوا لم ينتقل — وهو قولهم — قيل لهم ، فاذا لم يبطل ولا انتقل ، فاين حدث الفلك وقد كان فى موضعه قبل حدوثه عندكم معنى ثابت قائم بنفسه موجود ، وهل حدث الفلك في ذلك المكان المطلق الذى هو الخلاء أم فى غيره فان كان حدث فى غيره ، فها هنا اذا مكان آخر غير الذى سميتموه خلاء ، وهو أم مع الذى ذكرتم فى حيز واحد أم هو فى حيز آخر ، فان كان معه فى حيز واحد ، فالفلك فيه حدث ضرورة وقد قلتم أنه لم يحدث فيه ، فهو واذا حادث فيه غير حادث فيه ، وهذا تناقض ومحال ، وان كان في حيز آخر فقد أثبتم النهاية للخلاء اذ الحيزا

(١) يطلق الخلاء على البعد الخالى عن الشاغل سواء أكان بعدا موهوما مفروضا على رأى المتكلمين أم مفطورا ثابتا على رأى الحكماء . وليس الخلاف في الخلاء خارج العالم وهو فضاء ممتد لا يتناهى فى الوهم بل في الخلاء الذى بين الاجسام داخل العالم وهو أن يكون الجسمان لا يتلاقيان وليس بينهما ما يماسهما فيكون ما بينهما بعدا موهوما مفروضا (لا مفطورا موجودا) ممتدا فى الجهات الثلاث صالحا لان يشغله جسم (لمصححه)

ومنها نفيه اباذر الى الربذة ＊ وتزويجه مروان بن الحكم بنته وتسليمه خمس غنائم أفريقيه له وقد بلغت مائتى الف دينار ＊ ومنها ايواؤه عبد الله بن سعد بن أبي سرح بعد أن أهدر النبي عليه السلام دمه وتوليته مصر باعمالها ＊ وتوليته عبد الله بن عامر البصرة حتى أحدث فيها ما أحدث الى غير ذلك مما نقموا عليه ＊ وكان أمراء جنوده معاوية بن أبي سفيان عامل الشام وسعد بن أبي وقاص عامل الكوفة وبعده الوليد ابن عقبه وعبد الله بن عامر عامل البصرة وعبد الله بن سعد بن أبي سرح عامل مصر وكلهم خذلوه ورفضوه حتى أتى قدره عليه وقتل مظلوما فى داره وثارت الفتنة من الظلم الذى جرى عليه ولم تسكن بعد

﴿الخلاف العاشر﴾ في زمان أمير المؤمنين على كرم الله وجهه بعد الاتفاق عليه وعقد البيعة له ＊ فأوله طلحة والزبير الى مكة ثم حمل عائشة الى البصرة ثم نصب القتال معه ويعرف ذلك بحرب الجمل والحق انهما رجعا وتابا اذ ذكرهما امرا فتذكرا فاما الزبير فقتله ابن جرموز وقت الانصراف وهو في النار لقول النبي صلى الله عليه وسلم بشر قاتل ابن صفية بالنار وأما طلحة فرماه مروان ابن الحكم بسهم وقت الاعراض فخر ميتا وأما عائشة فكانت محمولة على ما فعلت ثم تابت بعد ذلك ورجعت ＊

الآخر الذى حدث فيه الفلك ليس هو فى ذلك الخلاء ، وهذا ينطوى فيه بالضرورة نهاية الخلاء الذى ذكرتم ، فهومتناه لامتناه ، وهذا تناقض وتخليط ، واذا بطل أن يكون غير متناه وثبت أنه متناه ، فهو المكان المعهود المضاف الى المتمكن فيه ، وهذاهو المكان الذى لا يعرف ذوعقل سواه ، وان كان الفلك حدث فيه والفلك ملاء بلاشك ولم ينتقل الخلاء عندكم ولا بطل ، فالفلك اذا خلاء وملاء معا في مكان واحد وهذا محال وتخليط ، فان قالوا بطل بحدوث الفلك ما كان منه فى موضع الفلك قبل حدوث الفلك ، أوقالوا انتقل فقدأوجبوا له النهاية ضرورة ، أمامن طريق الوجود بالبطلان اذ لايفسد ويبطل الا ما كان حادثا لاما لم يزل ، وأما من طريق المساحة بالنقلة اذ لو لم يجدأين ينتقل لم تكن له نقلة ، اذمعني النقلة انما هوتصيير الجرم الى مكان لم يكن فيه قبل ذلك . أو الى صفة لم يكن عليهاقبل ذلك . ووجوده مكانا ينتقل اليه موجب أنه لم يكن فى ذلك المكان الذى انتقل اليه قبل انتقاله اليه . وهذا هواثبات النهاية ضرورة فهذا هو الذي ابطلوا . ويلزمهم في ذلك أيضا أن يكون متحيزا ضرورة لان الذى بطل منه هو غير الذى لم يبطل . والذى انتقل هو غير الذى لم ينتقل وهو اذا كان كذلك . فاماهو جسم ذو أجزاء . وأما هو محمول فى جسم فهو ينقسم بانقسام الجسم . وقد اثبتنا النهاية للجسم فى غير هذا المكان من كتابنا هذا بما فيه البيان الضرورى . والحمد لله رب العالمين ـ وايضا فان كان لم يبطل . فالذى كان منه فى موضع الفلك ثم لم يبطل ولا انتقل لحدوث الفلك فيه . فهو والفلك اذاموجودان في حيز واحد معا . فهو اذا ليس مكانا للفلك لان المكان لا يكون مع المتمكن فيه في مكان واحد وهذا يعرف باولية العقل . ولو كان ذلك لكان المكان مكانا لنفسه ولما كان واحد منهما أولى بأن يكون مكانا للاخر من الاخر بذلك ولا كان أحدهما أولى ايضاً بان يكون متمكنا فى الآخر من الآخر فيه ، وكل هذا فاسد ومحال بالضرورة ـ وايضاً ، فان الخلاء عندهم مكان لامتمكن فيه ، والفلك عندهم موجود في الخلاء اذلانهاية للخلاء عندهم من طريق المساحة ، فاذا كان الفلك متمكناً في الخلاء عندهم ، والخلاء عندهم مكان لامتمكن فيه ، فالخلاء اذاً مكان فيه متمكن ليس فيه متمكن ، وهذا محال وتخليط ، وهذا بعينه لازم في قولهم ان ذلك الجزء من الخلاء لم ينتقل لحدوث الفلك فيه ، فان قالوا انتقل فانما صار الى مكان لم يكن فيه قبل ذلك خلاء ولا ملاء فقد ثبت عدم الخلاء والملاء فيما فوق الفلك ضرورة ، وهذا خلاف قولهم ، وان

والخلاف بينه وبين معاوية وحرب صفين ومخالفة الخوارج وحمله على التحكيم ومغادرة عمرو ابن العاص أبا موسى الاشعرى وبقاء الخلافة الى وقت الوفاة مشهور * كذلك الخلاف بينه وبين الشراة المارقين بالنهروان عقدا وقولا ونصب القتال معه فعلا ظاهراً معروف وبالجملة كان على مع الحق والحق معه وظهر فى زمانه الخوارج عليه مثل الاشعث بن قيس ومسعود ابن فدكى التميمي وزيد بن حصين الطائى وغيرهم وكذلك ظهر في زمانه الغلاة في حقه مثل عبد الله بن سبا وجماعة معه ومن الفريقين ابتدأت البدعة والضلالة وصدق فيه قول النبى صلى الله عليه وسلم يهلك فيك اثنان محب غال ومبغض قال * وانقسمت الاختلافات بعده الى قسمين أحدهما الاختلاف فى الامامة والثانى الاختلاف فى الاصول والاختلاف فى الامامة على وجهين احدهما القول بان الامامة تثبت بالاتفاق والاختيار والثانى القول بان الامامة تثبت بالنص والتعيين (فمن قال) ان الامامة تثبت بالاتفاق والاختيار قال بامامة كل من انفقت عليه الامة أو جماعة معتبرة من الامة أما مطلقاً واما بشرط أن يكون قرشياً على مذهب قوم وبشرط ان يكون

قالوا بطل لزمهم ايضاً انه قد عدته المدد ضرورة فاذا عدته المدد فقد تناهي من أوله بالمبدأ ضرورة ، فان قالوا بل لم يحدث الفلك في شيء من ذلك المكان الذى هو الخلاء ، فقد اثبتوا حيزا آخر ومكاناً للفلك غير الخلاء الشامل عندهم ، واذا كان ذلك فقد تناهى كلا المكانين من جهة تلاقيهما ضرورة ، واذا تناهيا من جهة تلاقيهما لزمتهما المساحة ووجب تناهيهما لتناهي ذرعهما ضرورة - ويسالون ايضاً عن هذا الخلاء الذى هو عندهم مكان لا متمكن فيه ، هل له مبدأ متصل بصفحات الفلك الاعلى أم لا مبدأ له من هنالك ، ولا بد من أحد الامرين ضرورة ، فان قالوا لا مبدأ له وهو قولهم قيل لهم ان قول القائل مكان انما يفهم منه ما يتمثل في النفس من المقصود بهذه اللفظة وموضعها فى اللغة لتكون عبارة للتفاهم عن المراد بها أنها ساحة ، ولا بد للساحة من الذرع ضرورة . ولا بد للذروع من مبدأ لانه كمية والكمية اعداد مركبة من الآحاد . فان لم يكن له مبدأ من واحد اثنين ثلاثة لم يكن عدد . واذا لم يكن عدد لم يكن ذرع أصلا . واذا لم يكن ذرع لم تكن مساحة ولا انفساح ولا مسافة . وكل هذه الفاظ واقعة اما على ذرع المذروع . واما على مذروع بالذرع ضرورة . فان قالوا له مبدأ من هنالك : وجبت له النهاية ضرورة لحصر العدد لمساحته بوجود المبدأ له - ويسالون أيضاً . أمماس هذا الفلك أم غير مماس وباين عنه أم غير باين. فان قالوا لا مماس ولا باين . فهذا أمر لا يعقل بالحس ولا يتشكل فى النفس ولا يقوم على صحته برهان ابداً الا في الاعراض المحمولة فى الاجسام. وهم لا يقولون ان الخلاء عرض محمول في جسم . وكل دعوى لم يقم عليها دليل فهى باطلة مردودة . وان اثبتوا المماسة أو المباينة وجب عليهم ضرورة اثبات النهاية له . كما لزم باثبات المبدأ اذ النهاية منطوية فى ذكر المبدأ والمماسة او المباينة ضرورة لا شك فيه . وبالله التوفيق - ويسالون ايضاً عن هذا الخلاء الذى يذكرون والزمان الذى يثبتون . المحمولان هما أم حاملان ، أم احدهما محمول والثانى حامل ، ام كلاهما لا حامل ولا محمول ، فايهما أجابوا فية فانه حامل بلا شك فى أن محموله غيره ، اذ لا يكون الشيء حاملا لنفسه ، فله اذاً محمول لم يزل وهو غير الزمان ، فان قالوا ذلك كانوا بما قدمنا قبل على أهل الدهر القائلين بازلية العالم - وأيضاً فان كان المكان حاملا فلا يخلو ضرورة من أحد وجهين. اما أن يكون حاملا لجرم متمكن فيه وهذا يوجب النهاية له لوجوب نهاية الجرم المتمكن فيه بالدلالة التى قدمنا فى اثبات نهايات الاجرام . واما أن يكون حاملا لكيفياته .

هاشمياً على مذهب قوم الى شرائط أخر كما سياتي * ومن قال بالاول فقال بامامة معاوية و اولاده . وبعدهم بخلافة مروان واولاده . والخوارج اجتمعوا في كل زمان على واحد منهم بشرط أن يبقى على مقتضى اعتقادهم و يجرى على سنن العدل فى معاملاتهم والا خذلوه وخلعوه وربما قتلوه (ومن قالوا) ان الامامة تثبت بالنص اختلفوا بعد على عليه السلام . فمنهم من قال انما نص على ابنه محمد بن الحنيفة و هؤلاء هم الكيسانية ثم اختلفوا بعده . فمنهم من قال انه لم يمت ويرجع فيملأ الارض عدلا . ومنهم من قال أنه مات و انتقلت الامامة بعده الى ابنه أبى هاشم و افترق هؤلاء . فمن قال الامامة بقيت فى عقبه وصية بعد وصية ومنهم من قال انتقلت الى غيره واختلفوا في ذلك الغير . فمنهم من قال هو بنان بن سمعان النهدى . ومنهم من قال هو على بن عبد الله بن عباس . و منهم من قال هو عبد الله بن حرب الكندى . ومنهم من قال هو عبد الله بن معاوية بن عبد الله بن جعفر بن أبى طالب وهؤلاء كلهم يقولون ان الدين طاعة رجل ويتاولون أحكام الشرع كلها على شخص معين كما ستاتى مذاهبهم.

فان كان حاملا لـكيفياته فهو مركب من هيولاه واعراضه وجنسه وفصوله . وبالضرورة يعلم كل ذي حس سليم ان كل مركب فهو متناه بالجرم والزمان بالدلائل التي قدمنا . ولا سبيل الى حمل ثالث . وايهما قالوا فيه انه محمول فانه يقتضي حاملا . وينعكس الدليل الذى ذكرنا آنفاً سـواء بسواء . وأيهما قالوا فيه أنه حامل محمول وجب كل ما ذكرنا فيه أيضاً بعكسه وأيهما قالوا فيه لا حامل ولا محمول . فلا يخلو من أن يكون باقياً أو يكون بقاء . فان كان باقياً فهو مفتقر الي بقاء وهو ومدته اذلا باقي الا ببقاء . وان كان بقاء فلا بدله من باق به وهو من باب الاضافة . والمدة هى البقاء انما هى محمولة وناعتة للباقى بها ضرورة ، هذا الذى لا يقوم في العقل سواه ولا يقوم برهان الا عليه - ويسالون أيضـاً عن هذا الزمان الذى يذكرون : هل زاد فى مدة اتصاله مذ حدث الفلك الى يومنا هذا ، أولم يزد ذلك فى امده ، فان قالوا لم يزد ذلك فى امده كانت مكابرة لانها مدة متصلة بها مضافة اليها وعدد زائد على عدد ، فان قالوا زاد ذلك فى أمده سئلوا متى كانت تلك المدة أطول ، أقبل الزيادة أم هى وهذه الزيادة معاً ، فان قالوا هى والزيادة معها فقد اثبتوا النهاية ضرورة ، اذ ما لانهاية له فلا يقع فيه زيادة ولا نقص ، ولا يكون شيء مساوياً له ولا أكثر منه ولا أنقص منه . ولا يكون هو ايضاً منفصلا أصلا فلا يكون مساوياً لنفسه كما هو ولا أكثر من نفسه ولا اقل منها فان قالوا ليست هى والزيادة معها أطول منها قبل الزيادة ، فقد اثبتوا ان الشيء وغيره معه ليس أكثر منه وحده وهذا باطل ، وهم يقولون ان الخلاء والزمان المطلق شيآن متغايران ، فيقال لهم فاذا هما كذلك فبأى شيء انفصل بعضهما من بعض ، فان قالوا انفصل بشيء ما وذكروا فى ذلك أى شيء ذكروه ، فقد اثبتوا لهما التركيب من جنسهما وفصلهما . وايضاً فجعلهم لهما شيئين ايقاع منهم للعدد عليهما ، وكل عدد فهو متناه محصور ، وكل محصور فقد سلكته الطبيعة ، وكل ما سلكته الطبيعة فهو متناه ضرورة . فان أرادوا الزامنا فى البارى تعالى مثل ما الزمناهم فى هذا السؤال . فقالوا أيما اكثر البارى تعالى وحده أم البارى وخلقه معا — قلنا هذا سؤال فاسـد بالبرهان الضرورى لان هذا البرهان انما هو على وجوب حدوث الزمان وما لم ينفك من الزمان وعلى حدوث التوامي . وايضا فان البارى تعالى ليس عددا ولا بعض عدد وليس هو ايضا معدودا ولا بعضا لمعدود . لان واحدا ليس عددا بالبرهان الذى نورده فى الباب الذى يتلو هذا الباب ان شاء الله تعالى : ولا واحد على الحقيقة الا الله عز وجل فقط . فهو الذى لا يتكثر البتة ولا ينضاف الى

وأما من لم يقل بالنص على محمد ابن الحنفية فقال بالنص على الحسن والحسين وقال الامامة فى الاخوين الحسن والحسين ثم هؤلاء اختلفوا . فمنهم من اجري الامامة فى اولاد الحسن فقال بعده بامامة ابنه الحسن ثم ابنه عبد الله ثم ابنه محمد ثم أخيه ابراهيم الامامين وقد خرجا فى أيام المنصور فقتلا فى أيامه ومن هؤلاء من يقول برجعة محمد الامام ومنهم من أجرى الوصية فى أولاد الحسين وقال بعده بامامة ابنه على زين العابدين نصاً عليه ثم اختلفوا بعده فقالت الزيديه بامامة ابنه زيد ومذهبهم أن كل فاطمى خرج وهو عالم زاهد شجاع سخي كان اماماً واجب الاتباع وجوزوا رجوع الامامة الى أولاد الحسن ومنهم من وقـف وقال بالرجعة ومنهم من ساق وقال بأمامة كل من هذا حاله في كل زمان وسيأتى تفصيل مذاهبهم . وأما الامامية فقالوا بامامة محمد بن على الباقر نصا عليه ثم بامامة جعفر بن محمد وصية اليه ثم اختلفـوا بعده فى أولاده من المنصـوص عليه وهم خمسة محمد واسماعيل وعبـد الله وموسى وعلى فمنهم من قال بامامة محمد وهم العمارية ومنهم من قال بامامة اسماعيل وأنـكر موته في حياة أبيه وهم المباركية ومن هـؤلاء من وقف عليه وقال

سواه اذ لايجمعه مع شيء سواه عدد ولا صفة البتة لان كل ما يقع عليه اسم واحد مما دونه تعالى فانما هو مجاز لاحقيقة . لانه اذا قسم استبان انه كان كثيرا لاواحدا . فلذلك وقع العدد على الاجرام والاعداد المسماة آحادا في العالم . وأما الواحد في الحقيقة فهو الذي ليس كثيرا أصلا ولا يتكثر بوجه من الوجوه فلا يقع عليه عدد بوجه من الوجوه لانه يكون حينئذ واحداً لاواحداً كثيراً لا كثيرا . وهذا تخليط ومحال وممتنع لاسبيل اليه . فلا يجوز أن يضاف الواحد الاول الى شيء مما دونه لا في عدد ولا كمية ولا في جنس ولا في صفة ولا في معني من المعاني أصلا ، و بالله تعالى التوفيق ، فان ذكروا قول الله تعالى ما يكون من نجوى ثلاثة الا هو رابعهم ولا خمسة الا هو سادسهم ولا أدنى من ذلك ولا أكثر الا هو معهم اينما كانوا . فمعنى قوله تعالى هو رابعهم وهو سادسهم انما هو فعل فعله فيهم وهو ان ربعهم باحاطته بهم لابذاته . وسدسهم باحاطته لابذاته : أو قد يربعهم ملك يشرف عليهم ، و يسدسهم كذلك . و برهان هذا القول ان الله تبارك وتعالى انما عني بهذه الآية بلا خلاف بل بضرورة العقل من كل سامع انه لايخفي عليه نجواهم . وهذا نص الاية لانه تعالى افتتحها بذكر نجوى المتناجين انما أراد عز وجل علمه بنجواهم لا انه معدود معهم بذاته الى ذواتهم حاشى لله من ذلك . اذ من المحال الممتنع الخارج عن رتبة الاعداد والمعدودين ان يكون الله عز وجل معدودا بذاته مع ثلاثة بالهند ومع ثلاثة بالسند ومع ثلاثة بالعراق ومع ثلاثة بالصين في وقت واحد : لانه لو كان ذلك لكان الذين هو رابعهم بالهند مع الثلاثة الذين هو رابعهم بالصين ثمانية كلهم لانهم اربعة واربعة بلاشك فكان تعالى حينئذ يكون اثنين واكثر وهذا محال . وكذلك اذا كان بذاته سادسا لخمسة هاهنا فهم ستة ورابعا لثلاثة هنالك فهم اربعة فهم كلهم بلاشك عشرة فهو اذا اثنان وكذلك قوله تعالى في الاية نفسها الا هو معهم اينما كانوا انما أضاف الاينية اليهم لا الى نفسه تعالى معناه اينما كانوا فهو تعالى معهم باحاطته . اذ محال ان يكون بذاته في مكانين . فبطل اعتراضهم والحمد لله رب العالمين كثيرا . وليس قول القائل الله ورسوله أو الله وعمر مما يعترض به علينا لاننا لم نمنع من ضم اسمه تعالى الى اسم غيره معه لان الاسم كلمة مركبة من حروف الهجاء . وانما منعنا من أن تعد ذاته تعالى مع شيء غيره إذ العدد انما هو جمع شيء الى غيره في قضية ما والله تعالى لايجمعه وخلقه شيء اصلا . فصح انتفاء العدد عنه تعالى . واذا صح انتفاء العدد عنه صح انه ليس معدود البتة ، والحمد لله رب العالمين . ويسألون أيضا ، هذا الزمان والمكان اللذان

برجعته . ومنهم من ساق الامامة في أولاده نصا بعد نص الى يومنا هذا وهم الاسماعيلية . ومنهم من قال بامامة عبد الله الافطح وقال برجعته بعد موته لانه مات ولم يعقب . ومنهم من قال بامامة موسى نصاً عليه اذ قال والده سابعكم قائمكم الا وهو سمي صاحب التوراة ثم هؤلاء اختلفوا فمنهم من اقتصر عليه وقال برجعته اذ قال لم يمت هو ومنهم من توقف في موته وهم الممطورة ومنهم من قطع بموته وساق الامامة الي ابنه على بن موسى الرضي وهم القطعية ثم هؤلاء اختلفوا في كل ولد بعده * فالاثنا عشرية ساقوا الامامة من على الرضي الى ابنه محمد ثم الى ابنه على ثم الى ابنه الحسن ثم الى ابنه محمد القائم المنتظر الثاني عشرة وقالوا هو حي لم يمت ويرجع فيملأ الأرض عدلا كما ملئت جوراً * وغيرهم ساقوا الامامة الى الحسن العسكري ثم قالوا بامامة أخيه جعفر وقالوا بالتوقف عليه أو قالوا بالشك في حال محمد ولهم خبط طويل في سوق الامامة والتوقف والقول بالرجعة بعد الموت والقول بالغيبة ثم بالرجعة بعد الغيبة فهذه جملة اختلافات في الامامة وسيأتي تفصيل ذلك عند ذكر المذاهب

(وأما الاختلافات في الاصول)

فحدثت في آواخر أيام الصحابة

يذكران ، أهما واقعان تحت الاجناس والانواع أم لا ، وهل هما واقعان تحت المقولات العشر أم لا ، فان قالوا لا فقد نفوهما اصلا واعدموهما البتة اذ لا مقول من الموجودات الا هو واقع تحتها وتحت الاجناس والانواع، حاشى الحق الاول الواحد الخالق عز وجل الذى علم بضرورة الدلائل ووجب بها خروجه من الاجناس والانواع والمقولات وبالجملة شاؤا او ابوا فالخلاء والزمان المطلق اللذان يذكران ان كانا موجودين فهما واقعان تحت جنس الكمية والعدد ضرورة ، فاذا كان ذلك كذلك فهذا الزمان الذى ندريه نحن وهم ، وذلك الزمان الذى يدعونه هما واقعان جميعاً تحت جنس متى ، وكذلك المكان الذى يدعونه واقع مع المكان الذى نعرفه نحن وهم تحت جنس اين ، وبالضرورة يجب ان ما لزم بعض ما تحت الجنس مما يوجبه له الجنس فانه لازم لكل ما تحت ذلك الجنس ، واذ لاشك فى هذا فهما مركبان والنهاية فيهما موجودة ضرورة اذ المقولات كلها كذلك - وايضاً فان المكان لابد له من مدة يوجد فيها ضرورة ، فنسألهم ، هل تلك المدة هي الزمان الذى يدعونه أم هى غيره ، فان كانت هى هو فهو زمان المكان فهو محمول فى المكان فهو ككل زمان لذى الزمان فلا فرق . وان كانت غيره فهاهنا اذن زمن ثالث غير مدة ذلك المكان وغير الزمان الذى ندريه نحن وهم . وهذه وساوس لا يعجز عن ادعائها كل من لم يبال بما يقول ولا استحيا من فضيحة . ويقال لهم اذ ليس المكان الذى تدعونه والزمان الذى تدعونه واقعين مع المكان المعهود والزمان المعهود تحت جنس وحد واحد . فلم سميتموه مكاناً وزماناً . وهلا سميتموهما باسمين مفردين لهما ليبعدا بذلك عن الاشكال والتلبيس والسفسطة بالتخليط بالاسماء المشتركة . فان كانا مع الزمان والمكان المعهودين تحت حد واحد فقد بطلت دعواكم زماناً ومكاناً غير الزمان والمكان المعهودين بالضرورة . وبالله تعالى التوفيق - ويسألون أيضاً عن هذا الزمان والمكان غير المعهودين اهما داخل الفلك أم خارجه فان قالوا هما داخل الفلك فالخلاء اذاً هو الملاء والمكان اذاً فى المتمكن يعنى في داخله . وهذا محال والزمان اذن هو الذى لا يعرف غيره . وان قالوا هما خارج الفلك أوجبوا لهما نهاية ابتداء مما هو خارج الفلك . وان قالوا لا خارج ولا داخل . فهذه دعوى مفتقرة الى برهان ولا برهان على صحتها فهى باطل . فان قالوا انتم تقولون هذا فى البارى تعالى قلنا لهم نعم لان البرهان قد قام على وجوده . فلما صح وجوده تعالى قام البرهان بوجوب خلافه لكل ما فى العالم على انه لا داخل ولا خارج . وانتم لم يصح لكم برهان على وجود الخلاء والزمان الذى تدعونه فصار كلامكم

بدعة معبد الجهنى وغيلان الدمشقى ويونس الاسوارى فى القول بالقدر وانكار اضافة الخير والشر الى القدر ونسج على منوالهم واصل ابن عطاء الغزال وكان تلميذ الحسن البصرى وتلمذ له عمرو بن عبيد وزاد عليه في مسائل القدر وكان عمرو من دعاة يزيد الناقص أيام بني امية ثم والى المنصور وقال بامامته ومدحه المنصور يوماً فقال نثرت الحب للناس فلقطوا غير عمرو * والوعيدية من الخوارج والمرجئة من الجبرية والقدرية ابتدأت بدعتهم فى زمان الحسن واعتزل واصل عنهم وعن استاذه بالقول بالمنزلة بين المنزلتين وسمى هو واصحابه معتزلة وقد تلمذ له زيد بن على واخذ الاصول منه فلذلك صارت الزيدية كلهم معتزلة ومن رفض زيد بن على لانه خالف مذهب آبائه فى الاصول وفي التبرى والتولي وهم من أهل الكوفة وكانوا جماعة سميت رافضة * ثم طالع بعد ذلك شيوخ المعتزلة كتب الفلاسفة حين فسرت أيام المامون فخلطت مناهجها بمناهج الكلام وافردتها فناً من فنون العلم وسمتها باسم الكلام اما لان اظهر مسئلة تكلموا فيها وتقاتلوا عليها هى مسئلة الكلام فسمي النوع باسمها واما لمقابلتهم الفلاسفة فى تسميتهم فنا من فنون علمهم بالمنطق والمنطق والكلام مترادفان فكان أبو الهذيل العلاف شيخهم الاكبر وافق الفلاسفة في ان البارى تعالى عالم

كله دعوى ، وبالله التوفيق

(قال أبو محمد رضى الله عنه) ولم نجد لهم سؤالا اصلا ولا اتونا قط بدليل فنورده عنهم ، ولا وجدنا لهم شيئا يمكن الشغب به فى ازلية الخلاء والمدة ، فنورده عنهم وان لم يتنبهوا ، وانما هو رأى قلدوا فيه بعض قدماء الملحدين فقط ، وبالله التوفيق

(قال ابو محمد رضي الله عنه) ومما يبطل به الخلاء الذى سموه مكانا مطلقاً وذكروا انه لا يتناهى وانه مكان متمكن فيه برهان ضروري لا انفكاك منه ، واطرف شيء انه برهانهم الذي موهوا به وشغبوا بايراده وأرادوا به اثبات الخلاء ، وهوانا نرى الارض والماء والاجسام الترابية من الصخور والزئبق ونحو ذلك طباعها السفل ابداً وطلب الوسط والمركز ، وأنها لا تفارق هذا الطبع فتصعد الا بقسر يغلبها ويدخل عليها كرفعنا الماء والحجر قهرا ، فاذا رفعناها ارتفعا ، فاذا تركناها عادا الى طبعهما بالرسوب ، ونجد النار والهواء طبعهما الصعود والبعد عن المركز والوسط ولا يفارقان هذا الطبع الا بحركة قسرا تدخل عليهما . ونرى ذلك عيانا كالزق المنفوخ والاناء المجوف لمصوب فى الماء ، واذا زالت تلك الحركة القسرية رجعا الي طبعهما . ثم نجد الاناء المسمى سارقة الماء يبقى الماء فيها صعدا ولا ينسفك . ونجد الزراقة ترفع التراب والزئبق والماء ونجد اذا حفرنا بئراً امتلاء هواء وسفل الهواء حينئذ . ونجد المحجمة تمس الجسم الارضي الى نفسها . فليس كل هذا الا لاحد وجهين لا ثالث لهما . اما عدم الخلاء جملة كما نقول نحن . واما لان طبع الخلاء يجتذب هذه الاجسام الى نفسه كما يقول من يثبت الخلاء . فنظرنا في قولهم ان طبع الخلاء يجتذب هذه الاجسام الى نفسه كما يقول من يثبت الخلاء ، فوجدناه دعوى بلا دليل فسقط ثم تاملناه اخرى فوجدناه عائداً عليهم لانه اذا اجتذبت الاجسام ولا بد فقد صار ملاء ، فالملاء حاضر موجود والخلاء دعوى لا برهان عليها فسقطت وثبت عدم الخلاء ، ثم نظرنا في قولنا فوجدناه يعلم بالمشاهدة وذلك اننا لم نجد لا بالحس ولا بتوهم العقل بالامكان مكاناً يبقى خالياً قط دون متمكن ، فصح الملاء بالضرورة وبطل الخلاء اذ لم يقم عليه دليل ولا وجد قط ، وبالله تعالى التوفيق — ثم نقول لهم ان كان خارج الفلك خلاء على قولكم فلا يخلو من أن يكون من جنس هذا الخلاء الذى تدعون انه يجتذب الاجسام بطبعه . أو يكون من غير جنسه . ولا بد من أحد هذين الوجهين ضرورة ولا سبيل الى ثالث البتة . فان قالوا هو من جنسه -

بعلمه وعلمه ذاته وكذلك قادر بقدرته وقدرته ذاته وابدع بدعاً في الكلام والارادة وافعال العباد والقول بالقدر والآجال والارزاق كما سيأتى فى حكاية مذهبه وجرت بينه وبين هشام بن الحكم مناظرات فى احكام التشبيه وابو يعقوب الشحام والادمى صاحبا أبى الهذيل وافقاه فى ذلك كله ثم ابراهيم بن سيار النظام في ايام المعتصم كان اعلى فى تقرير مذاهب الفلاسفة وانفرد بين السلف ببدع فى الرفض والقدر وعن أصحابه بمسائل نذكرها ومن اصحابه محمد بن شبيب وابو شمر وموسى بن عمران والفضل الحدثى واحمد بن حايط ووافقه الاسوارى في جميع ماذهب اليه من البدع وكذلك الاسكافية اصحاب ابي جعفر الاسكافى والجعفرية اصحاب الجعفر بن جعفر بن مبشر وجعفر ابن حرب ثم ظهرت بدع بشر بن المعتمر من القول بالتولد والافراط فيه والميل الى الطبيعيين من الفلاسفة والقول بان الله تعالى قادر على تعذيب الطفل واذا فعل ذاك فهو ظالم الى غير ذاك مما تفرد به عن أصحابه وتلمذ له ابو موسى المزدار راهب المعتزلة وانفرد عنه بابطال اعجاز القرآن من جهة الفصاحة والبلاغة وفى أيامه جرت أكثر التشديدات

وهو قولهم فقـد اقروا بان طبع هذا الخلاء الغالب بجميع الطبائع هو أن يجتذب المتمكنات الى نفسه فيمتلىء بها حتى انه يحيل قوى العناصر عن طباعها ، فوجب أن يـكون ذلك الخلاء الخارج عن الفلك لذلك ايضـاً ضرورة ، لان هذه صفة طبعه وجنسه ، فوجب بذلك ضرورة ان يـكون متمكنا فيه ولا بد ، واذا كان هذا ـ وذلك الخلاء عندهم لانهاية له ـ فالجسم المالىء له ايضاً لانهاية له ، وقد قدمنا البراهين الضرورية انه لايجوز وجود جسم لانهاية له ، فالخلاء باطل ، ولو كان ذلك ايضاً لـكان ملاً لا خلاء ، وهذا خلاف قولهم ، فان قالوا بل ذلك الخلاء هو من غير جنس هذا الخلاء ، يقال لهم فباى شيء عرفتموه وبم استدللتم عليه وكيف وجب أن تسموه خلاء وهو ليس خلاء ، وهذا لا مخلص منه . وبالله تعالى التوفيق . وهم فى هذا سواء ومن قال ان فى مكان خارج من العالم ناسـاً لايحدون بحد الناس . ولا هم كهؤلاء الناس : او من قال ان في خارج الفلك ناراً محرقة ليست من جنس هذه النار . وكل هذا حمق وهوس

﴿ الكلام على من قال ان فاعل العالم ومدبره اكثر من واحد ﴾

(قال ابو محمد رضى الله عنه) افترق القائلون بان فاعل العـالم أكثر من واحد فرقا ثم ترجع هذه الفرق الى فرقتين (فاحدى الفرقتين تذهب الى ان العالم غيرمدبر به ، وهم القائلون بتدبيرالـكواكب السبعة وازليتها وهم المجوس ، فان المتكلمين ذكروا عنهم أنهم يقولون ان البارى عزوجل لما طالت وحدته استوحش فلما استوحش فكر فكرة سوء فتجسمت فاستحالت ظلمة فحدث منها اهرمن وهو ابليس فرام البارىء تعالى ابعاده عن نفسه فلم يستطع فتحرز منه بخلق الخيرات وشرع اهرمن في خلق الشر ولهم في ذلك تخليط كثير

(قال ابو محمد رضي الله عنه) وهذا أمر لاتعرفه المجوس بل قولهم الظاهر هو أن البارى تعالى وهو أورمن وابليس وهو اهرمن . وكام وهو الزمان وجام وهو المـكان وهو الخلاء ايضا . ونوم وهو الجوهر وهو ايضا الهيولى وهو ايضا الطينة والخميرة خمسة لم تزل . وان اهرمن هو فاعل الشرور . وان أورمن فاعل الخيرات . وان نوم هو المفعول فيه كل ذلك * وقد أفردنا فى نقض هذه المقالة كتابا جمعناه فى نقض كلام محمد بن زكريا الرازى الطبيب (١) فى كتابه الموسوم بالعـلم الالهى * والمجوس يعظمون الانوار والنيران والمياه الا انهم يقرون بنبوة زرادشت . ولهم شرائع يضيفونها اليه . ومنهم

(١) وهو أكبر ضبيت اسلامي مهر في الطب والمنطق والهندسة وغيرها

على السـلف لقولهم بقدم القرآن وتلمذ له الجعفران ابو زفر محمد ابن سـويد صاحب المزدار وابو جعفر الاسـكافى عيسي بن الهيثم صاحبا جعفر بن حرب الاشج وممن بالغ في القول بالقدر هشـام ابن عمرو الفوطى والاصم من اصحابه وقدحا في امامة على بقولهما ان الامامة لا تنعقد الا باجماع الامة عن بـكرة أبيهم والفوطي والاصم اتفقا على أن الله تعالى يستحيل أن يكون عالماً بالاشياء قبل كونهـا ومنع كون المعدوم شيئاً وابو الحسن الخياط واحمد ابن على الشطوى صـحبا عيسى الصـوفى ثم لزما أبا مجالد وتلمذ الـكعبى لابي الحسن الخياط ومذهبه بعينه مذهبه * وأما معمر ابن عباد السلمي وثمامة بن اشرت النميرى وعمرو بن بحر الجاحظ كانوا في زمان واحد متقار بين فى الرأى والاعتقاد منفردين عن اصحابهم بمسائل تذكرها والمتاخرون منهم أبو على الجبائي وابنه ابو هشـام والقاضى عبد الجبار وأبو الحسـين البصرى قد لخصوا طرق أصحابهم وانفردوا عنهم بمسائل كما سياتي وأما رونق علم الـكلام فابتداؤه من الخلفاء العباسـية هارون والمامون والمعتصم والواثق والمتوكل وانتهاؤه من الصاحب بن عبـاد وجماعة من

الديالمة * وظهرت جماعة من المعتزلة متوسطين مثل ضرار بن عمرو وحفص الفرد والحسين النجار من المتاخرين خالفوا الشيوخ فى مسائل وتبغ جهم بن صفوان فى ايام نصر بن سيار واظهر بدعته فى الجبر بترمذ وقتله سالم بن أحوز المازنى فى آخر ملك بنى أمية بمرو وكان بين المعتزلة و بين السلف فى كل زمان اختلافات في الصفات وكانت السلف يناظرونهم عليها لا على قانون كلامي بل على قول اقناعى ويسمون الصفاتية فمن مثبت صفات البارى تعالى معاني قائمة بذاته ومن مشبه صفاته بصفات الخلق وكلهم يتعلقون بظواهر الكتاب والسنة و يناضلون المعتزلة فى قدم الكلام على قول ظاهر وكان عبد الله بن سعيد الكلابى وابو العباس القلانسي والحارث المحاسبي اشبههم اتقانا وامتنهم كلاما وجرت مناظرة بين ابي الحسن على بن اسماعيل الاشعرى و بين استاذه ابى على الجبائي في بعض مسائل والزمه امورا لم يخرج عنها بجواب فاعرض عنه وانحاز الى طائفة السلف ونصر مذهبهم على قاعدة كلامية فصار ذلك مذهبا منفردا وقرر طريقته جماعة من المحققين مثل القاضي ابي بكر البلاقاني والاستاذ ابى اسحاق الاسفرايني والاستاذ ابي بكر بن فورك وليس

المزدقية وهم أصحاب مزدق المو بذ ، وهم القائلون بالمساواة فى المكاسب والنساء ، والخرمية اصحاب بابك وهم فرقة من فرق المزدقية ، وهم أيضاً سر مذهب الاسماعيلية (١) ومن كان على قول القرامطة وبني عبيد وعنصرهم وقد يضاف الى جملة من قال ان مدبر العالم اكثر من واحد الصابئون . وهم يقولون بقدم الاصليين على ماقدمنا نحن قول المجوس الا انهم يقولون بتعظيم الكواكب السبعة والبروج الاثنى عشر ويصورونها في هياكلهم و يقربون الذبائح والدخن ، ولهم صلوات خمس فى اليوم والليلة تقرب من صلوات المسلمين . و يصومون شهر رمضان . و يستقبلون فى صلاتهم الكعبة والبيت الحرام . ويعظمون مكة والكعبة ، ويحرمون الميتة والدم ولحم الخنزير ، و يحرمون من القرائب مايحرم على المسلمين . وعلى نحو هذه الطريقة نقل الهند البددة (٢) فى تصويرها على اسماء الكواكب وتعظيمها وهو كان أصل الاوثان فى العرب ، والدقاقرة في السودان حتى آل الامر مع طول الزمان الى عبادتهم اياها . وكان الذى ينتحله الصائبون اقدم الاديان على وجه الدهر ، والغالب على الدنيا الى أن احدثوا فيه الحوادث و بدلوا شرائعه بما ذكرنا ، فبعث الله عز وجل اليهم ابراهيم خليله صلى الله عليه وسلم بدين الاسلام الذى نحن عليه الآن ، وتصحيح ما أفسدوه

من علوم الفلسفة ، وأحسن صناعة الكيمياء والف فيها اثنى عشر كتابا ، وكتبه فى الطب والفلسفة تزيد عن المائة . ومن أكبر كتبه في الطب كتاب الحاوى يقع فى ثلاثين مجلدا . وهو الذى دبر مارستان الرى ثم مارستان بغداد في أيام المكتفى ، وتوفى قريبا من سنة ٣٢٠ هـ (لمصححه) عن كتب التراجم

(١) تلقب هذه الفرق بالاسماعيلية لانتسابهم محمد بن اسماعيل أولا ثباتهم الامامة لاسماعيل بن جعفر الصادق . و بالقرامطة لان أولهم رجل يقال له حمدان قرمط وقرمط قرية من قرى واسط ، و بالبابكية لان طائفة منهم تبعث بابك الخرمى فى الخروج باذربيجان ، و بالخرمية لاباحتهم المحرمات والمحارم ، و بالباطنية لقولهم بباطن القرآن دون ظاهره قالوا للقرآن ظاهر و باطن والمقصود باطنه لاظاهره الى غير ذلك من القابهم ومقالاتهم التى ترجع الى أصل دعوتهم فى ابطال الشرائع (لمصححه) من مظان مختلفة

(٢) البددة كالقردة جمع بد معرب بت بالفارسية بيت فيه أصنام وتصاوير اه

بالحنفية السمحة التي أتى بها محمد صلى الله عليه وسلم من عند الله تعالى . فبين لهم كما نص في القرآن بطلان ما أحدثوه من تعظيم الكواكب وعبادتها وعبادة الاوثان . فلقى منهم ما نصه الله في كتابه ، وكانوا فى ذلك الزمان وبعده يسمون الحنفا . ومنهم اليوم بقايا بحران وهم قليل جدا فهذه فرقة ❊ ويدخل فى هذه الفرقه من وجه ويخرج منها من وجه آخر النصاري . فاما الوجه الذى يدخلون به فهو قولهم بالتثليث وان خلق الخلق ثلاثة ، وأما الوجه الذى يخرجون به فهو أن للصابئين شرائع يسندونها الى هرمس ويقولون أنه ادريس ، والى قوم آخر يذكرون انهم انبياء كايلون ويقولون انه نوح عليه السلام واسقلانيوس صاحب الهيكل الموصوف ، وعاظيمون ويوداسف وغيرهم ، والنصارى لا يعرفون هؤلاء لكن يقرون بنبوة نبي تعرفه من بني اسرائيل وابراهيم واسحاق ويعقوب عليهم السلام ، ولا يعرفون نبوة اسماعيل وصالح وهود وشعيب ، وينكرون نبوة محمد صلى الله عليه وسلم وعلى اخوته الانبياء عليهم السلام ، والصابئون لا يقرون بنبوة احد ممن ذكرنا أصلا ، وكذلك المجوس لا يعرفون الا زرادشت فقط

﴿ وأما الفرقة الثانية ﴾ فانها تذهب الى أن العالم هو مدبروه لا غيرهم البتة وهم الديصانية والمزقونية والمانية القائلون بازلية الطبائع الاربع بسائط غير ممتزجة ثم حدث الامتزاج فحدث العالم بامتزاجها — فاما المانية فانهم يقولون أن أصلين لم يزالا وهما نور الظلمة ، وان النور والظلمة حية ، وان كليهما غير متناه الامن الجهة التى لاقى منها الآخر ، وأما من جهاته الخمس فغير متناه وانهما جرمان ، ثم لهم فى وصف امتزاجهم اشياء شبيهة بالخرافات وهم أصحاب مانى ❊ وقال المتكلمون أن ديصان كان تلميذ مانى ، وهذا خطا بل كان أقدم من مانى لان مانى ذكره في كتبه ورد عليه . وهما متفقان فى كل ما ذكرنا الا أن الظلمة عند ماني حية ❊ وقال ديصان هى موات وكان مانى راهبا بحران ، وأحدث هذا الدين وهو الذى قتله الملك بهرام بن بهرام ، اذ ناظره بحضرته اذرباذ بن ماركسفند موبذ موبذان في مسالة قطع النسل وتعجيل فراغ العام ، فقال له الموبذ انت الذي تقول بتحريم النكاح ليستعجل فناء العالم ورجوع كل شكل الى شكله وان ذلك حق واجب . فقال له ماني واجب أن يعان النور على خلاصه بقطع النسل مما هو فيه من الامتزاج ، فقال له اذرباذ فمن الحق الواجب أن يعجل لك هذا الخلاص الذى تدعو اليه وتعان على ابطال هذا الامتزاج المذموم ، فانقطع مانى فامر بهرام بقتل مانى فقتل هو وجماعة

بينهم كثير اختلاف ونبغ رجل متنمس بالزهد من سجستان يقال له ابو عبد الله ابن الكرام قليل العلم قد قمش من كل مذهب ضغثا واثبته في كتابه وروجه على اغتام غرجة وغور وسواد بلاد خراسان فانتظم ناموسه وصار ذلك مذهبا قد نصره محمود بن سبكتكين السلطان وصب البلاء على اصحاب الحديث والشيعة من جهتهم وهو أقرب مذهب الى مذهب الخوارج وهم مجسمة وحاشا غير محمد بن الهيصم فانه مقارب

﴿ المقدمة الخامسة ﴾ فى السبب الذى أوجب ترتيب هذا الكتاب على طريق الحساب وفيها اشارة الى مناهج الحساب لما كان مبنى الحساب على الحصر والاختصار وكان غرضي من تاليف هذا الكتاب حصر المذاهب مع الاختصار اخترت طريق الاستيفاء ترتيبا وقدرت اغراضي على مباهجه تقسيما وتبويبا وأردت أن أبين كيفيه طرق هذا العلم وكمية اقسامه لئلا يظن بي اني من حيث انا فقيه ومتكلم اجنبي النظر فى مسالكه ومراسمه اعجمي القلم بمداركه ومعالمه فاثرت من طريق الحساب احكمها واحسنها وأقمت عليه من حجج البرهان أوضحها وأمتنها وقدرتها على العدد وكان

من أصحابه . وهم لا يرون الذبائح ولا أيلام الحيوان ولا يعرفون من الانبياء عليهم السلام الا عيسى عليه السلام وحده . وهم يقرون بنبوة زرادشت و يقولون بنبوة مانى ، وقالت المزقونية ايضا كذلك الا انهم قالوا نور وظلمة لم يزالا وثالث أيضا بينهما لم يزل ، الا أن هؤلاء كلهم متفقون على ان هذه الاصول لم تحدث شيئا هو غيرها ، لكن حدث من امتزاجها ومن ايماضها بالاستحالة صور العالم كله ، فهذه الفرق كلها مطبقة على أن الفاعل اكثر من واحد وان اختلف في العدد والصفة وكيفية الفعل والزامات الشرائع ، وكلامنا هذا كلام اختصار وايجاز وقصد الى استيعاب قواعد الاستدلال والبراهين الضرورية ، والنتائج الواجبة من المقدمات الاولية الصحيحة ، واضراب عن الشغب والتطويل الذى يكتفى بغيره عنه ، فانما وكدنا (١) بعون الله تعالى أن نبين بالبراهين الضرورية ان الفاعل واحد لا أكثر البتة ونبين بطلان أن يكون أكثر من واحد كما فعلنا بتاييد الله عز وجل . اذ بينا بالبراهين الضرورية ان العالم محدث كان بعد أن لم يكن. وان له مخترعا مدبرا لم يزل. وسقطت خرافاتهم المضافة الى الاوائل الفاسدة فى وصفهم الفاعلين وكيفية افعالهم . اذ لا تكون صفة الا لموصوف. فاذا بطل الموصوف بطلت الصفة التى وصفوه بها * واما الاشتغال احكامهم الشرعية فلسنا من ذلك فى شيء . لانه ليس من الشرائع العلمية شيء يوجبه العقل ولا شيء يمنع منه العقل . بل كلها من باب الممكن . فاذا قامت البراهين الضرورية على قول الآمر بها ووجوب طاعته . وجب قبول كل ما اتى به كائنا ما كان من الاعمال . ولو أنه قتل انفسنا وابنائنا واباءنا وامهاتنا. واذا لم يصح قول الآمر بها ولم يصح وجوب طاعته لا يلتفت الى ما يامر به أى شيء كان من الاعمال . وكل شريعة كانت على خلاف هذا فهى باطلة . فكلامنا مع الفرق التى ذكرنا فى اثبات أن الفاعل الاول واحد لا أكثر . وابطال أن يكون أكثر من واحد . وهو حاسم لكل شغب ياتون به بعد ذلك وكاف من التكلف لما قد كفته (٢) المرء بيسير من البيان. وما توفيقنا الا بالله تعالى * ونبدأ بحول الله تعالى وقوته بايراد عمدة ما موهوا به فى اثبات أن الفاعل اكثر من واحد . ثم ننقضه بحول الله تعالى وقوته بالبراهين الواضحة . ثم نشرع ان شاء الله تعالى في اثبات انه تعالى واحد بما لا سبيل الى رده ولا اعتراض فيه . كما فعلنا فيما خلا من كتابنا والحمد لله رب العالمين. فنقول وبالله تعالى التوفيق * عمدة ما عول عليه القائلون بان الفاعل اكثر من واحد استدلالان فاسدان (احدهما) هو استدلال المانية

(١) وكدنا بضم فسكون أى طلبنا وقصدنا ومرادنا (٢) كفته كصرفه وزنا ومعني

الواضع الاول منه استمداد المدد فاقول مراتب الحساب تبتدىء من واحد وتنتهي الى سبع ولا تجاوزها البتة

﴿ المرتبة الاولى ﴾ صدر الحساب وهو الموضوع الاول الذى يرد عليه التقسيم الاول وهو فرد لا زوج له باعتبار وجملة يقبل التقسيم والتفصيل باعتبار فمن حيث انه فرد فهو لا يستدعى اختا تساويه فى صورة المدة ومن حيث هو جملة فهو قابل للتفصيل حتى ينقسم الى قسمين وصورة المدة يجب ان تكون من الطرف الى الطرف ويكتب تحتها حشوا مجملات التفاصيل ومرسلات التقدير والتقرير والنقل والتحويل وكليات وجوه المجموع وحكايات الالحاق والموضوع بارزا من الطرف الايسر كميات مبالغ المجموع

﴿ المرتبة الثانية ﴾ منها الاصل وشكلها محقق وهو التقسيم الاول الذى ورد على المجموع الاول وهو زوج ليس بفرد ويجب حصره في قسمين لا يعدوان الى ثالث وصورة المدة يجب ان يكون اقصر من الصدر بقليل اذ الجزء اقل من الكل ويكتب تحتها حشو ما يخصها من التوجيه والتنويع والتفصيل ولها اخت تساويها في المد وان لم يجب ان تساويها في المقدار

والديصانية والمجوس والصابئة والمزدقية ومن ذهب مذاهبهم. وهو أنهم قالوا وجدنا الحكيم لا يفعل الشر ولا يخلق خلقا ثم يسلط عليه غيره . وهذا عيب في المعهود. ووجدنا العالم كله ينقسم قسمين كل قسم منهما ضد الآخر. كالخير والشر والفضيلة والرذيلة والحياة والموت والصدق والكذب . فعلمنا ان الحكيم لا يفعل الا الخير وما يليق فعله به . وعلمنا ان الشرور لها فاعل غيره . وهو شر مثلها — والاستدلال الثاني . وهو استدلال من قال بتدبير الكواكب السبعة والاثني عشر برجاً . ومن قال بالطبائع الاربع . وهو أن قالوا لا يفعل الفاعل افعالا مختلفة الا باحد وجوه أربعة . اما أن يكون ذا قوى مختلفة . وأما ان يفعل بآلات مختلفة . واما ان يفعل باستحالة . وأما ان يفعل في اشياء مختلفة . قالوا فلما بطلت هذه الوجوه كلها . واذ لو قلنا انه يفعل بقوى مختلفة لحكمنا عليه بانه مركب فكان يكون من من احد المفعولات . ولو قلنا انه يفعل باستحالة لوجب ان يكون منفعلا للشيء الذى احاله فكان يدخل بذلك فى جملة المفعولات . ولو قلنا أنه يفعل في أشياء مختلفة لوجب ان تكون تلك الاشياء معه . وهو لم يزل. فتلك الاشياء لم تزل فكان حينئذ لا يكون مخترعا للعالم ولا فاعلا له . قالوا فعلمنا بذلك أن الفاعلين كثير . وان كان واحد يفعل ما يشا كله

(قال أبو محمد رضى الله عنه) فهذه عمدة ماعول عليه من لم يقل بالتوحيد. وكلا هذين الاستدلالين خطأ وافحش على ما نبين ان شاء الله تعالى * فيقال - وبالله تعالى التوفيق - لمن احتج بما احتجت به المانية من أنه لا يفعل الحكيم الشر ولا العبث . هل يخلو علمكم بان هذا الشيء شر وعبث من احد وجهين لا ثالث لهما . اما ان تكونوا علمتموه بسمع وردكم وخبر . واما ان تكونوا علمتموه بضرورة العقل * فان قلتم أنكم علمتموه من طريق السمع . قيل لكم هل معنى السمع الآتي غير أن مبتدع الخلق ومرتبه سمى هذا الشيء شراً وأمر باجتنابه ، وسمى هذا الشيء الآخر خيراً وأمر باتيانه ، فلا بد من نعم اذ هذا هو معنى اللازم عند كل من قال بالسمع . فيقال لهم فانما صار الشر شراً لنهى الواحد الاول عنه ، وانما صار الخير خيراً لامره به فلا بد من نعم ، فاذا كان هذا فقد ثبت ان من لا مبدع ولا مدبر له ولا آمر فوقه لا يكون شيء من فعله شراً ، اذ السبب فى كون الشر شراً هو الاخبار بانه شر ولا مخبر يلزم طاعته الا الله تعالى - فان قال ، فكيف يفعل هو شيئاً قد اخبر أنه شر — قيل له ليس يفعل الجسم فيما يشاهد غير الحركة والسكون ، والحركة كلها جنس واحد فى أنها

❁ المرتبة الثالثة ❁ من ذلك الاصل وشكله ايضاً محقق وهو التقسيم الثانى الذي ورد على الموضوع الاول والثانى وذلك لا يجوز أن ينقص من قسمين ولا يجوز أن يزيد على اربعة أقسام ومن جاوز من أهل الصنعة فقد اخطا وماعلم وضع الحساب وسنذكر السبب فيه وصورة مدته اقصر من مدة منها الاصل بقليل وكذلك يكتب تحتها ما يليق بها حشوا وبارزا

❁ المرتبة الرابعة ❁ منها المطموس وشكلها هكذا ط وذلك يجوز ان يجاوز الاربعة واحسن الطرق ان يقتصر على الاقل ومدتها اقصر مما مضي

❁ المرتبة الخامسة ❁ من ذلك الصغير وشكله هكذا ص وذلك يجوز الى حيث ينتهى التقسيم والتبويب والمدة اقصر مما مضى

❁ المرتبة السادسة ❁ منها المعوج وشكله ، هكذا وذلك أيضاً يجو الى حيث ينتهى التفصيل

❁ المرتبة السابعة ❁ من ذلك المقعد وشكله هكذا لك ولكن يمد من الطرف الى الطرف لا على انه اخت صدر الحساب بل من حيث أنه النهاية التي تنشا كل البداية فهذه كيفية صورة الحساب نقشا وكمية أبوابها جملة ولكل قسم من الابواب أخت

نقلة مكانية ، وكذلك السكون جنس واحد كله ، فانما أمرنا تعالى بفعل بعضها ، ونهانا عن فعل بعضها ، ولم يفعل هو الحركة قط على انه متحرك بها ، ولا السكون على أنه ساكن به ، وانما فعلهما على سبيل الابداع ، فتحركنا نحن بحركة نهينا عنها وسكوننا بسكون نهينا عنه هو الشر ،

وكذلك اعتقاد النفس ما نهيت عنه ، وهذا كله غير موصوف به البارى تعالى ، وان قالوا علمنا ذلك ببداهة العقل قيل لهم — وبالله التوفيق — أليس العقل قوة من قوى النفس وداخلا تحت الكيفية على الحقيقة أو تحت الجوهر على قول من لا يحصل فلابد من نعم ، فيقال لهم انما يؤثر العقل ما هو من شكله في باب الكيفيات فيميز بين خطئها وصوابها ، ويعرف احوالها ومراتبها ، وأما فيما هو فوقه وفيما لم يزل العقل معدوم وفي مخترع العقل ومرتبه كما هو فلا تأثير للعقل فيه ، اذ لو اثر فيه لكان محدثا على ما قدمنا من أن الاثر من باب المضاف ، فهي تقتضي مؤثرا فكان يكون البارى تعالى منفعلا للعقل وكان يكون العقل فاعلا فيه تعالى وحاكما عليه جل الله عن ذلك * وقد بينا في كتابنا هذا أن البارى تعالى لا يشبهه شيء من خلقه بوجه من الوجوه ، ولا يجرى مجرى خلقه في معنى ولا حكم وذكرنا أيضا فيه ابطال قول من قال بتسمية البارى حيا أو حكيما أو قادرا أو غير ذلك من سائر الصفات من جهة الاستدلال حاشى أربعة أسماء فقط وهي الاول الواحد الحق الخالق فقط ، وهي الاسماء هي التي لا يستحقها شيء في العالم غيره ، فلا أول سواه البتة ، ولا واحد سواه البتة ، ولا خالق سواه البتة ، ولا حق سواه البتة على الاطلاق ، وكل مادونه تعالى فانما هو حق بالبارى تعالى ولولا البارى تعالى ما كان شيء في العالم حقا ، وكل مادونه تعالى فانما حق بالاضافة ، ولولا أن السمع قد ورد بسائر الاسماء التي ورد الخبر الصادق بها ، ماجاز أن يسمى الله عز وجل بشيء منها ، ولكن قد بينا في مكانه من هذا الكتاب على أي شيء تسميته بما ورد السمع ، وان ذلك تسمية لا يراد بها غيره تعالى ، ولا يرجع منها الى شيء سواه البتة وايضا فان دليلهم فيما سموا به البارى تعالى وأجروه عليه اقناعى شغبي وفيه تشبيه للخالق بخلقه ، وفي تشبيههم له بخلقه حكم عليه بالحدوث وان يكون الفاعل مفعولا ، وقد قدمنا ابطال ذلك ، ويقال لهم أن التزمتم أن يكون فاعل فيما عندنا عابثا فقررتم بذلك على أن يكون فاعل العالم فاعل العالم واحدا وقد علمنا فيما بينا أن تارك الشيء لا يغيره — وهو قادر على

تقابله وزوج يساويه في المدة لا يجوز اغفال ذلك بحال والحساب تاريخ وتوجيه والآن نذكر كمية هذه الصورة وانحصار الاقسام في سبع ولم صار الصدر الاول فردا في الصورة ولم انحصرت من الاصل في قسمين لا يعدوان الى ثالث ولم انحصرت من ذلك الاصل في أربعة ولم خرجت الاقسام الاخر عن الحصر فاقول ان العقلاء الذين تكلموا في علم العدد والحساب اختلفوا في الواحد أهو من العدد أم هو مبدأ العدد وليس داخلا في العدد وهذا الاختلاف انما ينشأ من اشتراك لفظ الواحد فالواحد يطلق ويراد به ما يتركب منه العدد فان الاثنين لا معنى له الا واحد مكرر اول تكرير وكذلك الثلاثة والاربعة ويطلق ويراد به ما يحصل منه العدد أي هو علته ولا يدخل في العدد أي لا يتركب منه العدد وقد تلازم الواحدية جميع الاعداد لا على أن العدد تركب منها بل كل موجود فهو في جنسه أو نوعه أو شخصه واحد يقال انسان واحد وشخص واحد وفي العدد كذلك فان الثلاثة في انها ثلاثة واحدة فالواحدة بالمعنى الاول داخلة في العدد وبالمعنى الثاني علة للعدد وبالمعنى الثالث ملازمة للعدد وليس من الاقسام الثلاثة قسم يطلق على البارى تعالى معناه فهو واحد لا كالآحاد أي هذه الوحدات والكثرة منه وجدت ويستحيل عليه الانقسام

تغييره ـ عابث ظالم ، ولا يخلو فاعل الخيرات عندكم من أن يكون قادراً على تغييره والمنع منه ، ولم يغيره ، فقد صار عندكم عابثاً ضرورة ، فقد وقعتم فيما عنه فررتم ضرورة ، وان قلتم أنه غير قادر على تغييره ولا المنع منه فهو بلاشك عاجز ضعيف ، وهذه صفه سوء عندكم فهلا تركتم القول بانه أكثر من واحد لهذا الاستدلال فانه أصح على أصولكم و مقدماتكم ، واما نحن فمقدمتكم عندنا فاسدة بالبرهان الذى ذكرناه

(قال أبو محمد رضي الله عنه ، والمانية تزعم ان النور كان فى العلو الي مانهاية له ، وان الظلمة فى السفل الى مالانهاية له ، وان كل واحد منهما متناهى المساحة من الجهة التى لاقى منها الاخر ، وغير متناه من جهاته الخمس ، وأن اللذة للنور خاصة لا للظلمة . وان الاذى للظلمة خاصة لا للنور :

(قال ابو محمد رضى الله عنه) فاما بطلان هذا القول فى عدم التناهى من الجهات الخمس فيفسد بما اوجبنا به تناهي جسم العالم . وأما قولهم بالعلو والسفل فظاهر الفساد . لان السفل لا يكون الا بالاضافة . وكذلك العلو . فكل علو فهو سفل لما فوقه حتى تنتهي الى الصفحة العليا التى لا صفحة فوقها وهم لا يقرون بها . وكل سفل فهو علو لما تحته حتى تنتهي الى المركز وهم لا يقرون بها . فصح ضرورة ان فى الظلمة على قولهم علوا . وان فى النور سفلا * واما قولهم فى اللذة والاذى ففاسد جدا . لان اللذة لا تكون الا بالاضافة وكذلك الاذى . فان الانسان لا يلتذ بما يلتذ به الحمار . ويتاذى بما لا يتاذى به الافعى ، فبطل هوسهم بيقين والحمد لله رب العالمين * سؤال على المانية دامغ لقولهم بحول الله وقوته ، وهو أن يقال لهم . ألهذه الاجساد انفس أم لا . فان قالوا لا ـ قيل لهم . فهذه الاجساد لا تخلوا على أصولكم من أن يكون فى كل جسد منها نور وظلمة . او يكون بعض الاجساد نورا محضاً وبعضها ظلمة محضة . فان قالوا في كل جسد نور وظلمة ـ قيل لهم . فهل يجوز من الظلمة فعل الخير فلا بد من لا . لانه لو فعل الخير لانتقلت الى النور وكذلك لا يجوز ان يفعل النور شرا لانه كان يصير ظلمة . فيقال لهم فاى معني لدعائكم الى الخير ونهيكم عن النكاح والقتل . واخبرونا من تدعون الى كل ذلك . فان كنتم تدعون النور فهو طبعه وهو فاعل له بطبعه قبل أن تدعوه اليه لا يمكنه ان يحول عنه . فدعاؤكم له الى ما يفعله وامركم له بترك مالا يفعله عبث من النور داع الي المحال . وهذا خلاف أصلكم . وان كنتم تدعون الظلمة فذلك عبث من النور لها الى ذلك . اذ لا سبيل لها الى ترك طبعها . وكذلك يقال لهم سواء بسواء ان قالوا ان من الاجساد ماهو نور محض . ومنها ماهو ظلمة محضة . وهكذا يسئلون فى الارواح ان اقروا بها ثم يسئلون عمن رأيناه ينكح ويقتل و يظلم ويكذب

بوجه من وجوه القسمة وأكثر اصحاب العدد على ان الواحد لا يدخل في العدد فالعدد مصدره الاول اثنان وهو ينقسم الى زوج وفرد فالفرد الاول ثلاثة والزوج الاول أربعة وما وراء الاربعة فهو مكرر كالخمسة فانها مركبة من عدد وفرد ويسمي العدد الدائر والستة مركبة من فردين ويسمى العدد التام والسبعة مركبة من فرد وزوج ويسمى العدد الكامل والثمانية مركبة من زوجين وهى بداية اخرى وليس ذلك من غرضنا فصد الحساب فى مقابلة الواحد الذى هو علة العدد وليس يدخل فيه ولذلك هو فرد لا اخت له ولما كان العدد مصدره من اثنين صار منها المحقق محصورا فى قسمين ولما كان العدد منقسما الى فرد وزوج صار من ذلك الاصل محصورا فى اربعة فان الفرد الاول ثلاثة والزوج الاول اربعة وهي النهاية وماعداها مركب منها فكان البسائط العامة الكلية في العدد واحد واثنان وثلاثة وأربعة وهى الكمال ومازاد عليها فمركبات كلها ولا حصر لها فلذلك لا تنحصر الابواب الاخر فى عدد معلوم بل تتناهى بما ينتهى به الحساب ثم تركيب العدد على المعدود وتقدير البسيط على المركب فمن علم آخر وسنذكر ذلك عند ذكرنا مذاهب قدماء الفلاسفة

ثم يتوب عن كل ذلك . من القاتل الظالم اهو النور أم الظلمة . ومن التائب النور أم الظلمة . فاى ذلك قالوا فهو هدم مذهبهم وقد جوزوا الاستحالة. فان قالوا . معنى دعائنا الى ما ندعو اليه من ذلك انما هو حض للنور على المنع لظلمة من ذلك . قيل لهم أكان النور قادراً على منعها قبل دعائكم أم لا . فان قالوا كان قادراً قيل لهم فقد ظلم بتركه اياها تظلم وهو يقدر على منعها قبل دعائكم . وان قلتم لم يقدر حتى نبه — قيل لهم . فهذا نقص منه وجهل وصفات شر لا تليق بالنور على قولكم . وهذا مالا انفكاك لهم منه .

وايضاً فيقال لهم أن الداعى منكم الى دينه لا يقول لمن دعاه كف غيرك عن ظلمه . انما يقول له كف عن ظلمك وارجع عن ضلالك . ولقد احسنت فى رجوعك عن الباطل الي الحق . فان كنتم تامرون بان يخاطب بذلك الظلمة فالآمر بذلك كاذب آمر بالكذب ، وان كنتم تامرون بان يخاطب بذلك النور فالآمر بذلك ايضاً كاذب آمر بالكذب = فان قالوا ، فاى معني لدعائكم الي الخير وقد سبق علم الله تعالى فيمن يعلمه ومن لا يعلمه — قيل لهم ، جواب بعضنا في هذا هو ان كل من يدعي الي الخير فممكن وقوعه منه ، وممكن ايضاً فعل الشر منه ، ومتوهم كل ذلك منه ، فوجه دعائنا له معروف ، وليس علم الله تعالي اجباراً وانما هو انه تعالى علم مايختاره العبد. وجواب بعضنا فى ذلك هو ان فاعل كل مايبدو فى العالم فعل خلق وابداع فهو الله عز وجل لا يتعقب عليه ، فهو خالق دعائنا من ندعوه ، فاذ ذلك كذلك فلا يجوز سؤال الخالق لما شاء بلم فعلت، وهذا هو الجواب الذى نختاره — ويقال لهم ايضاً ، اخبرونا عن مانى و المسيح وزرادشت وأنتم تعظمونهم ،أفيهم ظلمة ام كانوا انواراً محضة . فمن قولهم ولا بد ان فيهم ظلمة لانهم يتغوطون و يجزعون ويالمون . فيقال لهم فلم عجز النور الذى فيكم عن مثل ذلك . فان قالوا لقلته قيل لهم فكان يجب ان ياتى من المعجزات ولو بيسير على قدره . وهذا مالا مخلص لهم منه اصلا.

ويقال لهم ايضاً ان من العجائب الزامكم ترك النكاح لتعجلوا قطع النسل. فهبكم قدرتم على ذلك فكيف تصنعون فى الوحش والطير وسائر الحيوان البرى والحشرات وحيوان المياه والبحار التى تقتل بعضها بعضاً أشد من قتل بعض الناس لبعض وأكثر . فكيف السبيل الى قطع تناسلها وفراغ امتزاجها . وهذا مالا سبيل لكم اليه اصلا. فان كان النور عاجزاً عن قطعها فلا سبيل له الى خلاص اجزائه ابد الابد . وإن كان على ذلك قادراً فلم لم يعجل خلاص أجزائه ولم يتركها تردد فى الظلمات . وأعجب شيء منهم من القتل وهذا عون منهم على بقاء المزاج وعلى منع الخلاص و استنقاذ

فاذا نجزت المقدمات على اوفى تقرير واحسن تحرير شرعنا فى ذكر مقالات اهل العالم من لدن آدم عليه السلام الي يومنا هذا جملة لا يشذ عن اقسامها مذهب ونكتب تحت كل باب وقسم ما يليق به ذكراً حتى يعرف لم وضع ذلك اللفظ لذلك الباب ونكتب تحت ذكر الفرقة المذكورة ما يعم اصنافها مذهباً واعتقادا وتحت كل صنف ما خصه وانفرد به عن اصحابه ونستوفى أقسام الفرق الاسلامية ثلاثاوسبعين فرقه ونقتصر فى اقسام الفرق الخارجة عن الملة الحنيفية على ما هو اشهر واعرف أصلا وقاعدة فنقدم ما هو اولى بالتقديم ونؤخر ماهو اجدر بالتاخير وشرط الصناعة الحسابية ان يكتب بازاء الممدود من الخطوط ما يكتب حشوا وشرط الصناعة الكتابية ان يترك الحواشي على الرسم المعهود عفوا فراعيت شرط الصناعتين ومددت الابواب على شرط الحساب وتركت الحواشي على رسم الكتابة وبالله استعين وعليه أتوكل وهو حسبنا ونعم الوكيل

(مذاهب) أهل العالم من أرباب الديانات والملل واهل الاهواء والنحل من الفرق الاسلامية وغيرهم ممن له كتاب منزل محقق مثل اليهود والنصارى وممن له

النور وقطع المزاج ، وهذا تناقض ظاهر منهم لا خفاء به وبالله تعالى نتأيد * وكل ما قدمنا من البراهين على حدوث العالم وايجاب النهاية في جرمه واشخاصه وازمانه فهو لازم الاصلين النور والظلمة على أصول المانية ، وعلى كل من يقول بان الفاعل أكثر من واحد وانه لم يزل مع المفاعل غيره لزوم ضرورة ، وبالله تعالى التوفيق ﴿ واما الاستدلال الثاني ﴾ الذى عولوا فيه على أقسام من يفعل افعالا مختلفة فهو استدلال فاسد ايضاً ، لانهم انما عولوا فيه على الاقسام الموجودة في العالم ، وقد قدمنا البراهين الضرورية على حدوث العالم ، وعلى ان محدثه لا يشبه فى شيء من الاشياء ، فلا سبيل الى ان يدخل تحت شيء من أقسام العالم ، لكنه تعالى يفعل الاشياء المختلفة والاشياء المتفقة مختارا لكل ذلك وحين شاء لا علة لشيء من ذلك ، اذ قدمنا أن ما حصرته الطبيعة فهو متناه ، والمتناهى محدث على ما قدمنا من أن يكون ذا قوى أو فاعلا بآلات أو فاعلا باستحالة أو فاعلا فى أشياء لان هذا كله يقتضي أن يكون محدثا ، تعالى الله عن ذلك وهو لم يزل ، فقد وجب ضرورة أن يكون البارى تعالى يفعل ما يشاء من مختلف ومتفق مختارا دون علة موجبة عليه شيئا من ذلك ولا بقوة هى غيره و بالله تعالى التوفيق * وكل ما ألزمنا من يقول أن العالم لم يزل من البراهين الضرورية فهو لازم المانية والديصانية والمزقونية والقائلين بازلية الطبائع والهيولى ، لان العالم عند هؤلاء ليس هو شيئا غير تلك الاصول التى لم تزل عندهم وانما حدثت فيهم عندهم الصورة فقط ، و يدخل أيضا عليهم القول بتناهى الاصلين لانهما عندهم جسمان والجسم متناه ضرورة لبرهانين نوردهما أن شاء الله تعالى ، وذلك اننا نقول لا يخلو كل جرم من الاجرام من أن يكون متحركا أو ساكنا ، فان كان متحركا فقد علمنا أن المسافة التي لا تتناهى لا تقطع أصلا لا فى زمان متناه ولا في زمان غير متناه ، ثم لا تخلو حركته من أن تكون أما باستدارة وأما الى جهة من الجهات ولا ثالث لهذين الوجهين * فان كان متحركا باستدارة وهو غير متناه فهذا محال ، لان الخطين الخارجين من الوسط الى المشرق والى العلو غير متناهيين اذن ! فكان يجب أن يكون الجزء الذى في سمت المشرق منه لا يبلغه الى العلو الذى هو سمت الرأس منه أبدا ، فقد بطلت الحركة على هذا ، فهذا اذن متحرك لا متحرك وهذا محال مع مشاهدة العيان ، لقطع كل جزء من الفلك الكلى جميع مسافته ورجوعه الي حيث ابتدأ منه فى كل اربع وعشرين ساعة * وان كان متحركا الى جهة من الجهات فهذا ايضا محال . لان الحركة نقلة من مكان الى مكان فاذا وجد هذا الجسم مكانا ينتقل اليه !

شبهة كتاب مثل المجوس والمانوية ومن له حدود وأحكام دون كتاب مثل الصابئة الاولى ومن ليس له كتاب ولا حدود واحكام شرعيه مثل الفلاسفة الاولى والدهرية وعبدة الكواكب و الاوثان والبراهمة نذكر أربابها و اصحابها ونقل ماخذها و مصادرها عن كتب طائفة طائفة على موجب اصطلاحها بعد الوقوف على مناهجها و الفحص الشديد عن مباديها وعواقبها * ثم ان التقسيم الصحيح الدائر بين النفى والاثبات هو قولنا ان اهل العالم انقسموا من حيث المذاهب الى اهل الديانات والى اهل الاهواء فان الانسان اذا اعتقد عقدا أو قال قولا فاما ان يكون فيه مستفيدا من غيره اومستبدا برأيه فالمستفيد من غيره مسلم مطيع والدين هو الطاعة والتسليم والمطيع هو المتدين والمستبد برأيه محدث مبتدع وفى الخبر عن النبي عليه السلام ماشقي امرؤ عن مشورة ولا سعد باستبداد برأى وربما يكون المستفيد من غيره مقلدا قد وجد مذهباً اتفاقياً بان كان أبواه او معلمه على اعتقاد باطل فيتقلده منه دون ان يتفكر فى حقه وباطله وصواب القول فيه وخطئه فحينئذ لا يكون مستفيدا لانه ماحصل على فائدة وعلم ولا اتبع الاستاذ على بصيرة ويقين الا

لم يكن فيه قبل ذلك فقد ثبتت النهاية له ضرورة لان وجوده غير كائن في المكان الذى انتقل اليه موجب لانقطاعه قبله وان كان لم يزل في المكان الذى انتقل اليه ، وهكذا فيما بعده من الامكنة فلم يزل غير منتقل وقد قالتم أنه لم يزل منتقلا ، فهو اذن متحرك لامتحرك وهذا محال * وان قالتم ساكن قلنا لكم اقطعوا من هذا الجرم قطعة بالوهم فاذا توهموا ذلك سالناهم متى كان هذا الجرم اعظم ، أقبل أن تقطع منه هذه القطعه أو بعد أن قطعت ، فايما قالوا أو أن قالوا أنه مساو لنفسه قبل أن تقطع منه هذه القطعة فقد أثبتوا النهاية ، اذ لاتقع الكثرة والقلة والتساوى الا في ذى نهاية * وأيضا فان المكان والجرم مما يقع تحت العدد كوقوع الزمان تحت العدد ، فكل ما ادخلناه فيما خلا من تناهي الزمان من طريق العدد فهو لازم فى تناهى المكان والجرم من طريق العدد بالمساحة . وبالله تعالى التوفيق

﴿ قال ابو محمد رضي الله عنه ﴾ وكل ما الزمناه من يقول بان الاجسام لم تزل فهو لازم بعينه لمن يقول ان السبعة كواكب والاثنى عشر برجا لم تزل لانها اجسام جارية تحت أقسام الفلك وحركته فانظر هنالك ما الزمناه من حدوث الاجسام وازمانها فهو لازم لهؤلاء وتركنا ما الزمناه فى حدوث الاجسام في فروع اقوالهم كقولهم فى المزاج والخلاص وصفات النور والظلمة اذ انما قصدنا اجتثاث أصول المذاهب الفاسدة فى أن الفاعل أكثر من واحد ، واعتمدنا البيان في اثبات الواحد فقط ، فاذ قد ثبت ذلك ببراهين ضرورية بطل كل ما عرفوه من هذا الاصل الفاسد، انما قصدنا ما تدفع اليه الضرورة من الاستيعاب لما لابد منه بايجاز بحول الله تعالى وقوته، وأما من جعل الفاعل أكثر من واحد الا انهم جعلوهم غير العالم كالمجوس والصابئين والمزقونية ومن قال بالتثليث من النارى فانه يدخل عليهم من الدلائل الضرورية بحول الله وقوته ما نحن موردوه ان شاء الله تعالى — فنقول — وبالله تعالى التوفيق — ان ما كان أكثر من واحد فهو واقع تحت جنس العدد ، وما كان واقعا تحت جنس العدد فهو نوع انواع العدد، وما كان نوعا فهو مركب من جنسه العام له ولغيره ومن فصل خصه ليس في غيره ، فله موضع وهو الجنس القابل لصورته وصورة غيره من انواع ذلك الجنس وله محمول وهو الصورة التي خصته دون غيره ، فهو ذو موضوع وذو محمول ، فهو مركب من جنسه وفصله ، والمركب مع المركب من باب المضاف الذى لابد لكل واحد منهما من الاخر فاما المركب فانما يقتضي وجود المركب من وقت تركبه وحينئذ يسمى مركبا

من شهد بالحق وهم يعلمون شرط عظيم فليعتبروا ربما يكون المستبد برأيه مستنبطا مما استفاده على شرط ان يعلم موضع الاستنباط وكيفيته فحينئذ لايكون مستبدا حقيقة لانه حصل العلم بقوة تلك الفائدة لمعلمه الذين يستنبطونه منهم ركن عظيم فلا تغفل فالمستبدون بالرأى مطلقا هم المنكرون للنبوات مثل الفلاسفة والصابئة والبراهمة وهم لايقولون بشرائع وأحكام امرية بل يضعون حدودا عقلية حتى يمكنهم التعايش عليها والمستفيدون هم القائلون بالنبوات ومن قال بالاحكام الشرعية فقد قال بالحدود العقلية ولاينعكس أرباب الديانات والملل من المسلمين وأهل الكتاب وممن له شبهة كتاب (نتكلم هاهنا) فى معني الدين والملة والشرعة والمنهاج والاسلام والحنيفية والسنة والجماعة فانها عبارات وردت فى التنزيل ولكل واحدة منها معني يخصها وحقيقه توافقها لغة واصطلاحا وقد بينا معنى الدين أنه الطاعة والانقياد وقد قال تعالى ان الدين عند الله الاسلام وقد يرد معنى الجزاء يقال كما تدين تدان وقد يرد بمعنى الحساب يوم المعاد والتناد قال تعالى ذلك الدين القيم فالمتدين هو المسلم المطيع المقر بالجزاء والحساب يوم التناد والمعاد قال تعالى ورضيت لكم

لاقبل ذلك ، وأما الواحد فليس عددا لما سنبينه ان شاء الله تعالى . فقد انقضى الكلام فى هذا الباب و بالله تعالى التوفيق * ومن البرهان على ان فاعل العالم ليس واحداً أن العالم لو كان مخلوقا لاثنين فصاعدا لم يخل من أن يكونا لم يزالا مشتبهين أو مختلفين ، فايما قالوا فقد اثبتوا معنى فيهما أو في أحدهما به اشتبها أو به اختلفا ، فان نفوا ذلك فقد نفوا الاختلاف والاشتباه معا ، ولا يجوز ارتفاعهما معا أصلا ، لان ذلك محال وموجب للعدم ، لان وجود شيئين لا يشتبهان فى شيء ولا يختلفان بوجه من الوجوه محال ، اذفي ذلك عدمهما ، لان هذه الصفة معدومة فحاملها معدوم وهم قد أثبتوا وجودها فيلزم القول بوجود معدوم في وقت واحد من وجه واحد وهذا محال ، وهم اذا اثبتوهما موجودين لم يزالا فقد اثبتو لهما معانى قد اشتبها فيها ، وهي كونهما مشتبهين فى الوجود مشتبهين فى الفعل مشتبهين في أنهما لم يزالا ، ولا يجوز أن تكون هذه الاشياء ليست غيرهما لانها صفات عمتهما اعني اشتباههما فى المعانى المذكورة فان كان اشتباههما هو هما فهما شيء واحد ، وكذلك أيضا يلزم فى كونهما مختلفين في ان كل واحد منهما غير صاحبه ، فان كان هذا الاختلاف فيهما هو غيرهما فههنا ثالث وهكذا أيضا أبداً * وسنذكر مايدخل فى هذا ان شاء الله تعالى * وان كان التغاير هو هما والاشتباه هو هما فالتغاير هو الاشتباه وهذا هو عين المحال لانه لا بد من معنى موجود فى المتغاير ليس اشتباها لانه لا يجوز ان يكون الشيئان مشتبهين بالتغاير فاذ قد ثبت ماذكرنا ولم يكن بد من اشتباه أو اختلاف هو معنى غيرهما فقد ثبت ثالث ، واذا ثبت ثالث لزم فيهم ثلاثتهم مثل مالزم فى الاثنين من السؤال ، وهكذا ابدا . وهذا يوجب ضرورة ان كل واحد منهما أو احدهما مركب من ذاته ومن المعنى الذى بان به عن الاخر أو به أشبه الآخر ، فان أثبتوا ذلك لهما جميعا وكلاهما مركب والمركب محدث فهما مخلوقان لغيرهما ولا بد وان اثبتوا ذلك لاحدهما فقط كان مركبا وكان الاخر هو الفاعل له فقد عاد الامر الى واحد غير مركب ولا بد ضرورة * و يوجب أيضا ان تمادوا على ما الزمناهم من وجود معنى به بان كل من الاخر وجود قدماء لم يزالوا ، ووجود فاعلين آلهة أكثر من الماهولين وهذا محال ، لانه لا سبيل الى وجود أعداد قائمة ظاهرة فى وقت واحد لانهاية لها ، لانه أن كان لها عدد فقد حصرها ذلك العدد على ماقدمنا ، وكل ماحصر فهو متناه ، وقد أوجبنا عليهم القول بانها غير متناهية فلزمهم القول باعداد متناهية لامتناهية وهذا من أعظم المحال ، فان لم يكن لها عدد فليست موجودة لان كل موجود فله عدد وكل ذى عدد متناه كما قدمنا — فان قال قائل ، فباى شيء انفصل الخالق عن الخلق

الاسلام دينا ولما كان نوع الانسان محتاجا الى اجتماع آخر من بنى جنسه في اقامة معاشه والاستعداد لمعاده وذلك الاجتماع يجب أن يكون على شكل يحصل به التمانع والتعاون حتي يحفظ بالتمانع ماهو ليس له فصورة الاجتماع على هذه الهيئة هى الملة والطريق الخالص الذى يوصل الى هذه الهيئة هو * المنهاج والشرعة والسنة والاتفاق على تلك السنة هي * الجماعة قال الله تعالى لكل جعلنا منكم شرعة ومنهاجا ولن يتصور وضع الملة وشرع الشرعة الا بواضع شارع يكون مخصوصا من عند الله بآيات تدل على صدقه وربما تكون الاية متضمنة فى نفس الدعوى وربما تكون ملازمة وربما تكون متاخرة (ثم أعلم) ان الملة الكبرى هي ملة ابراهيم عليه السلام وهى الحنيفية التي تقابل الصبوه تقابل التضاد وسنذكر كيفية ذلك أن شاء الله تعالى قال الله تعالى ملة ابيكم ابراهيم وابتدأت من نوح عليه السلام قال الله تعالي شرع لكم من الدين ماوصي به نوحا والحدود والاحكام ابتدأت من آدم وشيث وادريس عليهم السلام وختمت الشرائع والملل والمناهج والسنن باكملها واتمها حسنا وجمالا بمحمد عليه السلام قال الله تعالى اليوم أكملت لكم دينكم واتممت عليكم نعمتى ورضيت لكم الاسلام دينا وقد قيل خص آدم بالاسماء وخص

وبأي شيء انفصل الخلق بعضه من بعض واراد أن يلزمنا في ذلك مثل الذي الزمناه في الدلالة المتقدمة ، قيل له — وبالله التوفيق — الخلق كله حامل ومحمول . فكل حامل فهو منفصل من خالقه ومن غيره من الحاملين بمحموله من فصوله وأنواعه وجنسه وخواصه واعراضه في مكانه وسائر كيفياته ، وكل محمول فهو منفصل من خالقه ومن غيره من المحمولات بحامله وبما هو عليه مما باين فيه سائر المحمولات من نوعه وجنسه وفصله والباري تعالى غير موصوف بشيء من ذلك كله . وبالله تعالى التوفيق . وقد ذكرنا في باب الكلام في بقاء الجنة والنار وبقاء الاجسام فيها بلا نهاية وفيما خلا من كتابنا الانفصال ممن أراد ان يلزمناهنالك ما الزمناه نحن هنالك من الاعداد التي لا تتناهى . الا اننا نذكر هنا من ذلك ان شاء الله تعالى طرفاً كافيا . وبالله تعالى التوفيق وبه نستعين . فنقول . ان الفرق بين المسئلتين المذكورتين اننا لم نوجب نحن في الجنة والنار وجود أعداد لا تتناهى . بل قولنا أن اعدادهم متناهية لا تزيد ولا تنقص . وان مساحة النار والجنة محدودة متناهية لا تزيد ولا تنقص . وان كل ما ظهر من حركاتهم ومددهم فيها فمحصورة متناهية . وانما نفينا عنها النهاية بالقوة بمعنى أن الباري تعالى محدث لهم في كلتا الدارين بقاء ومددا . ونعيما وعذابا ابدا لا الى غاية . وليس ماظهر من ذلك بعضاً لما لم يظهر فيلزمنا أن يكون اسم كل مايقع علا الموجود لا يكون بعضاً المعدوم . وانما هو بعض لموجود مثله . هذا يعلم بالحس لان الاسماء انما تقع على معانيها . ومعنى الوجود انما هو ما كان قائماً في وقت من الاوقات ماض من الاوقات او حال منها . فالم يكن هكذا فليس موجودا . وابعاض الموجودات كلها موجودة . فكلها موجود وكلها كان موجودا فليس الموجود بعضا للمعدوم . والعدم هو ابطال الوجود ونفيه . ولا سبيل الى أن تكون ابعاض الشيء التي يلزمها اسمه الذي لا اسم لها سواه يبطل بعضها بعضاً . وقد يمكن ان شغب مشغب في هذا المكان فيقول قد وجدنا ابعاضاً لا يقع عليها اسم كلها كاليد والرجل والرأس وسائر الاعضاء ليس شيء منها يسمى انسانا فاذا اجتمعت وقع عليها اسم انسان

(قال أبو محمد رضي الله عنه) وهذا شغب لاننا انما تكلمنا على الابعاض المتساوية التي كل بعض منها يقع عليه اسم الكل كالماء الذي كل بعض منه ماء وكله ماء ، وليس الجزء من هذا الباب ، وكل بعض من أبعاض الموجود فانه يقع عليه اسم موجود ، وقد يمكن أن يشغب ايضاً مشغب في قولنا

نوح بمعاني تلك الاسماء وخص ابراهيم بالجمع بينهماثم خص موسى بالتنزيل وخص عيسى بالتاويل وخص المصطفى بالجمع بينهما على ملة ابيكم ابراهيم ثم كيفية التقرير الاول والتكميل بالتقرير الثاني بحيث يكون مصدقا كل واحدما بين يديه من الشرائع الماضية والسنن السالفة تقديرا للامن على الخلق وتوفيقا للدين على الفطرة فمن خاصية النبوة ان لا يشاركهم فيها غيرهم وقد قيل أن الله عز وجل أسس دينه على مثال خلقه ليستدل بخلقه على دينه وبدينه على وحدانية

(المسلمون) قد ذكرنا معنى الاسلام ونفرق ههنا بينه وبين الايمان والاحسان ونبين ما المبدأ وما الوسط وما الكمال والخبر المعروف في دعوة جبريل عليه السلام حيث جاء على صورة أعرابي وجلس حتى الصق ركبته بركبة النبي صلى الله عليه وسلم وقال يارسول الله * ما الاسلام فقال أن تشهدان لا اله الا الله وانى رسول الله وأن تقيم الصلاة وتؤتى الزكاة وتصوم شهر رمضان وتحج البيت ان استطعت اليه سبيلا قال صدقت ثم قال ما الايمان قال عليه السلام ان تؤمن بالله وملائكته وكتبه ورسله واليوم الاخر وان تؤمن بالقدر خيره وشره قال صدقت * ثم قال ما الاحسان قال عليه السلام أن

ان الابعاض لاتتنافى فيقول انا بخضرة لاتنافى البياض ، وكلاهما بعض
للون الكلى ، فهذا ايضاً ليس مما اردناه فى شيء ، لان قولنا موجود ليس
جنساً فيقع على انواع المتضادات . وانما هو اخبار عن وجودنا أشياء قد
تساوى كلها في وجودنا اياها حقاً . فهو يعم بعضها كما يعم كلها . وأيضاً
فان الخضرة لاتضاد البياض فى أن هذا لون . بل يجتمعان في هذا المعنى
اجتماعاً واحداً لايختلفان فيه . وانما اختلفا بمعنى آخر . وكذلك لايخالف
موجود موجوداً فى انه موجود . والموجود يخالف المعدوم في هذا المعنى
نفسه وليس بعضا المعدوم . والمعدوم ليس شيئا ولا له معنى حتى يوجد ،
فاذا وجد كان حينئذ شيئاً موجوداً ، وقد تخلصنا أيضا في باب التجزى .
وكلامنا فيه هذا الديوان من مثل الالزام هنالك

﴿ الكلام على النصارى ﴾

(قال ابو محمد رضى الله عنه) النصارى وان كانوا أهل كتاب ويقرون
بنبوة بعض الانبياء عليهم السلام فان جماهيرهم وفرقهم لايقرون بالتوحيد
مجرداً . بل يقولون بالتثليث . فهذ مكان الكلام عليهم . والمجوس ايضا
وان كانوا اهل كتاب لايقرون ببعض الانبياء . ولكنا ادخلناهم في هذا
المكان لقولهم بفاعلين لم يزالا . فالنصارى أحق بالادخال هاهنا لانهم
يقولون بثلاثة لم يزالوا * والنصارى فرق منهم اصحاب اريوس وكان قسيسا
بالاسكندرية . ومن قوله التوحيد المجرد . وان عيسي عليه السلام عبد
مخلوق . وانه كلمة الله تعالى التى بها خلق السموات والارض . وكان في
زمن قسطنطين الاول بانى القسطنطينية واول من تنصر من ملوك الروم .
وكان على مذهب اريوس هذا * ومنهم أصحاب بولس الشمشاطى وكان
بطريركيا بانطاكية قبل ظهور النصرانية . وكان قوله التوحيد المجرد
الصحيح . وان عيسى عبد الله ورسوله كاحد الانبياء عليهم السلام . خلقه
الله تعالى فى بطن مريم من غير ذكر . وانه انسان لا الهية فيه . وكان
يقول لاادرى ما الكلمة ولا روح القدس * وكان منهم أصحاب مقدونيوس .
وكان بطريركا فى القسطنطينية بعد ظهور النصرانية ايام قسطنطين بن
قسطنطين بانى القسطنطينيه . وكان هذا الملك اريوسيا كاتبه . وكان من
قول مقدونيوس هذا التوحيد المجرد . وان عيسى عبد مخلوق انسان نبي
رسول الله كسائر الانبياء عليهم السلام . وان عيسي هو روح القدس وكلمة
الله عز وجل . وان روح القدس والكلمة مخلوقان خلق الله كل ذلك *
ومنهم البربرانية وهم يقولون ان عيسى وامه الهان من دون الله عز وجل .

تعبد الله كانك تراه فان لم تكن
تراه فانه يراك قال صدقت * ثم
قال متي الساعة قال عليه السلام
ما المسؤل عنها باعلم من السائل
ثم قام وخرج فقال النبى عليه
السلام هذا جبريل جاءكم يعلمكم
دينكم ففرق فى التفسير بين الاسلام
والايمان . اذ الاسلام قد يرد
بمعنى الاستسلام ظاهراً ويشترك
فيه المؤمن والمنافق قال الله تعالى
قالت الاعراب آمنا قل لم تؤمنوا
ولكن قولوا اسلمنا ففرق التنزيل
بينهما فكان الاسلام بمعنى التسليم
والانقياد ظاهرا موضع الاشتراك
فهو المبدأ . ثم اذا كان الاخلاص
معه بان يصدق بالله وملائكته
وكتبه ورسله واليوم الآخر ويقر
عقدا بان القدر خيره وشره من
الله تعالى بمعني ان ما أصابه لم
يكن ليخطئه وما اخطاه لم يكن
ليصيبه كان مؤمناً حقاً . ثم اذا
جمع بين الاسلام والتصديق وقرن
المجاهدة بالمشاهدة وصار غيبه
شهادة فهو الكمال فكان الاسلام
مبدأ والايمان وسطا والاحسان
كمالا وعلى هذا شمل لفظ المسلمين
الناجي والهالك . وقد يرد الاسلام
وقرينه الاحسان قال الله تعالي
بلى من اسلم وجهه لله وهو محسن
وعليه يحمل قوله تعالى ورضيت
لكم الاسلام دينا وقوله ان الدين

وهذه الفرقة قد بادت وعمدتهم اليوم ثلاث فرق فاعظمها (فرقة الملكانية) وهي مذهب جميع ملوك النصارى حيث كانوا حاشى الحبشة والنوبة. ومذهب عامة اهل كل مملكة للنصارى حيث كانوا حاشى الحبشة والنوبة ومذهب جميع نصارى افريقية وصقلية والاندلس وجمهور الشام . وقولهم ان الله تعالى عبارة عن قولهم ثلاثة أسباب اب وابن وروح القدس كلها لم تزل وان عيسى عليه السلام اله تام كله وانسان تام كله ليس احدهما غير الاخر ، وان الانسان منه هو الذى صلب وقتل ، وان الاله منه لم ينله شيء من ذلك ، وان مريم ولدت الاله والانسان ، وانهما معا شيء واحد ابن الله تعالى عن كفرهم (وقالت النسطورية) مثل ذلك سواء بسواء الا انهم قالوا ان مريم لم تلد الاله ، وانما ولدت الانسان ، وان الله تعالى لم يلد الا نسان وانما ولد الاله تعالى الله عن كفرهم ، وهذه الفرقة غالبة على الموصل والعراق وفارس وخراسان ، وهم منسوبون الى نسطور بطريركا بالقسطنطينية : (وقالت اليعقوبية) ان المسيح هو الله تعالي نفسه ، وان الله تعالى عن عظيم كفرهم مات وصلب وقتل ، وان العالم بقى ثلاثة أيام بلا مدبر والفلك بلا مدبر ، ثم قام ورجع كما كان، وان الله تعالى عاد محدثا وان المحدث عاد قديما وانه تعالى هو كان فى بطن مريم محمولا به ، وهم فى اعمال مصر وجميع النوبة وجميع الحبشة وملوك الامتين المذكورتين

(قال ابو محمد رضى الله عنه ولولا أن الله تعالى وصف قولهم فى كتابه اذ يقول تعالى لقد كفر الذين قالوا ان الله هو المسيح ابن مريم ، واذ يقول تعالي حاكيا عنهم . ان الله تعالى ثالث ثلاثة . واذ يقول تعالى : أأنت قلت للناس اتخذونى وأمى الهين من دون الله ، لما انطلق لسان مؤمن بحكاية هذا القول العظيم الشنيع السمج السخيف ، وتالله لولا اننا شاهدنا النصارى ماصدقنا أن في العالم عقلا يسع هذا الجنون ، ونعوذ بالله من الخذلان .

(فاما اليعقوبية) فانهم ينسبون الى يعقوب البرذعاني ، وكان راهبا بالقسطنطينيه ، وهم فرقة نافرت العقل والحس منافرة وحشة تامة ، لان الاستحالة نقلة ، والنقلة والاستحالة لا يوصف بهما الاول الذى لم يزل تعالى عن ذلك علوا كبيرا ، ولو كان كذلك لكان مخلوقا ، والمحدث يقتضي محدثا خالقا له ، و يكفى من بطلان هذا القول دخوله في باب المحال والممتنع الذى قد أوجب العقل والحس بطلانه ، وليس في باب المحال أعظم من أن يكون الذى لم يزل يعود محدثا لم يكن ثم كان ، وان يشير غير المؤلف مؤلفا

عند الله الاسلام وقوله اذ قال له ربه أسلم قال اسلمت لرب العالمين وقوله فلا تموتن الا وانتم مسلمون وعلى هذا خص الاسلام بالفرقة الناجية (أهل الاصول) المختلفون فى التوحيد والعدل والوعد والوعيد والسمع والعقل نتكلم ههنا في معني الاصول والفروع وسائر الكلمات قال بعض المتكلمين الاصول معرفه البارى تعالى بوحدانيته وصفاته ومعرفة الرسل بآياتهم وبيناتهم وبالجملة كل مسئلة يتعين الحق فيها بين المتخاصمين فهي من الاصول ومن المعلوم أن الدين اذا كان منقسما الى معرفه وطاعة والمعرفة أصل والطاعة فرع فمن تكلم فى المعرفة والتوحيد كان أصوليا ومن تكلم فى الطاعة والشريعة كان فروعيا والاصول هى موضوع علم الكلام والفروع هى موضوع علم الفقه وقال بعض العقلاء كل ماهو معقول و يتوصل اليه بالنظر والاستدلال فهو من الاصول وكل ما هو مظنون و يتوصل اليه بالقياس والاجتهاد فهو من الفروع * وأما التوحيد فقد قال أهل السنة وجميع الصفاتية أن الله تعالى واحد فى ذاته لاقسيم له وواحد فى صفاته الازلية لانظير له وواحد فى افعاله لاشريك له * وقال أهل العدل ان الله تعالى واحد فى ذاته لاقسيم

ويلزم هؤلاء القوم أن يعرفونا من دبر السموات والارض وأدار الفلك هذه الثلاثة الايام التي كان فيها ميتا ، تعالى الله عن ذلك علوا كبيرا .
ثم يقال للقائلين بان البارى تعالى ثلاثة أشياء اب وابن وروح القدس . اخبرونا اذ هذه الاشياء لم تزل كلها ، وانها مع ذات شيء واحد ان كان ذلك كما ذكرتم . فباى معنى استحق ان يكون احدها يسمى ابا والثانى ابنا .
وأنتم تقولون أن الثلاثة واحد ، وان كل واحد منها هو الآخر ، فالاب هو الابن ، والابن هو الاب ، وهذا هو عين التخليط ، وانجيلهم يبطل هذا بقولهم فيه : ساقعد عن يمين أبى ، وبقولهم فيه : ان القيامة لا يعلمها الا الاب وحده وان الابن لا يعلمها ، فهذا يوجب ان الابن ليس هو الاب ، وان كانت الثلاثة متغايرة — وهم لا يقولون بهذا — فيلزمهم أن يكون في الابن معنى من الضعف أو من الحدوث أو من النقص به وجب ان ينحط عن درجة الاب . والنقص ليس من صفة الذى لم يزل ، مع ما يدخل على من قال بهذا من وجوب ان تكون محدثة لحصر العدد وجرى طبيعة النقص والزيادة فيها ، على حسب ما قدمناه فى حدوث العالم

(قال أبو محمد رضى الله عنه) وقد لفق بعضهم أشياء قالوا انها لا معنى لها ، الا اننا ننبه عليها ليتبين هجنة قولهم وضعفه بحول الله تعالى وقوته ، وذلك أن بعضهم قال لما وجب أن يكون البارى تعالى حياً وعالماً وجب أن تكون له حياة وعلم ، فحياته هى التي تسمى روح القدس ، وعلمه هو الذى يسمى الابن

(قال أبو محمد رضي الله عنه) وهذا من أغث ما يكون من الاحتجاج . لاننا قد قدمنا أن الباري تعالى لا يوصف بشيء من هذا من طريق الاستدلال ، لكن من طريق السمع خاصة ، ولا يصح لهم دليل لا من انجيلهم ولا من غيره من الكتب ان العلم يسمى ابنا ، ولا فى كتبهم ان علم الله هو ابنه : وقد ادعى بعضهم ان هذا تقتضيه اللغة اللاتينية من ان علم العالم يقال فيه انه ابنه

(قال أبو محمد رضى الله عنه) وهذا باطل ظاهر الكذب . لان الانجيل الذى كان فيه ذكر الاب والابن وروح القدس . لا يختلف أحد من الناس فى أنه انما نقل عن اللغة العبرانية الى السريانية وغيرها . فعبر عن تلك الالفاظ العبرانية وبها كان فيه ذكر الاب والابن وروح القدس . وليس فى اللغة العبرانية شيء مما ذكروا ادعى . وان كانوا ممن يقولون بتسمية البارى

ولا صفة له وواحد فى افعاله لا شريك له فلا قديم غير ذاته ولا قسيم له فى افعاله ومحال وجود قديمين ومقدور بين قادرين وذلك هو التوحيد والعدل وعلى مذهب أهل السنة ان الله تعالى عدل فى افعاله يعني أنه متصرف فى ملكه وملكه يفعل ما يشاء ويحكم ما يريد فالعدل وضع الشيء موضعه وهو التصرف فى الملك على مقتضى المشيئة والعلم والظلم بضده فلا يتصور منه جور فى الحكم وظلم فى التصرف. وعلى مذهب أهل الاعتزال العدل ما يقتضيه العقل من الحكمة وهو اصدار الفعل على وجه الصواب والمصلحة . واما الوعد والوعيد فقال أهل السنة الوعد والوعيد كلامه الازلى وعد على ما امر وأوعد على ما نهي فكل من نجا واستوجب الثواب فبوعده وكل من هلك واستوجب العقاب فبوعيده فلا يجب عليه شيء من قضية العقل . وقال أهل العدل لا كلام فى الازل وانما أمر ونهي ووعد وأوعد بكلام محدث فمن نجا فبفعله استحق الثواب ومن خسر فبفعله استوجب العقاب والعقل من حيث الحكمة يقتضى ذلك . وأما السمع والعقل فقال أهل السنة الواجبات كلها بالسمع والمعارف كلها بالعقل فالعقل

لا يحسن ولا يقبح ولا يقتضي
ولا يوجب والسمع لا يعرف أي
لا يوجد المعرفة بل يوجب * وقال
أهل العدل المعارف كلها معقولة
بالعقل واجبة بنظر العقل وشكر
المنعم واجب قبل ورود السمع
والحسن و القبح صفتان ذاتيتان
للحسن والقبيح فهذه القواعد هي
المسائل التي تكلم فيها أهل
الاصول وسنذكر مذهب كل
طائفة مفصلا ان شاء الله تعالي
ولكل علم موضوع ومسائل قد
ذكرناها باقصى الامكان * المعتزلة
وغيرهم من الجبرية و الصفاتية
والمختلطة منهم الفريقان من المعتزلة
والصفاتية متقابلان تقابل التضاد
وكذلك القدرية والجبرية والمرجئة
والوعيدية و الشيعة و الخوارج
وهذا التضاد بين كل فريق وفريق
كان حاصلا في كل زمان ولكل
فرقة مقالة على حيالها وكتب
صنفوها ودولة عاونتهم وصولة
طاوعتهم (المعتزلة) ويسمون
أصحاب العدل والتوحيد ويلقبون
بالقدرية وهم قد جعلوا لفظ
القدرية مشتركا وقالوا لفظ
القدرية يطلق على من يقول
بالقدر خيره وشره من الله تعالى
احترازا عن وصمة اللقب اذ كان
الذم به متفقا عليه لقول النبي عليه
السلام القدرية مجوس هذه الامة

عز وجل من طريق الاستدلال، فقد أسقطوا صفة القدرة اذ ليس الاستدلال على كونه عالماً باصح لا أولى من الاستدلال على كونه قادراً ، لاسيما مع قول بولس وهو عندهم فوق الانبياء ، ان المسيح قدرة الله وعلمه تعالى ؛ قال هذا النص في رسالته الاولي الى اهل قرنيته ، فليضيفوا الى هذه الثلاث صفة رابعة وهي القدرة ، واخرى وهي السمع وأخرى وهي البصر وأخرى وهي الكلام وأخرى وهي العقل واخرى وهي الحكمة واخرى وهي الجود . فان قالوا القدرة هي الحياة قيل لهم والعلم هو الحياة . فان قالوا ليس العلم الحياة لانه قد يكون حي ليس عالماً كالمجنون قيل لهم قد يكون حي ليس قادراً كالمغشي عليه ونحو ذلك ، فالقدرة ليست الحياة. وايضاً فان كان الابن هو العلم وروح القدس هو الحياة فما بال اقحامهم المسيح عليه السلام في أنه الابن وروح القدس ، اترى المسيح هو حياة الله وعلمه ؛ وما بال قول بعضهم أن مريم ولدت ابن الله . اتراها ولدت علم الله . أيكون في التخليط اكثر من هذا . وهل حظ المسيح عليه السلام من علم الله وحياته الا كحظ غيره ولا فرق . وهذا لا مخلص منه وبالله التوفيق : وقال بعضهم ، لما وجدنا الاشياء قسمين حيا ولا حياً وجب ان يكون الباري عز وجل حيا ، ولما وجدنا الحي ينقسم قسمين ناطقاً وغير ناطق وجب ان يكون الباري تعالى ناطقاً :

(قال أبو محمد رضي الله عنه) وهذا الكلام في غاية الكلال لوجهين . (احدهما) ان هذه القسمة قسمة طبيعية واقعة تحت جنس، لانه اذا كان تسمية الباري تعالى حياً انما هو من هذا الوجه . فهو اذاً يقع مع سائر الاحياء تحت جنس الحي . ويحد بحد الحي وبحد الناطق . واذا كان كذلك فهو مركب من جنسه وفصله وكل ما كان محدوداً فهو متناه وكل ما كان مركباً فهو محدث . (والوجه الثاني) ان هذه القسمة التي قسموها منقوضة مموهة . لانه يلزمهم ان يبدؤا باول القسمة الذي هو أقرب الى الطبيعة. فيقولوا وجدنا الاشياء جوهرا ولا جوهرا . ثم ادخلوه تحت أي القسمين شاؤا وهم انما يدخلونه تحت الجوهر . فاذا ادخلوه تحت الجوهر فقد وجب ضرورة ان يحدوه بحد الجوهر . فاذا كان ذلك وجب أن يكون محدثاً . اذ كل محدود فهو محدث كما قد بيناه . ثم نعترضهم في قسمتهم من قبل ان يبلغوا الى الحي الناطق . وعلى بعض القسم قبله يقع الثاني . وهذه كلها مخلوقات : فلو كان الباري تعالى بعضها : أو كانت هذه الصفات واقعة عليه من طريق وجوب وقوعها علينا لكان مخلوقا تعالي الله عن ذلك علواً كبيراً : وقال بعضهم . لما كانت الثلاثة تجمع الزوج والفرد . وهذا اكمل الاعداد . وجب أن يكون الباري تعالى كذلك لانه غاية الكمال

(قال أبو محمد رضي الله عنه) وهذا من أغث الكلام لوجوه ضرورية (أحدها) أن البارى تعالى لا يوصف بكمال ولا تمام ، لان الكمال والتمام من باب الاضافة لان التمام والكمال لا يقعان البتة الا فيما فيه النقص ، لان معناهما انما هو اضافة شيء الى شيء به كملت صفاته ولولاه لكان ناقصا ، لا معنى للتمام والكمال الا هذا فقط : (والوجه الثاني) ان كل عدد بعد الثلاثة فهو أتم من الثلاثة . لانه يجمع أما زوجا وزوجا ، وأما زوجا وزوجا وفردا ، وأما أكثر من ذلك وبالضرورة يعلم أن ما جمع أكثر من زوج فهو أتم وأكمل مما لم يجمع الا زوجا وفردا فقط ، فيلزمه أن يقول ان ربه أعداد لا تتناهى ، أو انه أكثر الاعداد وهذا أيضا ممتنع محال لو قاله ، وكفى فسادا بقول يؤدى الى المحال : (والوجه الثالث) أن هذا الاستدلال مضاد لقولهم ان الثلاثة واحد والواحد ثلاثة ، لان الثلاثة التى تجمع الزوج والفرد هي غير الثلاثة التى هى عندكم واحد بلا شك . لان الثلاثة التى تجمع الزوج والفرد ليست الفرد الذى هو فيها وهى جامعة له ولغيره ، بل ولا هى بعض ، فالكل ليس هو الجزء والجزء ليس هو الكل ، والفرد جزء للثلاثة والثلاثة كل للفرد وللزوج معه ، فالفرد غير الثلاثة والثلاثة غير الفرد ، والعدد مركب من واحد يراد به الفرد وواحد كذلك وواحد كذلك الى نهاية العدد المنطوق به ، فالعدد ليس الواحد والواحد ليس هو العدد ، لكن العدد مركب من الاحاد التى هى الافراد وهكذا كل مركب من أجزاء فذلك المركب ليس هو جزأ من اجزائه ، كالكلام الذى هو مركب من حرف وحرف حتى يقوم المعني المعبر عنه فالكلام ليس هو الحرف والحرف ليس هو الكلام : (والوجه الرابع) ان هذا المعني السخيف الذى قصده هذا الجاهل نجده في الاثنين ، لان الاثنين عدد يجمع فردا وفردا وهو زوج مع ذلك ، فقد وجدنا فى الاثنين الزوج والفرد فيلزمه ان يجعل ربه اثنين : (والوجه الخامس) ان كل عدد فهو محدث ، وكذلك كل معدود يقع عليه عدد فهو أيضا محدث على ما قد بينا فيما خلا من كتابنا هذا ، والمعدود لم يوجد قط الا ذا عدد ، والعدد لم يوجد قط الا فى معدود ، والواحد ليس عددا على ما نبينه بعد هذا أن شاء الله تعالى ، وبه يتم الكلام فى التوحيد بحول الله وقوته

(قال ابو محمد رضى الله عنه) وهم يقولون أن الاله اتحد مع الانسان بمعنى أنهما صارا شيئا واحدا : فقالت اليعقوبية . كاتحاد الماء يلقي في الخمر فيصيران شيئا واحدا : وقالت النسطورية . كاتحاد الماء يلقي فى الزيت فكل واحد منهما باق بحسبه : وقالت الملكية . كاتحاد النار فى

وكانت الصفاتية تعارضهم بالاتفاق على ان الجبرية والقدرية متقابلتان تقابل التضاد فكيف يطلق لفظ الضد على الضد وقد قال النبي عليه السلام القدرية خصماء الله فى القدر والخصومة فى القدر وانقسام الخير والشر على فعل الله وفعل العبد لن يتصور على مذهب من يقول بالتسليم والتوكل واحالة الاحوال كلها على القدر المحتوم والحكم المحكوم * فالذى يعم طائفة المعتزلة من الاعتقاد القول بان الله تعالى قديم والقدم أخص وصف ذاته ونفوا الصفات القديمة أصلا فقالوا هو عالم بذاته قادر بذاته حي بذاته لا بعلم وقدرة وحياة هى صفات قديمة ومعان قائمة به لانه لو شاركته الصفات فى القدم الذى هو أخص الوصف لشاركته فى الالهية واتفقوا على أن كلامه محدث مخلوق فى محل وهو حرف وصوت كتب أمثاله فى المصاحف حكايات عنه فانما وجد فى المحل عرض فقد فني فى الحال واتفقوا على أن الارادة والسمع والبصر ليست معانى قائمة بذاته لكن اختلفوا فى وجوه وجودها ومحامل معانيها كما سيأتي واتفقوا على نفى رؤية الله تعالى بالابصار فى دار القرار ونفي التشبيه عنه من كل وجه جهة ومكانا وصورة وجسما وتحيزا وانتقالا وزوالا وتغيرا وتأثرا

الصفيحة المحماة

(قال أبو محمد رضى الله عنه) وكل هذا فى غاية الفساد . أول ذلك انها دعاو ولا يعجز عن مثلها متحامق وليس فى انجيلهم شيء من هذه الاقسام والثاني انها كلها محال لان قول الملكية في تمثيلهم بما مثلوا انما هو عرض في جوهر ولا يتوهم غير ذلك ، فالاله على قولهم عرض والانسان جوهر وهذا فى غاية الفساد ، وقول اليعقوبية افسد ، لانا نقول لهم ان كان استحال الاله انسانا ، فالمسيح انسان وليس الها ، وان كان الانسان استحال الها ، فالمسيح اله وليس بانسان ، وان كان كلاهما لم يستحل واحد منهما الى الاخر فهذا هو قول النسطورية لاقولهم ، وان كان كل واحد منهما استحال الى الاخر فقد صار الاله انسان لا الها وصار الانسان الها لا انسانا وحصلوا بعد هذا الحمق على قول النسطورية ولا مزيد ، وان كانا استحالا الى غير الانسان والاله . فالمسيح لا اله ولا انسان ، وكل هذا خلاف قولهم. وأما النسطورية فلم يزيدوا على أن قالوا ان الانسان انسان. والاله اله . وهكذا كل فاضل وفاسق في العالم هو انسان والاله اله ، فالمسيح وغيره من الناس سواء . وايضا فان مالا قوه محال لان الذى لم يزل لايستحيل الى طبيعة الانسان المحدث ، ولا يستحيل المحدث الها لم يزل ، وهذا محال بذاته ممتنع لا يتشكك ، وكذلك الانسان لا يجاور الاله مجاورة مكانية ، لانه محال أيضا وكذا لا يتوهم ولا يمكن أن يكون الاله عرضا يحمله حوهو الانسان ، ولا يمكن أن يكون الانسان عرضا يحمله الاله في ذاته . كما تدعى الملكية فى تشبيه ذلك الاتحاد بضوء الشمس في البيت ، وبالنار في الحديدة المحماة فقد صح أن كل ماقالوا محال وباطل وسخف لا يقبله الا مخذول ، ولا يمكنهم ادعاء وجود شيء من هذا فى كتب الانبياء أصلا ، وأيضا فانهم يضيفون الى ذكرهم الاب والابن وروح القدس شيئا رابعا وهو الكلمة ، وهى المتحدة عندهم بالانسان الملتحمة به فى مشيمة مريم عليها السلام ، فان امانتهم التي اتفقوا عليها كلهم هى كما نورده نصا : نؤمن بالله الاب مالك كل شيء صانع ما يرى ومالا يرى ، وبالرب الواحد يسوع المسيح بكر الخلائق كلها وليس بمصنوع الاله حق من الاله حق من جوهر ابيه الذى بيده اتقنت العوالم وخلق كل شيء ، الذى من أجلنا معشر الناس ومن أجل خلاصنا نزل من السما وتجسد من روح القدس وصار انسانا ، وولد من مريم البتول وألم وصلب أيام فيلطوس بلاطش ، ودفن وقام في اليوم الثالث ، كما هو مكتوب وصعد الى

وواجبوا تاويل الايات المتشابهة فيها وسموا هذا النمط توحيدا . واتفقوا على أن العبد قادر خالق لافعاله خيرها وشرها مستحق على ما يفعله ثوابا وعقابا في الدار الاخرة والرب تعالى منزه ان يضاف اليه شر وظلم وفعل هو كفر ومعصية لانه لو خلق الظلم كان ظالما كما لو خلق العدل كان عادلا . واتفقوا على أن الحكيم لا يفعل الا الصلاح والخير ويجب من حيث الحكمة رعاية مصالح العباد * وأما الاصلح واللطف ففي وجوبه خلاف عندهم وسموا هذا النمط عدلا . واتفقوا على أن المؤمن اذا خرج من الدنيا على طاعة وتوبة استحق الثواب والعوض والتفضل معنى آخر وراء الثواب واذا خرج من غير توبة عن كبيرة ارتكبها استحق الخلود فى النار لكن يكون عقابه أخف من عقاب الكفار وسموا هذا النمط وعدا ووعيدا . واتفقوا على أن أصول المعرفة وشكر النعمة واجب قبل ورود السمع والحسن والقبيح يجب معرفتهما بالعقل واعتناق الحسن واجتناب القبيح واجب كذلك وورود التكاليف ألطاف للباري تعالى أرسلها الى العباد بتوسط الانبياء عليهم السلام امتحانا ليهلك من هلك عن بينة ويحيى من حي عن بينة واختلفوا في الامامة والقول فيها نصا واختيارا

السماء وجلس عن يمين الاب ، وهو مستعد للمجى تارة أخرى للقضاء بين الاموات والاحياء . ونؤمن بروح القدس الواحد روح الحق الذى هو مشتق من أبيه روح محبة وبمعمودية واحدة لغفران الخطايا وبجماعة واحدة قدسية سليحية جاثليقية، وبقيامة ابداننا . وبالحياة الدائمة الى أبد الابدين : وقال فى أول انجيل يوحنا التلميذ فى البدء كانت الكلمة . والكلمة عند الله والله كان الكلمة

(قال ابو محمد رضي الله عنه) فهذه أقوال اذا تاملها ذو عقل علم أنها وساوس أو جنون ملقى من الشيطان لا يمتحن به الا مخذول مشهود له ببراءة الله تعالى منه ، ويقال لهم . الكلمة هى الاب أو الابن أو روح القدس أم شىء رابع ، فان قالوا شيء رابع فقد خرجوا عن التثليث الى التربيع . وان قالوا انها أحد الثلاثة سئلوا عن الدليل على ذلك اذ الدعوى لا يعجز عنها أحد . ثم يقال لهم : الاب هو الابن أم غيره . فان قالوا هو غيره . سئلوا أيضا من المتحم فى مشيمة مريم المتحد مع طبيعة المسيح الاب أم الابن . فان قالوا الابن . فقد بطل أن يكون هو الاب، وخالفوا يوحنا اذ يقول فى أول انجيله ان الكلمة هى الله، واذا كانت هى الله ، والكلمة التحمت فى مشيمة مريم فالله تعالى هو نفسه التحم في مشيمة مريم ، وفي أمانتهم ان الابن هو الذى التحم فى مشيمة مريم ، وهذه وساوس لا نظير لها * و يقال لهم أيضا هل معنى التحم الا صار لحما وهذا غير قول النسطورية والملكية * وان قالوا بل الاب . فقد بطل أن يكون هو الابن وخالفوا يوحنا والامانة ، وان قالوا هو الاب وهو الابن . تركوا قولهم ان الابن يقعد عن يمين ابيه ، وان الاب يعلم وقت القيامة، والابن لا يعلمها ، وقولهم في انجيل يوحنا الاب فوض الامر الى ابنه ، والاب أكبر من الابن ، فهذه نصوص على أن الابن غير الاب اذ لا يقعد المرء عن يمين نفسه ، ولا يفوض الامر الي نفسه ، ولا يجهل ما يعلم ، وهذا كله يبطل قولهم ان الابن هو العلم والقدرة أو غير ذلك . لان هذه الصفات لا تقعد عن يمين حاملها ولا يفوض اليها شيء . وان قالوا لا هو هو ولا هو غيره دخل عليهم من الجنون ما يدخل على من أدعى أن الصفات لا هى الموصوف ولا هي غيره ، وان قالوا الاب هو الابن وهو غيره لم يكن ذلك ببدع من سخافاتهم وخروجهم عن المعقول ، ولزمهم أن الابن ابن لنفسه واب لنفسه : وان الاب اب لنفسه وابن لنفسه ، وليس في الحمق والهوس أكثر من هذا . ولا متعلق لهم بشيء مما فى الزبور ولا فى كتاب شعياء وغيره : لانه ليس فى شيء منها أن المراد بما ذكر

كما سيأتى عند مقالة كل طائفة والان نذكر ما يختص بطائفة طائفة من المقالة التى تميزت بها عن أصحاب (الواصلية) أصحاب أبي حذيفة واصل ابن عطاء الغزال كان تلميذ الحسن البصرى يقرأ عليه العلوم والاخبار وكان فى ايام عبد الملك وهشام بن عبد الملك و بالمغرب الآن منهم شرذمة قليلة فى بلد ادريس بن عبد الله الحسني الذى خرج بالمغرب فى أيام أبي جعفر المنصور و يقال لهم الواصلية واعتزالهم يدور على اربع قواعد (القاعدة الاولى) القول بنفى صفات البارى تعالى من العلم والقدرة والارادة والحياة وكانت هذه المقالة فى بدئها غير نضيجة وكان واصل ابن عطاء يشرع فيها على قول ظاهر وهو الاتفاق على استحالة وجود الهين قديمين أزليين قال ومن أثبت معنى وصفة قديمة فقد أثبت الهين وانما شرعت أصحابه فيها بعد مطالعة كتب الفلاسفة وانتهى نظرهم فيها الى رد جميع الصفات الى كونه عالما قادرا ثم الحكم بانهما صفتان ذاتيتان هما اعتباران للذات القديمة كما قاله الجبائي أو حالتان كما قاله أبو هاشم وميل أبو الحسين البصرى الى ردها الي صفة واحدة وهي العالمين وذلك عين مذهب الفلاسفة وسنذكر تفصيل ذلك وكان السلف يخالفهم فى ذلك أذ وجدوا الصفات مذكورة فى الكتاب والسنة (القاعده الثانية)

هنالك هو عيسى بن مريم عليهما السلام : وقد قال لوقا فى آخر انجيله . انه كان نبيا مقتدرا عبدا لله ، وهذا كله بين عظيم مناقضتهم وماتوفيقنا الا بالله فان تعلقوا بما فى الانجيل من ذكر المسيح انه ابن الله ، قيل لهم فى الانجيل أيضا : أبى وأبيكم الله الهى والهكم ، وأمرهم اذا دعوا أن يقولوا : ياأبانا السماوى ، فله من ذلك كالذى لهم ولافرق * فان قالوا انه اتى بالعجائب . قيل لهم : والحواريون أيضا عندكم اتوا بالعجائب وموسى قبله والياس وسائر الانبياء قد أتوا بمثل ما اتى به من أحياء الموتى وغيره . فاى فرق بينه و بينهم . على انه ليس في شيء من الاناجيل نص الامانة التى لايصح الايمان عندهم الابها من ذكر اب وابن وروح القدس مما وسائر مافيها . وانما هى تقليد لاسلافهم من الاساقفة ونعوذ بالله من الخذلان * وأمانتهم التى ذكروا انهم متفقون عليها موجبة أن الابن هو الذى نزل من السماء . وتجسد من روح القدس . وصار انسانا وقتل وصلب فيقال لهم . هذا الابن الذي فى أمانتكم انه نزل من السماء وتجسد من روح القدس وصار انسانا ، اخبرونا قبل ان ينزل من السماء أمخلوقا كان أو غير مخلوق . بل كان لم يزل ، فان قالوا كان مخلوقا * فقد تركوا قولهم لاسيما ان قالوا ليس هو غير الاب . بل يصير الاب وروح القدس مخلوقين . وأن قالوا كان قبل أن ينزل غير مخلوق . قيل لهم . فقد صار مخلوقا انسانا وهذا محال وتناقض . وأيضا فقد لزم من هذا أن الابن مخلوق وروح القدس مخلوق اذ صارا انسانا . ثم يقال لهم اخبرونا عن هذا الابن الذى اخبرتم عنه بما لم تخبروا عن الاب . والذي يقعد عن يمين الرب ثم ينزل لفصل القضاء اله علم وحياة أم لاعلم له ولا حياة . فان قالوا لاعلم له ولاحياة فارقوا اجماعهم ولزمهم ضرورة ان قالوا مع ذلك أنه غير الاب الذى له حياة وعلم، اذ ما لاعلم له هو بلا شك غير الذى له علم . والذى لاحياة له هو بلاشك غير الذى له حياة . وهذا ترك منهم للنصرانية * وان قالوا بل له علم وحياة لزمهم ان الازليين خمسة : الاب وعلمه وحياته . والابن الذى هو علم الاب وعلمه وحياته * وهكذا يسالون ايضاً عن روح القدس ولا فرق . وقد قال يوحنا فى اول انجيله : فمن تقبله منهم وآمن به أعطاهم سلطانا أن يكونوا اولادا لله ، اولئك المؤمنون باسمه الذين لم يتوالدوا من دم ولا شهوة اللحم ولاباه رجل ، ولكن توالدوا من الله ، فصح بهذا ان لكل نصرانى من ولادة الله والازلية والكون من جوهر الاب كالذي للمسيح سواء بسواء ولا فرق . والا فقد كذب يوحنا اللعين قائل هذا الكفر وأهل

القول بالقدر وانما سلك فى ذلك مسلك معبد الجهنى وغيلان الدمشقي وقرر واصل بن عطاء هذه القاعدة أكثر ماكان يقرر قاعدة الصفات فقال أن البارى تعالى حكيم عادل لايجوز أن يضاف اليه شر وظلم ولايجوز أن يريد من العباد خلاف ما يامر ويحكم عليهم شيئا ثم يجازيهم عليه فالعبد هو الفاعل للخير والشر والايمان والكفر والطاعة والمعصية وهو المجازى على فعله والرب تعالى أقدره على ذلك كله وأفعال العباد محصورة في الحركات والسكنات والاعتمادات والنظر والعلم قال ويستحيل أن يخاطب العبد بافعل وهو لايمكنه أن يفعل وهو يحس من نفسه الاقتدار والفعل ومن أنكره فقد أنكر الضرورة واستدل بآيات على هذه الكلمات ورأيت رسالة نسبت الى الحسن البصرى كتبها الى عبد الملك ابن مروان وقد سأله عن القول بالقدر والجبر فاجابه بما يوافق مذهب القدرية واستدل فيها بآيات من الكتاب ودلائل من العقل ولعلها لواصل بن عطاء فما كان الحسن ممن يخالف السلف في ان القدر خيره وشره من الله تعالى فان هذه الكلمة كالمجمع عليها عندهم والعجب أنه حمل هذا اللفظ الوارد فى الخبر على البلاء والعافية

الـكذب هو . وهذا مالا انفكاك منه . وهذا يلزم الاشعرية الذين يقولون بان علم الله تعالى وقدرته هما غير الله : تعالى الله عما يقولون علواً كبيراً . ومما يعترض به علينا اليهود والنصارى ومن ذهب الى اسقاط الـكواف من سائر الملحدين ان قال قائلهم قد نقلت اليهود والنصارى ان المسيح عليه السلام قد صلب وقتل . وجاء القرآن بانه صلى الله عليه وسلم لم يقتل ولم يصلب. فقولوا لنا كيف كان هذا . فان جوزتم على هذه الـكواف العظام المختلفة الاهواء والاديان والازمان والبلدان والاجناس نقل الباطل. فليست بذلك اولى من كافتكم التى نقلت أعلام نبيكم وشرائعه وكتابه * فان قلتم اشتبه عليهم فلم يتعمدوا نقل الباطل فقد جوزتم التلبيس ، على الكواف فلعل كافتكم ايضا ملتبس عليها . فليس سائر الـكواف اولى بذلك من كافتكم . وقولوا لنا كيف فرض الاقرار بصلب المسيح عندكم قبل ورود الخبر عليكم ببطلان صلبه وقتله . فان قلتم كان الفرض على الناس الاقرار بصلبه .وجب من قولكم الاقرار ان الله تعالى فرض على الناس الاقرار بالباطل وان الله تعالى فرض على الناس تصديق الباطل والتدين به .و في هذا مافيه .وان قلتم كان الفرض عليكم الانكار لصلبه فقد أوجبتم ان الله تعالى فرض على الناس تكذيب الـكواف . وفي هذا ابطال قول كافتكم ، بل ابطال جميع الشرائع . بل أبطال كل خبر كان فى العالم عن كل بلد وملك ونبي وفيلسوف وعالم ووقعتم . وفى هذا مافيه

(قال أبو محمد رضى الله عنه) هذه الالزامات كلها فاسدة في غاية الحوالة والاضمحلال بحمد الله تعالى . ونحن مبينون ذلك بالبراهين الضرورية بيانا لا يخفى على من له أدنى فهم بحول الله تعالى وقوته * فنقول — و بالله التوفيق — ان صلب المسيح عليه السلام لم ينقله قط كافة ، ولا صح بالخبر قط ، لان الـكافة التي يلزم قبول نقلها هى : أما الجماعة التى يوقن أنها لم تتوطا لتنابذ طرقهم و عدم التقائهم وامتناع اتفاق خواطرهم على الخبر الذى نقلوه عن مشاهدة أو رجع الى مشاهدة ، ولو كانوا اثنين فصاعداً، وأما أن يكون عدد كثير يمتنع منه الاتفاق فى الطبيعة على التنادى على سنن ما تواطؤا عليه فاخبروا بخبر شاهدوه ولم يختلفوا فيه ، فما نقله أحد أهل هاتين الصفتين عن مثل احداهما وهكذا حتي يبلغ الى مشاهدة ، فهذه صفة الـكافة التى يلزم قبول نقلها و يضطر خبرها (١) سامعها الى تصديقه ، وسواء كانوا عدولا او فساقا أو كفاراً ، ولا يقطع على صحته الا ببرهان ، فلما صح ذاك نظرنا فيمن نقل خبر صلب المسيح عليه السلام فوجدناه كواف

(١) خبرها فاعل يضطر وسامعها مفعوله (مصححه)

والشدة والراحة والمرض والشفاء والموت والحياة الى غير ذلك من افعال الله تعالى دون الخير والشر والحسن والقبيح الصادرين من اكتساب العباد وكذلك أورده جماعة المعتزلة فى المقالات من اصحابهم (القاعدة الثالثة) القول بالمنزلة بين المنزلتين والسبب فيه أنه دخل واحد على الحسن البصرى فقال يا أمام الدين لقد ظهرت في زماننا جماعة يكفرون اصحاب الكبائر والكبيرة عندهم كفر يخرج به عن الملة وهم وعيدية الخوارج وجماعة يرجؤن أصحاب الكبائر والكبيرة عندهم لا تضر مع الايمان بل العمل على مذهبهم ليس ركنا من الايمان ولا يضر مع الايمان معصية كما لا ينفع مع الكفر طاعة وهم مرجئة الامة فكيف تحكم لنا في ذلك اعتقاداً فتفكر الحسن في ذلك وقبل أن يجيب قال واصل بن عطاء انا لا اقول أن صاحب الكبيرة مؤمن مطلق ولا كافر مطلق بل هو فى منزلة بين المنزلتين لا مؤمن ولا كافر ثم قام واعتزل الى اسطوانة من اسطوانات المسجد يقرر ما أجاب به على جماعة من أصحاب الحسن فقال الحسن اعتزل عنا واصل فسمى هو واصحابه معتزلة ووجه تقريره انه قال ان الايمان عبارة عن خصال خير اذا اجتمعت سمي

المرء مؤمنا وهو اسم مدح والفاسق لم يستجمع خصال الخير ولا استحق اسم المدح فلا يسمى مؤمنا وليس هو بكافر مطلق ايضا لان الشهادة وسائر اعمال الخير موجودة فيه لاوجه لانكارها لكنه اذا خرج من الدنيا على كبيرة من غير توبة فهو من أهل النار خالدا فيها اذ ليس في الآخرة الا الفريقان فريق في الجنة وفريق في السعير لكنه يخفف عنه العذاب وتكون دركته فوق دركة الكفار وتابعه على ذلك عمرو بن عبيد بعد أن كان موافقا له في القدر وانكار الصفات (القاعدة الرابعة) قوله في الفريقين من اصحاب الجمل واصحاب صفين ان احدهما مخطئ لا بعينه وكذلك قوله في عثمان وقاتليه وخاذليه ان أحد الفريقين فاسق لا محالة كما ان احد المتلاعنين فاسق لا بعينه وقد عرفت قوله في الفاسق واقل درجات الفريقين انه لا تقبل شهادتهما كما لا تقبل شهادة المتلاعنين فلم يجوز قبول شهادة علي وطلحة والزبير على باقة بقل وجوز أن يكون عثمان وعلي على الخطأ هذا قول رئيس المعتزلة ومبدأ الطريقة في اعلام الصحابة وأئمة العترة ووافقه عمرو بن عبيد على مذهبه وزاد عليه في تفسيق أحد الفريقين لا بعينه بان قال لو شهد رجلان من أحد الفريقين مثل علي

عظيمة صادقة بلا شك في نقلها جيلا بعد جيل الى الذين ادعوا مشاهدة صلبه ، فان هنالك تبدلت الصفة ورجعت الى شرط مامورين مجتمعين مضمون منهم الكذب وقبول الرشوة على قول الباطل ، والنصارى مقرون بانهم لم يقدموا على اخذه نهاراً خوف العامة ، وانما اخذوه ليلا عند افتراق الناس عن الفصح ، وأنه لم يبق في الخشبة الا ست ساعات من النهار ، وأنه أنزل أثر ذلك وانه لم يصلب الا في مكان نازح عن المدينة في بستان فخار متملك للفخار ليس موضعاً معروفا بصلب من يصلب ولا موقوفا لذلك ، وانه بعد هذا كله رشى الشرط على ان يقولوا أن أصحابه سرقوه ففعلوا ذلك ، وان مريم المجدلانية وهي امرأة من العامة تقدم على حضورمة موضع صلبه ، بل كانت واقفة على بعد تنظر ، هذا كله في نص الانجيل عندهم فبطل ان يكون صلبه منقولا بكافة ، بل بخبر يشهد ظاهره على انه مكتوم متواطأ عليه ، وما كان الحواريون ليلتئذ بنص الانجيل الا خائفين على أنفسهم غيباً عن ذلك المشهد هاربين بارواحهم مستترين ، وان شمعون الصفا غرر ودخل دار قيقان الكاهن أيضاً بضوء النهار فقال له أنت من أصحابه فانتفى وجحد وخرج هاربا عن الدار . فبطل ان ينقل خبر صلبه احد تطيب النفس عليه على أن تظن به الصدق . فكيف ان ينقله كافة . وهذا معنى قوله تعالى : ولكن شبه لهم . انما عنى تعالى ان أولئك الفساق الذين دبروا هذا الباطل وتواطؤا عليه هم شبهوا على من قلدهم . فاخبروهم أنهم صلبوه وقتلوه وهم كاذبون في ذلك عالمون أنهم كذبة . ولو أمكن أن يشبه ذلك على ذي حاسة سليمة لبطلت النبوات كلها . اذ لعلها شبهت على الحواس السليمة لو أمكن ذلك لبطلت الحقائق كلها ولامكن أن يكون كل واحد منا يشبه عليه فيما يأكل ويلبس وفيمن يجالس وفي حيث هو فلعله نائم أو مشبه على حواسه . وفي هذا خروج الى السخف وقول السوفسطائية والحماقة . وقد شاهدنا نحن مثل ذلك . وذلك أننا أندرنا للجبل لحضور دفن المؤيد هشام بن الحكم المستنصر فرأيت أنا وغيري نعشا فيه شخص مكفن وقد شاهد غسله شيخان جليلان حكيمان من حكام المسلمين ومن عدول القضاة في بيت وخارج البيت ابي رحمه الله وجماعة عظماء البلد ثم صلينا في الوف من الناس عليه . ثم لم يلبث شهورا نحو السبعة حتى ظهر حيا . و بويع بعد ذلك بالخلافة . ودخلت عليه انا وغيري وجلست بين يديه ورأيته . وبقي ثلاثة أعوام غير شهرين وأيام

(قال أبو محمد رضي الله عنه) وأما قوله قد جوزتم التمويه على الكافة فقد

بيننا انها لم تكن كافة قط ، وحتى لو صح انها كافة ، فكيف لا يجوز ذلك فى كل آية تحيل الطبائع والحواس ؟ فهو ضرورة لا يحمل على الممكنات ، فلو صح انها كانت كافة لكان خبر الله تعالى انه شبه لهم حاكما على حواسهم ومحيلا لها ، كخروج النبى صلى الله عليه وسلم ليلة هاجر بحضرة مائة رجل من قريش وقد حجب الله سبحانه أبصارهم عنه فلم يروه * وأما ما لم يأت خبر عن الله عز وجل بانه شبه على الكافة فلا يجوز أن يقال ذلك لانه قطع على المحال ، واحالة طبيعة ، واحالة الطبائع لا تدخل فى الممكن الا أن يأتى بذلك يقين عن الله عز وجل فيلزم قبوله * وأما التشبيه على الواحد والاثنين ونحو ذلك فانه جائز ، وكذلك فقد العقل والسخافة يجوز ذلك على الواحد والاثنين ونحو ذلك ، ولا يجوز على الجماعة كلها * وقوله تعالى: وما قتلوه وما صلبوه ولكن شبه لهم ، انما هو اخبار عن الذين يقولون تقليداً لاسلافهم من النصارى واليهود انه عليه السلام قتل وصلب ، فهؤلاء شبه لهم القول أى أدخلوا فى شبهة منه ، وكان المشبهون لهم شيوخ السوء فى ذلك الوقت وشرطهم المدعون انهم قتلوه وصلبوه وهم يعلمون انه لم يكن ذلك ، وانما أخذوا من أمكنهم فقتلوه وصلبوه فى استتار ومنع من حضور الناس ، ثم أنزلوه ودفنوه تمويهاً على العامة التى شبه الخبر لها * ثم نقول لليهود والنصارى بعد أن بينا بحول الله وقوته بيان ما شنعوه فى هذه المسئلة : ان كوافكم قد نقلت عن بعض أنبيائكم فسوقا ووطء اماء وهو حرام عندكم ، وعن هارون عليه السلام انه هو الذى عمل العجل لبنى اسرائيل وأمرهم بعبادته والرقص أمامه ، وقد نزه الله تعالى الانبياء عليهم السلام عن عبادة غيره وعن الامر بذلك وعن كل معصية ورذيلة ، فاذا جوزوا كلهم هذا على أنبياء منهم موسى عليه السلام وسائر أنبيائهم كان كل ما أمروهم به من جنس عمل العجل والرقص والامر بعبادته ومن جنس وطء الاماء وسائر ما نسبوه الى داود وسليمان عليهما السلام وسائر أنبيائهم لاسيما وهم يقرون بان العجل كان يخور بطبعه * واما نحن فجوابنا فى هذا كله بان ليس شىء منه نقل كافة ، ولكن نقل آحاد كذبوا فيه ، واما خوار العجل فانما هو على ما روينا عن ابن عباس رضي الله عنه من انه انما كان صفير الريح تدخل من فيه وتخرج من دبره ، لانه خار بطبعه قط ، وحتى لو صح انه خار بطبعه لكان ذلك من أجل القوة التى كانت فى القبضة التى قبضها السامرى من أثر جبريل عليه السلام ، والذى يعتمد عليه فهو قول ابن عباس رضى الله عنه الذى ذكرناه وبالله تعالى التوفيق * وأما قوله كيف كان الفرض قبل ورود النص ببطلان صلبه الاقرار بصلبه أم الانكار له ؟ فهذه قسمة فاسدة شغبية قد حذر منها الاوائل كثيراً ، ونبه عليها أهل المعرفة بحدود الكلام ، وذلك انهم أوجبوا فرضا ثم قسموه على قسمين : اما فرض بانكار واما فرض باقرار ، وأضربوا عن القسم الصحيح فلم يذكروه ، وهذا لا يرضى به لنفسه الا جاهل أو سخيف مغالط غابن لنفسه غاش لمن اغتر به ، وانما الحقيقة ههنا ان يقول: هل لزم الناس قبل ورود القرآن فرض بالاقرار بصلب المسيح أو بانكار صلبه ؟ أو لم يلزمهم فرض بشىء من ذلك ، فهذه هى القسمة الصحيحة والسؤال الصحيح ، وحق الجواب أنه لم يلزم الناس قط قبل ورود القرآن فرض بشىء من ذلك لا باقرار ولا بانكار ، وانما كان خبراً لا يقطع العذر ولا يوجب العلم الضرورى يمكن صدق قائله ، فقد قتل أنبياء كثيرة ، ويمكن أن يكون ناقله كذب فى ذلك ،

رواة الحديث معروفاً بالزهد وواصل مشهوراً بالفضل والادب عندهم (الهذيلية) اصحاب ابى الهذيل حمدان ابن ابى الهذيل العلاف شيخ المعتزلة ومقدم الطائفة ومقرر الطريقة والمناظر عليها اخذ الاعتزال عن عثمان بن خالد الطويل عن واصل ابن عطاء ويقال اخذ واصل عن ابى هاشم عبدالله بن محمد بن الحنفية ويقال اخذه عن الحسن ابن ابي الحسن البصرى وانما انفرد عن اصحابه بعشر قواعد (الاولى) ان البارى تعالى عالم بعلم وعلمه ذاته قادر بقدرة وقدرته ذاته حى بحياة وحياته ذاته وانما اقتبس هذا الرأى من الفلاسفة الذين اعتقدوا ان ذاته واحدة لا كثرة فيها بوجه وانما الصفات ليست وراء الذات معانى قائمة بذاته بل هى ذاته وترجع الى السلوب او اللوازم كما سيأتى * والفرق بين قول القائل عالم بذاته لا بعلم وبين قول القائل عالم بعلم هو ذاته ان الاول نفى الصفة والثانى اثبات ذات هو بعينه صفة أو اثبات صفة هى بعينها ذات واذ أثبت ابو الهذيل هذه الصفات وجوهاً للذات فهى بعينها اقانيم النصارى أو احوال أبي هاشم (الثانية) انه اثبت ارادات

تعالى مريدا بها وهو أول من أحدث هذه المقالة وتابعه عليها المتأخرون

لا محل لها يكون الباري (الثالثة) قال في كلام الباري تعالى ان بعضه لا في محل وهو قوله كن وبعضه في محل كالأمر والنهي والخبر والاستخبار وكان أمر التكوين عنده غير أمر التكليف (الرابعة) قوله في القدر مثل ما قاله اصحابه الا أنه قدري الاولى جبري الآخرة فان مذهبه في حركات أهل الخلدين في الآخرة انها كلها ضرورية لا قدرة للعباد عليها وكلها مخلوقة للباري تعالى اذ لو كانت مكتسبة للعباد لكانوا مكلفين بها (الخامسة) قوله ان حركات اهل الخلدين تنقطع وانهم يصيرون الى سكون دائم خموداً وتجتمع اللذات في ذلك السكون لاهل الجنة وتجتمع الآلام في ذلك السكون لاهل النار وهذا قريب من مذهب جهم اذ حكم بفناء الجنة والنار وانما التزم ابو الهذيل هذا المذهب لانه لما الزم في مسئلة حدوث العالم ان الحوادث التي لا اول لها كالحوادث التي لا آخر لها اذ كل واحدة لا تتناهى قال اني لا اقول بحركات لا تتناهى آخرا كما لا اقول بحركات لا تتناهى اولا بل يصيرون الى سكون دائم وكأنه ظن ان ما لزمه في الحركة لا يلزمه في السكون (السادسة) قوله في الاستطاعة انها عرض من الاعراض غير السلامة والصحة وفرق بين أفعال

وكل

وهو بمنزلة شيء مغيب في دار ، فيقال لهذا المعترض بهذا السؤال الفاسد ، ما الفرض على الناس فيما في هذه الدار الاقرار بأن فيها رجلا أم الانكار لذلك ؟؟ فهذا كله لا يلزم منه شيء * ولم ينزل الله عز وجل كتابا قبل القرآن بفرض اقرار بصلب المسيح صلى الله عليه وسلم ولا بانكاره ، وانما الزم الفرض بعد نزول القرآن بتكذيب الخبر بصلبه * فان قالوا قد نقل الحواريون صلبه وهم انبياء وعدول * قيل لهم وبالله التوفيق: الناقلون لنبوتهم وأعلامهم ولقولهم بصلبه عليه السلام هم الناقلون عنهم الكذب في نسبه ، والقول بالتثليث الذي من قال به فهو كاذب على الله تعالى مفتر عليه كافر به ، فان كان الناقل لذلك عنهم صادقا أو كانوا كذبة ، فما كان يوحنا ومتى وبولس الا كفار كاذبين ، وما كانوا قط من صالحي الحواريين ، وان كان ناقل ما ذكرنا عنهم كاذبا فالكاذب لا يقوم بنقله حجة ، فبطل التمويه المتقدم والحمد لله رب العالمين * وقال متكلموهم ان الاتحاد المذكور انما هو تقليد للانجيل ، ولم يكن نقلة ولا حركة ، ولا فارق الباري ولا العلم ما كانا عليه ولا انتقلا ، فيقال لهم هذا ابطال للاتحاد وقول منكم بان حظه وحظ غيره في ذلك سواء ، وخلاف لامانتكم التي فيها ان الابن نزل من السماء وتجسد وولد وقتل ودفن * وقالت طائفة منهم المسيح حجاب الله خاطبه الله تعالى منه ، فيقال لهم أنتم تقولون ان المسيح رب معبود واله خالق والحجاب عندكم مخلوق ، والمسيح عند بعضكم طبيعة واحدة ، وعند بعضكم طبيعتان ناسوتية ولاهوتية ، فاخبرونا أتعبدون الطبيعتين معا اللاهوتية والناسوتية أم تعبدون احداهما دون الاخرى ؟ فان قالوا نعبدهما جميعا أقروا بانهم يعبدون انسانا وحجابا مخلوقا مع الله تعالى ، وهذا أقبح ما يكون من الشرك * وان قالوا بل نعبد اللاهوت وحده قيل لهم فانما تعبدون نصف المسيح لا كله ، لانه طبيعتان ولستم تعبدون الا احداهما دون الاخرى * وكذلك يسألون عن موت المسيح وصلبه فمن قول الملكية والنسطورية ان الموت والصلب انما وقع على الناسوت خاصة * فيقال لهم فانتم في قولكم مات المسيح وصلب كاذبون ، لانه انما مات نصفه وصلب نصفه فقط ، لان اسم المسيح عندكم واقع على اللاهوت والناسوت كليهما معاً لا على احدهما دون الآخر ، وكل من قال من اليعقوبية الانسان والاله شيء واحد فانه يلزمه ان يعبد انساناً لانه اذا عبد الاله والاله هو الانسان فقد عبد انساناً وربه انسان مخلوق * وكل من قال منهم الاله غير الانسان فقد ابطل الاتحاد * وهكذا يقال لهم في الحجاب مع الله تعالى سواء بسواء ويلزمهم جميعهم اذ قد اقروا بعبادة المسيح هكذا جملة وانه رب خالق وفي الانجيل انه جاع وأكل الخبز والحيتان وعرق وضرب ان ربهم أكل وجاع وان الاله ضرب ولطم وصلب وكفى بهذا رذالة وفحش قول وبيان بطلان * ويقال للملكية واليعقوبية القائلين بان المسيح ابن الله وابن مريم قد اقررتم ان المسيح انسان واله ، فلانسان هو ابن الله وابن مريم ، والاله هو ابن مريم ، وهذه غاية الشناعة * فان قالوا ما تقولون فيما في كتابكم وما كان لبشر أن يكلمه الله الا وحيا او من وراء حجاب ، وانه تعالى كلم موسى من جانب الطور من الشجرة من شاطىء الوادي * قلنا التكليم فعل الله تعالى مخلوق ، والحجاب انما هو للتكليم ، والتكليم هو الذي حدث في الشجرة وشاطىء الوادي وجانب الطور ،

وكل ذلك مخلوق محدث ، وكذلك تحول جبريل عليه السلام فى صورة دحية ، انما هو أن الله تعالى جعل للملائكة والجن قوة يتحولون بها فيما شاؤا من الصور ، وكلهم مخلوق تعاقب عليهم الاعراض بخلاف الله تعالى فى ذلك

(قال ابو محمد رضى الله عنه) ومما يعترض به على النصارى وان كان ليس برهانا ضروريا على جميعهم لكنه برهان ضرورى على كل من تقلد منهم الشرائع التى يعمل بها الملكيون والنساطرة واليعاقبة والمارقية قاطع لهم وهى مسالة جرت لنا مع بعضهم : وذلك انهم لايخلون من احد وجهين ، اما ان يكونوا يقولون ببطلان النبوة بعد عيسى عليه السلام ، واما ان يقولوا بامكانها بعده عليه السلام * فان قالوا بامكان النبوة بعده عليه السلام * لزمهم الاقرار بنبوة محمد صلى الله عليه وسلم اذ ثبت نقل اعلامه بالكواف التى بمثلها نقلت اعلام عيسى وغيره عليهم الصلاة والسلام * وان قالوا ببطلان النبوة بعد عيسى عليه السلام * لزمهم ترك جميع شرائعهم من صلاتهم وتعظيمهم الاحد وصيامهم وامتناعهم من اللحم ومناكحهم واعيادهم واستباحتهم الخنزير والميتة والدم وترك الختان وتحريم النكاح على اهل المراكب فى دينهم ، اذ كل ماذكرنا ليس منه فى اناجيلهم الاربعة شىء البتة بل اناجيلهم مبطلة لكل ماهم عليه اليوم ، اذ فيها انه عليه السلام قال لم آت لأغير شيئا من شرائع التوراة ، وانه كان يلتزم هو واصحابه بعده السبت واعياد اليهود من الفصح وغيره ، بخلاف كل ماهم عليه اليوم ، فاذا منعوا من وجود النبوة بعده وكانت الشرائع لاتؤخذ إلا عن الانبياء عليهم السلام وإلا فان شارعها عن غير الانبياء عليهم السلام حاكم على الله تعالى وهذا اعظم مايكون من الشرك والكذب والسخف فشرائعهم التى هى دينهم غير ماخوذة عن نبى أصلا فهى معاص مفتراة على الله عز وجل بيقين لاشك فيه

(قال ابو محمد رضى الله عنه) وهذا حين نبدأ بعون الله وتوفيقه وتاييده انشاء الله لا إله إلا هو فى تبيين ان الواحد ليس عددا فنقول وبالله تعالى التوفيق : ان خاصة العدد هو أن يوجد عدد آخر مساو له وعدد آخر ليس مساويا له ، هذا شىء لا يخلو منه عدد اصلا ، والمساواة هى أن تكون ابعاضه كلها مساوية له إذا جزئت ، الاترى أن الفرد والفرد مساويان للاثنين ، وان الزوج والفرد ليس مساويا للزوج الذى هو الاثنان ، والخمسة مساوية للاثنين والثلاثة غير مساوية للثلاثة ، وهكذا كل عدد فى العالم فهذا معنى قولنا ان المساوى وغير المساوى هو خاصة العدد ، وهذه المساواة اردنا لاغيرها ، فلو كان للواحد ابعاض مساوية له لكان كثيرا بلاشك ، لان الواحد المطلق على الحقيقة هو الذى ليس كثيرا ، هذا مالاشك فيه عند كل ذى حس سليم * وكل ما كان له ابعاض فهو كثير بلا شك ، فهو إذا بالضرورة ليس واحدا ، فالواحد ضرورة هو الذى لا ابعاض له ، فاذ لاشك فيه فالواحد الذى لا أبعاض له تساويه ليس عددا ، وهو الذى اردنا أن نبين ، وايضا فان الحس وضرورة العقل يشهدان بوجود الواحد ، اذ لو لم يكن الواحد موجودا لم يقدر على عدد اصلا ، اذ الواحد مبدأ العدد والمعدود الذى لايوصل الى عدد ولا معدود الا بعد

القلوب وافعال الجوارح فقال لايصح وجود افعال القلوب منه مع عدم القدرة والاستطاعة معها فى حال الفعل وجوز ذلك فى افعال الجوارح وقال بتقدمها فيفعل بها فى الحال الاولى وان لم يوجد الفعل الا فى الحالة الثانية قال فحال يفعل غير حال فعل ثم ماتولد من فعل العبد فهو فعله غير اللون والطعم والرائحة وكل مالايعرف كيفيته وقال فى الادراك والعلم الحادثين فى غيره عند استماعه وتعليمه ان الله تعالى يبدعهما فيه وليسا من افعال العباد (السابعة) قوله فى الفكر قبل ورود السمع انه يجب عليه ان يعرف الله تعالى بالدليل من غير خاطر وان قصر فى المعرفة استوجب العقوبة ابداً ويعلم أيضاً حسن الحسن وقبح القبيح فيجب عليه الاقدام على الحسن كالصدق والعدل والاعراض عن القبيح كالكذب والجور وقال أيضاً بطاعات لايراد بها الله تعالى ولا يقصد بها التقرب اليه كالقصد الى النظر الاول والنظر الاول فانه لم يعرف الله تعالى بعد والفعل عبادة وقال فى المكره اذا لم يعرف التعريض والتورية فيما اكره عليه فله ان يكذب ويكون وزره موضوعاً عنه (الثامنة) قوله فى الآجال والارزاق ان الرجل ان لم يقتل مات فى ذلك الوقت ولايجوز ان يزاد فى العمر او ينقص والارزاق على وجهين احدهما ماخلق الله تعالى من

وجود، ولولم يوجد الواحد لما وجد فى العالم عدد ولا معدود اصلا، والعالم كله اعداد ومعدودات موجودة، فالواحد موجود ضرورة، فلما نظرنا فى العالم كله نظرا طبيعيا ضروريا لم نجد فيه واحدا على الحقيقة البتة بوجه من الوجوه، لان كل جرم من العالم فنقسم محتمل للتجزئة متكثر بالانقسام أبدا بلا نهاية، وكل حركة فهى ايضا منقسمة بانقسام المتحرك بها، والزمان حركة الفلك فهو منقسم بانقسام الفلك، فكل مدة فنقسمة ايضا بانقسام المتحرك بها الذى هو المدة، وكذلك كل مقول من جنس اونوع اوفصل، وكذلك كل عرض محمول فى جرم فانه منقسم بانقسام حامله، هذا امر يعلم بضرورة العقل والمشاهدة وليس العالم كله شيئا غير ماذكرنا، فصح ضرورة انه ليس فى العالم واحد البتة، وقد قدمنا برهان ضروري آنفا انه لابد من وجود الواحد، فاذا لابد من وجوده وليس هو فى شيء من العالم البتة، فهو اذا بالضرورة شيء غير العالم، فاذ ذلك كذلك فبالضرورة التى لا محيد عنها فهو الواحد لاول الخالق للعالم، اذ ليس يوجد بالعقل البتة شيء غير العالم الا خالقه، فهو الواحد الاول الله لا إله الا هو الذي لا يتكثر البتة اصلا لا بعدد ولا صفة ولا بوجه من الوجوه ولا واحد سواه البتة ولا اول غيره اصلا ولا مخترع فاعلا خالقا الا هو وحده لا شريك له * وانما قلنا فى كل فرد فى العالم وهو الذى يسمى فى اللغة عند العدد واحدا على المجاز انه كثير بمعنى انه يحتمل ان يقسم وان له مساحة كثيرة الاجزاء، فاذا قسم ظهرت الكثرة فيه، واما ما لم يقسم فهو يعد فردا حقيقيا وقد ذكرنا برهان وجوب احتمال الانقسام لكل جزء فى العالم فى آخر كتابنا هذا ببراهين ضرورية لا محيد عنها وبالله تعالى التوفيق: فان قال قائل فما تقول فى الباء والتاء وسائر حروف الهجاء اليس كل واحد منها واحدا لا ينقسم، قيل له — وبالله التوفيق — ان هذا شغب ينبغى ان تحفظ من مثله، لان الحرف انما هو هواء يندفع من مخرج ذلك الحرف بعصر بعض آلات الصوت له من الرئة وانابيب الصدر والحلق والحنك واللسان والاسنان والشفتين، فاذ لاشك فى هذا فذلك الهواء المندفع جسم طويل عريض عميق، فهو محتمل الانقسام ضرورة، فذلك الهواء هو الحرف، فالحرف هو جسم محتمل للقسمة ضرورة، وبالله تعالى التوفيق

الكلام على من يقول ان الباري خلق العالم جملة كما هو بجميع احواله بلا زمان

(قال ابو محمد رضى الله عنه) رأينا من يقر بالخالق تعالى ولا يقر بالنبوة ومن يذهب الى ذلك، وناظرناه على ذلك: فقلت ان الذي تقول ممكن فى قوة الله تعالى، والذى نقول نحن من انه تعالى خلق من النوع الانسانى ذكرا واحدا وانثى واحدة تناسل الناس كلهم منهما ممكن ايضاً، فمن اين ملت الى تلك الحيثية دون هذه، فتردد ساعة فلما لم يجد دليلاً قال، فمن اين ملتم انتم ايضاً الى هذه الحيثية دون تلك، فقلت لبراهين ضرورية توجب ماقلنا وتنفى ماقلتم: (منها) انه لو كان ماقلت لكان كل من اخرجه الله تعالى حينئذ من العدم الى الوجود من الشبان والشيوخ يعلمون ذلك ويحسونه من انفسهم ويوقنون انهم الآن به حدثوا وانهم لم يكونوا قبل ذلك، لكن حدثوا الآن فى حال توليهم لصناعاتهم وتجاراتهم واعمالهم من حرث وحصاد ونسج وخياطة وخبز وطبخ

الامور المنتفع بها يجوز رزقاً فقد اخطا لما فيه ان فى الاجسام مالم يخلقه الله والثانى ماحكم الله به من هذه الارزاق للعباد فما احل منها فهو رزق وما حرم فليس رزقا أي ليس مأموراً بتناوله (التاسعة) حكى الكعبي عنه انه قال ارادة الله غير المراد فارادته لما خلق هى خلقه له وخلقه للشيء عنده غير الشيء بل الخلق عنده قول لا فى محل وقال انه تعالى لم يزل سميعاً بصيرا بمعنى سيسمع وسيبصر وكذلك لم يزل غفوراً رحيما محسنا خالقا رازقا مثيباً معاقباً موالياً معادياً آمراً ناهياً بمعنى ان ذلك سيكون (العاشرة) حكى عنه جماعة انه قال الحجة لاتقوم فيما غاب الا بخبر عشرين فيهم واحد من اهل الجنة أو اكثر ولا تخلو الارض عن جماعة م اولياء الله معصومين لايكذبون ولا يرتكبون الكبائر فهم الحجة لا التواتر اذ يجوز أن يكذب جماعة ممن لا يحصون عدداً اذا لم يكونوا أولياء الله ولم يكن فيهم واحد معصوم وصحب ابا الهذيل ابو يعقوب الشحام والادمى وهما على مقالته وكان سنه مائة سنة توفى فى أول خلافة المتوكل سنة خمس وثلاثين ومائتين * (النظامية) * اصحاب ابراهيم بن سيار بن هانى النظام قد طالع كثيرا من كتب الفلاسفة وخلط

وطبيخ وغير ذلك ، ولو كان هذا لنقلوه الى اولادهم نقلا يقتضى لهم العلم الضرورى بذلك ولابد ، كما يقتضى العلم الضرورى كل نقل جاء باقل من هذا المجىء مما كان قبلنا من الملوك والدول والوقائع ، ولبلغ الامر الينا كذلك ، ولعلمه جميع الناس علما ضروريا لان شيئاً ينقله جميع اهل الارض عن مشاهدتهم له لا يمكن التشكك فيه ابداً ، كما نقل طلوع الشمس وغروبها والموت والولاد وغير ذلك ، ونحن نجد الامر بخلاف هذا لانا نجد جميع اهل الارض قاطبة لا يعرفون هذا بل لا يدريه احد منهم ، وانما قلته انت ومن وافقته او من وافقت برأى وظن لا بخبر ونقل اصلاً ، هذا مالا تخالفنا فيه انت ولا احد من الناس ، فمن المحال الممتنع ان يكون خبر نقله جميع سكان العالم اولهم عن آخرهم الى كل من حدث بعدهم عما شاهدوه يخفى حتى لا يعرفه احد من سكان الارض ، هذا امر يعرف كذبه باول العقل وبديهته * فقال والذى تحكونه انتم ايضا قد وجدنا جماعات ينكرونه فينبغى أن يبطل بما عارضتنا به * فقلت بين النقلين فرق لاخفاء به ، لان نقلنا نحن لما قلناه انما يرجع الى خبر رجل واحد وامرأة واحدة فقط ، وهما اول من احدثهم الله تعالى من النوع الانسانى ، وماكان هكذا فانه لا يوجد العلم الضرورى ، اذ التواطؤ ممكن في ذلك ، ولولا ان الانبياء والذين جاؤا بالمعجزات أخبروا بتصحيح ذلك ماصح قولنا من جهة النقل وحده ، بل كان ممكنا ان يكون الله تعالى ابتدأ خلق جماعة تناسل الخلق منهم ، لكن لما اخبر من صححت المعجزة قوله بان الله تعالى لم يبتدىء من النوع الانسانى الا رجلا واحداً وامرأة واحدة وجب تصديق قولهم : (وبرهان آخر) وهو انكم قد اثبتم ضرورة صحة قولنا من ان الله ابتدأ النوع الانسانى بان خلق ذكرا وانثى ، ثم ادعيتم زيادة أن الله تعالي خلق سواهما جماعات ولم تأتوا علي ذلك ببرهان اصلا ولا بدليل اقناعى فضلا عن برهانى ، وقد صحت البراهين التى قدمنا قبل انه لابد من مبدأ ضرورة ، فوجب ولا بد حدوث ذكر وانثى ، وكان من ادعى حدوث اكثر من ذلك مدعيا لما لادليل له عليه اصلا ، وماكان هكذا فهو باطل بيقين لامرية فيه ، وكل ماذكرت عنه نبوة فى الهند والمجوس والصابئين واليهود والنصارى والمسلمين فلم يختلفوا فى ان الله تعالى انما احدث الناس من ذكر وانثى ، وماجاء هذا المجىء فلا يجوز الاعتراض عليه بالدعوى ، وانما اختلف عنهم فى الاسماء فقط وليس فى هذا معترض ، لانه قد يكون للمرء اسماء كثيرة فلم يمنع من هذا مانع وبالله تعالى التوفيق

(قال ابو محمد رضى الله عنه) فلم نجد عندهم فى ذلك معارضة اصلا ، وماعلمنا احدا من المتكلمين ذكر هذه الفرقة اصلا ، وقلت له في خلال كلامي معه اترى العالم اذا خرج دفعة أخرج فيه الحوامل يطلقن والطباقون قعوداً علي اطباقهم (١) يبيعون التين والسرقين ؟ فضحك وعلم اني سلكت به مسلك السخرية فى قوله لفساده وقال لى نعم ، فقلت يلتقى ان يكونوا كلهم انبياء يوحى اليهم اولهم عن آخرهم بما عليه من العلوم والصناعات ،

(١) الاطباق جمع طبق وهو الوعاء الذى يؤكل عليه

منا وقوله أن الله تعالى لا يوصف بالقدرة على الشرور والمعاصى وليست هى مقدورة للبارى تعالى خلافا لاصحابه فانهم قضوا بانه قادر عليها لكنه لا يفعلها لانها قبيحة ومذهب النظام ان القبح اذا كان صفة ذاتية للقبيح وهو المانع من الاضافة اليه فعلا ففى تجويز وقوع القبيح منه قبح أيضاً فيجب ان يكون مانعاً ففاعل العدل لا يوصف بالقدرة على الظلم وزاد أيضاً علي هذا الاختيار فقال انما يقدر على فعل مايعلم ان فيه صلاحا لعباده ولا يقدر على ان يفعل لعباده فى الدنيا ماليس فيه صلاحهم هذا فى تعلق قدرته بما يتعلق بامور الدنيا واما امور الآخرة فقال لا يوصف البارى تعالى بالقدرة على ان يزيد فى عذاب اهل النار شيئاً ولا علي ان ينقص منه شيئاً وكذلك لا ينقص من نعيم أهل الجنة ولا ان يخرج احدا من اهل الجنة وليس ذلك مقدورا له وقد الزم عليه ان يكون البارى تعالى مطبوعا مجبورا على مايفعله فان القادر على الحقيقة من يتخير بين الفعل والترك فاجاب ان الذى الزمتمونى فى القدرة يلزمكم فى الفعل فان عندكم يستحيل ان يفعله وان كان مقدورا فلا فرق وانما أخذ هذه المقالة من قدماء الفلاسفة حيث قضوا بأن الجواد لا يجوز ان يدخر

أو يلهمون ذلك ، وفي هذا من بطلان الدعوى مالا خفاء به ، وكان مما اعترض به أن ذكر الجزائر المنقطعة في البحار وانه يوجد فيها النمل والحشرات وكثير من الطير وكثير من حشرات الارض ، فقلت ان كل ذلك لاينكر ذوحس دخوله في جملة رحالات (١) المسافرين الداخلين الى تلك البلاد ، فقد شاهدنا دخول الفيران في جملة الرحل كذلك ، وليس في ذلك مايوجب ماذكرت اصلا ، مع ان الحيوان نوعان * نوع متولد يخلقه الله تعالى من عفونات الابدان وعفونات الارض ، فهذا لاينكر تولده باحداث الله تعالى له في كل حين * وقسم آخر متوالد قدرتب الله تعالى في بنية العالم انه لايخلقه الا عن منى ذكر وانثى ، فهذا هو الذي صار في تلك الجزائر عن دخول اليها بلاشك ، وبالله تعالى التوفيق * وما ننكر في كل نوع ماعدا الانسان ان يخلق الله منه أكثر من اثنين ، فهذا ممكن في قدرة الله تعالى ولم يات خبر صادق بخلافه ، لان الله تعالى قد قال في امر نوح عليه السلام وسفينته حين الطوفان : واحمل فيها من كل زوجين اثنين وأهلك الا من سبق عليه القول ، ومع هذا فقد يمكن ان يكون نوح عليه السلام مامورا بان يحمل من كل زوجين اثنين ولا يمنع ذلك من بقاء بعض انواع نبات الماء وحيوانه في غير السفينة والله اعلم ، وانما نقول فيما لا يخرجه العقل الى الوجوب والامتناع بما جاءت به النبوة فقط : (وبرهان آخر) وهو انه لو كان اخراج الله تعالى لكل مافي العالم من العلوم والعلماء بها والصناعات والصانعين لها دفعة واحدة ، لكان ذلك بضرورة العقل واوله لا يخلو من أحد وجهين لا ثالث لهما : أما ان يكون ذلك بوحي اعلام وتوقيف منه تعالى ، واما بطبع مركب فيهم يقتضي لهم ماعلموا من ذلك وماصنعوا ، فان كان بوحي اعلام وتوقيف فقد صحت النبوة لجميعهم ، اذ ليست النبوة معنى غير هذا ، وهذه دعوى ممن قال بهذا القول بلا دليل ومالادليل عليه فهو باطل لايجوز القول به ، لاسيما والقائلون بها منكرون للنبوة ، فلاح تناقض قولهم ، وان كان كل ذلك عن طبيعة تقتضي لهم كونهم عالمين بالعلوم متكلمين باللغة متصرفين في الصناعات بلاتعليم ولا توقيف فهذا محال ضرورة وممتنع في العقل وفي الطبيعة ، اذ لو كان ذلك لوجدوا ابدا كذلك ، اذ الطبيعة واحدة لاتختلف ، وبالضرورة ندري انه لا يوجد احد ابدا في شيء من الازمان ولا في مكان اصلا ياتي بعلم من العلوم لم يعلمه اياه احد ، ولا يتكلم بلغة لم يعلمه اياها احد ، ولا بصناعة من الصناعات لم يوقفه عليها احد * وبرهان ذلك ماقدمنا قبل من ان البلاد التي ليست فيها العلوم واكثر الصناعات كارض الصقالبة والسودان والبوادي التي في خلال المدن ليس يوجد فيها ابدا احد يدري شيئا من العلوم ولا من الصناعات حتى يعلمه ذلك معلم ، وانه لاينطق احد حتى يعلمه معلم ، فظهر فساد هذا القول ببرهان ، وقبل البرهان بتعريه من البرهان

(١) الرحالات جمع رحالة وهي اكبر من السرج وتغشى بالجلود وتكون للخيل والنجائب من الابل (لمصححه)

شيئا لايفعله فما ابدعه واوجده هو المقدور ولو كان في علمه ومقدوره ماهو أحسن واكمل مما ابدعه نظاما وترتيبا وصلاحا لفعل (الثانية) قوله في الارادة ان الباري تعالى ليس موصوفا بها على الحقيقة فاذا وصف بها شرعا في افعاله فالمراد بذلك انه خالقها ومنشئها على حسب ماعلم واذا وصف بكونه مريدا لافعال العباد فالمعنى به انه آمر بها وناه عنها وعنه اخذ الكعبي مذهبه في الارادة (الثالثة) قوله ان افعال العباد كلها حركات فحسب والسكون حركة اعتماد والعلوم والارادات حركات النفس ولم يرد بهذه الحركة حركة النقلة وانما الحركة عنده مبدأ تغير ما كما قالت الفلاسفة من اثبات حركات في الكيف والكم والوضع والاين والمتى الى اخواتها (الرابعة) ووافقهم ايضا في قولهم ان الانسان في الحقيقة هو النفس والروح والبدن آلتها وقالبها وهذه بعينها مقالة الفلاسفة غير انه تقاصر عن ادراك مذهبهم فمال الى قول الطبيعية منهم ان الروح جسم لطيف مشابك للبدن مداخل للقلب باجزائه مداخلة المائية في الورد والدهنية في السمسم والسمنية في اللبن وقال ان الروح هي التي لها قوة واستطاعة وحياة ومشيئة وهي مستطيعة بنفسها والاستطاعة قبل الفعل (الخامسة) حكى الكعبي عنه انه قال ان كل ماجاوز محل القدرة من الفعل

*(الكلام

الكلام على من ينكر النبوة والملائكة

(قال ابو محمد رضى الله عنه) ذهبت البراهمة وهم قبيلة بالهند فيهم اشراف اهل الهند ويقولون انهم من ولد برهمي ملك من ملوكهم قديم ولهم علامة ينفردون بها وهى خيوط ملونة بحمرة وصفرة يتقلدونها تقلد السيوف وهم يقولون بالتوحيد على نحو قولنا الا انهم انكروا النبوات * وعمدة احتجاجهم فى دفعها ان قالوا لما صح ان الله عز وجل حكيم ، وكان من بعث رسولا الى من يدري انه لا يصدقه فلا شك فى انه متعنت عابث ، فوجب نفي بعث الرسل عن الله عز وجل لنفي العبث والعنت عنه * وقالوا ايضا ان كان الله تعالى انما بعث الرسل الى الناس ليخرجهم بهم من الضلال الى الايمان فقد كان اولى به فى حكمته واتم لمراده ان يضطر العقول الى الايمان به قالوا فبطل ارسال الرسل على هذا الوجه ايضا ، ومجيء الرسل عندهم من باب الممتنع * واما نحن فنقول ان مجيء الرسل قبل ان يبعثهم الله تعالى واقع فى باب الامكان ، وأما بعد أن بعثهم الله عز وجل ففى حد الوجوب ، ثم اخبر الصادق عليه السلام عنه تعالى انه لا نبي بعده ، فقد جد الامتناع ، ولسنا نحتاج الى تكلف ذكر قول من قال من المسلمين ان مجيء الرسل من باب الواجب ، واعتلالهم فى ذلك بوجوب الانذار فى الحكمة اذ ليس هذا القول صحيحا ، وانما قولنا الذى بيناه فى غير موضع انه تعالى لا يفعل شيئا لعلة ، وانه تعالى يفعل ما يشاء وان كل ما فعله فهو عدل وحكمة اى شيء كان * فيقال وبالله التوفيق لمن احتج بالحجة الاولى من ان الحكمة تضاد بعثة الرسل وان الحكيم لا يبعث الرسل الى من يدرى انه يعصيه ، انكم اضطركم هذا الاصل الفاسد الحاكم بذلك الى موافقة المانية على اصولها فى ان الحكيم لا يخلق من يعصيه ولا من يكفر به ويقتل اولياءه ، وهم يقولون ان الله تعالى خلق الخلق ليدلهم بهم على نفسه * ويقال لهم قد علمنا وعلمتم ان فى الناس كثيرا يجحدون الربوبية والوحدانية فقولوا انه ليس حكيما من خلق دلائل لمن يدرى انه لا يستدل بها * فان قالوا انه قد استدل بها كثير * قيل لهم وقد صدق الرسل ايضا كثير * فان قالوا انه خلق الخلق كما شاء * قيل لهم وكذلك بعث الرسل ايضا كما شاء ، فبعثته تعالى الرسل هى بعض دلائله التى خلقها تعالى ليدل بها على المعرفة به تعالى وعلى توحيده * ويقال لمن احتج بالحجة الثانية من ان الاولى به انه كان يضطر العقول الى الايمان به : ان هذا قول مرذول مردود عليكم فى قولكم ان الله عز وجل خلق الخلق ليدلهم بهم نفسه ووحدانيته ، فيلزمكم على ذلك الاصل الفاسد انه كان الاولى اذ خلقهم ان لا يدعهم والاستدلال ، وقد علم ان فيهم من لا يستدل وان فيهم من يغمض عليه الاستدلال ، فكان الاولى فى الحكمة ان يضطر عقولهم الى الايمان به ولا يكلفهم مؤنة الاستدلال ، وأن يلطف بهم الطافا يختار جميعهم معها الايمان كما فعل بالملائكة

(قال ابو محمد رضى الله عنه) وملاك هذا كله ما قد قلناه فى غير موضع من ان الخلق لما كانوا لا يقع منهم فعل الا لعلة ، ووجب بالبراهين الضرورية ان البارىء تعالى بخلاف جميع خلقه من جميع الجهات ، وجب ان يكون فعله لا لعلة بخلاف افعال جميع الخلق ، وانه لا يقال فى شيء من افعاله تعالى انه فعل كذا لعلة ، ولا اذ حبا الانسان بالنطق وحرمه سائر الحيوان ، وخلق بعض الحيوان صائدا وبعضه مصيدا ، وباين بين جميع مفعولاته كما شاء ، فليس لاحد ان يقول

فهو من فعل الله تعالى بايجاب الخليقة اى ان الله تعالى طبع الحجر طبعا وخلقه خلقة اذا دفعته اندفع واذا بلغ قوة الدفع مبلغها عاد الحجر الى مكانه طبعا وله فى الجواهر واحكامها خبط مذهب يخالف المتكلمين والفلاسفة (السادسة) وافق الفلاسفة فى نفي الجزء الذى لا يتجزى واحدث القول بالطفرة لما الزم مشي نملة على صخرة من طرف الى طرف انها قطعت ما لا يتناهى وكيف يقطع ما يتناهى ما لا يتناهى قال يقطع بعضها بالمشى وبعضها بالطفرة وشبه ذلك بحبل شد على خشبة معترضة وسط البئر طوله خمسون ذراعا وعليه دلو معلق وحبل طوله خمسون ذراعا علق عليه معلاق فيجر به الحبل المتوسط فان الدلو يصل الى رأس البئر وقد قطع مائة ذراع بحبل طوله خمسون ذراعا فى زمان واحد وليس ذلك الا ان بعض القطع بالطفرة ولم يعلم ان الطفرة قطع مسافة أيضا موازية لمسافة فالالزام لا يندفع عنه وانما الفرق بين المشى والطفرة يرجع الى سرعة الزمان وبطئه (السابعة) قال ان الجوهر مؤلف من أعراض اجتمعت ووافق هشام ابن الحكم فى قوله ان الالوان والطعوم والروائح اجسام فتارة يقضى بكون الاجسام اعراضا وتارة يقضى بكون الاعراض أجساما (الثامنة) من مذهبه ان الله تعالى خلق الموجودات دفعة واحدة على ما هى عليها الآن معادن ونباتا

وحيوانا وانسانا ولم يتقدم خلق آدم عليه السلام خلق أولاده غير ان الله تعالى أكمن بعضها في بعض

لم خلق الانسان ناطقا وحرم الحمار النطق ، وجعل الحجر جامدا لا حياة له ولا نطق ، وهذا اصل قد وافقتنا البراهمة عليه ، وسائر من خالفنا من تفريع هذا المعنى ممن يقول بالتوحيد وهكذا اذا بعث تعالى الانبياء ليس لاحد ان يقول لم بعثهم ، اولم بعث هذا الرجل ولم يبعث هذا الآخر ، ولا لم بعثهم فى هذا الزمان دون غيره من الازمان ، ولا لم بعثهم فى هذا المكان دون غيره من الامكنة ، كما لا يقال لم حباه بالسعد فى الدنيا دون غيره ، وهكذا كل ما فى العالم اذ انظر فيه تعالى الذى لا يسأل عما يفعل وهم يسألون

(قال أبو محمد رضى الله عنه) وإذ قد نقضنا شغبهم بحول الله تعالى وتأييده ، فلنقل الآن بعون الله تعالى وتأييده فى اثبات النبوة اذا وجدت قولا بينا وبالله تعالى التوفيق : قد قدمنا فيما خلا إثبات حدوث الاشياء وان لها محدثا لم يزل واحدا لا مبدأ له ولا كان معه غيره ولا مدبر سواه ولا خالق غيره ، فاذ قد ثبت هذا كله وصح انه تعالى أخرج العالم كله الى الوجود بعد ان لم يكن بلا كلفة ولا معاناة ولا طبيعة ولا استعانة ولا مثال سلف ولا علة موجبة ولا حكم سابق قبل الخلق يكون ذلك الحكم لغيره تعالى ، فقد ثبت انه لم يفعل اذ لم يشا وفعل اذ شاء كما شاء فيزيد ما شاء وينقص ما شاء ، فكل منطوق به مما يتشكك فى النفس أولا يتشكك فهو داخل له تعالى فى باب الامكان على ما بينا فى غير هذا المكان ، الا اننا نذكرها هنا طرفا ان شاء الله عز وجل فنقول وبالله تعالى نتايد : ان الممكن ليس واقعا فى العالم وقوعا واحدا ، ألا ترى ان نبات اللحية للرجال ما بين الثمان عشرة الى عشرين سنة ممكن ؟ وهو فى حدود الاثنى عشر سنة الى العامين ممتنع ، وان فك الاشكالات العويصة واستخراج المعانى الغامضة وقول الشعر البديع وصناعة البلاغة الرائعة ممكن لذى الذهن اللطيف والذكاء النافذ ، وغير ممكن من ذى البلادة الشديدة والغباوة المفرطة . فعلى هذا ما كان ممتنعا بيننا ، اذ ليس فى بنيتنا ولا فى طبيعتنا ولا من عادتنا فهو غير ممتنع على الذى لا بنية له ولا طبيعة له ولا عادة عنده ولا رتبة لازمة لفعله ، فاذ قد صح هذا فقد صح انه لا نهاية لما يقوى عليه تعالى ، فصح ان النبوة فى الامكان ، وهى بعثة قوم قد خصهم الله تعالى بالفضيلة لا لعلة الا انه شاء ذلك فعلمهم الله تعالى العلم بدون تعلم ولا تنقل فى مراتبه ولا طلب له ، ومن هذا الباب ما يراه أحدنا فى الرؤيا فيخرج صحيحا وما هو من باب تقدم المعرفة ، فاذ قد أثبتنا ان النبوة قبل مجيء الانبياء عليهم السلام واقعة فى حد الامكان ، فلنقل الآن بحول الله تعالى وقوته على وجوبها اذا وقعت ولا بد ، فنقول: اذ قد صح ان الله تعالى ابتدأ العالم ولم يكن موجودا حتى خلقه الله تعالى فبيقين ندرى ان العلوم والصناعات لا يمكن البتة أن يهتدي أحد اليها بطبعه فيما بيننا دون تعليم ، كالطب ومعرفة الطبائع والامراض وسببها على كثرة اختلافها ، ووجود العلاج لها بالعقاقير التى لا سبيل الى تجربتها كلها أبدا ، وكيف يجرب كل عقار فى كل علة ، ومتى يتهيأ هذا ولا سبيل له الا فى عشرة آلاف من السنين؟ ومشاهدة كل مريض فى العالم ، وهذا يقطع دونه قواطع الموت والشغل بما لا بد منه من أمر المعاش ، وذهاب الدول وسائر العوائق ، وكعلم النجوم ومعرفة دورانها وقطعها وعودها الى أفلاكها مما لا يتم الا فى عشرة آلاف من السنين ، ولا بد من أن يقطع دون ضبط ذلك العوائق التى قلنا ، وكاللغة التى لا يصح تربية ولا عيش ولا تصرف الا بها ،

فالتقدم والتاخر انما يقع فى ظهورها من مكامنها دون حدوثها ووجودها وانما أخذ هذه المقالة من أصحاب الكمون والظهور من الفلاسفة وأكثر ميله أبدا الى تقرير مذاهب الطبيعيين منهم دون الالهيين (التاسعة) قوله فى اعجاز القرآن انه من حيث الاخبار عن الامور الماضية والآتية ومن جهة صرف الدواعى عن المعارضة ومنع العرب عن الاهتمام به جبرا وتعجيزا حتى لو خلاهم لكانوا قادرين على ان ياتوا بسورة من مثله بلاغة وفصاحة ونظما (العاشرة) قوله فى الاجماع انه ليس بحجة فى الشرع وكذلك القياس فى الاحكام الشرعية لا يجوز أن يكون حجة وانما الحجة فى قول الامام المعصوم (الحادية عشرة) ميله الى الرفض ووقيعته فى كبار الصحابة قال أولا لا امامة الا بالنص والتعيين ظاهرا مكشوفا وقد نص النبى صلى الله عليه وسلم على على كرم الله وجهه فى مواضع وأظهره اظهارا لم يشتبه على الجماعة الا ان عمر كتم ذلك وهو الذى تولى بيعة أبى بكر رضى الله عنهما يوم السقيفة ونسبه الى الشك يوم الحديبية فى سؤاله عن الرسول عليه السلام حين قال السنا على الحق أليسوا على الباطل قال نعم قال عمر فلم نعطي الدنية فى ولا

ولاسبيل الى الاتفاق عليها الا بلغة أخرى ولابد . فصح انه لابد من مبدأ للغة ما . وكالحرث والحصاد والدراس والطحن وآلاته والعجن والطبخ والحلب وحراسة المواشي واتخاذ الانسال منها والغرس واستخراج الادهان ودق الكتان والقنب والقطن وغزله وحياكته وقطعه وخياطته ولبسه وآلات كل ذلك وآلات الحرث والارحاء والسفن وتدبيرها في القطع بها للبحار والدواليب وحفر الآبار وتربية النحل ودود الخز واستخراج المعادن وعمل الابنية منها ومن الخشب والفخار . وكل هذا لاسبيل الى الاهتداء اليه دون تعليم . فوجب بالضرورة ولابد انه لابد من انسان واحد فاكثر علمهم الله تعالى ابتداء كل هذا دون معلم لكن بوحي حققه عنده وهذه صفة النبوة . فاذاً لابد من نبي أو انبياء ضرورة . فقد صح وجود النبوة والنبي في العالم بلاشك : ومن البرهان علي ماذكرنا اننا نجد كل من لم يشاهد هذه الامور لاسبيل له الى اختراعها البتة . كالذى يولد وهو أصم فانه لايمكن له البتة الاهتداء الى الكلام ولا الى مخارج الحروف . وكالبلاد التى ليست فيها بعض الصناعات وهذه العلوم المذكورة كبلاد السودان والصقالبة وأكثر الامم وسكان البوادى نعم والحواضر لايمكن البتة منذ أول العالم الى وقتنا هذا ولا الى انقضائه اهتداء أحد منهم الى علم لم يعرفه ولا الى صناعة لم يعرف بها . فلاسبيل الى تهديهم اليها البتة حتى يعلموها . ولو كان ممكنا فى الطبيعة التهدي اليها دون تعليم لوجد من ذلك فى العالم علي سعته وعلى مرور الازمان من يهتدى اليها ولو واحداً وهذا أمر يقطع علي انه لايوجد ولم يوجد . وهكذا القول فى العلوم ولافرق . ولسنا نعنى بهذا ابتداء جمعها فى الكتب لان هذا أمر لامؤنة فيه . انما هو كتاب ماسمعه الكاتب واحصاؤه فقط . كالكتب المؤلفة فى المنطق وفى الطب وفى الهندسة وفى النجوم وفى الهيئة والنحو واللغة والشعر والعروض . انما نعنى ابتداء مؤنة اللغة والكلام بها . وابتداء معرفة الهيئة وتعلمها . وابتداء أشخاص الامراض وأنواعها وقوي العقاقير والمعاناة بها . وابتداء معرفة الصناعات . فصح بذلك انه لابد من وحي من الله تعالى فى ذلك

(قال أبو محمد رضى الله عنه) وهذا أيضا برهان ضرورى علي حدوث العالم وان له محدثا مختاراً ولابد . اذ لابقاء للعالم البتة الا بنشأة ومعاش . ولا نشأة ولا معاش الا بهذه الاعمال والصناعات والآلات . ولايمكن وجود شيء من هذه كلها الا بتعليم البارى تعالى . فصح ان العالم لم يكن موجوداً . اذ لاسبيل الى بقائه الا بما ذكرنا . ثم وجد معلما مدبراً مبتدأ بتعليمه علي ماذكرنا وبالله تعالى التوفيق

(قال أبو محمد رضى الله عنه) واذ قد تكلمنا على انه لابد من نبوة وصح ذلك ضرورة . فلنتكلم على براهينها التى يصح بها علم صدق مدعيها اذ وقعت . فنقول : انه قد صح ان البارئ تعالى هو فاعل كل شيء ظهر . وانه قادر على اظهار كل متوهم لم يظهر . وعلمنا بكل ماقدمنا انه تعالى مرتب هذه الرتب التى فى العالم ومجريها على طبائعها المعلومة منا الموجودة عندنا . وانه لافاعل علي الحقيقة غيره تعالى . ثم رأينا خلافا لهذه الرتب والطبائع قد ظهرت . ووجدنا طبائع قد أحيلت وأشياء فى حد الممتنع قد وجبت ووجدت . كصخرة انفلقت عن ناقة . وعصا انقلبت حية . وميت أحياه انسان . ومئين من الناس رووا وتوضؤا كلهم من ماء يسير فى قدح صغير يضيق عن بسط

ديننا قال هذا شك فى الدين ووجدان خرج فى النفس مما قضى وحكم وزاد فى القربة فقال ان عمر ضرب بطن فاطمة عليها السلام يوم البيعة حتى القت المحسن من بطنها وكان يصيح احرقوها بمن فيها وماكان فى الدار غير على وفاطمة والحسن والحسين وقال تغريبه نصر بن الحجاج من المدينة الى البصرة وابداعه التراويح ونهيه عن متعة الحج ومصادرته العمال كل ذلك احداث ثم وقع فى عثمان رضى الله عنه وذكر احداثه من رده الحكم بن أمية الى المدينة وهو طريد رسول الله صلى الله عليه وسلم ونفيه اباذر وهو صديق رسول الله ﷺ وتقليده الوليد بن عتبة الكوفة وهو من افسد الناس ومعاوية الشام وعبد الله بن عامر البصرة وتزويجه مروان بن الحكم ابنته وهم افسدوا عليه امره وضربه عبد الله بن مسعود على احضار المصحف وعلى القول الذى شافهه به كل ذلك احداثه ثم زاد على خزيه ذلك بان عاب عليا وعبد الله ابن مسعود لقولهما اقول فيها برأى وكذب ابن مسعود فى روايته السعيد من سعد فى بطن امه والشقى من شقى فى بطن امه وفى روايته انشقاق القمر وفي تشبيهه الجن بالبط وقد انكر الجن رأساً الى غير ذلك من الوقيعة الفاحشة فى الصحابة رضى الله عنهم اجمعين (الثانية عشر) قوله فى الفكر قبل ورود السمع انه اذ كان عاقلا

اليدفيه لامادة له . فعلمنا ان محيل هذه الطبائع . وفاعل هذه المعجزات هو الاول الذي احدث كل شيء . ووجدنا هذه القوى قد اصحبها الله تعالى رجالا يدعون اليه . ويذكرون انه تعالى أرسلهم الى الناس ويستشهدون به تعالى فيشهد لهم بهذه المعجزات المحدثة منه تعالى في حين رغبة هؤلاء القوم اليه فيها . وضراعتهم اليه في تصديقهم بها . فعلمنا علما ضروريا لا بالاعجال لاشك فيه انهم مبعوثون من قبله عز وجل . وانهم صادقون فيما أخبروا به عنه تعالى . اذ لاسبيل في طبيعة مخلوق في العالم الى التحكم على الباري ولا على طبائع خلقه بمثل هذا . ووجوب النبوة اذ ظهر على مدعيها معجزة من احالة الطبائع المخالفة لما بنى عليه العالم . وقد تكلمنا في غير هذا المكان على ان هذه الاشياء لها طرق توصل الى صحة اليقين بها عند من لم يشاهدها كصحتها عند من شاهدها ولا فرق . وهي نقل الكافة التي قد استشعرت العقول بدايتها والنفوس بأول معارفها انه لاسبيل الى جواز الكذب ولا الوهم عليها وان ذلك ممتنع فيها . فمن تجاهل وأجاز ذلك عليها خرج عن كل معقول . ولزمه ان لا يصدق ان من غاب عن بصره من الانس بانهم أحياء ناطقون كمن شاهد وأن صورهم على حسب الصورة التي عاين . ولزم أن يكون عنده ممكنا في بعض من غاب عن بصره من الناس ان يكونوا بخلاف ما عهد من الصورة . اذ لا يعرف أحد ان كل من غاب عن حسه فانه في مثل كيفية ما شاهد من نوعه الا بنقل الكواف ذلك كما نقلت ان بعضهم بخلاف ذلك في بعض الكيفيات . فوجب تصديق ذلك ضرورة كبلاد السودان وما أشبه ذلك . ويلزم من لم يصدق خبر الكافة ويجيز فيه الكذب والوهم ان لا يصدق ضرورة بان أحداً كان قبله في الدنيا ولا ان في الدنيا أحداً الا من شاهد بحسه . فان جوز هذا عرف بقلبه انه كاذب . وخرج عن حدود من يتكلم معه . لان هذا الشيء لا يعرف البتة الا من طريق الخبر لا غير . فان نفر عن هذا وأقر بانه قد كان قبله ملوك وعلماء ووقائع وأمم . وأيقن بذلك ولم يكن في كثير منها شك بل هي عنده في الصحة كما شاهد ولا فرق : سئل من اين عرفت ذلك وكيف صح عندك؟ فلا سبيل له اصلا الى ان يصح ذلك عنده الا بخبر منقول نقل كافة . وبالله تعالى التوفيق: فنقول له حينئذ فرق بين ما نقل اليك من كل ذلك . وبين كل ما نقل اليك من علامات الانبياء . ولا سبيل له الى الفرق بين شيء من ذلك أصلا . فان قال الفرق بينها وبينها انه لا ينكر احد هذه الامور . وكثير من الناس ينكرون اعلام الانبياء . قيل له وبالله تعالى التوفيق: ان كثيراً من الناس لا يعرفون كثيراً مما صح عندك من الاخبار العارضة لمن كان في بلادك قبلها . فليس جهلهم بها ودفعهم لها لو حدثوا بها مخرجاً لها عن الصحة . وكذلك جحد من جحد اعلام الانبياء ليس مخرجاً لها عن الوجوب والصحة . فان قال انه ليس نجد الناس على الكذب فيما كان قبلنا من الاخبار ما نجدهم على الكذب في اعلام النبوة . قيل له وبالله التوفيق: هذا كذب بل الامران سواء لا فرق بينهما . ومن الملوك من يشتد عليهم وصف اسلافهم بالجور والظلم والقبائح . ويحمي هذا الباب بالسيف فما دونه . فما انتفعوا بذلك في كتمان الحق . قد نقل ذلك كله وعرف كما نقلت فضائل من يغضب ملوك الزمان من مدحه . كفضائل علي رضي الله عنه ما قدر قط ملوك بني مروان على سترها وطيها . وقد رام المامون والمعتصم والواثق على سعة ملكهم لاقطار الارض قطع القول بان القرآن غير مخلوق فما قدروا على ذلك . وكل نبي لله عدو

متمكنا من النظر يجب عليه تحصيل معرفة الباري تعالى بالنظر والاستدلال وقال بتحسين العقل وتقبيحه في جميع ما يتصرف فيه من افعاله وقال لابد من خاطرين احدهما يامر بالاقدام والاخر بالكف ليصح الاختيار (الثالثة عشر) تكلم في مسائل الوعد والوعيد وزعم ان من خان في مائة وتسعة وتسعين درهما بالسرقة او الظلم لم يفسق بذلك حتى تبلغ خيانته نصاب الزكاة وهو مائتا درهم فصاعداً فحينئذ يفسق وكذلك في سائر نصب الزكاة وقال في المعاد ان الفضل على الاطفال كالفضل على البهائم ووافقه الاسوارى في جميع ماذهب اليه وزاد عليه بان قال ان الله تعالى لا يوصف بالقدرة علي ما علم انه لا يفعله ولا علي ما أخبر انه لا يفعله مع ان الانسان قادر على ذلك لان قدرة العبد صالحة للضدين ومن المعلوم ان احد الضدين واقع وفي المعلوم انه سيوجد دون الثاني والخطاب لا ينقطع عن ابي لهب وان اخبر الرب تعالى بانه سيصلى نارا ذات لهب ووافقه ابو جعفر الاسكافي واصحابه من المعتزلة وزاد عليه بان قال ان الله تعالى لا يقدر على ظلم العقلاء وانما يوصف بالقدرة علي ظلم الاطفال والمجانين وكذلك من الجعفران جعفر ابن مبشر وجعفر بن حرب وافقاه وما زادا عليه الا ان جعفر بن مبشر قال في فساق الامة من هو

من الملوك والامم يكذبونهم فما قدروا قط على طى اعلامهم . ولا على تحقيق ما زادوا على ذلك لمن يغضب له من لا دين له . فصح ان الامرين سواء . وان الحق حق . فان قال قائل فلعل هذا الذى ظهرت منه المعجزات قد ظفر بطبيعة وخاصية قدر معها على اظهار ما ظهر . قيل له وبالله التوفيق : ان الخواص قد علمت ووجوه الحيل قد احكمت . وليس فى شىء منها عمل يحدث عنه اختراع جسم لم يكن كنحو ما ظهر من اختراع الماء الذى لم يكن ولا فى شىء منه احالة نوع الى نوع آخر دفعة على الحقيقة . ولا جنس الى جنس آخر دفعة على الحقيقة . وهذا كله قد ظهر على أيدى الانبياء عليهم السلام فصح انه من عند الله تعالى لا مدخل لعلم انسان ولا حيلته فيه . ونحن نبين ان شاء الله الفرق الواضح بين معجزات الانبياء عليهم السلام . وبين ما يقدر عليه بالسحر . وبين حيل المجائبين ، فنقول وبالله تعالى التوفيق : ان العالم كله جوهر وعرض لا سبيل الى وجود قسم ثالث فى العالم دون الله تعالى . فاما الجواهر فاختراعها من ليس الى ايس وهو من العدم الى الوجود فممتنع غير ممكن البتة لاحد دون الله تعالى مبتدىء العالم ومخترعه . فمن ظهر عليه اختراع جسم كالماء النابع من اصابع رسول الله صلى الله عليه وسلم بحضرة الجيش فهى معجزة شاهدة من الله تعالى له بصحة نبوته لا يمكن غير ذلك اصلا . وكذلك احالة الاعراض التى هي جوهريات ذاتيات وهى الفصول التى تؤخذ من الاجناس ، وذلك كقلب العصا حية . وحنين الجذع . واحياء الموتى الذين رموا (١) وصاروا عظاما . والبقاء فى النار ساعات لا تؤذيه وما أشبه ذلك . وكذلك الاعراض التى لا تزول الا بفساد حاملها . كالفطس والرزق ونحو ذلك . فهذا لا يقدر عليه احد دون الله تعالى بوجه من الوجوه . واما احالة الاعراض من الغيرات التى تزول بغير فساد حاملها فقد تكون بالسحر . ومنه طلسمات كتنفير بعض الحيوان عن مكان ما فلا يقربه اصلا . وكابعاد البرد ببعض الصناعات . وما أشبه هذا وقد يزيد الامر ويفشوا العلم ببعض هذا النوع حتى يحسبه اكثر الناس كالطير والاصباغ وما اشبه هذا . واما التخييل بنوع من الخديعة كسكين مثقوبة النصاب تدخل فيها السكين ويظن من رآها انها دخلت فى جسد المضروب بها . فى حيل غير هذه من حيل ارباب العجائب والحلاج (٢) واشباهه فامر يقدر عليه من تعلمه . وتعلمه ممكن لكل من اراده . فالذي يأتى به الانبياء عليهم السلام هو احالة الذاتيات . ومن ذلك صرف الحواس على طبائعها كمن اراك ما لا يراه غيرك . اومسح يده على مريض فافاق . اوسقاه ما يضر علته فبرىء ، او اخبر عن الغيوب فى الجزئيات عن غير تعديل ولا فكرة . فهذه كلها احالة الذاتيات وما ثبت ، اذ ثباتها لا يكون الا لنبى . فاذا قد تكلمنا على مكان النبوة قبل مجيئها . ووجوبها حين وجودها . فلنتكلم الآن بحول الله وقوته على امتناعها بعد ذلك . فنقول وبالله تعالى التوفيق : اذ قد صح كل ما ذكرنا من المعجزات الظاهرة من الانبياء عليهم السلام شهادة من الله تعالى لهم يصدقوا بها أقوالهم فقد وجب علينا الانقياد لما أتوا به ولزمنا تيقن كل ما قالوا . وقد صح عن رسول

(١) من رم الميت يرم بالكسر وأرم اذا بلى (٢) الحلاج ككتاب لعله يريد به خفة اليد وسرعة الحركة (مصححه)

١ شر من الزنادقة والمجوس وزعم ان اجماع الصحابة على حد شارب الخمر كان خطا اذ المعتبر فى الحدود النص والتوقيف وزعم ان سارق الحبة الواحدة فاسق منخلع عن الايمان وكان محمد بن شبيب وابو شمر وموسى بن عمران من اصحاب النظام الا انهم خالفوه فى الوعيد وفى المنزلة بين المنزلتين وقالوا صاحب الكبيرة لا يخرج من الايمان بمجرد ارتكاب الكبيرة وكان بن مبشر يقول فى الوعيد ان استحقاق العقاب والخلود فى النار بالكفر يعرف قبل ورود السمع وسائر أصحابه يقولون التخليد لا يعرف الا بالسمع ومن اصحاب النظام الفضل الحدبي واحمد بن حابط قال بن الراوندى انهما كانا يزعمان أن للخلق خالقين احدهما قديم وهو البارى تعالى والثاني محدث وهو المسيح عليه السلام لقوله تعالى اذ تخلق من الطين كهيئة الطير وكذبه الكعبي فى رواية الحدبي خاصة لحسن اعتقاده فيه الحابطية أصحاب احمد بن حابط وكذلك الحدبية اصحاب فضل بن الحدبي كانا من اصحاب النظام وطالعا كتب الفلاسفة أيضا وضما الى مذهب النظام ثلاث بدع (الاولى) اثبات حكم من أحكام الالهية فى المسيح عليه السلام موافقة للنصارى على اعتقادهم ان المسيح عليه السلام هو الذى يحاسب الخلق فى الآخرة وهو المراد بقوله تعالى وجاء ربك والملك صفا صفا وهو الذى يأتي

الله صلى الله عليه وسلم بنقل الكواف التى نقلت نبوته واعلامه وكتابه انه اخبر انه لانبي بعده . الا ماجاءت الاخبار الصحاح من نزول عيسى عليه السلام الذى بعث الى بني اسرائيل وادعى اليهود قتله وصلبه . فوجب الاقرار بهذه الجملة . وصح ان وجود النبوة بعده عليه السلام باطل لا يكون البتة . وبهذا يبطل ايضا قول من قال بتواتر الرسل ووجوب ذلك ابداً وبكل ماقدمناه مما ابطلنا به قول من قال بامتناعها البتة . اذ عمدة حجة هؤلاء هى قولهم : ان الله حكيم والحكيم لايجوز في حكمته ان يترك عباده هملا دون انذار

(قال ابو محمد) رضى الله عنه ، وقد احكمنا بحول الله تعالى وقوته قبل هذا ان الله تعالى لاشرط عليه ولاعلة موجبة عليه ان يفعل شيئاً ولا أن لايفعله ، وانه تعالى لو اهمل الناس لكان حقاً وحسناً لو خلقهم كما خلق سائر الحيوان الذى لم يلزمه شريعة ولا خطر عليه شيء . وانه تعالى لو واتر الرسل والنذارة ابداً لكان حقاً وحسناً كما فعل بالملائكة الذين هم حملة وحيه ورسله ابداً . وانه تعالى لو خلق الخلق كفاراً كلهم لكان ذلك منه حقاً وحسناً او لو خلقهم مؤمنين كلهم لكان حقا وحسناً . كما ان الذى فعل تعالى من كل ذلك حق وحسن . وانه لايقبح شيء الا من مامور منهي قد تقدمت الاوامر وجوده وسبقت الحدود المرتبة للاشياء كونه . واما من سبق كل ذلك فله ان يفعل مايشاء ويترك مايشاء لامعقب لحكمه . واما الملائكة فكل من له معرفة ببنية العالم والافلاك والعناصر فانه يعلم ان الارض وعمقها اقرب الى الفساد من سائر العناصر ومن سائر الاجرام العلوية . وانها مواتية كلها . وان الحياة انما هي في النفوس المنزلة قسرا الى مجاورة اجساد الترابية المواتية من جميع الحيوان . فقد ثبت يقينا بضرورة المشاهدة ان محل الحياة وعنصرها ومعدنها وموضعها انما هو هنالك من حيث جاءت النفوس الحية الناقصة بما في طبعها من مجاورة هذه الاجساد . والتثبت بها عن كل ماخص بالحياة الدائمة ولم يشن ولا نقص فضله وصفاؤه بمجاورة الاجساد الكدرة المملوءة آفات ودرنا وعيوباً . فصح ان العلو الصافي هو محل الاحياء الفاضلين السالمين من كل رذيلة ومن كل نقص ومن كل مزاج فاسد . المحوين بكل فضيلة فى الخلق . وهذه صفة الملائكة عليهم السلام . وصح بهذا ان على قدر سعة ذلك المكان يكون كثرة من فيه من اهله وعماره . وانه لانسبة لما في هذا المحل الضيق والنقطة الكدراء وما هنالك كما لا نسبة لمقدار هذا المكان من ذلك ، وبهذا صحت الرواية وهكذا اخبر رسول الله ﷺ عن كثرة الملائكة فى الاخبار المسندة الثابتة عنه ﷺ . وبهذا وجب ان يكونوا هم الرسل والوسائط بين الاول تعالى الذى خصهم بالنبوة والرسالة وتعليم العلوم . وبين انقاذ النفوس من الهلكة

الكلام على من قال ان في البهائم رسلاً

(قال ابو محمد) رضى الله عنه : ذهب احمد بن حابط وكان من اهل البصرة من تلاميذ ابراهيم النظام بظهر الاعتزال وما نراه الا كافرا لا مؤمنا . وانما استخرنا اخراجه عن

الاسلام

في ظلل من الغمام وهو المعنى بقوله تعالى أو يأتي ربك وهو المراد بقول النبي عليه السلام ان الله تعالى خلق آدم على صورة الرحمن وبقوله يضع الجبار قدمه في النار وزعم أحمد بن حابط أن المسيح تدرع بالجسد الجسماني وهو الكلمة القديمة المتجسدة كما قالت النصارى (الثانية) القول بالتناسخ زعما ان الله تعالى أبدع خلقه أصحاء سالمين عقلاء بالغين فى دار سوى هذه الدار التى هم فيها اليوم وخلق فيهم معرفته والعلم به واسبغ عليهم نعمه ولا يجوز ان يكون أول ما يخلقه الا عاقلا ناظرا معتبرا فابتدأهم بتكليف شكره فاطاعه بعضهم في جميع ما أمرهم به وعصاه بعضهم فى جميع ذلك واطاعه بعضهم فى البعض دون البعض فمن اطاعه فى الكل اقره فى دار النعيم التى ابتدأهم فيها ومن عصاه فى الكل أخرجه من تلك الدار الى دار العذاب وهى النار ومن اطاعه فى البعض وعصاه فى البعض اخرجه الى دار الدنيا فالبسه هذه الاجسام الكثيفة وابتلاه بالبأساء والضراء والشدة والرخاء والآلام واللذات على صور مختلفة من صور الناس وسائر الحيوانات على قدر ذنوبهم فمن كانت معاصيه أقل وطاعته أكثر كانت صورته احسن وآلامه اقل ومن كانت ذنوبها كثيرة كانت صورته اقبح وآلامه أكثر ثم لايزال يكون الحيوان في الدنيا كرة بعد

الاسلام . لان اصحابه حكوا عنه وجوها من الكفر . منها التناسخ . والطعن على رسول الله ﷺ بالنكاح . وكان من قوله ان الله عز وجل نبأ انبياء من كل نوع من انواع الحيوان . حتى البق والبراغيث والقمل . وحجته في ذلك قول الله تعالى : وما من دابة في الارض ولا طائر يطير بجناحيه الا امم امثالكم مافرطنا في الكتاب من شيء ثم ذكروا قوله تعالى : وان من أمة الا خلافيها نذير (قال ابو محمد) رضى الله عنه وهذا لاحجة لهم فيه لان الله عزوجل يقول لئلايكون للناس على الله حجة بعد الرسل. وانما يخاطب الله تعالى بالحجة من يعقلها . قال الله تعالى : ياأولى الالباب . وقد علمنا بضرورة الحس ان الله تعالى انما خص بالنطق الذى هو التصرف في العلوم ومعرفة الاشياء على ماهى عليه والتصرف في الصناعات على اختلافها الانسان خاصة . واضفنا اليهم بالخبر الصادق مجرد الجن ، واضفنا اليهم بالخبر الصادق وببراهين أيضاً ضرورية الملائكة ، وانما شارك من ذكرنا سائر الحيوان في الحياة خاصة وهى الحس والحركة الارادية ، فعلمنا بضرورة العقل ان الله تعالى لايخاطب بالشرائع الامن يعقلها ويعرف المراد بها ، وبقوله تعالى لايكلف الله نفسا الا وسعها ، ووجدنا جميع الحيوان حاشا الناس يجرى على رتبة واحدة في تصرفها في معايشها وتناسلها ، لايجتنب منها واحدشيئا يفعله غيره . هذا الذى يدرك حسا فيما يعاشر الناس في منازلهم من المواشى والخيل والبغال والحمير والطير وغير ذلك . وليس الناس في أحوالهم كذلك . فصح أن البهائم غير مخاطبة بالشرائع . وبطل قول ابن حابط . وصح ان معنى قول الله تعالى : أمم امثالكم . أى انواع امثالكم اذكل نوع يسمى أمة . وان معنى قوله تعالى : وان من أمة الاخلافيها نذير . انما عنى تعالى الامم من الناس . وهم القبائل والطوائف . ومن الجن لصحة وجوب العبادة عليهم . فان قال قائل : فما يدريك لعل سائر الحيوان له نطق وتمييز ؟ قيل له وبالله التوفيق : بقضية العقول وبديهها عرفنا الاشياء على ماهى عليه . وبها عرفنا الله تعالى وصحة النبوة وهى التى لايصح شيء الابوجها . فما عرف بالعقل فهو واجب فيما بيننا نريد في الوجود في العالم . وماعرف بالعقل انه محال فهو محال في العالم . وماوجد بالعقل امكانه فجائز ان يوجد . وجائز ان لايوجد . وبضرورة العقل والحس علمنا ان كل واقعين تحت جنس فان ذلك الجنس يعطيهما اسمه وحده عطاء مستويا . فلما كان جنس الحى يجمعنا مع سائر الحيوان استوينا معها كلها استواء لاتفاضل فيه فيما اقتضاه اسم الحياة من الحس والحركة الارادية . وهذان المعنيان هما الحياة لاحياة غيرها اصلا . وعلمنا ذلك بالمشاهدة لانارأينا الحيوان يألم بالضرب والنخس ويحدث لها من الصوت والقلق مايحقق ألمها كما نفعل نحن ولافرق . ولذلك لما شاركنا والحيوان جميع الشجر والنبات في النماء استوى جميع الحيوان فيما اقتضاه اسم النمو من طلب الغذاء واستحالته في المتغذى به الى نوعه ومن طلب بقاء النوع مع جميع الشجر والنبات استواء واحداً لا تفاضل فيه . ولما شاركنا وجميع الحيوان والشجر والنبات وسائر الجمادات في ان كل ذلك اجسام طويلة عريضة عميقة جميع الاجرام استوى كل ذلك فيما

كرة وصورة بعد أخرى مادامت معه ذنوبه وطاعاته وهذا عين القول بالتناسخ وكان في زمانهما شيخ المعتزلة احمد بن أيوب بن مانوس وهو أيضا من تلامذة النظام قال مثل ماقال احمد بن حابط في التناسخ وخلق البرية دفعة واحدة الا انه قال متى ماصارت النوبة الى البهيمية ارتفعت التكاليف ومتى ماصارت النوبة الى رتبة النبوة والملك ارتفعت التكاليف أيضا وصارت النوبتان عالم الجزاء ومن مذهبهما ان الديار خمس داران للثواب احداهما فيها أكل وشرب وبعال وجنات وانهار (والثانية) دار فوق هذه الدار ليس فيها أكل وشرب وبعال* بل ملاذ روحانية وروح وريحان غير جسمانية (والثالثة) دار العقاب المحض وهى نار جهنم ليس فيها ترتب بل هى على نمط التساوى (والرابعة) دار الابتداء وهى التى خلق الخلق فيها قبل ان تهبط الى الدنيا وهى الجنة الاولى (والخامسة) دار الابتلاء وهى التى كلف الخلق فيها بعد ان اجترحوا فى الاولى وهذا التكوين والتكرير لايزال فى الدنيا حتى يمتلئ المكيالان مكيال الخير ومكيال الشر فاذا امتلأ مكيال الخير صار العمل كله طاعة والمطيع خيرا خالصا فينقل الى الجنة ولم يلبث طرفة عين فان مطل الغنى ظلم وفى الخبر اعطوا الاجير اجره قبل ان يجف عرقه واذا امتلأ مكيال الشر صار العمل كله معصية والعاصى شريرا

محضاً فينتقل الى النار ولم يلبث طرفة عين وذلك قوله تعالى فاذا جاء اجلهم لايستأخرون ساعة ولا يستقدمون (البدعة الثالثة) حملها كل ماورد فى الخبر من رؤية البارى تعالى مثل قوله عليه السلام انكم سترون ربكم كما ترون القمر ليلة البدر لاتضامون فى رؤيته على رؤية العقل الاول الذى هو اول مبدع وهو العقل الفعال الذى منه تفيض الصور علي الموجودات واياه عنى النبي عليه السلام اول ماخلق الله تعالى العقل فقال له اقبل فاقبل ثم قال له ادبر فأدبر فقال وعزتى وجلالى ماخلقت خلقا احسن منك بك أعز وبك أذل وبك اعطى وبك أمنع فهو الذى يظهر يوم القيامة وترتفع الحجب بينه وبين الصور التى فاضت منه فيرونه كمثل القمر ليلة البدر فاماواهب العقل فلا يري ألبتة ولا يشبه الا مبدع بمبدع وقال ابن حائط ان كل نوع من أنواع الحيوانات امة علي حيالها لقوله تعالى ولا طائر يطير بجناحيه الاامم امثالكم وفى كل امة رسول من نوعه لقوله تعالى وان من امة الاخلافيها نذير ولهما طريقة أخرى في التناسخ وكأنهما مزجا كلام التناسخية والفلاسفة والمعتزلة بعضها ببعض (البشرية) اصحاب بشر بن المعتمر كان من أفضل علماء المعتزلة وهو الذى احدث القول بالتولد وافرط فيه وانفرد عن اصحابه بمسائل ست (الاولى)

اقتضاه له اسم الجسمية فى ذلك استواء لاتفاضل فيه . ولم يدخل مالم يشاركه شيئاً مما ذكرنا فى الصفة التى انفرد بها عنه . هذا كله يعلمه ضرورة من وقف عليه ممن له حس سليم . فلما كان النطق الذى هو التصرف فى العلوم والصناعات قد خصنا دون سائر الحيوان . وجب ضرورة ان لايشاركنا شيء من الحيوان فى شيء منه . اذ لو كان فيه شيء منه لما كنا احق بكله من سائر الحيوان . كما أنا لسنا بالحياة احق منها ولا بالنمو ولا بالحركة ولا بالجسمية . فصح بهذا أنه لانطق لها اصلا . فان قال قائل لعل نطقها بخلاف نطقنا . قيل له وبالله التوفيق : لايتشكل فى العقول البتة حياة على غير صفة الحياة عندنا . ولا نماء على غير صفة النماء عندنا . ولا حمرة على غير الحمرة عندنا . ولا جسم على خلاف الاجسام عندنا . وهكذا في كل شيء . ولو كان شيء بخلاف ماعندنا لم يقع عليه ذلك الاسم اصلاً . وكان كمن سمى الماء ناراً والعسل حجراً . وهذا هو الحمق والتخليط . فبالضرورة وجب ان كل صفة هي بخلاف نطقنا فليس نطقا . والنطق عندنا هو التصرف فى العلوم والصناعات ومعرفة الاشياء على ماهي عليه . فلو كان ذلك النطق بخلاف هذا لكان ليس معرفة للاشياء على ماهى عليه ولا تصرفا فى العلوم والصناعات . فهو اذا ليس نطقا . فبطل هذا الشغب السخيف والحمد لله رب العالمين *

فان اعترض معترض بفعل النحل ونسج العنكبوت . قيل له وبالله التوفيق : ان هذه طبيعة ضرورية . لان العنكبوت لايتصرف فى غير تلك الصفة من النسج ولا توجد ابدا الا لذلك . واما الانسان فانه يتصرف فى عمل الديباج والوشى والقباطى . وانواع الاصباغ والدباغ . والخرط والنقش . وسائر الصناعات من الحرث والحصاد والطحن والطبخ والبناء والتجارات . وفى انواع العلوم من النجوم ومن الاغانى والطب والقبل (١) والجبر (٢) والعبارة (٣) والعبادة وغير ذلك . ولاسبيل لشيء من الحيوان الى التصرف في غير الشيء الذى اقتضاه له طبعه . ولا الى مفارقة تلك الكيفية . فان اعترض معترض بقول الله تعالى : علمنا منطق الطير . وبما ذكر الله تعالى من قول النملة : يأأيها النمل ادخلوا مساكنكم الآية . وقصة الهدهد . قيل له وبالله تعالى التوفيق : لم ندفع ان يكون للحيوان اصوات عند معاناة ماتقتضيه له الحياة من طلب الغذاء . وعند الالم . وعند المضاربة وطلب السفاد . ودعاء اولادها . وماأشبه ذلك . فهذا هو الذى علمه الله تعالى سليمان رسوله عليه السلام . وهذا الذى يوجد فى أكثر الحيوان . وليس هذا من تمييز دقائق العلوم والكلام فيها ولا من عمل وجوه الصناعات كلها فى شيء . وانما عنى الله تعالى بمنطق الطير اصواتها التى ذكرنا . لاتمييز العلوم والتصرف فى الصناعات الذى من ادعاه لها أكذبه العيان . والله تعالى لا يقول الا الحق . واماقصة النملة والهدهد فهما

معجزتان

(١) القبل بفتحتين لطف القابلة لاخراج الولد وتلقيه عند ولادته من بطن أمه

(٢) يطلق الجبر عندهم ويراد به علم الجبر والمقابلة وهو علم يعرف به المجهولات العددية من معلوماتها المخصوصة على وجه مخصوص

(٣) العبارة علم تعبير الرؤيا

معجزتان خاصتان لذلك النمل ولذلك الهدهد . وآيتان لسليمان رسول الله صلى الله عليه وسلم . ككلام الذراع . وحنين الجذع . وتسبيح الطعام لمحمد صلى الله عليه وسلم آيات لنبوته عليه السلام . وكذلك حياة عصا موسى عليه السلام آية لرسول الله موسى عليه السلام . لان هذا النطق شامل لانواع هذه الاشياء

(قال أبو محمد رضي الله عنه) وقد قاد السخف والضعف والجهل من يقدر في نفسه انه عالم وهو المعروف بخويزمنداد المالكي الى ان جعل للجمادات تمييزاً ، (قال أبو محمد رضي الله عنه ، ولعل معترضا يعترض بقول الله تعالى : وان من شيء الا يسبح بحمده ، وبقوله تعالى : ألم تر ان الله يسجد له من في السموات ومن في الارض الآية ، وبقوله تعالى : انا عرضنا الامانة على السموات والارض والجبال فأبين ان يحملنها واشفقن منها وحملها الانسان الآية ، وبقوله تعالى حاكيا انه قال للسموات والارض : ائتيا طوعا أو كرها قالتا اتينا طائعين ، وبقول رسول الله صلى الله عليه وسلم : يوم يقتص للشاة الجماء من الشاة القرناء ، فهذا كله حق ولا حجة لهم فيه والحمد لله رب العالمين ، لان القرآن واجب أن يحمل على ظاهره ، كذلك كلام رسول الله صلى الله عليه وسلم ، ومن خالف ذلك كان عاصيا لله عز وجل مبدلا لكلماته ، مالم يأت نص في أحدهما او اجماع متيقن او ضرورة حس على خلاف ظاهره فيوقف عند ذلك ، ويكون من حمله على ظاهره حينئذ ناسبا الكذب الى الله عز وجل ، أو كاذبا عليه وعلى نبيه عليه السلام نعوذ بالله من كلا الوجهين ، واذ قد بينا قبل بالبراهين الضرورية ان الحيوان غير الانس والجن والملائكة لانطق له نعني انه لاتصرف له في العلوم والصناعات ، وكان هذا القول مشاهدا بالحس معلوما بالضرورة لاينكره الا وقح مكابر لحسه ، وبينا ان كل ما كان بخلاف التمييز المعهود عندنا فانه ليس تمييزاً ، وكان هذا أيضا يعلم بالضرورة والعيان والمشاهدة . فوجب انه بخلاف مايسمى في الشريعة واللغة نطقا وقولا وتسبيحا وسجوداً . فقد وجب انها أسماء مشتركة اتفقت الفاظها . واما معانيها فمختلفة لايحل لاحد ان يحملها على غير هذا . لانه ان فعل كان مخبراً ان الله تعالى قال مايبطله العيان والعقل الذي به عرفنا الله تعالي . ولولاه ماعرفناه . ومن أجاز هذا كان كافراً مشركا . ومن أبطل العقل فقد أبطل التوحيد اذ كذب شاهده عليه . اذ لولا العقل لم يعرف الله عز وجل أحد ألا ترى المجانين والاطفال لايلزمهم شريعة لعدم عقولهم ؟ ومن جوز هذا فلا ينكر على النصارى مايأتون به خلاف المعقول . ولا على الدهرية ولا على السوفسطائية مايخالفون به المعقول . لكننا نقول ان اللفظ مشترك والمعنى هو ماقام الدليل عليه . كما فعلنا في النزول وفي الوجه واليدين والاعين ، وحملنا كل ذلك على انه حق بخلاف مايقع عليه اسم ينزل عندنا واسم يد وعين عندنا لان هذا عندنا في اللغة واقع على الجوارح والنقلة ، وهذا منفي عن الله تعالى . فاذ لاشك في هذا فلننقل الآن على معاني الآيات التي ذكرنا انه ربما اعترض بها من لايمعن النظر بحول الله وقوته فنقول وبالله تعالى التوفيق : اما تسبيح كل شيء فالتسبيح عندنا انما هو قول سبحان الله وبحمده . وبالضرورة نعلم أن الحجارة والخشب والهوام والحشرات والالوان لاتقول سبحان الله بالسين والباء والحاء والالف والنون واللام والهاء . هذا مالايشك فيه من له مسكة عقل. فاذ لاشك في هذا فباليقين

منها أنه زعم أن اللون والطعم والرائحة والادراكات كلها من السمع والرؤية يجوز ان تحصل متولدة من فعل الغير في الغير اذا كانت اسبابها من فعله وانما أخذ هذا من الطبيعيين الا أنهم لايفرقون بين المتولد والمباشر بالقدرة وربما لايثبتون القدرة على منهاج المتكلمين وقوة الفعل وقوة الانفعال غير القدرة التي يثبتها المتكلم (الثانية) قوله ان الاستطاعة هي سلامة البنية وصحة الجوارح وتخليتها من الآفات وقال لا اقول يفعل بها في الحالة الاول ولا في الحالة الثانية لكني أقول الانسان يفعل والفعل لايكون الا في الثانية (الثالثة) قوله ان الله تعالى قادر على تعذيب الطفل ولو فعل كان ظالماً اياه الا انه لايستحسن أن يقال في حقه بل يقال لو فعل ذلك كان الطفل بالغاً عاقلا عاصياً بمعصية ارتكبها مستحقاً للعقاب وهذا كلام متناقض (الرابعة) حكى الكعبي عنه انه قال ارادة الله تعالى فعل من أفعاله وهي على وجهين صفة ذات وصفة فعل فاما صفة الذات فهو جل وعز لم يزل مريدا لجميع أفعاله ولجميع طاعات عباده وانه حكيم ولايجوز أن يعلم الحكيم صلاحا وخيراً ولايريده وأما صفة الفعل فان اراد بها فعل نفسه في حال احداثه فهي خلق له وهي قبل الخلق لان مابه يكون الشيء لايجوز أن يكون معه وان اراد بها فعل عباده فهو الأمر به (الخامسة) قال ان عند الله تعالى لطفاً

علمنا ان التسبيح الذى ذكره الله تعالى هو حق . وهو معنى غير تسبيحنا نحن بلاشك . فاذ لاشك فى هذا فان التسبيح فى أصل اللغة هو تنزيه الله تعالى عن السوء . فاذ قد صح هذا فان كل شيء فى العالم بلاشك منزه لله تعالى عن السوء الذى هو صفة الحدوث وليس في العالم شيء الا وهو دال بما فيه من دلائل الصنعة واقتضائه صانعاً لايشبه شيئاً مما خلق على ان الله تعالى منزه عن كل سوء ونقص . وهذا هو الذى لايفهمه ولا يفقهه كثير من الناس . كما قال تعالى : ولكن لاتفقهون تسبيحهم . فهذا هو تسبيح كل شيء بحمد الله تعالى بلاشك . وهذا المعنى حق لاينكره موحد . فان كان قولنا هذا متفقاً على صحته وكانت الضرورة توجب انه ليس هو التسبيح المعهود عندنا . فقد ثبت قولنا وانتفى قول من خالفنا بظنه الكاذب . وايضا فان الله تعالى يقول : وان من شيء الا يسبح بحمده ولكن لاتفقهون تسبيحهم . والكافر الدهرى شيء لايشك فى انه شيء وهو لايسبح بحمد الله تعالى البتة . فصح ضرورة ان الكافر يسبح اذ هو من جملة الاشياء التى تسبح بحمد الله تعالى . وأن تسبيحه ليس هو قوله سبحان الله وبحمده بلا شك ولكنه تنزيه الله تعالى بدلائل خلقه وتركيبه عن ان يكون الخالق مشبها لشيء مما خلق . وهذا يقين لاشك فيه . فصح بما ذكرنا ان لفظة التسبيح هى من الاسماء المشتركة . وهى التى تقع على نوعين فصاعدا ، واما السجود الذى ذكره الله سبحانه وتعالى فى قوله : ولله يسجد من فى السموات والارض طوعاً وكرهاً . فقد علمنا ان السجود المعهد عندنا فى الشريعة واللغة هو وضع الجبهة واليدين والركبتين والرجلين والانف فى الارض بنية التقرب بذلك الى الله تعالى . هذا مالا يشك فيه مسلم . وكذلك نعلم ضرورة لاشك فيها ان الحمير والهوام والخشب والحشيش والكفار لاتفعل ذلك ؟ لاسيما من ليس له هذه الاعضاء . وقد نص تعالى على صحة ماقلنا . واخبر تعالى ان فى الناس من لايسجد له السجود المعهود عندنا بقوله تعالى : واسجدوا لله الذى خلقهن ان كنتم اياه تعبدون . فان استكبروا فالذين عند ربك يسبحون له بالليل والنهار وهم لايسأمون . فاخبر تعالى ان فى الناس من يستكبر عن السجود له فلايسجد . وقال تعالى : ولله يسجد من فى السموات والارض طوعاً وكرها . فبين تعالى ان السجود كرهاً غير السجود بالطوع الذى هو السجود المعهود عندنا . واذ قد اخبر الله تعالى بهذا وصح ايضاً بالعيان فقد علمنا بالضرورة ان السجود الذى اخبر الله تعالى انه يسجده له من فى السموات والارض هو غير السجود الذى يفعله المؤمنون طوعاً . ويستكبر عنه بعض الناس ، ويمتنع منه اكثر الخلق . هذا مما لايشك فيه مسلم . فاذ هذا كذلك بلا شك فواجب علينا ان نطلب معنى هذا السجود ماهو ففعلنا فوجدناه مبيناً بلا اشكال فى آيتين من كتاب الله وهما قوله تعالى : وظلالهم بالغدو والآصال ، وقوله تعالى : أولم يروا الي ماخلق الله من شيء يتفيؤ ظلاله عن اليمين والشمائل سجدا لله وهم داخرون . فبين تعالي فى هاتين الآيتين بياناً لااشكال فيه . ان ميل الفيء والظل بالغدوات والعشيات من كل ذى ظل هو معنى السجود المذكور فى الآية . لا السجود المعهود عندنا . وصح بهذا ان لفظة السجود هى من الاسماء المشتركة التى تقع على نوعين فاكثر . واما قوله

لو أتي به لآمن جميع من في الأرض ايمانا يستحقون عليه الثواب استحقاقهم لو آمنوا من غير وجوده واكثر منه وليس على الله تعالى أن يفعل ذلك بعباده ولا يجب عليه رعاية الاصلح لانه لا غاية لما يقدر عليه من الصلاح فما من أصلح الا وفوقه أصلح وانما عليه أن يمكن العبد بالقدرة والاستطاعة ويزيح العلل بالدعوة والرسالة والمفكر قبل ورود السمع يعلم البارى تعالي بالنظر والاستدلال واذا كان مختاراً في فعله فيستغنى عن الخاطرين فان الخاطرين لايكونان من قبل الله تعالى وانما هما من قبل الشيطان والمفكر الاول لم يتقدمه شيطان يخطر الشك بباله ولو تقدم فالكلام فى الشيطان كالكلام فيه (السادسة) قال من تاب عن كبيرة ثم راجعها عاد استحقاقه العقوبة الاولى فانه قبل توبته بشرط أن لايعود (المعمرية) أصحاب معمر بن عباد السلمى وهو من أعظم القدرية مرتبة فى تدقيق القول بنفى الصفات ونفى القدر خيره وشره من الله والتكفير والتضليل على ذلك وانفرد عن أصحابه بمسائل (منها) انه قال ان الله تعالى لم يخلق شيئاً غير الاجسام فاما الاعراض فانها من اختراعات الاجسام اما طبعاً كالنار التى تحدث الاحراق والشمس الحرارة والقمر التلوين واما اختياراً كالحيوان يحدث الحركة والسكون والاجتماع والافتراق ومن العجب

تعالى

تعالى : قالتا اتينا طائعين . فقد علمنا بالضرورة والمشاهدة ان القول فى اللغة التى نزل بها القرآن انما هو دفع آلات الكلام من انابيب الصدر والحلق والحنك واللسان والشفتين والاضراس بهواء يصل الى اذن السامع فيفهم به مرادات القائل . فاذ لاشك فى هذا فكل من لالسان له ولا شفتين ولا اضراس ولا حنك ولا حلق فلا يكون منه القول المعهود منا . هذا مما لايشك فيه ذو عقل . فاذ هذا هكذا كما قلنا بالعيان . فكل قول ورد به نص ولفظ مخبر به عمن ليست هذه صفته فانه ليس هو القول المعهود عندنا . لكنه معنى آخر فاذ هذا كما ذكرنا فبالضرورة قد صح ان معنى قوله تعالى : قالتا اتينا طائعين . انما هو الجرى على نفاذ حكمه عز وجل فيهما وتصريفه لهما . واما عرضه تعالى الامانة على السموات والارض والجبال وابابة كل واحد منها . فلسنا نعلم نحن ولا احد من الناس كيفية ذلك . وهذا نص قوله تعالى : ما اشهدتهم خلق السموات والارض ولا خلق انفسهم . فمن تكلف اوكلف غيره معرفة ابتداء الخلق وانه له مبدئا لايشبهه البتة فاراد معرفة كيف كان فقد دخل فى قوله تعالى: وتقولون بافواهكم ماليس لكم به علم وتحسبونه هينا وهو عند الله عظيم . الا اننا نوقن انه تعالى لم يعرض على السموات والارض والجبال الامانة الا وقد جعل فيها تمييزا لما عرض عليها وقوة تفهم بها الامانة فيما عرض عليها . فلما أبتها واشفقت منها سلبها ذلك التمييز وتلك القوة واسقط عنها تكليف الامانة . هذا مايقتضيه كلامه عز وجل ولا مزيد عندنا على ذلك واما ما كان بعد ابتداء الخلق فمعروف الكيفيات قال تعالى : وتمت كلمة ربك صدقا وعدلا لامبدل لكلماته . فصح انه لاتبديل لما رتبه الله تعالى مما اجرى عليه خلائقه . حاشا ما أحال فيه الرتب والطبائع للانبياء عليهم السلام . فان اعترضوا ايضا بقول الله تعالى يصف الحجارة : وان من الحجارة لما يتفجر منه الانهار وان منها لما يشقق فيخرج منه الماء وان منها لما يهبط من خشية الله . فقد علمنا بالضرورة ان الحجارة لم تؤمر بشريعة ولا بعقل ولا بعث اليها نبي . قال تعالى : وماكنا معذبين حتى نبعث رسولا . فاذ لاشك فى هذا فان القول منه تعالى يخرج على احد ثلاثة اوجه * احدها ان يكون الضمير فى قوله تعالى : وان منها لما يهبط راجع الى القلوب المذكورة فى اول الآية فى قوله تعالى : ثم قست قلوبكم من بعد ذلك فهى كالحجارة اوأشد قسوة الآية . فذكر تعالى ان من تلك القلوب القاسية مايقبل الايمان يوما ما فيهبط عن القسوة الى اللين من خشية الله تعالى . وهذا امر يشاهد بالعيان فقد تلين القلوب القاسية بلطف الله تعالى ويخشى العاصى . وقد اخبر عز وجل ان من اهل الكتاب من يؤمن بالله وما انزل الينا وما انزل اليهم . وكما اخبر تعالى ان من الاعراب من يؤمن بالله من بعد ان اخبر تعالى ان الاعراب اشد كفرا ونفاقا واجدر الا يعلموا حدود ما انزل الله على رسوله . فهذا وجه ظاهر متيقن الصحة * والوجه الثاني أن الخشية المذكورة فى الآية انما هى التصرف بحكم الله تعالى وجرى اقداره كما قلنا فى قوله تعالى عز وجل حاكيا عن السماء والارض : قالتا اتينا طائعين . وقد بين جل وعز ذلك موصولا بهذا اللفظ فقال جل وعز : فقضاهن سبع سموات في يومين وأوحى في كل سماء أمرها . فبين الله تعالى بيانا

ان حدوث الجسم وفناءه عنده عرض فكيف يقول انهما من فعل الاجسام واذا لم يحدث البارى تعالى عرضا فلم يحدث الجسم وفناءه فان الحدوث عرض فيلزمه ان لايكون لله تعالى فعل اصلا ثم الزم ان كلام البارى تعالى اما عرض أو جسم فان قال هو عرض فقد أحدثه البارى فان المتكلم على أصله من فعل الكلام أو يلزمه أن لايكون لله تعالى كلام هو عرض وان قال هو جسم فقد ابطل قوله انه احدثه فى محل فان الجسم لايقوم بالجسم فاذا لم يقل هو باثبات الصفات الازلية ولا قال بخلق الاعراض فلايكون لله تعالى كلام يتكلم به على مقتضى مذهبه واذا لم يكن له كلام لم يكن آمراً ناهياً واذا لم يكن أمر ونهى لم تكن شريعة أصلاً فادى مذهبه الى خزى عظيم (ومنها) ان قال الاعراض لاتتناهى فى كل نوع وقال كل عرض قام بمحل فانما يقوم به لمعنى أوجب القيام وذلك يؤدى الى التسلسل ومن هذه المسئلة سمى هو واصحابه اصحاب المعاني وزاد على ذلك فقال الحركة انما خالفت السكون بمعنى اوجب المخالفة لابذاتها وكذلك مغايرة المثل ومماثلته وتضاد الضد كل ذلك عنده لمعنى (ومنها) ماحكى الكعبي عنه ان الارادة من الله تعالى للشىء غير الله وغير خلقه للشىء وغير الامر والاخبار والحكم فاشار الى أمر مجهول لايعرف وقال ليس

رفع كل اشكال ان تلك الطاعة من السموات والارض انما هي تصرفه لها . وقضاؤه تعالى اياهن سبع سموات . ووحيا في كل سماء امرها . فصح قولنا نصا جليا ببيان الله تعالى لذلك والحمد لله رب العالمين . وصح بهذا ان إباية السموات والارض والجبال من قبول الامانة انما هو لما ركبها الله تعالى عليه من الجمادية وعدم التمييز . وقد علم كل ذي عقل امتناع قبول ماهذه صفته للشرائع والاوامر والنواهي . وقد ذم الله تعالى من ينعق بما لا يسمع الا دعاء ونداء . ولا يحل لمسلم ان ينسب الى الله تعالى فعلا ذمه * والوجه الثالث ان يكون الله تعالى عنى بقوله : وان منها لما يهبط من خشية الله . الجبل الذي صار دكا اذ تجلى الله تعالى له يوم سأله كليمه عليه السلام الرؤية . فذلك الجبل بلا شك من جملة الحجارة . وقد هبط عن مكانه من خشية الله تعالى . وهذه معجزة وآية واحالة طبيعة في ذلك الجبل خاصة . ويكون يهبط بمعنى هبط كما قال الله عز وجل : واذ يمكر بك الذين كفروا . ومعناه بلا شك واذ مكر . وبين قوله تعالى مصدقا ابراهيم خليله ﷺ في انكاره على ابيه عبادة الحجارة : لم تعبد ما لا يسمع ولا يبصر . وقوله تعالى : واتخذوا من دون الله شفعاء قل أو لو كانوا لا يملكون شيئا ولا يعقلون . ما هي عليه من الجمادية وعدم التمييز

(قال ابو محمد رضي الله عنه) فصح بهذا صحة لا مجال للشك فيها ان الحجارة لا تعقل لانها هي التي كانوا يعبدون مما لا يعقل . واما سائر ما كانوا يعبدون من الملائكة والمسيح وامه عليهما السلام ومن الجن فكل هؤلاء عاقلون مميزون . فلم يبق الا الحجارة . فصح بالنص انها لا تعقل . واذ تيقن ذلك بالنص وبالضرورة وبالمشاهدة فقد انتفى عنها النطق والتمييز والخشية المعهود كل ذلك عندنا . وهذا نص قولنا والحمد لله رب العالمين * واما الاحاديث المأثورة في ان الحجر له لسان وشفتان والكعبة كذلك . وان الجبال تطاولت وخشع جبل كذا خرافات موضوعة نقلها كل كذاب وضعيف لا يصح شيء منها من طريق الاسناد اصلا . ويكفي من التطويل في ذلك انه لم يدخل شيئا منها من انتدب من الائمة لتصنيف الصحيح من الحديث . أو ما يستجاز روايته مما يقارب الصحة

(قال ابو محمد رضي الله عنه) وكل من يخالفنا في هذا فانه اذا أقر لنا ان القول المذكور في الآيات التي تلونا والسجود والتسبيح والخشية ليس شيء منه على الصفة المعهودة بيننا فقد وافقنا احب او كره . وهم كلهم مقرون بذلك وقد جاء ذلك في اشعار العرب

قال الشاعر شكى الى جملي طول السرى

وقال آخر فقالت له العينان سمعا وطاعة

وقال الراعي قلق الفؤوس اذا أردن نصولا

ومن هذا الباب قوله تعالى : جدارا يريد ان ينقض . وهذا بلا شك غير الارادة المعهودة من الحيوان . فصح قولنا بالنص والضرورة والحمد لله رب العالمين . واما قول رسول الله ﷺ : يوم يقتص للشاة الجماء من الشاة القرناء . فقد قال الله تعالى : وما من دابة في الارض ولا طائر يطير بجناحيه الا أمم أمثالكم ما فرطنا في الكتاب من شيء ثم الى ربهم يحشرون وقال تعالى : واذا الوحوش حشرت . فصح انها تحشر بلا شك ويسلط الله تعالى ما يشاء

للانسان فعل سوى الارادة مباشرة كانت أو توليد او افعاله التكليفية من القيام والقعود والحركة والسكون في الخير والشر كلها مستندة الى ارادته لا على طريق المباشرة ولا على التوليد وهذا عجب غير انه انما بناه على مذهبه في حقيقة الانسان وعنده الانسان معنى أو جوهر غير الجسد وهو عالم قادر مختار حكيم ليس بمتحرك ولا ساكن ولا متلون ولا متمكن ولا يرى ولا يلمس ولا يحس ولا يجس ولا يحل موضعا دون موضع ولا يحويه مكان ولا يحصره زمان لكنه مدبر للجسد وعلاقته مع الجسد علاقة التدبير والتصرف وانما أخذ هذا القول من الفلاسفة حيث قضوا باثبات النفس الانساني أمرا ما هو جوهر قائم بنفسه ولا متحيز ولا متمكن واثبتوا من جنس ذلك موجودات عقلية مثل العقول المفارقة ثم لما كان ميل معمر بن عباد الى مذهب الفلاسفة ميز بين أفعال النفس التي سماها انسانا وبين القالب الذي هو جسده فقال فعل النفس هو الارادة فحسب والنفس انسان ففعل الانسان هو الارادة وما سوى ذلك من الحركات والسكنات والاعتمادات فهي من فعل الجسد (ومنها) انه يحكى عنه انه كان ينكر القول بان الله تعالى قديم لان القديم أخذ من قدم يقدم فهو قديم وهو فعل كقولك اخذ منه ماقدم وماحدث وقال أيضا هو

من

من خلقه على مايشاء . فاذا سلط القرناء على الجماء فى الدنيا فله تعالى ان يسلط الجماء على القرناء فى الآخرة يوم القيامة . ولهيات نص ولا اجماع ولا دليل عقل ولا دليل خبر على ان المواشى متعبدة بشريعة . وهذا مما نقربه ونقول : يفعل الله مايشاء ولا علم لنا الا ماعلمنا وبالله تعالى التوفيق

الرد على من زعم ان الانبياء عليهم السلام ليسوا أنبياء اليوم ولا الرسل اليوم رسلا

(قال ابو محمد رضى الله عنه) حدثت فرقة مبتدعة تزعم ان محمد بن عبد الله بن عبد المطلب ﷺ ليس هو الان رسول الله ﷺ . ولكنه كان رسول الله ﷺ وهذا قول ذهب اليه الاشعرية * واخبرني سليمان بن خلف الباجى (١) وهو من مقدميهم اليوم ان محمد ابن الحسن بن فورك (٢) الاصبهانى على هذه المسئلة قتله بالسم محمود بن سبكتكين صاحب مادون وراء النهر من خراسان رحمه الله

(قال ابو محمد رضى الله عنه) وهذه مقالة خبيثة مخالفة لله تعالى ولرسوله ﷺ ولما اجمع عليه جميع اهل الاسلام مذ كان الاسلام الى يوم القيامة . وانما حملهم على هذا قولهم الفاسد ان الروح عرض والعرض يفنى ابدا ، ويحدث ولا يبقى وقتين ، فروح النبى صلى الله عليه وسلم عندهم قد فنيت وبطلت ولا روح له الآن عند الله تعالى ، وأما جسده ففى قبره موات فبطلت نبوته بذلك ورسالته

(قال ابو محمد رضى الله عنه) ونعوذ بالله من هذا القول فانه كفر صراح لاترداد فيه ويكفى من بطلان هذا القول الفاحش الفظيع انه مخالف لما امر الله عز وجل به ، ورسوله صلى الله عليه وسلم ، واتفق عليه جميع اهل الاسلام من كل فرقة وكل نحلة من الاذان فى الصوامع كل يوم خمس مرات فى كل قرية من شرق الارض الى غربها بأعلى اصواتهم قد قرنه الله تعالى بذكره : أشهد أن لا اله الا الله اشهد ان محمدا رسول الله فعلى ، قول هؤلاء الموكلين الى أنفسهم يكون الاذان كذبا ، ويكون من أمر به كاذبا وانما كان يجب ان يكون الاذان على قولهم اشهد ان محمداً كان رسول الله ، والا فمن اخبر

---

(١) الباجى نسبة الى باجة مدينة بالاندلس وكان من علماء الاندلس وحفاظها رحل الى بغداد ولقى بها سادة من العلماء وصنف كتبا كثيرة فى الفقه والاصول والحديث ورجع الى الاندلس وولى القضاء هناك وبينه وبين ابن حزم صاحب هذا الكتاب مجالس ومناظرات وتوفي بالمرية سنة ٤٧٤ هـ

(٢) ابن فورك بضم فسكون ففتح الاستاذ المتكلم الاصولى النحوى الاديب الواعظ أقام بالعراق مدة ودعى الى نيسابور فتوجه اليها وبنيت له بها دار ومدرسة واحيا الله به تعالى انواعا من العلوم ومصنفاته تقرب من مائة مصنف ودعى الى غزنه وجرت له مناظرات كثيرة مع أهلها وكان كثير الرد على الكراميه ومات مسموما فى طريق عودته منها الى نيسابور فنقل اليها ودفن بالحيرة وهى محلة كبيرة بنيسابور وكانت وفاته سنة ٤٠٦ هـ من ابن خلكان بتصرف (لمصححه)

يشعر بالتقادم الزماني ووجود البارى تعالى ليس بزماني ويحكى عنه انه قال الخلق غير المخلوق والاحداث غير المحدث وحكى جعفر بن حرب عنه انه قال ان الله تعالى محال أن يعلم نفسه لانه يؤدى الى أن يكون العالم والمعلوم واحدا ومحال أن يعلم غيره كما يقال محال أن يقدر على الموجود من حيث هو موجود ولعل هذا النقل فيه خلل فان عاقلا مالا يتكلم بمثل هذا الكلام الغير المعقول لعمرى لما كان الرجل يميل الى الفلاسفة ومن مذهبهم انه ليس علم البارى تعالى علما انفعاليا أي تابعاً للمعلوم بل علمه علم فعلى فهو من حيث هو فاعل عالم وعلمه هو الذى أوجب الفعل وانما يتعلق بالموجود حال حدوثه لامحالة ولا يجوز تعلقه بالمعدوم على استمرار عدمه وانه علم وعقل وكونه عقلا وعاقلا ومعقولا شىء واحد فقال ابن عباد لايقال يعلم نفسه لانه يؤدى الى تمايز بين العالم والمعلوم ولا يعلم غيره لانه يؤدى الى أن يكون علمه من غيره تحصل فاما أن لايصح النقل واما أن يحمل على مثل هذا المحمل ولسنا من رجال ابن عباد فنطلب لكلامه وجهاً (المزدارية) أصحاب عيسى ابن صبيح المكنى بابى موسى الملقب بالمزدار وقد تلمذ لبشر المعتمر واخذ العلم منه وتزهد ويسمى راهب المعتزلة وانما انفرد عن اصحابه بمسائل (الاولى) منها قوله فى القدر أن الله تعالى يقدر على أن

عن شيء كان وبطل انه كائن الآن فهو كاذب ، فالاذان كذب على قولهم ، وهذا كفر مجرد وكذلك ما اتفق عليه جميع أهل الاسلام بلا خلاف من أحد منهم من تلقين موتاهم : لا إله إلا الله محمد رسول الله ، فانه باطل على قول هؤلاء ، وكذلك ما عمل به رسول الله صلى الله عليه وسلم مدة قتاله الامة ، وأمره عن الله عز وجل بان يعمل به بعده أبداً ، وأجمع على القول به والعمل جميع أهل الاسلام من أول الاسلام الى آخره ومن شرق الارض الى غربها انسهم وجنهم بيقين مقطوع به دون مخالف فيما(١) تخرج به الدماء من التحليل الى التحريم او الى الحقن بالجزية من ان يعرض على أهل الكفر ان يقولوا لا إله إلا الله محمد رسول الله ، فيجب على قول هؤلاء المحرومين ان هذا باطل وكذب ، وانما كان يجب ان يكلفوا ان يقولوا محمد كان رسول الله ، وكذلك قوله تعالى : ورسلا قد قصصناهم عليك من قبل ورسلا لم نقصصهم عليك ، وكذلك قوله تعالى : يوم يجمع الله الرسل فيقول ماذا أجبتم ، وقوله تعالى : وجيء بالنبيين والشهداء فسماهم الله رسلا وقد ماتوا ، وسماهم نبيين ورسلا وهم في القيامة ، وكذلك ما أجمع الناس عليه وجاء به النص من قول كل مصل فرضا او نافلة : السلام عليك أيها النبي ورحمة الله وبركاته ، فلو لم يكن روحه عليه السلام موجودا قائما لكان السلام على العدم هدرا * فان قالوا كيف يكون ميتا رسول الله ؟ وانما الرسول هو الذي يخاطب عن الله بالرسالة ، قيل لهم نعم يكون من أرسله الله تعالى مرة واحدة فقط رسولا لله تعالى أبدا ، لانه حاصل على مرتبة جلالة لا يحطه عنها شيء أبدا ، ولا يسقط عنه هذا الاسم أبدا . ولو كان ما قلتم لوجب ان لا يكون رسول الله صلى الله عليه وسلم رسولا الى أهل اليمن في حياته لانه لم يكلمهم ولا شافههم ، ويلزم أيضا ان لا يكون رسول الله الا ما دام يكلم الناس ، فاذا سكت او أكل او نام او جامع لم يكن رسول الله ، وهذا حمق مشوب بكفر وخلاف للاجماع المتيقن ونعوذ بالله من الخذلان ، وأيضا فان خبر الاسراء الذي ذكره الله عز وجل في القرآن وهو منقول نقل التواتر وأحد أعلام النبوة ذكر فيه رسول الله صلى الله عليه وسلم انه رأى الانبياء عليهم السلام في سماء سماء ، فهل رأى الا أرواحهم التي هي أنفسهم ، ومن كذب بهذا او بعضه فقد انسلخ عن الاسلام بلا شك ونعوذ بالله من الخذلان ، وهذه براهين لا محيد عنها ، وقد صح عن رسول الله صلى الله عليه وسلم انه أخبر ان لله ملائكة يبلغونه منا السلام ، وانه من رآه في النوم فقد رآه حقا ، ولقد بلغني عن بعضهم انهم يقولون ان امهات المؤمنين رضوان الله عليهن لسن الآن أمهات المؤمنين ، لكنهن كن أمهات المؤمنين (قال أبو محمد) رضي الله عنه وهذا ضلال بحت وحماقة محضة ، ولو كان هذا لوجب ان لا تكون أم المرء التي ولدته وأبوه الذي ولده أباه ولا أمه الا في حين الولادة والحمل من الأم فقط وفي حين الانزال من الأب فقط لا بعد ذلك ، وهذا من السخف الذي لا يرضى به لنفسه ذو مسكة ، فان قالوا أتقولون ان عمر أمير المؤمنين اليوم او عثمان أيضا كذلك ؟ قلنا لهم لا ، وهذا اجماع لانه لا يكون أميرا الا من الائتمار لامره واجب ، وليس هذا لاحد بعد موته الا للنبي صلى الله عليه وسلم ، وانما هو الخليفة بعد خليفة طول حياته فقط ، فبطل ان يكون لهم فيها متعلق

الكلام على من قال بتناسخ الارواح

(قال ابو محمد رضي الله عنه) افترق القائلون بتناسخ الارواح على فرقتين ، فذهبت الفرقة

(١) فيما متعلق بعمل في قوله وكذلك ما عمل به رسول الله صلى الله عليه وسلم الخ)

الواحدة

يكذب ويظلم ولو كذب وظلم كان آلها كاذبا ظالما تعالى الله عن قوله (الثانية) قوله في التولد مثل قول استاذه وزاد عليه بان جوز وقوع فعل واحد من فاعلين على سبيل التولد (الثالثة) قوله في القرآن ان الناس قادرون على مثل القرآن فصاحة ونظماً وبلاغة وهو الذي بالغ في القول بخلق القرآن وكفر من قال بقدمه فانه قد اثبت قديمين وكفر أيضاً من لابس السلطان وزعم انه لا يرث ولا يورث وكفر من قال ان اعمال العباد مخلوقة لله تعالى ومن قال انه يرى بالابصار وغلا في التكفير حتى قال هم كافرون في قولهم لا إله الا الله وقد سأله ابراهيم بن السندي مرة عن أهل الارض جميعاً فكفرهم فاقبل عليه ابراهيم وقال الجنة التي عرضها السموات والارض لا يدخلها الا أنت وثلاثة وافقوك فخزي ولم يحر جواباً وقد تلمذ له الجعفران وابو زفر ومحمد ابن سويد وصحب أبا جعفر محمد بن عبد الله الاسكافي وعيسى بن الهيثم وجعفر ابن حرب الاشج وحكى الكعبي عن الجعفرين انهما قالا ان الله تعالى خلق القرآن في اللوح المحفوظ لا يجوز ان ينتقل ويستحيل ان يكون الشيء الواحد في مكانين في حالة واحدة ومانقرؤه فهو حكاية عن المكتوب الاول في اللوح المحفوظ وذلك فعلنا وخلقنا قال وهو الذي اختاره من لاقوال المختلفة في القرآن وقالا في تحسين

الواحدة الى ان الارواح تنتقل بعد مفارقتها الاجساد الى اجساد أخر وان لم تكن من نوع الاجساد التى فارقت ، وهذا قول احمد بن حابط واحمد بن نانوس تلميذه وابى مسلم الخراسانى ومحمد بن زكريا الرازى الطبيب ، صرح بذلك فى كتابه الموسوم بالعلم الالهى ، وهو قول القرامطة ، وقال الرازى فى بعض كتبه (لولا انه لاسبيل الى تخليص الارواح عن الاجساد المتصورة بالصور البهيمية الى (١) الاجساد المتصورة بصور الانسان الا بالقتل والذبح لماجاز ذبح شىء من الحيوان البتة)

(قال ابو محمد رضى الله عنه) وهذه كما ترى دعاوى وخرافات بلا دليل. وذهب هؤلاء الى ان التناسخ انما هو على سبيل العقاب والثواب ، قالوا فالفاسق المسىء الاعمال تنتقل روحه الى اجساد البهائم الخبيثة المرتطمة فى الاقذار والمسخرة المؤلمة الممتهنة بالذبح واختلفوا فى الذى كانت افاعيله كلها شرا لاخير فيها فقال بعضهم ارواح هذه الطبقة هى الشياطين وقال احمد بن حابط انها تنتقل الى جهنم فتعذب بالنار ابد الابد ، واختلفوا فى الذى كانت افاعيله كلها خيرا لاشر فيها ، فقال بعضهم ارواح هذه الطبقة هى الملائكة ، وقال احمد بن حابط انها لاشك انها تنتقل الى الجنة فتنعم فيها ابد الابد ، واحتجت هذه الطائفة المرتسمة بالاسلام اعنى احمد بن حابط واحمد بن نانوس بقول الله تعالى : ياايها الانسان ماغرك بربك الكريم الذى خلقك فسواك فعدلك فى اى صورة ماشاء ركبك ، وبقوله تعالى : جعل لكم من انفسكم أزواجا ومن الانعام ازواجا يذرؤكم فيه ، واحتج من هذه الطائفة من لايقول بالاسلام بان قالوا ان النفس لاتتناهى والعالم لايتناهي لأمد ، فالنفس منتقلة أبدا ، وليس انتقالها الى نوعها بأولى من انتقالها الى غير نوعها ، (قال ابو محمد) رضى الله عنه وذهبت الفرقة الثانية الى ان منعت من انتقال الارواح الى غير انواع اجسادها التى فارقت ، وليس من هذه الفرقة احد يقول بشىء من الشرائع ، وهم من الدهرية ، وحجتهم هى حجة الطائفة التى ذكرنا قبلها القائلة انه لاتناهى للعالم فوجب ان تتردد النفس فى الاجساد ابدا ، قالوا ولايجوز ان تنتقل الي غير النوع الذى اوجب لها طبعها الاشراف عليه وتعلقها به

(قال ابو محمد رضي الله عنه) اما الفرقة المرتسمة باسم الاسلام فيكفى من الرد عليهم اجماع جميع اهل الاسلام على تكفيرهم ، وعلى ان من قال بقولهم فانه على غير الاسلام ، وان النبى ﷺ اتي بغير هذا وبما المسلمون مجمعون عليه من أن الجزاء لايقع الابعد فراق الاجساد للارواح بالنكر اوالتنعم قبل يوم القيامة ، ثم بالجنة او بالنار فى موقف الحشر فقط ، اذا جمعت اجسادها مع ارواحها التى كانت فيها * واما احتجاجهم بالآيتين فكفى من بطلان قولهم ايضا ماذكرناه من الاجماع ، وان الامة كلها مجمعون بلا خلاف على ان المراد بهاتين الآيتين غير ماذكر هؤلاء الملحدون ، وان المراد بقوله تعالى فى اى صورة ماشاء ركبك انها الصورة التى رتب الانسان عليها من طول اوقصر اوحسن اوقبح او بياض اوسواد وماأشبه ذلك واما الآية الاخرى فان معناها ان الله تعالى امتن علينا فى ان خلق لنا من انفسنا ازواجا

---

(١) الى الاجساد متعلق بقوله تخليص الارواح على معنى نقلها اليها

العقل وتقبيحه ان العقل يوجب معرفة الله تعالى بجميع أحكامه وصفاته قبل ورود الشرع وعليه ان يعلم انه ان قصر ولم يعرفه ولم يشكره عاقبه عقوبة دائمة فاثبت التخليد واجبا بالعقل (الثمامية) أصحاب ثمامة بن أشرس النميرى كان جامعا بين سخافة الدين وخلاعة النفس مع اعتقاده بان الفاسق مخلد فى النار اذا مات على فسقه من غير توبة وهو فى حال حياته فى منزلة بين المنزلتين وانفرد عن أصحابه بمسائل (منها) قوله ان الافعال المتولدة لافاعل لها اذ لم يمكنه اضافتها الي فاعل أسبابها حتى يلزم ان يضيف القول ميت مثل ما اذا فعل السبب ومات ووجد المتولد بعده ولم يمكنه اضافتها الى الله تعالى لانه يؤدى الى فعل القبيح وذلك محال فتحير فيه وقال المتولدات افعال لافاعل لها (ومنها) قوله فى الكفار والمشركين والمجوس واليهود والنصارى والزنادقة يصيرون فى القيامة ترابا وكذلك قوله فى البهائم والطيور واطفال المؤمنين (ومنها) قوله الاستطاعة هى السلامة وصحة الجوارح وتخليتها من الآفات وهى قبل الفعل (ومنها) قوله ان المعرفة متولدة من النظر وهو فعل لافاعل له كسائر المتولدات (ومنها) قوله فى تحسين العقل وتقبيحه وإيجاب المعرفة قبل ورود السمع مثل أصحابه غير انه زاد عليهم فقال من الكفار من لايعلم خالقه وهو معذور وقال ان المعارف كلها ضرورية وان من لم يضطر الى معرفة الله تعالى فهو مسخر للعباد كالحيوان (ومنها) قوله لافعل

تتولد منها ، ثم امتن علينا بان خلق لنا من الانعام ثمانية ازواج ، ثم اخبر تعالى انه يذرؤنا في هذه الازواج يعني التي هي من انفسنا ، فتبين ذلك بيانا ظاهرا لاخفاء به ان الله تعالى اخبرنا في هذه الآية نفسها ان الازواج المخلوقة لنا ، انما هي من انفسنا ، ثم فرق بين أنفسنا وبين الانعام فلاسبيل الى ان يكون لنا ازواج تتولد فيها من غير انفسنا ، ويكفي من هذا ان قولهم انما هو دعوى بلابرهان ، وانما راموه على اصلهم في العدل فاخرجوا هذا الوجه لما شاهدوه من ايلام الحيوان ، وكل قول لم يوجبه برهان فهو باطل ، ولم يأت هذا القول قط عن احد من الانبياء ، وهؤلاء القوم مقرون بالانبياء عليهم السلام ، فلاح يقينا فساد قولهم * واما الفرقة الثانية القائلة بالدهر ، فاننا نقول وبالله التوفيق * انه يكفي من فساد قولهم هذا انه دعوى بلابرهان لاعقلي ولاحسي ، وما كان هكذا فهو باطل بيقين لاشك فيه ، لكننا لانقنع بهذا بل نبين عليهم بيانا لائحا ضروريا بحول الله تعالى وقوته ، فنقول وبالله تعالى نستعين : ان الله تعالى خلق الانواع والاجناس ، ورتب الانواع تحت الاجناس وفصل كل نوع من النوع الآخر بفصله الخاص له الذي لايشاركه فيه غيره ، وهذه الفصول المذكورة لانواع الحيوان انما هي لانفسها التي هي ارواحها ، فنفس الانسان حية ناطقة ونفس الحيوان حية غير ناطقة ، هذا هو طبيعة كل نفس وجوهرها الذي لايمكن استحالته عنه ، فلا سبيل الى ان يصير غير الناطق ناطقا ، ولا الناطق غير ناطق ، ولو جاز هذا لبطلت المشاهدات وما اوجبه الحس وبديهة العقل والضرورة ، لانقسام الاشياء على حدودها واما الفرقة الثالثة * التي قالت ان الارواح تنتقل الى اجساد نوعها ، فيبطل قولهم بحول الله تعالى وقوته بطلانا ضروريا بكل ما كتبناه في اثبات حدوث العالم ووجوب الابتداء له والنهاية من أوله . وبما كتبناه في اثبات النبوة وان جميع النبوات وردت بخلاف قولهم ، وببرهان ضروري عليهم وهو انه ليس في العالم كله شيآن يشتبهان بجميع اعراضهما اشتباها تاما من كل وجه ، يعلم هذا من تدبر اختلاف الصور واختلاف الهيآت وتباين الاخلاق ، وانما يقال هذا الشيء يشبه هذا على معنى ان ذلك في اكثر احوالهما لافي كلها ، ولو لم يكن ماقلنا مافرق احد بينهما البتة ، وقد علمنا بالمشاهدة ان كل من يتكرر عليه ذلك الشيآن المشتبهان تكررا كثيرا متصلا انه لابد ان يفصل بينهما وان يميز احدهما من الثاني ، وان يجد في كل واحد منهما اشياء بان بها عن الآخر لايشبهه فيها ، فصح بهذا انه لاسبيل الى وجود شخصين يتفقان في اخلاقهما كلها حتى لا يكون بينهما فرق في شيء منها ، وقد علمنا بيقين ان الاخلاق محمولة في النفس ، فصح بهذا ان نفس كل ذي نفس من الاجساد من اي نوع كانت غير النفس التي في غيره من الاجساد كلها ضرورة ، وقال ايضا بعض من ذهب الى التناسخ من القائلين ذلك على سبيل الجزاء : ان الله تعالى عدل حكيم رحيم كريم ، فاذ هو كذلك ، فمحال ان يعذب من لاذنب له ، قال فلما وجدناه تعالى يقطع اجسام الصبيان الذين لاذنب لهم بالجدري والقروح ، ويأمر بذبح بعض الحيوان الذي لاذنب له وبطبخه واكله ، ويسلط بعضها على بعض فيقطعه ويأكله ولاذنب له علمنا انه تعالى لم يفعل ذلك الا وقد كانت الارواح عصاة مستحقة للعقاب بكسب هذه الاجساد لتعذب فيها (قال ابو محمد رضي الله) تعالى عنه ، وقد تكلمنا على ابطال هذا الاصل الفاسد في

للانسان الا الارادة وماعداها فهو حدث لامحدث له (وحكى ابن الراوندي عنه) انه قال العالم فعل الله تعالى بطباعه ولعله أراد بذلك ماتريده الفلاسفة من الايجاب بالذات دون الايجاد على مقتضى الارادة لكن لايلزمه على اعتقاده ذلك مالزم الفلاسفة من القول بقدم العالم اذ الموجب لاينفك عن الموجب وكان ثمامة في ايام المأمون وعنده بمكان (الهشامية) اصحاب هشام بن عمرو الفوطي ومبالغته في القدر أشد واكثر من مبالغة اصحابه وكان يمتنع من من اطلاق اضافات افعال الى البارى تعالى وان ورد بها التنزيل (منها قوله) ان الله لايؤلف بين قلوب المؤمنين بل هم المؤتلفون باختيارهم وقد ورد في التنزيل ما ألفت بين قلوبهم ولكن الله ألف بينهم (ومنها) قوله ان الله تعالي لايحبب الايمان الى المؤمنين ولا يزينه في قلوبهم وقد قال تعالى حبب اليكم الايمان وزينه في قلوبكم ومبالغته في نفي اضافة الطبع والختم والسد وأمثالها أشد وأصعب وقد ورد جميعها في التنزيل قال الله تعالى ختم الله على قلوبهم وعلى سمعهم وقال بل طبع الله عليها بكفرهم وقال وجعلنا من بين أيديهم سدا ومن خلفهم سدا وليت شعري مايعتقده الرجل من انكار الفاظ التنزيل وحيا من الله تعالي فيكون تصريحا بالكفر او انكار ظواهرها من نسبتها الى البارى تعالى ووجوب تأويلها وذلك

غير هذا المكان في باب الكلام على البراهمة فى كتابنا هذا بما يكفى ، وقد رددنا الكلام ايضاً فى بيان بطلانه فى غير ما موضع من كتابنا ، وفى باب الكلام على من أبطل القدر من المعتزلة فى كتابنا هذا والحمد لله رب العالمين * ويكفى من بطلان هذا الاصل الفاسد ان يقال لهم : ان طردتم هذا الاصل وقلتم فى مثل ما انكرتم ولا فرق ، وهو ان الحكيم العدل الرحيم على اصلكم لايخلق من يعرضه للمعصية حتى يحتاج الى افساده بالعذاب بعد اصلاحه ، وقد كان قادراً على ان يطهر كل نفس خلقها ولا يعرضها للفتن ويلطف بها الطافاً فيصلحها بها ، حتى تستحق كلها احسانه والخلود في النعيم ، وما كان ذلك ينقص شيئاً من ملكه ، فان كان عاجزاً عن ذلك فهذه صفة نقص ، ويلزم حاملها ان يكون من اجل نقصه محدثاً مخلوقا ، فان طردوا هذا الاصل خرجوا الى قول المانوية فى ان للاشياء فاعلين ، وقد تقدم ابطالنا لقولهم وبالله تعالى التوفيق ، وبينا ان الذى لا آمر فوقه ولا مرتب عليه فان كل ما يفعله فهو حق وحكمة ، واذ قد تعلق هؤلاء القوم بالشريعة فحكم الشريعة ان كل قول لم يأت عن نبى تلك الشريعة فهو كذب وفرية ، فاذ لم يأت عن احد من الانبياء عليهم السلام القول بتناسخ الارواح فقد صار قولهم به خرافة وكذبا وباطلا ، وبالله تعالى التوفيق

فصل فى الكلام على من انكر الشرائع من المنتمين الى الفلسفة بزعمهم وهم أبعد الناس عن العلم بها جملة

(قال ابو محمد رضى الله عنه) نبين فى هذا الفصل بحول الله تعالى وقوته وجوب صحة الشرائع على ما توجبه اصول الفلاسفة على الحقيقة اولهم عن آخرهم على اختلاف اقوالهم فى غير ذلك ان شاء الله تعالى

(قال ابو محمد رضى الله عنه) الفلسفة على الحقيقة انما معناها وثمرتها والغرض المقصود نحوه بتعلمها ليس هو شيئاً غير اصلاح النفس ، بان تستعمل فى دنياها الفضائل وحسن السيرة المؤدية الى سلامتها فى المعاد ، وحسن السياسة للمنزل والرعية ، وهذا نفسه لاغيره هو الغرض فى الشريعة ، هذا مالا خلاف فيه بين احد من العلماء بالفلسفة ، ولا بين احد من العلماء بالشريعة ، فيقال لمن انتمى الى الفلسفة بزعمه وهو ينكر الشريعة بجهله على الحقيقة بمعانى الفلسفة ، وبعده عن الوقوف على غرضها ومعناها ، أليست الفلسفة باجماع من الفلاسفة مبينة للفضائل من الرذائل موقفة على البراهين المفرقة بين الحق والباطل ؟ فلا بد من نعم ضرورة . فيقال له اليس الفلاسفة كلهم قد قالوا صلاح العالم بشيئين ؟ احدهما باطن والآخر ظاهر ، فالباطن هو استعمال النفس للشرائع الزاجرة عن تظالم الناس وعن القبائح ، والظاهر هو التحصين بالاسوار واتخاذ السلاح لدفع العدو الذي يريد ظلم الناس والافساد ، ثم اضافوا الى اصلاح النفوس بما ذكرنا اصلاح الاجساد بالطب ، فلا بد من نعم ضرورة . فيقال لهم فهل صلاح العالم وانكفاف الناس عن القتل الذى فيه فناء الخلق وعن الزنا الذى فيه فساد النسل وخراب المواريث وعن الظلم الذى فيه الضرر على الانفس والاموال وخراب الارض وعن الرذائل من

غير مذهب اصحابه (ومن بدعه) فى الدلالة على البارى تعالى قوله ان الاعراض لاتدل على كونه خالقا ولاتصلح الاعراض دلالات بل الاجسام تدل على كونه خالقا وهذا أيضا عجب (ومن بدعه) فى الامامة قوله انها لاتنعقد فى أيام الفتنة واختلاف الناس وانما يجوز عقدها فى حالة الاتفاق والسلامة وكذلك أبو بكر الاصم من أصحابهم كان يقول الامامة لاتنعقد الا باجماع الامة عن بكرة أبيهم وانما أراد بذلك الطعن فى امامة على رضى الله عنه اذ كانت البيعة فى أيام الفتنة من غير اتفاق من جميع الصحابة اذ بقى فى كل طرف طائفة على خلافه (ومن بدعه) ان الجنة والنار ليستا مخلوقتين الآن اذ لافائدة فى وجودهما وهما جميعا خاليتان ممن ينتفع ويتضرر بهما وبقيت هذه المسئلة منه اعتقادا للمعتزلة وكان يقول بالموافاة وان الايمان هو الذى يوافى الموت وقال من اطلع الله جميع عمره وقد علم انه يأتى بما يحبط أعماله ولو بكبيرة لم يكن مستحقا للوعد وكذلك على العكس وصاحبه عباد من المعتزلة وكان يمتنع من اطلاق القول بان الله تعالى خلق الكافر لان الكافر كفر وانسان والله لايخلق الكفر وقال النبوة جزاء على عمل وانها باقية ما بقيت الدنيا وحكى الاشعرى عن عباد انه زعم انه لايقال ان الله لم يزل قائلا ولا غير قائل ووافقه الاسكافى على ذلك قالا ولا يسمى متكلما وكان الفوطي يقول ان الاشياء

البغي والحسد والكذب والجبن والبخل والنميمة والغش والخيانة وسائر الرذائل الا بشرائع زاجرة للناس عن كل ذلك ؟ فلابد من نعم ضرورة ، والاوجب الاهمال الذي فيه فساد كل ماذكرناه ، فاذا لابد من ذلك ، ولولا ذلك لفسد العالم كله ولفسدت العلوم كلها ولكان الانسان قد بطلت فضيلة الفهم والنطق والعقل الذي فيه وصار كالبهائم ، فلا تخلو تلك الشرائع من احد وجهين : اما ان تكون صحاحا من عند الله عزوجل الذي هو خالق العالم ومدبره كما يقول أصحاب الشرائع ، واما ان تكون موضوعة باتفاق من افاضل الحكماء لسياسة الناس بها وكفهم عن التظالم والرذائل ، فان كانت موضوعة كما يقول هؤلاء المخاذيل ، فقد تيقنا ان ما الزموا الناس من ذلك كذب لا اصل له ، وزور مختلق ، وايجاب لما لا يجب ، وباطل لا حقيقة له ، ووعيد ووعد كلاهما كذب ، فان كان ذلك كذلك فقد صار الكذب الذي هو ارذل الرذائل واعظم الشر لا يتم صلاح العالم الذى هو الغرض من طلب الفضائل الا به ، واذ ذلك كذلك ، فقد صار الحق باطلا ، والصدق رذيلة ، وصار الباطل حقاً وصدقا ، والكذب فضيلة ، وصار لا قوام للعالم أصلاً الا بالباطل ، وصار الكذب نتيجة الحق ، وصار الباطل ثمرة الصدق ، وصار الغرور والغش والخديعة فضائل ونصيحة ، وهذا أعظم ما يلزمون من المحال والممتنع والخلف الذى لا مدخل له فى العقل ، فان قالوا انه لو كشف السر فى ذلك الى العامة لم ترغب فى الفضائل ، فوجب لذلك ان يؤتي بما ترهبه وتتقيه ، فاضطر فى ذلك الى الكذب لهم كما يفعل بالصبيان ، وكما يحتج انتم فى شرائعكم كذب الرجل لامرأته ليستصلحها بذلك ، وفى دفاع الظالم على سبيل التقية ، وفى الحرب كذلك ، فيلزمكم فى هذا ما ألزمتموه ايانا من ان الكذب صار حقاً وفضيلة

(قال ابو محمد رضى الله عنه) فيقال لهم وبالله التوفيق : اما نحن فقولنا انه ليس كما ذكرتم قبيحاً ، اذ أباحه الله عزوجل الذى لا حسن الا ما حسن وما أمر به ، ولا قبيح الا ما قبح وما نهى عنه ، ولا آمر فوقه ، فلا يلزمنا ما أردتم الزامنا اياه ، ثم ايضاً على أصولكم فانه ليس ما ذكرتم معارضة ، ولا ما شبهتم به مشبها لما شبهتموه به ، لاننا انما ابحنا الكذب فى الوجوه التى ذكرتم للضرورة الدافعة الى ذلك بالنص الوارد علينا بذلك ، كما جاز بالنص عند الضرورة دفع القتل عن النفس بقتل المريد لقتلها ، ولو امكننا كف الصبي والمرأة بغير ذلك لما جاز الكذب اصلاً ، فاذا ارتفعت الضرورة وجب الرجوع الى استعمال الصدق على كل حال ، ولولا النص لم نبح شيئاً من ذلك ولا حرمناه ، وانتم فيما تدعونه من مداراة الناس كلهم مبتدئون لاختيار الكذب دون ان أمركم به من يسقط عنكم اللوم بطاعته ، فانتم لا عذر لكم على خلاف حكمنا فى ذلك ، ثم انكم لا تخلون من احد وجهين لا ثالث لهما : اما ان تطووا هذا السر عن كل احد فتصيرون الى ما ألزمناكم من ان قطع الصدق جملة فضيلة ، وان الكذب على الجملة حق واجب ، وهذا هو الذى الزمناكم ضرورة ، واما ان تبوحوا بذلك لمن وثقتم به فهذا ان قلتم به يوجب ضرورة كشف سركم فى ذلك ، لانه لا يجوز البتة ان ينكتم اصلاً على كثرة العارفين به ، هذا امر يعلم بالضرورة ان الشيء اذا كثر العارفون به فبالضرورة لابد من انتشاره ، فان كنتم تقولون ان طيه واجب الا عمن يوثق به وفى كشفه الى من يوثق به

قبل كونها معدومة ليست أشياء وهي بعد ان تعدم عن وجود تسمى أشياء ولهذا المعنى كان يمنع القول بان الله تعالى قد كان لم يزل عالما بالاشياء قبل كونها فانها لا تسمى أشياء قال وكان يجوز القتل والغيلة على المخالفين لمذهبه وأخذ أموالهم غصبا وسرقة لاعتقاده كفرهم واستباحة دمائهم (الجاحظية) أصحاب عمرو بن بحر الجاحظ كان من فضلاء المعتزلة والمصنف لهم وقد طالع كثيراً من كتب الفلاسفة وخلط وروج بعباراته البليغة وحسن براعته اللطيفة وكان فى أيام المعتصم والمتوكل وانفرد عن أصحابه بمسائل (منها) قوله ان المعارف كلها ضرورية طباع وليس شيء من ذلك من أفعال العباد وليس للعباد كسب سوي الارادة ويحصل أفعاله منه طباعا كما قال ثمامة ونقل عنه أيضا انه أنكر أصل الارادة وكونها جنسا من من الاعراض فقال اذا انتهي السهو عن الفاعل وكان عالما بما يفعله فهو المريد على التحقيق واما الارادة المتعلقة بفعل الغير فهو ميل النفس اليه وزاد على ذلك باثبات الطبائع للاجسام كما قال الطبيعيون من الفلاسفة وأثبت لها أفعالا مخصوصة بها وقال باستحالة عدم الجواهر فالاعراض تتبدل والجوهر لا يجوز ان يفنى (ومنها) ما قوله فى أهل النار انهم لا يخلدون فيها عذابا بل يصيرون الى طبيعة النار وكان يقول النار تجذب أهلها الي نفسها دون أن

مايوجب انتشاره الى من لا يوثق به فقد رجعتم الى وجوب كشفه لان كشفه البتة هو نتيجة كشفه الى خاص دون عام ، وفى كشفه بطلان ما دبرتموه صلاحا ، فقد بطل حكمكم بالضرورة لاسيما والقائلون بهذا القول يجدون فى كشف سرهم هذا الى الخاص والعام ، فقد ابطلوا علتهم جملة وتناقضوا اقبح تناقض ، وعلى كل ذلك فقد صار الباطل والكذب لا يتم الخير والفضائل البتة فى شىء من الاشياء الابهما ، وهذا خلاف الفلسفة جملة ، وأيضا فان كانت الشرائع موضوعة فليس ما وضعه واضع ما بأحق بان يتبع مما وضعه واضع آخر ، هذا أمر يعلم بالضرورة ، وقد علمنا بموجب العقل وضرورته ان الحق لا يكون من الاقوال المختلفة والمتناقضة الا فى واحد ، وسائرها باطل . فاذ لاشك فى هذا ، فاى تلك الموضوعات هو الحق ام أيها هو الباطل ؟ ولا سبيل الى ان يأتوا بما يحقق منها شيئاً دون سائرها اصلا ، فاذ لادليل على صحة شىء منها بعينه فقد صارت كلها باطلة ، اذ ما لادليل على صحته فهو باطل ، وليس لاحد ان يأخذ بقول ويترك غيره بلادليل فبطل بهذا بطلانا ضروريا كل ما تعلقوا به والحمد لله رب العالمين وبطل بهذا البرهان الضرورى ما توهمه هؤلاء الجهال المجانين ، وصح يقينا ان الشرائع صحاح من عند منشىء العالم ومدبره الذى يريد بقاءه الى الوقت الذى سبق فى علمه تعالى انه يبقيه اليه كما هو ، واذ ذلك كذلك ضرورة لا يخلو الحكم فى ذلك من أحد وجهين لاثالث لهما ، اما ان تكون الشرائع كلها حقا

(قال ابو محمد رضى الله عنه) وقد رأيت منهم من يذهب الى هذا . واما ان يكون بعضها حقاً وبعضها باطلا لابد من احد هذين الوجهين ضرورة ، فان كانت كلها حقا فهذا محال لاسبيل اليه ، لانه لاشريعة منها الا وهى تكذب سائرها ، وتخبر بانها باطل وكفر وضلال والحاد ، فوجدنا هذا المخذول الذى اراد بزعمه موافقة جميع الشرائع قد حصل على خلاف جميعها اولها عن آخرها ، وحصل على تكذيب جميع الشرائع لانها كلها بلاخلاف ، وعلى تكذيبه هو لجميعها ، وما كان هكذا وهو يقول انها كلها حق وهى كلها مكذبة له وهو مصدق لها كلها فقد شهد على نفسه بالكذب وبطلان قوله ، وصح باليقين انه كاذب فيه ، وايضا فان كل شريعة فهى مضادة فى احكامها لغيرها ، تحرم هذه ما تحل هذه ، وتوجب هذه ما تسقط هذه ، ومن المحال الفاسد ان يكون الشىء وضده حقا معا فى وقت واحد ، حراما حلالا فى حين واحد على انسان واحد ووجه واحد ، واجبا غير واجب كذلك ، وهذا امر يعلمه باطلا كل ذى حس سليم ، وليس فى العقل تحريم شىء مما جاء فيها تحريمه ، ولا ايجاب شىء مما جاء فيها ايجابه ، فبطل ان يرجح بما فى العقل اذ كل ذلك فى حد الممكن فى العقل فاذ قد بطل هذا الوجه ضرورة فقد وجبت صحة الوجه الآخر ضرورة ، وهو ان فى الشرائع شريعة واحدة صحيحة من عند الله عز وجل ، وان سائر الشرائع كلها باطل ، فاذ ذلك كذلك ففرض على كل ذى حس طلب تلك الشريعة ، واطراح كل شريعة دونها وان جلت ، حتى يوقف عليها بالبراهين الصحاح ، اذ بها يكون صلاح النفس فى الابد ، وبجهلها يكون هلاك النفس فى الابد ، فالحمد لله الذى وفقنا لتلك الشريعة ووقفنا عليها وهدانا

يدخل أحد فيها ومذهبه مذهب الفلاسفة فى نفى الصفات وفى اثبات القدر خيره وشره من العبد مذهب المعتزلة (وحكى الكعبي) عنه فى نفى الصفات انه قال يوصف البارى تعالى بانه مريد بمعنى انه لا يصح عليه السهو فى أفعاله ولا الجهل ولا يجوز ان يغلب ويقهر وقال ان الخلق كلهم من العقلاء عالمون بان الله تعالى خالقهم وعارفون بانهم محتاجون الى النبي وهم محجوجون بمعرفتهم ثم هم صنفان عالم بالتوحيد وجاهل به فالجاهل معذور والعالم محجوج ومن انتحل دين الاسلام فان اعتقد ان الله تعالى ليس بجسم ولا صورة ولا يري بالابصار وهو عدل لا يجور ولا يريد المعاصى وبعد الاعتقاد والتبيين أقر بذلك كله فهو مسلم حقا وان عرف ذلك كله ثم جحده وانكره أو دان بالتشبيه والجبر فهو مشرك كافر حقا وان لم ينظر فى شىء من ذلك واعتقد ان الله ربه وان محمدا رسول الله فهو مؤمن لا لوم عليه ولا تكليف عليه غير ذلك (وحكى ابن الراوندى عنه) ان القرآن جسد يجوز ان يقلب مرة رجلا ومرة حيوانا وهذا مثل ما يحكى عن أبي بكر الاصم انه زعم ان القرآن جسم مخلوق وانكر الاعراض اصلا وانكر صفات الباري تعالى ومذهب الجاحظ هو بعينه مذهب الفلاسفة

الى طريقها وعرفناها حمدا كثيرا طيبا كما هو اهله ، ونحن نسأله تعالى ان يثبتنا عليها حتى نلقاه ونحن من اهلها وحملتها آمين رب العالمين ، وصلى الله على محمد خاتم النبيين ، وسلم تسليما كثيرا : فمن نازعنا في هذا القول وادعاه لنفسه فنحن في ميدان النظر وحمل الاقوال على السير بالبراهين ، فتزييف الباطل والدعاوى التى لا دليل عليها حيثما كانت ، ويبيد من كانت ، ويلوح الحق ثابتا حيثما كان ، ويبيد من كان ، ولا حول ولا قوة الا بالله العلى العظيم

الكلام على اليهود وعلى من أنكر التثليث من النصارى
(ومذهب الصابئين وعلى من اقر بنبوة زرادشت من
المجوس وانكر من سواه من الأنبياء عليهم السلام)

(قال ابو محمد رضي الله عنه) ان اهل هذه الملة يعنى اليهود واهل هذه النحلة يعنى من انكر التثليث من النصارى موافقون لنا فى الاقرار بالتوحيد ، ثم بالنبوة وبآيات الانبياء عليهم السلام ، وبنزول الكتب من عند الله عز وجل ، الا انهم فارقونا فى بعض الانبياء عليهم السلام دون بعض ، وكذلك وافقتنا الصابئة والمجوس على الاقرار ببعض الانبياء فاما اليهود فانهم قد افترقوا على خمس فرق وهى (السامرية) وهم يقولون ان مدينة القدس هي نابلس ، وهى من بيت المقدس على ثمانية عشر ميلا ، ولا يعرفون حرمة لبيت المقدس ولا يعظمونه ولهم توراة غير التوراة التى بايدي سائر اليهود ، ويبطلون كل نبوة كانت فى بنى اسرائيل بعد موسى عليه السلام ، وبعد يوشع عليه السلام ، فيكذبون بنبوة شمعون وداود وسليمان واشعيا واليسع والياس وعاموص وحبقوق وزكريا وارمياو غيرهم ، ولا يقرون بالبعث البتة وهم بالشام لا يستحلون الخروج عنها : (والصدوقية) ونسبوا الى رجل يقال له صدوق ، وهم يقولون من بين سائر اليهود ان العزير هو ابن الله ، تعالى الله عن ذلك ، وكانوا بجهة اليمن : (والعنانية) وهم أصحاب عانان الداودى اليهودي ، وتسميهم اليهود العراس والمس ، وقولهم انهم لا يتعدون شرائع التوراة وما جاء فى كتب الانبياء عليهم السلام ، ويتبرؤن من قول الأحبار ويكذبونهم ، وهذه الفرقة بالعراق ومصر والشام وهم من الاندلس بطليطلة وطليره (والربانية) وهم الاشعنية وهم القائلون باقوال الاحبار ومذاهبهم وهم جمهور اليهود (والعيسوية) وهم أصحاب أبى عيسى الاصبهاني رجل من اليهود كان باصبهان ، وبلغنى ان اسمه كان محمد بن عيسى ، وهم يقولون بنبوة عيسى بن مريم ومحمد صلى الله عليه وسلم ، ويقولون ان عيسى بعثه الله عز وجل الى بنى اسرائيل على ما جاء فى الانجيل ، وانه أحد أنبياء بنى اسرائيل ، ويقولون ان محمداً صلى الله عليه وسلم نبي أرسله الله تعالى بشرائع القرآن الى بنى اسماعيل عليهم السلام والى سائر العرب ، كما كان أيوب نبيا في بنى عيص ، وكما كان بلعام نبيا فى بنى مواب باقرار من جميع فرق اليهود

(قال أبو محمد رضى الله عنه) ولقد لقيت من ينحو الى هذا المذهب من خواص اليهود كثيرا وقرأت فى تاريخ لهم جمعه رجل هاروني كان قديما فيهم ومن كبارهم وأئمتهم ، وممن عصبت به ثلث بلادهم وثلث حروبهم وثلث جيوشهم أيام حرب طيطوس وخراب البيت ، وكان له فى تلك الحروب آثار عظيمة ، وكان قد أدرك أمر المسيح عليه السلام واسمه يوسف بن هارون فذكر

ملوكهم

الا ان الميل منه ومن اصحابه الى الطبيعيين منهم اكثر منه الى الالهيين (الخياطية) اصحاب ابى الحسين ابن ابى عمرو الخياط استاذ ابي القاسم ابن محمد الكعبي وهما من معتزلة بغداد على مذهب واحد الا ان الخياط غال فى اثبات المعدوم شيئا وقال الشيء ما يعلم ويخبر عنه والجوهر جوهر فى القدم والعرض عرض وكذلك اطلق جميع اسماء الاجناس والاصناف حتى قال السواد سواد فى القدم فلم يبق الا صفة الوجود والصفات التى تلزم الوجود والحدوث واطلق على المعدوم لفظ الثبوت وقال فى نفى صفات البارى مثل ماقاله اصحابه وكذا القول فى القدر والسمع والعقل وانفرد الكعبي عن استاذه بمسائل (منها) قوله ان ارادة البارى تعالى ليست صفة قائمة بذاته ولا هو مريد لذاته ولا ارادته حادثة فى محل اولا فى محل بل اذا اطلق عليه انه مريد فمعناه انه عالم قادر غير مكره فى فعله ولا كاره ثم اذا قيل انه مريد لافعاله فالمراد به انه خالق لها على وفق علمه واذا قيل هو مريد لافعال عباده فالمراد به انه آمر بها راض عنها وقوله فى كونه سميعا بصيرا راجع الى ذلك ايضا فهو سميع بمعنى انه عالم بالمسموعات وبصير بمعنى انه عالم بالمبصرات وقوله فى الرؤية كقول اصحابه نفيا واحالة غير ان اصحابه قالوا يرى البارى تعالى ذاته ويرى المرئيات

وكونه مدركا لذلك زايد على كونه عالما وقد انكر الكعبي ذلك قال معنى قولنا يرى ذاته ويرى المرئيات

ملوكهم وحروبهم الى ان وصل الى قتل يحيى بن زكريا عليه السلام فذكره أجمل ذكر ، وعظم شأنه وانه قتل ظلما لقوله الحق ، وذكر أمر المعمودية ذكرا حسنا لم ينكرها ولا أبطلها ، ثم قال فى ذكره لذلك الملك هردوس بن هردوس ، وقبل هذا الملك من حكماء بنى اسرائيل وخيارهم وعلمائهم جماعة ، ولم يذكر من شأن المسيح عيسى بن مريم عليهما السلام أكثر من هذا

(قال أبو محمد رضى الله عنه) وانما ذكرت هذا الكلام لأرى ان هذا المذهب كان فيهم ظاهرا فاشيا فى ائمتهم من حينئذ الى الآن ، ثم انقسم اليهود جملة على قسمين ، فقسم أبطل النسخ ولم يجملوه ممكنا ، والقسم الثانى أجازوه الا انهم قالوا لم يقع ، وعمدة حجة من أبطل النسخ ان قالوا ان الله عز وجل يستحيل منه ان يأمر بالامر ثم ينهى عنه ، ولو كان كذلك لعاد الحق باطلا ، والطاعة معصية ، والباطل حقا والمعصية طاعة

(قال ابو محمد رضى الله عنه) لانعلم لهم حجة غير هذه ، وهى من اضعف مايكون من التمويه الذى لا يقوم على ساق ، لان من تدبر افعال الله كلها وجميع احكامه وآثاره تعالى في هذا العالم ، تيقن بطلان قولهم هذا . لان الله تعالى يحيي ثم يميت ثم يحيي . وينقل الدولة من قوم أعزة فيذلهم الى قوم اذلة فيعزهم . ويمنح من شاء ماشاء من الاخلاق الحسنة والقبيحة لا يسأل عما يفعل وهم يسئلون . ثم نقول لهم وبالله التوفيق : ماتقولون فيمن كان قبلكم من الامم المقبول دخولها فيكم اذا غزوكم . اليس دماؤهم لكم حلالا وقتلهم حقاً وفرضاً وطاعة ؟ ولا بد من نعم . فنقول لهم : فان دخلوا فى شريعتكم اليس قد حرمت دماؤهم وصار عندكم قتلهم حراماً وباطلا ومعصية بعدان كان فرضاً وحقاً وطاعة ؟ فلابد من نعم . ثم ان عدوا فى السبت وعملوا اليس قد عاد قتلهم فرضاً بعدان كان حراماً ؟ فلابد من نعم ، فهذا اقرار ظاهر منهم ببطلان قولهم ، واثبات منهم لما انكروه من ان الحق يعود باطلا ، والامر يعود نهياً ، وان الطاعة تعود معصية ، وهكذا القول فى جميع شرائعهم ، لانها انما هي اوامر فى وقت محدود بعمل محدود ، فاذا خرج ذلك الوقت عاد ذلك الامر منهياً عنه ، كالعمل هو عندهم مباح فى الجمعة محرم يوم السبت ، ثم يعود مباحاً يوم الاحد ، وكالصيام والقرابين وسائر الشرائع كلها . وهذا بعينه هو نسخ الشرائع الذى ابوه وامتنعوا منه . اذ ليس معنى النسخ الا ان يأمر الله عز وجل بان يعمل عمل مامدة ما . ثم ينهى عنه بعد انقضاء تلك المدة . ولا فرق فى شيء من المعقول بين ان يعرف الله تعالى ويخبر عباده بما يريد ان يأمرهم به قبل ان يأمرهم به . ثم بانه سينهى عنه بعد ذلك . وبين ان لا يعرفهم به . اذ ليس عليه تعالى شرط ان يعرف عباده بما يريد ان يأمرهم قبل ان يأتى الوقت الذى يريد الزامهم فيه الشريعة . وايضاً فان جميعهم مقر بان شريعة يعقوب عليه السلام كانت غير شريعة موسى عليه السلام . وان يعقوب تزوج ليا وراحيل ابنتى لابان وجمعهما معاً . وهذا حرام فى شريعة موسى عليه السلام . هذا مع قولهم ان أم موسى عليه السلام كانت عمة أبيه اخت جده وهى يوحانذا بنت لاوى وهذا فى شريعة موسي حرام ولا فرق في العقول بين شيء احله الله تعالى ثم حرمه وبين شيء حرمه الله ثم احله . والمفرق بين هذين مكابر للعيان مجاهر بالقحة . ولو قلب عليه قالب كلامه ماكان بينهما فرق . وفي توراتهم ان الله تعالى افترض عليهم بالوحى الى موسى عليه السلام .

انه عالم بها فقط (الجبائية والبهشمية) اصحاب أبى على محمد بن عبد الوهاب الجبائى وابنه أبي هاشم عبد السلام وهما من معتزلة البصرة انفردا عن اصحابهما بمسائل وانفرد احدهما عن صاحبه بمسائل اما المسائل التى انفردا بها عن اصحابهما فمنها انهما اثبتا ارادات حادثة لا فى محل يكون البارى تعالى موصوفا مريدا وتعظيما لا فى محل اذا اراد ان يعظم ذاته وفناءا لا فى محل اذا اراد ان يفنى العالم واخص اوصاف هذه الصفات يرجع اليه من حيث انه تعالى ايضا لا فى محل واثبات موجودات هي اعراض او فى حكم الاعراض لا محل لها كاثبات موجودات هي أعراض أو فى حكم الاعراض لا محل لها كاثبات موجودات هى جواهر اوفى حكم الجواهر لا مكان لها وذلك قريب من مذهب الفلاسفة حيث اثبتوا عقلا هو جوهر لا فى محل ولا فى مكان وكذلك النفس الكلية والعقول المفارقة ومنها انهما حكما بكونه تعالى متكلما بكلام يخلقه فى محل وحقيقة الكلام عندهما اصوات مقطعة وحروف منظومة والمتكلم من فعل الكلام لا من قام به الكلام الا ان الجبائى خالف اصحابه خصوصا بقوله يحدث الله تعالى عند قراءة كل قارى كلاما لنفسه فى محل القراءة وذلك حين الزم ان الذي يقرأه القارى ليس بكلام الله والمسموع منه ليس بكلام الله فالتزم هذا المحال

وامرهم موسى بذلك في نص توراتهم ان لا يتركوا من الامم السبعة الذين كانوا سكاناً في فلسطين والاردن احداً اصلا الاقتلوه . ثم انه لما اختدعتهم الامة التي يقال لها عباوون وهي احدى تلك الامم التي افترض عليهم قتلهم واستئصالهم فتحيلوا عليهم واظهروا لهم انهم اتوا من بلاد بعيدة حتى عاهدوهم . فلما عرفوا بعد ذلك انهم من السكان في الارض التي امروا بقتل اهلها حرم الله عز وجل عليهم قتلهم على لسان يوشع النبي بنص كتاب يوشع عندهم فابقوهم ينقلون الماء والحطب الى مكان التقديس . وهذا هو النسخ الذي انكروا بلا كلفة : وفي توراتهم البداء الذي هو اشد من النسخ . وذلك ان فيها ان الله تعالى قال لموسى عليه السلام ساهلك هذه الامة . واقدمك على امة اخرى عظيمة . فلم يزل موسى يرغب الى الله تعالى في ان لا يفعل ذلك حتى اجابه وامسك عنهم . وهذا هو البداء بعينه والكذب المنفيان عن الله تعالى . لانه ذكر ان الله تعالى اخبر انه سيهلكهم ويقدمه على غيره . ثم لم يفعل فهذا هو الكذب بعينه تعالى الله عنه . وفي سفر اشعيا ان الله تعالى سيرتب في آخر الزمان من الفرس خداما لبيته

(قال ابو محمد رضي الله عنه) وهذا هو النسخ بعينه لان التوراة موجبة ان لا يخدم في البيت المقدس احد غير بني لاوي بن يعقوب على حسب مراتبهم في الخدمة . فعلى اي وجه انزلوا هذا القول من اشعيا فهو نسخ لما في التوراة على كل حال . واما في الحقيقة فهو انذار بالملة الاسلامية التي صار فيها الفرس والعرب وسائر الاجناس في المساجد ببيت المقدس وغيره التي هي بيوت الله تعالى

(قال ابو محمد رضي الله عنه) واما الطائفة التي اجازت النسخ الا انها اخبرت انه لم يكن ، فانه يقال لهم وبالله تعالى التوفيق : باي شيء علمتم صحة نبوة موسى عليه السلام ووجوب طاعته ؟ فلا سبيل الى ان يأتوا بشيء غير اعلامه وبراهينه واعلامه الظاهرة ، فيقال لهم وبالله تعالى التوفيق : اذا وجب تصديق موسى والطاعة لامره لما ظهر من احالة الطبائع على ما بيناه في باب الكلام في بيان اثبات النبوات ، فلا فرق بينه وبين من اتى بمعجزات غيرها ، وباحالة لطبائع أخر ، وبضرورة العقل يعلم كل ذي حس ان ما اوجبه لنوع فانه واجب لاجزائه كلها . فاذا كانت احالة الطبائع موجبة تصديق من ظهرت عليه فوجوب تصديق موسى وعيسى ومحمد ﷺ واجب وجوباً مستويا . ولا فرق بين شيء منه بالضرورة . ويقال لهم ما الفرق بينكم في تصديقكم بعض من ظهرت عليه المعجزات وتكذيبكم بعضهم ؟ وبين من صدق من كذبتم وكذب من صدقتم كالمجوس المصدقين بنبوة زرادشت المكذبين بنبوة موسى وسائر انبيائكم . او المانوية المصدقة بنبوة عيسى وزرادشت المكذبة بنبوة موسى . او الصابئين المكذبين بنبوة ابراهيم عليه السلام فمن دونه المصدقين بنبوة ادريس وغيره . وكل هذه الفرق والملل تقول في موسى عليه السلام وفي سائر انبيائكم اكثر مما تقولون انتم في عيسى ومحمد عليهما السلام . تنطق بذلك تواريخهم وكتبهم وهي موجودة مشهورة . واقرب ذلك السامرية الذين ينكرون نبوة كل نبي لكم بعد موسى عليه السلام . ولا سبيل الى ان تأتوا على جميع من ذكرنا

بفرق

بالابصار في دار القرار وعلى القول باثبات الفعل للعبد خلقا وابداعا واضافة الخير والشر والطاعة والمعصية اليه استقلالا واستبدادا وان الاستطاعة قبل الفعل وهي قدرة زائدة على سلامة البنية وصحة الجوارح واثبتا البنية شرطا في قيام المعاني التي يشترط في ثبوتها الحيوة واتفقا على ان المعرفة وشكر المنعم ومعرفة الحسن والقبيح واجبات عقلية واثبتا شريعة عقلية ورد الشريعة النبوية الى مقدرات الاحكام وموقتات الطاعات التي لا يتطرق اليها عقل ولا يهتدى اليها فكر وبمقتضى العقل والحكمة يجب على الحكيم ثواب المطيع وعقاب العاصي الا ان التأقيت والتخليد فيه يعرف بالسمع والايمان عندهما اسم مدح وهو عبارة عن خصال الخير اذا استجمعت سمي المتحلي بها مؤمنا ومن ارتكب كبيرة فهو في الحال يسمى فاسقا لا مؤمنا ولا كافرا وان لم يتب ومات عليها فهو مخلد في النار واتفقا على ان الله تعالى لم يدخر عن عباده شيئا مما علم انه اذا فعل بهم اتوا بالطاعة والتوبة من الصلاح والاصلح واللطف لانه قادر عالم جواد حكيم لا يعجزه الاعطاء ولا ينقص من خزائنه ولا يزيد في ملكه الادخار وليس هو الاصلح هو الالذ بل

بفرق الا اتوكم بمثله . ولا تدعوا عليهم دعوى الا ادعوا عليكم بمثلها . ولا ان تطعنوا فى نقلهم بشئ الا أروكم فى نقلكم مثله سواء بسواء . وقد نبه الله تعالى على هذا البرهان بقوله تعالى : ولا تجادلوا أهل الكتاب الا بالتى هى أحسن الا الذين ظلموا منهم وقولوا آمنا بالذى أنزل الينا وأنزل اليكم والهنا والهكم واحد . فنص تعالى على ان طريق الايمان بما آمنوا به من النبوة وطريق ما آمنا به نحن منها واحد . وانه لافرق بين شيء من ذلك وان الايمان بالاله الباعث لموسى هو الايمان بالاله الباعث لمحمد صلى الله عليهما وسلم . وان طريق كل ذلك طريق واحدة لافرق فيها وبالله التوفيق . واما شغب من شغب منهم باننا نؤمن بموسي وهم لا يؤمنون بمحمد صلى الله عليه وسلم فهو شغب ضعيف بارد . لانهم لا يخلون من ان يكونوا انما صدقوا بنبوة موسى من اجل تصديقنا نحن . ولولا ذلك لم يصدقوا به . ويكون انما صدقوا به لما اظهر من البرهان فقط . فان كانوا انما صدقوا به من اجل تصديقنا نحن فواجب عليهم ان يصدقوا بمحمد صلى الله عليه وسلم من اجل تصديقنا نحن به . والا فقد تناقضوا . وان كان انما صدقوا به لما اظهر من الآيات فلا معنى لتصديق من صدقه ولا لتكذيب من كذبه . والحق حق صدقه الناس او كذبوه . والباطل باطل صدقه الناس ام كذبوه . ولا يزيد الحق درجة في انه حق اطباق الناس كلهم علي تصديقه . ولا يزيد الباطل مرتبة فى انه باطل تكذيب الناس كلهم له . ولا يظن ظان اننا فى مناظرتنا من نناظره من اهل ملتنا المخالفين لنا في بعض اقوالنا بالاجماع . وقد نقضنا كلامنا فى هذا المكان فليعلم اننا لم ننقضه لان الاجماع حجة قد قام البرهان علي صحتها فى الفتيا فى دين الاسلام . وما قام علي صحته البرهان فهو حجة قاطعة علي من خالفه وعلى من وافقه . واما ان نحتج علي مخالفنا بانه موافق لنا فى بعض ما نختلف فيه فليس حجة علينا . فان وجد لنا يوما من الايام فانما نخاطب به جاهلاً نستكف تخليطه بذلك . او نبكته لنريه تناقضه فقط . وايضاً فانا انما آمنا بنبوة موسى الذى انذر بنبوة محمد صلى الله عليه وسلم . وبالتوراة التى فيها الانذار برسالة محمد صلى الله عليه وسلم باسمه ونسبه وصفة اصحابه رضى الله عنهم . وهكذا نقول فى عيسى والانجيل حرفاً حرفاً . لا بنبوة من لم ينذر بنبوة النبى صلى الله عليه وسلم . ولا نؤمن بموسى وعيسى ولا نؤمن بتوراة ولا انجيل ليس فيهما الانذار برسالة محمد صلى الله عليه وسلم وصفة اصحابه . بل نكفر بكل ذلك ونبرأ منهم فلم نوافقهم قط علي ما يدعونه . فبطل شغبهم الضعيف وبالله تعالى التوفيق . وجملة القول فى هذا ان نقل اليهود والنصارى فاسد لما ذكرنا ونذكر ان شاء الله تعالى من عظيم الداخلة فى كتبهم المبينة انها مفتعلة وفساد نقلهم . فانما صدقنا بنبوة موسى وعيسى عليهما السلام لان محمداً صلى الله عليه وسلم صدقهما واخبرنا عنهما وعن اعلامهما . ولولا ذلك لما صدقنا بهما ولما كانا عندنا بمنزلة الياس واليسع ويونس ولوط فى ذلك . كما اننا لا نقطع بصحة نبوة سموال وحقاى وحبقوق وسائر الانبياء الذين عندهم كموسى وسائر من ذكرنا ولا فرق . ولكن نقول آمنا بالله وكتبه ورسله . فان كان المذكورون انبياء فنحن نؤمن بهم . وان لم يكونوا انبياء فلا ندخل فى انبياء الله تعالى من ليس منهم باخبار اليهود النصارى الكاذبة التى لا اصل لها . الراجعة الى قوم كفار كاذبين وبالله

هو الاجود فى العاقبة والاصوب فى العاجل وان كان ذلك مؤلما مكروها وذلك كالحجامة والفصد وشرب الادوية ولا يقال انه تعالى يقدر على شيء هو اصلح مما فعله بعبده والتكاليف كلها الطاف وبعثة الانبياء عليهم السلام وشرع الشرائع وتمهيد الاحكام والتنبيه علي الطريق الاصوب كلها الطاف (ومما تخالفا فيه) اما فى صفات البارى تعالى فقال الجبائى عالم لذاته قادر حى لذاته ومعنى قوله لذاته أى لا يقتضى كونه عالما صفة هى حال علم او حال يوجب كونه عالما وعند أبي هاشم هو عالم لذاته بمعنى انه ذو حالة هى صفة معلومة وراء كونه ذاتيا موجودا وانما يعلم الصفة علي الذات لا بانفرادها فاثبت احوالا هى صفات لا معلومة ولا مجهولة اي هي علي حيالها لا تعرف كذلك بل مع الذات قال والعقل يدرك فرقا ضروريا بين معرفة الشيء مطلقا وبين معرفته على صفة فليس من عرف الذات عرف كونه عالما ولا من عرف الجوهر عرف كونه متحيزا قابلا للعرض ولاشك ان الانسان يدرك اشتراك الموجودات فى قضية وافتراقها فى قضية وبالضرورة نعلم ان ما اشتركت فيه غير ما افترقت به وهذه القضايا العقلية لا ينكرها عاقل وهى لا ترجع الى الذات ولا الى اعراض وراء الذات فانه يؤدى الى قيام العرض بالعرض فتعين بالضرورة انها احوال فكون العالم

تعالى تتأيد . وقال تعالى : وان من أمة الا خلا فيها نذير . وقال تعالى فى الرسل : منهم من قصصنا عليك ومنهم من لم نقصص عليك فنحن نؤمن بالانبياء جملة ولانسمي منهم الا من يسمي محمد ﷺ فقط

(قال ابو محمد رضى الله عنه) ويقال لسائر فرق اليهود حاشا السامرية ، ماالفرق بينكم وبين السامرية الذين كذبوا بنبوة كل نبي صدقتم انتم به بعد يوشع ؟ بمثل ما كذبتم انتم به عيسي ومحمدا صلى الله عليه وسلم ، وهذا مالا انفكاك منه بوجه من الوجوه ، فان ادعوا ان عيسى ومحمداً صلى الله عليه وسلم لم ياتيا بالمعجزات ، بان كذبهم ومجاهرتهم ، اذ قد نقلت الكواف عن النبي صلى الله عليه وسلم انه سقى العسكر فى تبوك وهم الوف كثيرة من قدح صغير نبع فيه الماء من بين اصابعه عليه السلام ، وفعل ايضاً مثل ذلك بالحديبية ، وانه اطعم عليه السلام فى منزل ابي طلحة اهل الخندق حتى شبعوا . وفى منزل جابر ايضاً ، ورمى هوازن فى جيش فعميت عيون جميعهم بتراب يده . وفيها أنزل الله تعالى . وما رميت اذ رميت ولكن الله رمى . وشق القمر اذ سأله قومه آية فانزل الله تعالى فى ذلك . اقتربت الساعة وانشق القمر وان يروا آية يعرضوا ويقولوا سحر مستمر وكذبوا واتبعوا أهواءهم وكل أمر مستقر ولقد جاءهم من الانباء مافيه مزدجر . وكذلك حنين الجذع الذى سمعه كل من حضره من الصحابة رضوان الله عليهم . ومن ابهر ذلك واعظمه قوله لليهود الذين كانوا معه في وقته وهم زيادة علي الف بلاشك ولعلهم كانوا ألوفاً وهم بنو قريظة وبنو النضير وبنو اهدل وبنو قينقاع ان يتمنوا الموت ان كانوا صادقين فى تكذيبهم نبوته . واعلمهم انهم لايستطيعون ذلك اصلا . فعجزوا عن ذلك اى عن تمنى الموت ، وحيل بينهم وبين النطق بذلك . وهذه قصة منصوصة فى سورة الجمعة يقرأ بها كل يوم جمعة فى جميع جوامع المسلمين من شرق الدنيا الى غربها وقد كان اسهل الامور عليهم ان يكذبوا بان يتمنوا الموت لو استطاعوا وهم يسمعونه يقول فتمنوا الموت ان كنتم صادقين ولايتمنونه ابداً بما قدمت ايديهم

(قال ابو محمد رضي الله عنه) وهذا امر لايدفعه الاوقاح جاهل مكابر للعيان . لان القرون والاعصار نقلت هذه الآيات جيلا جيلا يخاطبون بها . فكل أذعن واقر ولم يمكن احداً دفعه . ودعا عليه السلام من حين مبعثه العرب كلهم علي فصاحة السنتهم وكثرة استعمالهم لانواع البلاغة من الاطالة والايجاز والتصرف فى افانين البلاغة والالفاظ المركبة على وجوه المعانى . الى ان يأتوا بمثل هذا القرآن ثم ردهم الى سورة فعجزوا كلهم عن ذلك على سعة بلادهم طولا وعرضاً . وانه ﷺ اقام بين اظهرهم ثلاثة وعشرين عاما يستسهلون قتاله والتعرض لسفك دمائهم واسترقاق ذراريهم وقد اضربوا عما دعاهم اليه من المعارضة للقرآن جملة

(قال ابو محمد رضى الله عنه) وهذا لايخفى على من له اقل فهم انه انما حملهم على ذلك العجز عما كلفهم من ذلك وارتفاع القوة عنهم . وانه قد حيل بينهم وبين ذلك ثم عم الدنيا من البلغاء الذين يتخللون بالسنتهم تخلل الناقد ويطيلون فى المعنى التافه اظهاراً لاقتدارهم

عالما حالا هي صفة وراء كونه ذاتا أى المفهوم منها غير المفهوم من الذات وكذلك كونه قادرا حيا ثم اثبت للبارى تعالى حالة اخرى اوجبت تلك الاحوال وخالفه والده وسائر منكرى الاحوال وردوا الاشتراك والافتراق الى الالفاظ واسماء الاجناس وقالوا ليست الاحوال تشترك فى كونها أحوالا وتفترق فى خصائص كذلك نقول فى الصفات والا فيؤدى الى اثبات الحال للحال ويفضى الى التسلسل بل هي راجعة اما الى مجرد الالفاظ اذ وضعت فى الاصل على وجه يشترك فيها الكثير لان مفهومها معنى أوصفة ثابتة فى الذات على وجه يشمل أشياء ويشترك فيها الكثير فان ذلك مستحيل او يرجع ذلك الى وجوه واعتبارات عقلية هي المفهومة من قضايا الاشتراك والافتراق وتلك الوجوه كالنسب والاضافات والقرب والبعد وغير ذلك مما لايعد صفات بالاتفاق وهذا هو اختيار ابي الحسين البصرى وابى الحسن الاشعرى وبنوا علي هذه المسئلة المعدوم شيء فمن اثبت كونه شيئاً كما نقلنا عن جماعة المعتزلة فلايبقى من صفات الثبوت الا كونه موجوداً فعلى ذلك لايثبت للقدرة فى ايجادها اثر ماسوى الوجود والوجود على مذهب نفاة الاحوال لايرجع الا الى اللفظ المجرد وعلى مذهب مثبتى الاحوال هو حالة لايوصف مالوجود والعدم وهذا كما ترى من التناقض والاستحالة ومن نفاة الاحوال من يثبته شيئا ولايسميه بصفات الاجناس

على

على الكلام بجماعات لا بصائر لهم فى دين الاسلام منذ اربعمائة عام وعشرين عاما فما منهم احد يتكلف معارضته إلا افتضح وسقط . وصار مهزأة ومعيرة يتماجن به وبما اتي به ويتطايب (١) عليه ، منهم مسيلمة بن حبيب الحنفى لما رام ذلك لم ينطق لسانه الا بما يضحك الثكلى ، وقد تعاطى بعضهم ذلك يوما فى كلام جرى بينى وبينه فقلت له اتق الله على نفسك فان الله تعالى قد منحك من البيان والبلاغة نعمة سبقت بها ، ووالله لئن تعرضت لهذا الباب باشارة ليسلبنك الله هذه النعمة. وليجعلنك فضيحة وشهرة ومسخرة وضحكة. كما فعل بمن رام هذا من قبلك. فقال لى صدقت والله واظهر الندم والاقرار بقبحه

(قال ابو محمد رضى الله عنه) وهذا الذى ذكرنا مشاهد . وهى آية باقية الي اليوم والى انقضاء الدنيا . وسائر آيات الانبياء عليهم السلام قد فنيت بفنائهم فلم يبق منها الا الخبر عنها فقط

(قال ابو محمد رضى الله عنه) وقد ظن قوم ان عجز العرب ومن تلاهم من سائر البلغاء عن معارضة القرآن انما هو لكون القرآن فى اعلى طبقات البلاغة

(قال ابو محمد رضى الله عنه) وهذا خطأ شديد ولو كان ذلك وقد ابى الله عز وجل ان يكون لما كان حينئذ معجزة لان هذه صفة كل باسق فى طبقته والشيء الذى هو كذلك وان كان قد سبق فى وقت ما فلا يؤمن ان ياتى فى غد ما يقاربه بل ما يفوقه . ولكن الاعجاز فى ذلك انما هو ان الله عز وجل حال بين العباد وبين ان يأتوا بمثله ورفع عنهم القوة فى ذلك جملة وهذا مثل لو قال قائل انى امشى اليوم فى هذه الطريق ثم لا يمكن احداً بعدى ان يمشى فيها . وهو ليس باقوى من سائر الناس . واما لو كان العجز عن المشى لصعوبة الطريق وقوة هذا الماشى لما كانت آية ولا معجزة . وقد بينا فى غير هذا المكان ان القرآن ليس من نوع بلاغة الناس . لان فيه الاقسام التى فى أوائل السور والحروف المقطعة التى لا يعرف احد معناها . وليس هذا من نوع بلاغة الناس المعهودة . وقد روينا عن انيس اخي ابى ذر الغفارى رضى الله عنهما انه سمع القرآن فقال : لقد وضعت هذا الكلام على السنة البلغاء وألسنة الشعراء فلم أجده يوافق ذلك. اوكلاماً هذا معناه . فصح بهذا ما قلناه من ان القرآن خارج عن نوع بلاغة المخلوقين . وانه على رتبة قد منع الله تعالى جميع الخلق عن أن يأتوا بمثله . ولنا فى هذا رسالة مستقصاة كتبنا بها الى ابى عامر احمد ابن عبد الملك ابن شهيد . وسنذكر منها هنا ان شاء الله تعالى ما فيه كفاية فى كلامنا مع المعتزلة والاشعرية فى خلق القرآن من ديواننا هذا . ولا حول ولا قوة الا بالله العلى العظيم

(قال ابو محمد رضى الله عنه) فان قال قائل انه منع المعارضون حينئذ من المعارضة او عارضوا فستر ذلك . قيل له وبالله التوفيق : لو امكن ما تقول لامكن لغيرك ان يدعى فى آيات موسى عليه السلام مثل ذلك . بل كان يكون اقرب الى التلبيس . لان فى توراتكم ان السحرة عملوا امثل ما عمل موسى عليه السلام حاشا البعوض خاصة فانهم لم يطيقوه

---

(١) يتطايب عليه اى يتمازح عليه ومثله يتماجن به من المجون

وعند الجبائى اخص وصف البارى تعالى هو القدم والاشتراك فى الاخص يوجب الاشتراك فى الاعم وليت شعرى كيف يمكنه اثبات الاشتراك والافتراق والعموم والخصوص حقيقة وهو من نفاة الاحوال فاما على مذهب ابن هاشم فلعمرى هو مطرد غير ان القدم اذا بحث عن حقيقته رجع الى نفى الاولوية والنفى يستحيل ان يكون اخص وصف واختلفا فى كونه سميعا بصيرا فقال الجبائى معنى كونه سميعا بصيرا انه حى لا آفة به وخالفه ابنه وسائر اصحابه اما ابنه فصار الى ان كونه سميعا حال وكونه بصيرا حال وكونه سوى كونه عالما لاختلاف القضيتين والمفهومين والمتعلقين والاثرين وقال غيره من اصحابه معناه كونه مدركا للمبصرات مدركا للمسموعات واختلفا ايضا فى بعض مسائل اللطف فقال الجبائى فمن يعلم البارى تعالى من حاله انه لو آمن مع اللطف لكان ثوابه اقل لقلة مشقته ولو آمن بلا لطف لكان ثوابه اكثر لعظم مشقته انه لا يحسن منه أن يكلفه الا مع اللطف ويسوى بينه وبين المعلوم من حاله انه لا يفعل الطاعة على كل وجه الا مع اللطف ويقول انه لو كلفه مع عدم اللطف لوجب ان يكون مستفسدا حاله غير مزيح لعلته ويخالفه ابو هاشم فى بعض المواضع فى هذه المسئلة قال يحسن منه تعالى ان يكلفه الايمان على استواء الوجهين بلا لطف

(قال ابو محمد رضى الله عنه) وهذا هو الباطل والتبديل الظاهر . لان السحر لا يحيل عيناً ولا يقلبها ولا يحيل طبيعة . انما هو حيل قد بينا الكلام فيها بعون الله تعالى فى موضعه من هذا الكتاب وفى غيره

(قال ابو محمد رضى الله عنه) وهذا الاعتراض هو على سبيل ابطال الكواف . لا سبيل من اثر بشىء منها . ثم يقال كل من ولى الامر بعده عليه السلام معروف ليس منهم احد الا وله اعداء يخرجون من عداوته الى ابعد الغايات من الحنق والغيظ . فابو بكر وعمر رضى الله عنهما تعاديهما الرافضة (١) . وتبلغ فى عداوتهما وتكفيرهما اقصى الغايات . وما قال قط احد مؤمن ولا كافر عدو لهما ولا ولى ان احداً منهما اجبر احداً على الاقرار بآيات محمد صلى الله عليه وسلم . ولا على ستر شىء عورض به . ولا قدر ان يقول هذا ايضاً يهودى ولا نصرانى . وكذلك عثمان ايضاً وعلى تعاديهما الخوارج (٢) وتخرج فى عداوتهما وتكفيرهما الى ابعد الغايات . ماقال قط قائل فى احدهما شيئاً من هذا . وحتى لو رام احد من الملوك ذلك لما قدر عليه . لانه لا يملك ايدى الناس ولا السنتهم يصنعون فى منازلهم ما احبوا وينشرونه عند من يثقون به حتى ينتشر . وهذا امر لا يقدر على ضبطه والمنع منه احد . لا سيما انخراق الدنيا وسعة اقطارها من اقصى السند الى اقصى الاندلس . فلو امكنت معارضته ما تأخر عن ذلك من له ادنى حظ من استطاعة عند نفسه على ذلك ممن لا بصيرة له فى الاسلام فى شرق الارض وغربها . فان قال قائل من اليهود : ان موسى عليه السلام قال لهم فى التوراة لا تقبلوا من نبى أتاكم بغير هذه الشريعة

(قال ابو محمد رضى الله عنه) قلنا له وبالله تعالى التوفيق : لا سبيل الى ان يقول موسى عليه السلام هذا بوجه من الوجوه . لانه لو قال ذلك لكان مبطلا لنبوة نفسه . وهذا كلام ينبغى ان يتدبر . وذلك انه لو قال لهم لا تصدقوا من دعاكم الى غير شريعتى وان جاء بآيات . فانه يلزمه اذا كانت الآيات لا توجب تصديق غيره اذا اتى بها فى شىء دعا اليه . فهى غير موجبة تصديق موسى عليه السلام فيما اتى به . اذ لا فرق بين معجزاته ومعجزات غيره . اذ بالآيات صحت الشرائع . ولم تصح الآيات بالشرائع لان تصديق الشريعة موجبة للآية . والآية موجبة تصديق الشريعة . ومن قال خلاف هذا ممن يدين بشريعة وبنبوة فهو عظيم المجاهرة بالباطل

(١) الروافض قوم من الشيعة الذين شايعوا عليا كرم الله وجهه . وقالوا انه الامام بعد رسول الله ﷺ . سموا رافضة لانهم رفضوا اى تركوا زيد بن على وكانوا قالوا له حين بايعوه : ابرأ من الشيخين نقاتل معك فأبى وقال : كانا وزيرى جدى فلا ابرأ منهما . فرفضوه وارفضوا عنه (لمصححه)

(٢) الخوارج فرق من المسلمين خرجوا على على كرم الله وجهه اذ رضى بالتحكيم فى مسألة الخلافة . قالوا : قد كان لمؤمنين أميرا فلما حكم فى دين الله خرج من الايمان فاذا أقر بالكفر وتاب وعاد الى الايمان عدنا له (لمصححه)

واختلفوا فى فعل الالم للعوض فقال الجبائى يجوز ذلك ابتدا لاجل العوض وعليه الم الاطفال وقال ابنه انما يحسن ذلك بشرط العوض والاعتبار جميعا وتفصيل مذهب الجبائى فى الاعواض على وجهين احدهما انه يقول التفضل بمثل الاعواض غير انه تعالى علم انه لا ينفعه عوض الا على الم متقدم (والوجه الثانى انه انما يحسن ذلك لان العوض مستحق والتفضل غير مستحق والثواب عندهم) يتفضل على التفضل بامرين احدهما تعظيم واجلال للمثاب يقترن بالنعيم والثانى قدر زائد على التفضل فلم يجب اذا اجرى العوض مجرى الثواب لانه لا يتميز عن التفضل بزيادة مقدار ولا بزيادة صفة وقال ابنه يحسن الابتدا بمثل العوض تفضلا والعوض منقطع غير دايم وقال الجبائى بجواز ان يقع الانتصاف من الله تعالى للمظلوم من الظالم باعواض يتفضل بها عليه اذا لم يكن على الله فى عوض شىء ضرر به وزعم ابوهاشم ان التفضل لا يقع به انتصاف لان التفضل ليس يجب فعله وقال الجبائى وابنه لا يجب على الله شىء لعباده فى الدنيا اذا لم يكلفهم عقلا وشرعا فاما اذا كلفهم فعل الواجب فى عقولهم واجتناب القبائح وخلق فيهم الشهوة للقبيح والنفور من الحسن وركب فيهم الاخلاق الذميمة فانه يجب عليه عند هذا التكليف اكمال العقل ونصب الادلة والقدرة والاستطاعة

(قال

وتهيئة الآلة بحيث يكون مزيحاً لعللهم فيما أمرهم ويجب عليه أن يفعل بهم ادعى الامور الى فعل ما كلفهم به وازجر الاشياء لهم عن فعل القبيح الذي نهاهم عنه ولهم في مسائل هذا الباب خبط طويل واما كلام جميع المعتزلة في النبوات والامامة فيخالف كلام البصريين فان من شيوخهم من يميل الى الروافض ومنهم من يميل الى الخوارج والجبائي وأبو هاشم قد وافقا أهل السنة في الامامة وانها بالاختيار وان الصحابة مترتبون في الفضل ترتبهم في الامامة غير انهم منكرون الكرامات أصلا للاولياء من الصحابة وغيرهم ويبالغون في عصمة الانبياء عن الذنوب كبائرها وصغائرها حتى يمنع الجبائي القصد الى الذنب الا على تأويل والمتأخرون من المعتزلة مثل القاضي عبد الجبار وغيره انتهجوا طريقة أبي هاشم وخالفه في ذلك أبو الحسين البصري وتصفح أدلة الشيوخ واعترض على ذلك بالتزييف والابطال وانفرد عنهم بمسائل منها نفي الحال ومنها نفي المعدوم شيئا ومنها نفي الالوان اعراضاً ومنها قوله ان الموجودات تتمايز باعيانها وذلك من توابع نفي الحال ومنها رده الصفات كلها الى كون الباري تعالى عالما قادراً مدركا وله ميل الى مذهب هشام بن الحكم ان الاشياء لا تعلم قبل كونها والرجل فلسفي المذهب الا انه روج كلامه على المعتزلة

(قال أبو محمد رضي الله عنه) وأيضا فان هذا القول المنسوب الى موسى عليه السلام كذب موضوع ليس في التوراة شيء منه ، وانما فيها : من أتاكم يدعي نبوة وهو كاذب فلا تصدقوه فان قلتم من أين نعلم كذبه من صدقه فانظروا فاذا قال عن الله شيئا ولم يكن كما قال فهو كاذب ، هذا نص ما في التوراة . فصح بهذا انه اذا أخبر عن الله تعالى بشيء فكان كما قال فهو صادق . وقد وجدنا كلما أخبر به النبي صلى الله عليه وسلم في غلبة الروم على كسرى . وانذاره بقتل الكذاب العنسي . ويوم ذي قار . وبخلع كسرى . وبغير ذلك . فان قالوا : ان في التوراة ان هذه الشريعة لازمة لكم في الابد . قلنا هذا محال في التأويل . لانه كذلك أيضا فيها : ان هذه البلاد يسكنونها أبداً وقد رأيناهم بالعيان خرجوا عنها

(قال أبو محمد رضي الله عنه) فان قال قائل . فقد قال لكم محمد صلى الله عليه وسلم لا نبي بعدي قيل لهم وبالله تعالى نتأيد : ليس هذا الكلام مما ادعيتموه على موسى عليه السلام . لانا قد علمنا من أخباره عليه السلام انه لا سبيل الى أن يظهر أحد آية بعده أبدا . ولو جاز ظهورها لوجب تصديق من أظهرها . ولكنا قد أيقنا انه لا تظهر آية على أحد بعده عليه السلام بوجه من الوجوه . فان قال قائل وكيف تقولون في الدجال وأنتم ترون انه يظهر له عجائب . فالجواب وبالله تعالى التوفيق : ان المسلمين فيه على أقسام . فاما ضرار بن عمرو وسائر الخوارج فانهم ينفون أن يكون الدجال جملة فكيف أن يكون له آية . واما سائر فرق المسلمين فلا ينفون ذلك . والعجائب المذكورة عنه انما جاءت بنقل الآحاد . وقال بعض أصحاب الكلام ان الدجال انما يدعي الربوبية ومدعي الربوبية في نفس قوله بيان كذبه . قالوا فظهور الآية عليه ليس موجبا لضلال من له عقل . واما مدعي النبوة فلا سبيل الى ظهور الآيات عليه . لانه كان يكون ضلالا لكل ذي عقل

(قال أبو محمد رضي الله عنه) واما قولنا في هذا . فهو ان العجائب الظاهرة من الدجال انما هي حيل من نحو ما صنع سحرة فرعون . ومن باب أعمال الحلاج وأصحاب العجائب . يدل على ذلك حديث المغيرة بن شعبة اذ قال للنبي صلى الله عليه وسلم ان معه نهر ماء ونهر خبز . فقال له رسول الله صلى الله عليه وسلم هو أهون على الله من ذلك . حدثنا يونس بن عبد الله بن مغيث حدثنا احمد بن عبد الرحيم حدثنا محمد بن عبد السلام الخشني حدثنا محمد بن بشار بندار حدثنا يحيى بن سعيد القطان حدثنا هشام بن حسان الفردوسي حدثنا حميد بن هلال عن أبي الدهماء عن عمران بن حصين عن النبي ﷺ قال : من سمع من أمتي الدجال فلينأ عنه فان الرجل يأتيه وهو يحسبه مؤمن فيتبعه مما يرى من الشبهات

(قال أبو محمد رضي الله عنه) فصح بالنص انه صاحب شبهات

(قال أبو محمد رضي الله عنه) وبهذا تتألف الاحاديث . وقد بين رسول الله ﷺ في هذا الحديث ان ما يظهر الدجال من نهر ماء ونار وقتل انسان واحيائه ان ذلك حيل . ولكل ذلك وجوه اذا طلبت وجدت . فقد تحيل ببعض الاجساد المعدنية اذا ذيب انه ماء . وتحيل بالنفط الكاذب انه نار . ويقتل انسان ويغطى وآخر معد مخبوء فيظهر ليرى انه قتل ثم أحيي كما فعل الحسين بن منصور الحلاج في الجدي الابلق ، وكما فعل الشريعي والنميري بالبغلة ، وكما فعل زبزن بالزرزور ، وأنا أدري من يطعم الدجاج الزرنيخ فتتخدر ولا يشك في موتها ثم يصب

في حلوقها الزيت فتقوم صحاحا، وانما كانت تكون معجزة لو أحيا عظاما قد أرمت، فيظهر نبات اللحم عليها. فهذه كانت تكون معجزة ظاهرة لاشك فيها ولا يقدر غير نبي عليها البتة. وقد رأينا لدبر يلقى في الماء حتى لا يشك أحد انها ميتة ثم كنا نضعها للشمس فلا تلبث أن تقوم وتطير. وقد بلغنا مثل ذلك في الذباب المسترخي في الماء اذا ذر عليه سحق الآجر الجديد. وآيات الانبياء عليهم السلام لا تكون من وراء حائط ولا في مكان بعينه ولا من تحت ستارة ولا تكون الابادية مكشوفة، وقد فضحت انا حيلة أبي محمد المعروف بالمحرق في الكلام المسموع بحضرته ولا يرى المتكلم. وسمت بعض أصحابه أن يسمعني ذلك في مكان آخر او بحيث الفضاء دون بنيان فامتنع من ذلك. فظهرت الحيلة وانما هي قصبة مثقوبة توضع وراء الحائط على شق خفي ويتكلم الذي طرف القصبة على فيه على حين غفلة ممن في المسجد كلمات يسيرة الكلمتين والثلاث لأكثر من ذلك فلا يشك من في البيت مع المحرق الملعون في ان الكلام اندفع بحضرتهم. وكان المتكلم في ذلك محمد بن عبد الله الكاتب صاحبه، فان اعترض معترض بقول الله تعالى: وما منعنا ان نرسل بالآيات الا ان كذب بها الاولون، قيل له وبالله تعالى التوفيق: هذا يخرج على وجهين، أحدهما ان معنى قوله تعالى «ومامنعنا ان نرسل بالآيات الا ان كذب بها الاولون» إنما هو علي معنى التبكيت لمن قال ذلك، وأورد تعالى كلامهم وحذف الف الاستفهام، وهذا موجود في كلام العرب كثيراً، والثاني انه انما عنى تعالى بذلك الآيات المشترطة في الرقي الى السماء وان يكون معه ملك، وما أشبه هذا وليس علي الله تعالى شرط لاحد

(قال ابو محمد رضى الله عنه) والقول الأول هو جوابنا. لان الله تعالى لاشيء يمنعه عما يريد وكذلك ان اعترض معترض بقول النبي ﷺ: مامن الانبياء الا من قد أوتي ما علي مثله آمن البشر وانما كان الذى أوتيته وحيا اوحى الى واني لارجوان اكون اكثرهم تبعا يوم القيامة. قيل لهم وبالله التوفيق: انما عنى رسول الله ﷺ هذا القول آيته الكبرى الثابتة الباقية ابد الآباد التى هى اول معجزته حين بعث وهى القرآن. لبقاء هذه الآية علي الآباد. وانما حملها عليه السلام بخلاف سائر آيات الانبياء عليهم السلام. لان تلك الآيات يستوى في معرفة اعجازها العالم والجاهل. واما اعجاز القرآن فانما يعرفه العلماء بلغة العرب. ثم يعرفه سائر الناس باخبار العلماء لهم بذلك. مع ما في التوراة من الانذار البين برسول الله ﷺ من قوله تعالي فيها (سأقيم لبنى اسرائيل نبيا من اخوتهم اجعل على لسانه كلامي فمن عصاه انتقمت منه)

(قال ابو محمد رضى الله عنه) ولم تكن هذه الصفة لغير محمد ﷺ، واخوة بنى اسرائيل هم بنو اسماعيل. وقوله في السفر الخامس منها (جاء الله من سيناء واشرق من ساعير واستعلن من جبال فاران)

(قال ابو محمد رضى الله عنه) وسيناء هو موضع مبعث موسي عليه السلام بلا شك وساعير هو موضع مبعث عيسى عليه السلام وفاران بلا شك هى مكة موضع مبعث محمد ﷺ. بيان ذلك ان ابراهيم عليه السلام اسكن اسماعيل فاران ولا خلاف بين احد في انه انما اسكنه مكة. فهذا نص على مبعث النبي ﷺ. والرؤيا التى فسرها دانيال

فراج عليهم لقلة معرفتهم بمسالك المذاهب (الجبرية) الجبر هو نفي الفعل حقيقة عن العبد واضافته الي الرب تعالى والجبرية أصناف فالجبرية الخالصة هي التى لا تثبت للعبد فعلا ولا قدرة علي الفعل أصلا والجبرية المتوسطة ان يثبت للعبد قدرة غير مؤثرة فاما من أثبت للقدرة الحادثة أثراً ما في الفعل وسمى ذلك كسباً فليس بجبري والمعتزلة يسمون من لم يثبت للقدرة الحادثة في الابداع والاحداث استقلالاً جبريا ويلزمهم ان يسموا من قال من أصحابهم بان المتولدات أفعال لا فاعل لها جبريا اذ لم يثبتوا للقدرة الحادثة فيها أثرا والمصنفون في المقالات عدوا النجارية والضرارية من الجبرية وكذلك جماعة الكلامية من الصفاتية والاشعرية سموهم تارة حشوية وتارة جبرية ونحن سمعنا اقرارهم على أصحابهم من النجارية والضرارية فعددناهم من الجبرية ولم نسمع اقرارهم على غيرهم فعددناهم من الصفاتية (الجهمية) أصحاب جهم بن صفوان وهو من الجبرية الخالصة ظهرت بدعته بترمذ وقتله سالم بن احوز المازني بمرو في آخر ملك بني أمية ووافق المعتزلة في نفي الصفات الازلية وزاد عليهم باشياء منها قوله لايجوز ان يوصف الباري تعالى بصفة يوصف بها خلقه لان ذلك يقتضى تشبيهاً فنفى كونه حياً عالماً واثبت كونه قادراً فاعلاً خالقا لانه لا يوصف شيء من خلقه

في

في أمر الحجر الذى رأى الملك فى نومه الذى دق الصنم الذى كان بعضه ذهبا وبعضه فضة وبعضه نحاسا وبعضه حديدا وبعضه فخارا وخلطه كله وطحنه وجعله شيئا واحدا ثم ربا (١) الحجر حتى ملا الارض ، ففسره دانيال انه نبى يجمع الاجناس ويبلغ ملك امره ملء الآفاق ، فهل كان نبى قط غير محمد ﷺ جمع الاجناس كلها على اختلافها واختلاف لغاتها وأديانها وممالكها وبلادها فجعلهم جنسا واحدا ولغة واحدة وامة واحدة ومملكة واحدة ودينا واحدا ، فان العرب والفرس والنبط والاكراد والترك والديلم والجيل والبربر والقبط ومن اسلم من الروم والهند والسودان على كثرتهم كلهم ينطقون بلغة واحدة ، وبها يقرؤن القرآن ، وقد صار كل من ذكرنا امة واحدة والحمد لله رب العالمين : فصحت النبوة المذكورة بلا اشكال والحمد لله رب العالمين ، وكل ماذكرنا فى هذا الباب انه يدخل على النصارى الذين يقولون بنبوة عيسى عليه السلام فقط من الاريوسية والمقدونية والبولقانية سواء سواء ، مع ما فى الانجيل من دعاء المسيح عليه السلام في قوله (اللهم ابعث البارقليط ليعلم الناس ان ابن البشر انسان)

(قال ابو محمد رضى الله عنه) وهذا غاية البيان لمن عقل ، لان المسيح عليه السلام علم انه سيغلو قومه فيه ، فيقولون انه الله وانه ابن الله فدعا الله فى ان يبعث الذى يبين للناس انه ليس الهاً ولا ابن اله وانما هو انسان من ولد امرأة من البشر ، فهل اتى بعده نبى يبين هذا الا محمد ﷺ وهذا لايحيل بيانه على ذى حس سليم وانصاف ونسأل الله ايزاع الشكر على ماوفق له من الهدى : فان قال قائل فان المجوس تصدق بنبوة زرادشت ، وقوم من اليهود بنبوة ابى عيسى الاصبهانى ، وقوم من كفرة الغالية يصدقون بنبوة بزيع الحائك والمغيرة بن سعيد وبنان بن سمعان التميمى وغيرهم من كلاب الغالية . فالجواب وبالله تعالى التوفيق * ان ابا عيسى وبنان وبزيعا وسائر من تدعى له الغالية بنبوة او الهية من خيار الناس وشرارهم لم تظهر لواحد منهم آية بوجه من الوجوه . والآيات لاتصح الا بنقل الكواف . وكل هؤلاء كان بعد رسول الله ﷺ وقد اخبر الذى جاءت البراهين بصدقه ﷺ انه لانبى بعده . فقد صح البرهان ببطلان ماادعى لهؤلاء من النبوة . واما زرادشت فقد قال كثير من المسلمين بنبوته

(قال ابو محمد رضي الله عنه) ليست النبوة بمدفوعة قبل رسول الله ﷺ لمن صحت عنه معجزة ، قال الله عز وجل . وان من أمة الا خلا فيها نذير ، وقال عز وجل : ورسلا قد قصصناهم عليك من قبل ورسلا لم نقصصهم عليك : وقالوا ان الذى ينسب اليه (٢) المجوس من الاكذوبات باطل مفترى منهم . وبرهان ذلك ان المانية تنسب اليه مقالتهم واقوال هؤلاء كلهم متضادة لاسبيل الى ان يقول بها قائل واحد صادق ولا كاذب في وقت واحد : وكذا المسيح عليه السلام ينسب اليه الملكانية قولهم في التثليث . وتنسب اليه النسطورية قولهم ايضا . وكذلك اليعقوبية . وتنسب اليه المانية ايضا قولهم . وكذلك

(١) ربا الحجر ارتفع وزاد (٢) الضمير فى اليه عائد الى زرادشت

بالقدرة والفعل والخلق ومنها اثباته علوما حادثة للبارى تعالى لافى محل قال لايجوز ان يعلم الشىء قبل خلقه لانه لو علم ثم خلق أفبقى علمه على ما كان أو لم يبق فان بقى فهو جهل فان العلم بان سيوجد غير العلم بان قد وجد وان لم يبق فقد تغير والمتغير مخلوق ليس قديم ، وافق فى هذا مذهب هشام بن الحكم كما تقرر قال واذا ثبت حدوث العلم فليس يخلو اما ان يحدث فى ذاته تعالى وذلك يؤدى الى التغير فى ذاته وأن يكون محلا للحوادث واما أن يحدث فى محل فيكون المحل موصوفا به لا البارى تعالى فتعين انه لا محل له فاثبت علوما حادثة بعدد المعلومات الموجودة ومنها قوله فى القدرة الحادثة ان الانسان ليس يقدر على شىء ولا يوصف بالاستطاعة وانما هو مجبور فى أفعاله لاقدرة له ولا ارادة ولا اختيار وانما يخلق الله تعالى الافعال فيه على حسب مايخلق فى سائر الجمادات وينسب اليه الافعال مجازاً كما ينسب الى الجمادات كما يقال أثمرت الشجرة وجرى الماء وتحرك الحجر وطلعت الشمس وغربت وتغيمت السماء وأمطرت وأزهرت الارض وأنبتت الى غير ذلك والثواب والعقاب جبر كما ان الافعال جبر قال واذا ثبت الجبر فالتكليف أيضاً كان جبراً ومنها قوله ان حركات أهل الخلدين ينقطع والجنة والنار يفنيان بعد دخول أهلها فيهما وتلذذ أهل الجنة بنعيمها وتألم أهل النار بجحيمها اذ

لا يتصور حركات لا تتناهى آخراً كما لا تتصور حركات لا تتناهى أولا وحمل قوله تعالى خالدين فيها على المبالغة

المزقونية . وهذا برهان ظاهر على كذب جميعهم عليها بلا شك . وقد رامت الغالية مثل هذا في القرآن . ولكن قد تولى الله حفظه: وبالجملة فكل كتاب وشريعة كانا مقصورين على رجال من اهلها : وكانا محظورين على من سواها : فالتبديل والتحريف مضمون فيها. وكتاب المجوس وشريعتهم انما كان طول مدة دولتهم عند المؤبذ وعند ثلاثة وعشرين هربذا. فكل هربذ سفر قد افرد به وحده لا يشاركه فيه غيره من الهرابذة ولا من غيرهم ولا يباح بشيء من ذلك لاحد سواهم : ثم دخل فيه الخرم باحراق الاسكندر لكتابهم ايام غلبته لدارا بن دارا . وهم مقرون بلا خلاف منهم انه ذهب منه مقدار الثلث . ذكر ذلك بشير الناسك وغيره من علمائهم : وكذلك التوراة انما كانت طول مدة ملك بني اسرائيل عند الكوهن الاكبر الهاروني وحده: لا ينكر ذلك منهم الا كذاب مجاهر: وكذلك الانجيل انما هي كتب اربعة مختلفة من تأليف اربعة رجال. فامكن في كل ذلك التبديل وقد نقلت كواف المجوس الآيات المعجزات عن زرادشت كالصفر الذي افرغ وهو مذاب على صدره فلم يضره : وقوائم الفرس التي غاصت في بطنه فاخرجها: وغير ذلك وممن قال ان المجوس اهل كتاب علي ابن ابي طالب وحذيفة رضي الله عنهما وسعيد بن المسيب وقتادة وابو ثور . وجمهور اصحاب اهل الظاهر : وقد بينا البراهين الموجبة لصحة هذا القول في كتابنا المسمى الايصال في كتاب الجهاد منه وفي كتاب الذبائح منه وفي كتاب النكاح منه والحمد لله رب العالمين . ويكفي من ذلك صحة اخذ رسول الله ﷺ الجزية منهم . وقد حرم الله عز وجل في نص القرآن في آخر سورة نزلت منه وهي براءة ان تؤخذ الجزية من غير كتابي

(قال ابو محمد رضي الله عنه) واما العيسوية من اليهود فانه يقال لهم . اذا صدقتم الكافة في نقل القرآن عن النبي ﷺ وفي نقل معجزاته وصحة نبوته فقد لزمكم الانقياد لما في القرآن من انه عليه السلام بعث الى الناس كافة. بقوله تعالى فيه امراً لرسوله ﷺ ان يقول . يا أيها الناس اني رسول الله اليكم جميعاً . وقوله تعالى: ومن يبتغ غير الاسلام ديناً فلن يقبل منه وهو في الآخرة من الخاسرين. وقوله تعالى فيه. قاتلوا الذين لا يؤمنون بالله ولا باليوم الآخر الى قوله حتى يعطوا الجزية عن يد وهم صاغرون. وما فيه من دعاء اليهود الى ترك ما هم عليه والرجوع الى شريعته عليه السلام . وهذا ما لا مخلص منه فان اعترضوا بما في القرآن مما حرم عليهم يعني اليهود وحضهم على التزام السبت * فانما هو تبكيت لهم فيما سلف من اسلافهم الذين قفوا آثارهم : يبين هذا نص القرآن في قوله تعالى عن عيسى عليه السلام . انه رسول الله ﷺ الى بني اسرائيل ليحل لهم بعض الذي حرم عليهم : وهذا نص جلي على نسخ شريعتهم وبطلانها: ثم ما لم ينكره احد من مؤمن ولا كافر من انه عليه السلام حارب يهود بني اسرائيل من بني قريظة والنضير وهذل وبني قينقاع وقتلهم وسباهم والزمهم الجزية وسامهم كفارا ، اذ لم يرجعوا الى الاسلام وقبل اسلام من أسلم منهم . فلو لم يكن نسخ دينهم ما حل له اجبارهم على تركه . أو الجزية والصغار . ولا جاز لا قبول ترك ما ترك منهم بدين بني اسرائيل .

والتأبيد دون الحقيقة في التخليد كما يقال خلد الله ملك فلان واستشهد على الانقطاع بقوله تعالى خالدين فيها ما دامت السموات والارض الا ما شاء ربك فالآية اشتملت على شرطية واستثناء والخلود والتأبيد لا شرط فيه ولا استثناء ومنها قوله من أتي بالمعرفة ثم جحد بلسانه لم يكفر بجحده لان العلم والمعرفة لا تزول بالجحد فهو مؤمن قال والايمان لا يتبعض أي لا ينقسم الى عقد وقول وعمل قال ولا يتفاضل أهله فيه فايمان الانبياء وايمان الامة على نمط واحد اذ المعارف لا تتفاضل وكان السلف كلهم من أشد الرادين عليه ونسبته الى التعطيل المحض وهو أيضا موافق للمعتزلة في نفي الرؤية واثبات خلق الكلام وايجاب المعارف بالعقل قبل ورود الشرع (النجارية) أصحاب الحسين ابن محمد النجار وأكثر معتزلة الري وحوالها على مذهبه وهم وان اختلفوا اصنافا الا انهم لم يختلفوا في المسائل التي عددناها أصولا وهم برغوثية وزعفرانية ومستدركة وافقوا المعتزلة في نفي الصفات من العلم والقدرة والارادة والحياة والسمع والبصر ووافقوا الصفاتية في خلق الاعمال قال النجار الباري تعالى مريد لنفسه كما هو عالم لنفسه فالزم عموم التعلق فالتزم وقال هو

ومن

ومن المحال الممتنع أن يكون عند العيسويين رسولاً صادقا نبيا ثم يجور ويظلم ويبدل دين الحق . فوضح فساد قولهم وتناقضه بيقين لا اشكال فيه والحمد لله رب العالمين . وهكذا يقال لمن اقر بنبوة بعض الانبياء عليهم السلام من فرق الصابئين . كادريس وغيره ممن لا يوقن بصحة قولهم فيه . كعادمون واسقلابيوس وابلون وغيرهم والمجوس المقتصرين على زرادشت فقط . اخبرونا : باى شيء صحت نبوة من تدعون له النبوة ؟ فليس هاهنا الا صحة ما أتوا به من المعجزات . فيقال لهم : فان النقل الى محمد صلى الله عليه وسلم فى معجزاته اقرب عهدا . واظهر صحة واكثر عدد ناقلين . وادخل فى الضرورة . ولا فرق ولا مخلص لهم من هذا اصلاً . لانه نقل ونقل . الا أن نقلنا أفشي واظهر وأقوى انتشارا . ومبدأ هذا مع ذهاب دين الصابئين وانقطاعهم ورجوع نقلهم الى من لا يقوم بهم حجة لقلتهم . ولعلهم اليوم فى جميع الارض لا يبلغون اربعين . وأما المجوس فانهم معترفون مقرون بان كتابهم الذى فيه دينهم احرقه الاسكندر . اذ قتل دارا بن دارا . وانه ذهب منه الثلثان واكثر . وانه لم يبق منه الا أقل من الثلث . وأن الشرائع كانت فيما ذهب . فاذ هذا صفة دينهم فقد بطل القول به جملة لذهاب جمهوره . وان الله تعالى لا يكلف احدا ما لا يتكفل بحفظه حتى يبلغ اليه . وفى كتاب لهم اسمه (خذاى بانه) يعظمونه جدا أن انوشروان الملك منع من أن يتعلم دينهم فى شيء من البلاد الا فى أزدشير خرة وفشامن داتجرد فقط ، وكان قبله لا يتعلم الا باصطخر فقط ، وكان لا يباح الا لقوم خصائص ، وكتابهم الذى بقى بعد ما حرق الاسكندر ثلاثة وعشرون سفرا . فلهم ثلاثة وعشرون هربذا لكل هربذ سفر لا يتعداه الى غيره . وموبذ موبذ ان يشرف على جميع تلك الاسفار . وما كان هكذا فمضمون تبديله وتحريفه . وكل نقل هكذا فهو فاسد لا يوجب القطع بصحته . هذا الى ما فى كتبهم التى لا يصح دينهم الا بالايمان بها من الكذب الظاهر . كقولهم ان جرم الملك كان يركب ابليس حيث شاء . وان مبدأ الناس من بقلة الريباس وهى الشرالية ومن ولادة بيروان سياوش بن كيفاوش بنى مدينة كنكدر بين السماء والارض واسكنها ثمانين الف راجل من اهل البيوتات هم فيها الى اليوم فاذا ظهر بهرام هاوند على البقرة ليرد ملكهم نزلت تلك المدينة الى الارض ونصروه وردوا دينهم وملكهم

(قال ابو محمد رضى الله عنه) وكل كتاب دون فيه الكذب فهو باطل موضوع ليس من عند الله عز وجل . فظهر من فساد دين المجوس كالذي ظهر من فساد دين اليهود والنصارى سواء سواء . والحمد لله رب العالمين

فصل فى مناقضات ظاهرة وتكاذيب واضحة فى الكتاب الذى تسميه اليهود التوراة وفى سائر كتبهم وفى الاناجيل الاربعة يتيقن بذلك تحريفها وتبديلها وانها غير الذى أنزل الله عز وجل

(قال ابو محمد رضى الله عنه) نذكر ان شاء الله تعالى ما فى الكتب المذكورة من الكذب الذى لا يشك كل ذى مسكة تمييز فى انه كذب على الله تعالى وعلى الملائكة عليهم السلام

مريد الخير والشر والنفع والضر وقال أيضا معنى كونه مريدا انه غير مستكره ولا مغلوب وقال هو خالق أعمال العباد خيرها وشرها حسنها وقبيحها والعبد مكتسب لها وأثبت تأثيرا للقدرة الحادثة وسمي ذلك كسباً على حسب ما يثبته الاشعرى ووافقه أيضاً فى ان الاستطاعة مع الفعل واما فى مسئلة الرؤية فانكر رؤية الله تعالى بالابصار واحالها غير انه قال يجوز ان يحول الله تعالى القوة التى فى القلب من المعرفة الى العين فيعرف الله بها ويكون ذلك رؤية وقال بحدوث الكلام لكنه انفرد عن المعتزلة باشياء * منها قوله ان كلام البارىء تعالى اذا قرىء فهو عرض واذا كتب فهو جسم * ومن العجب ان الزعفرانية قالت كلام الله غيره وكل ما هو غيره فهو مخلوق ومع ذلك قالت كل من قال القرآن مخلوق فهو كافر ولعلهم اذا رأوا بذلك الاختلاف والا فالتناقض ظاهر * والمستدركة منهم زعموا أن كلامه غيره وهو مخلوق لكن النبى صلى الله عليه وسلم قال كلام الله غير مخلوق والسلف اجمعت على هذه العبارة فوافقناهم وحملنا قولهم غير مخلوق اى على هذا الترتيب والنظم من الحروف والاصوات بل هو مخلوق على غير هذه الحروف بعينها وهذه حكاية عنها (وحكى الكعبي عن النجار) انه قال البارى تعالى بكل مكان ذاتا ووجوداً

وعلى الانبياء عليهم السلام . الى احبار اوردوها لايخفى الكذب فيها على احد كما لايخفى ضوء النهار على ذي بصر . وقد كنا نعجب من اطباق النصارى على تلك الاقوال الفاسدة المتناقضة التى لايخفى فسادها على احد به رمق . الى ان وقفنا على ما بايدى اليهود فراينا ان سبيلهم وسبيل النصارى واحدة كشق الانملة . وثبت بذلك عند كل منصف من المخالفين صحة قولنا ان كل من خالف دين الاسلام و نحلة السنة ومذهب اصحاب الحديث فانه عارف بضلال ماهم عليه . الا انهم بخذلان الله تعالى اياهم مكابرون لعقولهم مغلبون لاهوائهم وظنونهم على يقينهم تقليداً لاسلافهم وعصبية واستدامة لرياسة دنيوية . وهكذا وجدنا اكثر من شاهدناه من رؤسائهم . فنحمد الله كثيرا على ماهدانا له من الاسلام ونحلة السنة واتباع الآثار الثابتة ، ونسأله تثبيتنا على ذلك وان يجعلنا من الدعاة اليه حتى يدعونا الى رحمته ورضوانه عند لقائه آمين

(قال ابو محمد رضى الله عنه) وليعلم كل من قرأ كتابنا هذا اننا لم نخرج من الكتب المذكورة شيئا يمكن أن يخرج على وجه ما وان دق ، وبعد فالاعتراض بمثل هذا لامعنى له ، وكذلك أيضا لم نخرج منه كلاما لايفهم معناه وان كان ذلك موجودا فيها ، لان للقائل أن يقول قد أصاب الله به ما أراد ، وانما اخرجنا مالاحيلة فيه ولاوجه اصلا الا الدعاوى الكاذبة التى لادليل عليها اصلاً لا محتملا ولاخفياً

-﴿ فصل ﴾-

(قال ابو محمد رضى الله عنه) أول ذلك ان بايدى السامرية (١) توراة غير التوراة التى بايدى سائر اليهود ، يزعمون أنها المنزلة ، ويقطعون أن التى بايدى اليهود محرفة مبدلة ، وسائر اليهود يقولون أن التى بايدى السامرية محرفة مبدلة ولم الى آخره ولم يقع الينا توراة السامرية لانهم لايستحلون الخروج عن فلسطين والاردن أصلاً ، الا اننا قد أتينا ببرهان ضرورى على ان التوراة التى بايدى السامرية أيضاً محرفة مبدلة عند ماذكرنا فى آخر هذه الفصول اسماء ملوك بنى اسرائيل ولاحول ولاقوة الا بالله العلى العظيم

-﴿ فصل ﴾- في أول ورقة من توراة اليهود التى عند ربانيهم وعانانيهم وعيسويهم حيث كانوا فى مشارق الارض ومغاربها لايختلفون فيها على صفة واحدة لورام أن يزيد فيها لفظة أو ينقص أخرى لافتضح عند جميعهم مبلغة ذلك الى احبارهم الذين كانوا أيام ملك

---

(١) يذكر ابو الفدا فى تاريخه ان نسخ التوراة ثلاث السامرية والعبرانية واليونانية ويعتمد فى ذكر مدد نوح وأولاده على الاخيرة قال : واما التوراة اليونانية فهي التوراة التى اختارها المحققون من المؤرخين وليس فيها مايقتضي الانكار من جهة الماضى من عمر الزمان وهى توراة نقلها اثنان وسبعون حبرا قبل ولادة المسيح بقريب ثلثمائة سنة لبطليموس اليونانى الذي كان بعد الاسكندر ببطليموس واحد اه وهذا يوافق ماذكره المؤرخون عن بطليموس الثانى الذى جلس على سرير مصر من سنة (٢٨٥ – ٢٤٧ ق م) من انه عنى بنشر العلوم والآداب ووسع نطاق دار كتبها وانجز ترجمة التوراة من العبرانية الى اليونانية (مصححه)

لاعلى معنى العلم والقدرة والزنه محالات على ذلك * وقال فى الفكر قبل ورود السمع مثل ماقالت المعتزلة انه يجب عليه تحصيل المعرفة بالنظر والاستدلال وقال فى الايمان انه عبارة عن التصديق ومن ارتكب كبيرة ومات عليها من غير توبة عوقب على ذلك ويجب ان يخرج من النار فليس من العدل التسوية بينه وبين الكفار فى الخلود ومحمد بن عيسي الملقب ببرغوث وبشر بن غياث المريسي والحسين النجار متقاربون فى المذهب وكلهم اثبتوا كونه تعالى مريدا لم يزل لكل ماعلم انه سيحدث من خير وشر وايمان وكفر وطاعة ومعصية وعامة المعتزلة يأبون ذلك (الضرارية) اصحاب ضرار بن عمرو وحفص الفرد واتفاقهما فى التعطيل انهما قالا البارى تعالى عالم قادر على معنى انه ليس بجاهل ولا عاجز واثبتا لله تعالى ماهية لا يعلمها الا هو وقالا ان هذه المقالة محكية عن ابى حنيفة رحمه الله وجماعة من اصحابه وارادا بذلك انه يعلم نفسه شهادة لابدليل ولا خبر ونحن نعلمه بدليل وخبر واثبتا حاسة سادسة للانسان يرى بها البارى تعالى يوم الثواب فى الجنة وقالا أفعال العباد مخلوقة للبارى تعالى حقيقة والعبد يكتسبها حقيقة وجوزوا حصول فعل بين فاعلين وقالا يجوز ان يقلب الله الاعراض أجساما

المارونية

المارونية لهم قبل الخراب الثانى بدهر ، يذكرون انها مبلغة ذلك من اوائلك الى عذراء الوراق المارونى ففى صدرها ، قال الله تعالى : اصنع بناء آدم كصورتنا كشبهنا

(قال ابو محمد رضى الله عنه) ولولم يقل الا كصورتنا لـكان له وجه حسن ومعنى صحيح ، وهو ان نضيف الصورة الى الله تعالى اضافة الملك والخلق ، كما تقول هذا عمل الله ، وتقول للقرد والقبيح والحسن هذه صورة الله ، اى تصوير الله ، والصفة التى انفرد بملـكها وخلقها ، لـكن قوله كشبهنا منع الأويلات وسد المخارج وقطع السبل واوجب شبه آدم لله عزوجل ولابد ضرورة . وهذا يعلم بطلانه ببديهة العقل . اذ الشبه والمثل معناها واحد . وحاشى لله ان يكون له مثل او شبه

﴿ فصل ﴾ وبعد ذلك قال : ونهر يخرج من عدن فيسقى الجنان . ومن ثم يفترق فيصير اربعة أرؤس * اسم احدها النيل وهو محيط بجميع بلاد زويله الذى به الذهب . وذهب ذلك البلد جيد . وبها اللؤلؤ وحجارة البلور * واسم الثاني جيحان وهو محيط بجميع بلاد الحبشة * واسم الثالث الدجلة وهو السائر شرق الموصل * واسم الرابع الفرات . وأخذ الله آدم ووضعه فى جنات عدن

(قال ابو محمد رضى الله عنه) فى هذا الكلام من الكذب وجوه فاحشة قاطعة بأنها من توليد كذاب مستهزئ . أول ذلك اخباره ان هذه الاربعة تفترق من النهر الذى يخرج من جنات عدن التى أسكن الله فيها آدم . اذ خلقه ثم اخرجه منها إذ أكل من الشجرة التى نهاه الله تعالى عن اكلها . وكل من له ادني معرفة بالهيئة وبصفة الربع المعمور من الارض الذي هو فى سماك الارض ، اومن مشي الى مصر والشام والموصل يدرى ان هـذا كله كذب فاضح ، وان مخرج النيل من عين الجنوب من خارج المعمور ، ومصبه قبالة تنيس وقبالة الاسكندرية فى آخر اعمال مصر فى البحر الشامي ، (١) وان مخرج الدجلة والفرات وجيحان من الشمال * فاما جيحان فيخرج من بلاد الروم ويمر ما بين المصيصة وربضها المسمى كفربنا ، حتى يصب فى البحر الشامي على اربعـة اميال من المصيصة ، واما دجلة فمخرجها من اعين بقرب خلاط من عمـل ارمينية بقرب آمد من ديار بكر ، وتصب مياهها فى البطائح المشهورة بقرب البصرة فى ارض العراق متاخمة ارض العرب * واما الفرات فمخرجه من بلاد الروم على يوم من (قالى قلا) قرب ارمينية ، ثم يأخذ على اعمال الرقة الى العراق . وينقسم الى قسـمين كلاهما يقع فى دجلة . فهذه كذبة شنيعة كبيرة لاتخلص منها . والله تعالى لايكذب . واخري وهى قوله ان النيل محيط ببلد زويلة * وجيحان محيط ببلد الحبشة وهـذه كذبة شنيعة فاحشة مافى جميـع ارض السودان الحبشة وغير الحبشة نهر غير النيل اصلا ، ويتفرع سبعة فروع كلها مخرج واحـد ، ثم يجتمع فوق بلاد النوبة * وكذبة ثالثة وهى قوله ان ببلد زويلة اللؤلؤ الجيد ، وهذا كذب ، مااللؤلؤ بها مكان اصلا انما

(١) البحر الابيض المتوسط

والاستطاعة عجزا والعجز بعض الجسم والجسم لامحالة يبقى زمانين وقالا الحجة بعد رسول الله ﷺ فى الاجماع فقط فما ينقل عنه فى احكام الدين من اخبار الآحاد فغير مقبول (ويحكى عن ضرار) انه كان ينكر حرف عبد الله بن مسعود وحرف أبي بن كعب ويقطع بان الله تعالى لم ينزله * وقال فى المنكر قبل ورود السمع انه لا يجب عليه شيء بعقله حتى يأتيه الرسول فيأمره وينهاه ولا يجب علي الله تعالى شيء بحكم العقل وزعم ضرارا ايضا ان الامامة تصلح فى غير قريش حتى اذا اجتمع قرشى ونبطى قدمنا النبطى اذ هو أقل عددا وأضعف وسيلة فيمكننا خلعه اذا خالف الشريعة والمعتزلة وان جوزوا الامامة فى غير قريش الا انهم لا يقدمون النبطى علي القرشى (الصفاتية) اعلم ان جماعة كبيرة من السلف كانوا يثبتون لله تعالى صفات أزلية من العلم والقدرة والحياة والارادة والسمع والبصر والكلام والجلال والاكرام والجود والانعام والعزة والعظمة ولا يفرقون بين صفات الذات وصفات الفعل بل يسوقون الكلام سوقا واحدا وكذلك يثبتون صفات جبرية مثل اليدين والرجلين ولا يؤولون ذلك الا انهم يقولون بتسميتها صفات جبرية * ولما كانت المعتزلة ينفون الصفات والسلف يثبتون سمي السلف صفاتية والمعتزلة معطلة فبلغ بعض السلف فى اثبات الصفات الى حد التشبيه بصفات

الأؤلؤ فى مغاصاته فى بحر فارس وبحر الهند وانهار بالهند والصين ، وهذه فضايح لاخفاء بهالم يقلها الله تعالى قط ، ولا انسان يهاب الـكذب * فان قال قائل فقد صح عن نبيكم ﷺ انه قال : النيل والفرات وسيحان وجيحان من انهار الجنة ، قلنا نعم هذا حق لاشك فيه ومعناه هو على ظاهره بلا تـكليف تأويل أصلا ، وهى اسماء لأنهار الجنة كالـكوثر والسلسبيل * فان قيل قد صح عنه عليه السلام انه قال مابين بيتى ومنبرى روضة من رياض الجنة ، وروى عنه مقبرى ومنبرى روضة من رياض الجنة * قلنا هذا حق وهو من أعلام نبوته ، لانه انذر بمـكان قبره فـكان كما قال ، وذلك المـكان لفضله وفضل الصلاة فيه يؤدى العمل فيه الى دخول الجنة ، فهى روضة من رياضها وباب من أبوابها ، ومعهود اللغة أن كل شيء فاضل طيب فانه يضاف الى الجنة ، وتقول لمن بشرنا بخبر حسن هذا من الجنة ، وقال الشاعر * روائح الجنة فى الشباب * وليس كذلك هذا الذى فى توراة اليهود ، لان واضعها لم يدعها فى لبس من كذبه ، بل بين انه عنى النيل المحيط بارض زويلة بلد الذهب الجيد ، ودجلة التى بشرقى الموصل ، وجيحان المحيط ببلد الحبشة التى لم تخلق بعد ، فلم يدع لطالب تأويل لـكلامه حيلة ولا مخرجا ، وايضا فانهم لايمكنهم البتة تخريج مافى توراتهم المكذوبة على ما وصفنا نحن الآن فى نص توراتهم ان الجنة التى اخرج منها آدم لأ كله من الشجرة التى فيها انما هى شرقى عدن فى الارض لافى السماء كما نقول نحن ، فثبتت الـكذبة لامخرج منها اصلا ، ولو لم يكن فى توراتهم الا هذه الـكذبة وحدها لـكفت فى بيان انها موضوعة لم يات بها موسى قط ، ولا هى من عند الله تعالى فكيف ولها نظائر ونظائر ونظائر ؟ فان قيل فى القرآن ذكر سد ياجوج ومأجوج ولا يدرى مكانه ولا مكانهم ، قلنا مـكانه معروف فى أقصى الشمال فى آخر المعمور منه وقد ذكر امر ياجوج ومأجوج فى كتب اليهود التى يؤمنون بها ويؤمن بها النصارى ، وقد ذكر ياجوج ومأجوج والسد ارسطاطاليس فى كتابه فى الحيوان عند كلامه على الغرانيق وقد ذكر سد ياجوج ومأجوج بطليموس فى كتابه المسمى جغرافيا ، وذكر طول بلادهم وعرضها ، وقد بعث اليه الواثق أمير المؤمنين سلام الترجمان فى جماعة معه حتى وقفوا عليه ، ذكر ذلك احمد بن الطيب السرخسى وغيره ، وقد ذكره قدامة بن جعفر والناس فيهات خبر من خبر ، وحتى لو خفى مكان ياجوج ومأجوج والسد فلم يعرف فى شيء من المعمور مكانه لما ضر ذلك خبرنا شيئا ، لانه كان يكون مكانه حينئذ خلف خط الاستواء حيث يكون ميل الشمس ورجوعها وبعدها كما هو فى الجهة الشمالية ، بحيث تكون الآفاق كبعض آفاقنا المسكونة ، والهواء كهواء بعض البلاد التى يوجد فيها النبات والتناسل واعلموا ان كل ما كان فى عنصر الامكان فادخله مدخل فى عنصر الامتناع بلا برهان فهو كاذب مبطل جاهل أو متجاهل ، لاسيما اذا أخبر به من قد قام البرهان على صدق خبره وانما الشأن فى المحال الممتنع التى تكذبه الحواس والعيان أو بديهة العقل ، فمن جاء بهذا فانما جاء ببرهان قاطع على انه كذاب مفتر ونعوذ بالله من البلاء * (فصل) * ثم قال : وقال

صفات دلت الأفعال عليها وماورد الخبر فافترقوا فيه فرقتين منهم من أولها على المحدثات واقتصر بعضهم على وجه يحتمل اللفظ ذلك ومنهم من توقف فى التأويل وقال عرفنا بمقتضى العقل ان الله تعالى ليس كمثله شيء فلا يشبه شيئا من المخلوقات ولا يشبهه شيء منها وقطعنا بذلك الا انا لانعرف معنى اللفظ الوارد فيه مثل قوله تعالى الرحمن على العرش استوى ومثل قوله خلقت بيدى ومثل قوله وجاء ربك الى غير ذلك ولسنا مكلفين بمعرفة تفسير هذه الآيات وتأويلها بل التكليف قد ورد بالاعتقاد بانه لاشريك له وليس كمثله شيء وذلك قد أثبتناه يقينا ثم ان جماعة من المتأخرين زادوا على ماقاله السلف فقالوا لابد من اجرائها على ظاهرها والقول بتفسيرها كما وردت من غير تعرض للتأويل ولا توقف فى الظاهر فوقعوا فى التشبيه الصرف وذلك على خلاف مااعتقده السلف ولقد كان التشبيه صرفا خالصا فى اليهود لعنهم الله لافى كلهم بل فى القرائين منهم اذ وجدوا فى التورية الفاظا كثيرة تدل على ذلك ثم الشيعة فى هذه الشريعة وقعوا فى غلو وتقصير اما الغلو فتشبيه بعض أئمتهم بالاله تعالى الله وتقدس واما التقصير فتشبيه الاله بواحد من الخلق ولما ظهرت المعتزلة والمتكلمون الله
من السلف رجعت بعض الروافض عن الغلو والتقصير ووقعت فى الاعتزال وتخطت جماعة من السلف الى التفسير

الله هذا آدم قد صار كواحد منا فى معرفة الخير والشر والآن كيلا يمد يده ويأخذ من شجرة الحياة ويأكل ويحيي الى الدهر فطرده الله من جنات عدن)

(قال أبو محمد رضى الله عنه) حكايتهم عن الله تعالى انه قال هذا آدم قد صار كواحد منا مصيبة من مصائب الدهر، ووجب ضرورة انهم آلهة أكثر من واحد، ولقد أدى هذا القول الخبيث المفتري كثيرا من خواص اليهود الى الاعتقاد ان الذى خلق آدم لم يكن الا خلقا خلقه الله تعالى قبل آدم وأكل من الشجرة التي أكل منها آدم فعرف الخير والشر ثم اكل من شجرة الحياة فصار الها من جملة الالهة، نعوذ بالله من هذا الكفر الاحمق ونحمده اذهدانا للملة الزهراء الواضحة التى تشهد سلامتها من كل دخل بانها من عند الله تعالى

(فصل) وبعد ذلك (وأسكن فى شرقى جنة عدن الكروبيم ولهيب سيف متقلب بحراسة شجرة الحياة) ورأيت فى نسخة أخرى منها (ووكل بالجنان المشتهر اسرافيل ونصب بين يديه رمحا ناريا ليحفظ طريق شجرة الحياة)

(قال ابو محمد رضى الله عنه) ار لم يكن احدهما خطأ من المترجم والافلا ادرى كيف هذا

(فصل) وبعد ذلك قال الله تعالى (كل من قتل قابيل نفاديه الى سبعة) ولا تناكر بين جميعهم فى ان لامك بن متوشائيل بن محويائيل ابن عيراد بن حنوك بن قابين هو الذى قتل قابين جد جد ابيه، وانه لم يقل به، فنسبوا الى الله تعالى الكذب لانه وعده ان يفديه الى السبعة ولم يفده، وايضاً فان ذكر السبعة هنا حمق لان لامك الذى قتله هو الخامس من ولد قابين، وقابين هو الخامس من آباء لامك فلا مدخل للسبعة هاهنا

(فصل) وقبل هذا ذكر هابيل بن آدم وانه راعى غنم، ثم قال قبل ذلك بنحو ورقتين: ار لامك المذكور آنفاً اتخذ امرأتين اسم احداهما عادة، والثانية صلة، وولدت عادة يابال، وهو أول من سكن الاخبية وملك الماشية، وهاتان قضيتان تكذب احداهما الأخرى ولا بد

(فصل) وبعد ذلك قال (فلما ابتدأ الناس يكثرون على ظهر الارض وولد لهم البنات. فلما رأى أولاد الله بنات آدم انهن حسان اتخذوا منهن نساء) وقال بعد ذلك (كان يدخل بنو الله الى بنات آدم ويولد لهم حراما وهم الجبابرة الذين على الدهر لهم اسماء وهذا حمق ناهيك به. وكذب عظيم اذجعل الله أولاداً ينكحون بنات آدم. وهذه مصاهرة تعالى الله عنها. حتى ان بعض اسلافهم قال انما عنى بذلك الملائكة. وهذه كذبة الا انها دون الكذب فى ظاهر اللفظ

(فصل) وفى خلال هذا قال (لا يدين روحى فى الانسان الى الدهر اذهم منتشرون لزيغانه هو بشر فتكون اعمارهم مائة وعشرين سنة) وهذا كذب فاحش. ومصيبة الأبد. لانه ذكر بعد هذا القول ان سام بن نوح عاش بعد ذلك ستمائة سنة. وارفخشاذ بن سام عاش أربعمائة وخمساً وستين سنة. وشالح بن ارفخشاذ عاش اربعمائة سنة وثلاثا وثلاثين سنة. وعابر بن شالح عاش اربعمائة سنة واربعاً وستين سنة. وفالغ بن عابر عاش مائتى سنة وتسعاً وثلاثين سنة. ورعو بن فالغ عاش مائتى سنة وتسعاً وعشرين سنة وسروغ بن رعو عاش

الاستواء معلوم والكيفية مجهولة والايمان به واجب والسؤال عنه بدعة ومثل احمد بن حنبل وسفيان وداود الاصفهاني ومن تابعهم حتى انتهى الزمان الى عبد الله بن سعيد الكلابى وأبى العباس القلانسى والحرث بن اسد المحاسبي وهؤلاء كانوا من جملة السلف الا أنهم باشروا علم الكلام وايدوا عقائد السلف بحجج كلامية وبراهين اصولية وصنف بعضهم ودرس بعض حتى جرى بين أبي الحسن الاشعرى وبين استاذه مناظرة فى مسئلة من مسائل الصلاح والاصلح فتخاصما وانحاز الاشعرى الى هذه الطائفة فايد مقالتهم بمناهج كلامية وصار ذلك مذهباً لاهل السنة والجماعة وانتقلت سمة الصفاتية الى الاشعرية ولما كانت المشبهة والكرامية من مثبتى الصفات عددناهم فرقتين من جملة الصفاتية (الأشعرية) أصحاب ابي الحسن على بن اسماعيل الاشعرى المنتسب الى ابي موسي الاشعرى رضى الله عنهما وسمعت من عجيب الاتفاقات ان أبا موسي الاشعرى كان يقرر بعينه ما يقرره الاشعرى فى مذهبه) *وقد جرت مناظرة بين عمرو بن العاص وبينه فقال عمرو ان أجد احداً أخاصم اليه ربي فقال أبو موسى انا ذاك المتحاكم اليه قال عمرو أيقدر علي شيء ثم يعذبنى عليه قال

مائتى سنة وثلاثين سنة ، وناحور بن سروغ عاش مائة وثمان واربعين سنة ، وتارح بن ناحور عاش مائتى سنة وخمسين سنة ، وابراهيم بن تارح عاش مائة سنة وخمساً وسبعين سنة ، واسحاق بن ابراهيم عاش مائة سنة وثمانين سنة ، واسماعيل ابن ابراهيم عاش مائة سنة وسبعاً وثلاثين سنة ، ويعقوب بن اسحاق عاش مائة سنة وسبعاً وأربعين سنة ، ولاوى ابن يعقوب عاش مائة سنة وسبعاً وثلاثين سنة ، وقاهث ابن لاوي عاش مائة سنة وثلاثاً وثلاثين سنة ، وعمران بن قاهث عاش كذلك ايضا ، وقاهث ابن لاوي عاش مائة سنة وثلاثاً وثلاثين سنة ، وان سارح بنت اشر ومريم بنت عمران وهارون بن عمران عاش كل واحد منهم ازيد من مائة وعشرين سنة بسنيهم ، فاعجبوا لهذه الفضائح ولعقول تتابعت على التصديق والتدين بمثل هذا الامك الذى لاخفاء به

﴿ فصل ﴾ وبعد ذلك ذكر ان متوشالح بن حنوك بن ماردعاش تسعمائة سنة وتسعا وستين سنة . وانه ولد له لامك وهو ابن مائة سنة وسبع وثمانين سنة ، وان لامك المذكور اذ بلغ مائة سنة واثنين وثمانين سنة ولد له نوح عليه السلام فلا شك من ان متوشالح كان اذ ولد له نوح بن ثلاثمائة سنة وتسع وستين سنة ، فوجب من هذا ضرورة ان نوحاً عليه السلام كان ابن ستمائة سنة اذ مات متوشالح فاضبطوا هذا ، ثم قال ان في اليوم السابع عشر من الشهر الثاني من سنة ستمائة من عمر نوح اندفعت المياه بالطوفان ، ثم قال ان في اليوم سبعة وعشرين يوماً من الشهر الثانى من سنة احدى وستمائة لنوح خرج نوح من التابوت يعنى السفينة هو ومن كان معه ، فوجب من هذا ضرورة لامحيد عنها ان متوشالح بن حنوك دخل السفينة ، وانه فيها مات قبل خروجهم منها بشهرين غير ثلاثة ايام ، وقد قطع فيها وبت على انه لم يدخل التابوت احد من الناس الا نوح وبنوه الثلاثة وامرأة نوح وثلاثة نساء لاولاده . وقد قطع فيها وبت على انه لم ينج من الغرق انسى اصلا ولا حيوان في غير التابوت . وهذه كذبات فواضح نعوذ بالله من مثلها . لان فى نصوص توراتهم كما اوردنا ان متوشالح لم يغرق لانه لو غرق لم يستوف تمام السنة الموفية ستمائة سنة لنوح . وفى نصها انه استوفاها . وايضا فانه عندهم محمود ممدوح لم يستحق الهلاك قط . وابطلوا ان يكون دخل التابوت اذ قطعوا بانه لم يدخلها انسى الا نوح وبنوه الثلاثة ونساؤهم ، وابطلوا ان ينجو فى غير التابوت بقطعهم انه لم ينج انس ولا حيوان فى غير التابوت ، ولا بد لمتوشالح من احد هذه الوجوه الثلاثة ، فلاح الكذب البحت فى نقل توراتهم ضرورة ، وتيقن كل ذى عقل انها غير منزلة من الله تعالى ولاجاء بها نبى اصلاً ، لان الله تعالى لايكذب والانبياء لاتأتى بالكذب ، فصح يقيناً انها من عمل زنديق جاهل او مستخف متلاعب بهم ، ونعوذ بالله من مثل مقامهم ، وفى هذا الفصل كفاية فكيف ومعه امثاله كثيرة

(فصل) وبعد ذلك ان نوحاً اذ بلغه فعل ابنه حام ابي كنعان قال : ملعون ابو كنعان عبد العبيد يكون لاخوته مستعبدا يكون لاخويه * يبارك الآله ساما ويكون ابو كنعان عبداً لهم * احسان الله ليافث ويسكن فى أخبية سام ويكون ابو كنعان عبداً لهم ، ثم نسى نفسه المحرف او تعاظم استخفافاً بهم فلم يطل لكنه بعد ستة اسطر قال اذ ذكر

نم قال عمرو ولم قال لانه لايظلمك فسكت عمرو ولم يحر جوابا قال الاشعرى الانسان اذا فكر فى خلقته من أى شىء ابتدأ وكيف دار فى أطوار الخلقة طورا بعد طور حتى وصل الى كمال الخلقة وعرف يقينا انه بذاته لم يكن ليدبر خلقته ويبلغه من درجة الى درجة ويرقيه من نقص الى كمال عرف بالضرورة ان له صانعاً قادراً عالما مريدا اذ لايتصور صدور هذه الافعال المحكمة من طبع لظهور آثار الاختيار فى الفطرة وتبيين آثار الاحكام والايقان فى الخلقة فله صفات دلت أفعاله عليها لايمكن جحدها وكما دلت الافعال على كونه عالما قادراً مريداً دلت على العلم والقدرة والارادة لان وجه الدلالة لايختلف شاهداً وغائباً وايضاً لامعنى للعالم حقيقة الا انه ذو علم ولا للقادر الا انه ذو قدرة ولا للمريد الا انه ذو ارادة فيحصل بالعلم الاحكام والاتقان ويحصل بالقدرة الوقوع والحدوث ويحصل بالارادة التخصيص بوقت دون وقت وقدر دون قدر وشكل دون شكل وهذه الصفات لن يتصور ان يوصف بها الذات الاوان يكون الذات حيا بحياة للدليل الذى ذكرناه والزم منكرو الصفات الزاما لامحيص لهم عنه وهو انكم وافقتمونا اذ قام الدليل على كونه عالما قادرا فلا يخلو اما ان يكون المفهومان من الصفتين واحداً اوزائداً فان كان واحدا فيجب ان يعلم بقادريته ويقدر بعالميته ويكون من

اولاد

اولاد حام فقال : بنو حام كوش ومصرايم وفوحا وكنعان وبنو كوش وصبان وزويلة ورغاوة ورعمة وسفتخا وبنو رعمة السند والهند وكوش ولد نمرود الذى ابتدأ يكون جبارا فى الارض الذى كان جبار صيد بين يدي الله عز وجل وكان اول مملكته بابل ، فحصل من هذا الخبر تكذيب نوح في خبره ، وهو باقرارهم نبي معظم جدا ، واذوصف ان ولد ابى كنعان صاروا ملوكا علي اخوة بنى كنعان وعلي بنيهم ، ثم العجب كله ان على ماتوجبه توراتهم كان ملك نمروذ بن كوش بن كنعان بن حام على جميع الارض ونوح حى وسام بن نوح حى ، لان فى نص توراتهم ان نوحاً عاش الى ان بلغ ابراهيم بن تارح عليه السلام ثمانية وخمسين عاما ، وان سام بن نوح عاش الى ان بلغ يعقوب وعيصا ابنا اسحق بن ابراهيم عليهما السلام خمسا واربعين سنة ، علي ماذكره من مواليدهم أبا فأبا ، فالنا نرى خبر نوح معكوسا ؟ فان قالوا ان السودان تملكوا اليوم ، قلنا وفى السودان ملك عظيم جدا وممالك شتى كغانة والحبشة والنوبه والهند والتبت ، والامر بينهم سواء يملكون طوائف من بنى سام كما يملك بنو سام طوائف منهم وحاش لله ان يكذب نبي

(فصل) وقالت توراتهم : ان نوحاً لما بلغ خمسمائة سنة ولد له يافث وسام وحام ثم ذكرت ان نوحا اذ بلغ ستمائة سنة كان الطوفان ولسام يومئذ مائة سنة ، وقالت بعد ذلك ان سام بن نوح لما كان ابن مائة سنة ولد ارفخشاذ لسنتين بعد الطوفان وهذا كذب فاحش وتلون سمج وجهل مظلم ، لانه اذا كان نوح اذ ولد له سام ابن خمسمائة سنة ، وبعد مائة سنة كان الطوفان . فسام حينئذ ابن مائة سنة . واذ ولد له بعد الطوفان بسنتين ارفخشاذ فسام كان اذ ولد له ارفخشاذ ابن مائة سنة وسنتين ، وفى نص توراتهم انه كان ابن مائة سنة ، وهذا كذب لاخفاء به حاش لله من مثله

(فصل) وبعد ذلك ان الله تعالى قال لابراهيم : اعلم علما انه سيكون نسلك غريباً فى بلد ليس له ويستعبدونهم ويعذبونهم اربعمائة سنة ، وايضا القوم الذين يعذبونهم يحكم لهم ، وبعد ذلك بشرح عظيم : وانت تسير لآبائك بسلام وتدفن بشيبة صالحة والجيل الرابع من البنين يرجعون الى ها هنا

(قال ابو محمد رضى الله عنه) فى هذا الفصل على قلته كذبتان فاحشتان شنيعتان منسوبتان الى الله تعالى وحاش لله من الكذب والخطأ ، فاحدهما قوله والجيل الرابع من البنين يرجعون الى ها هنا وهذا كذب لاخفاء به ، لان الجيل الاول من بنى ابراهيم عليه السلام هم اسحاق واخوته عليهم السلام ، والجيل الثاني هم يعقوب وعيصا (١) وبنو اعمامهما ، والجيل الثالث اولاد يعقوب لصلبه وهم دوبان وشمعون ويهوذا ولاوي وساخار وزابلون ويوسف وبنيامين وداى وهباد وعاذ واشار واولاد عيصا ومن كان فى تعدادهما من سائر عقب ابراهيم . والجيل الرابع هم اولاد هؤلاء المذكورين وهم والجيل الثالث آباؤهم ويعقوب جدهم الداخلون مصر لا الخارجون منها بنص توراتهم واجماعهم كلهم بلاخلاف من احد منهم . وانما رجع الي الشام بنص توراتهم واجماعهم كلهم الجيل السادس من ابناء ابراهيم . وهم اولاد الجيل الرابع المذكور . وما رجع من الجيل الرابع ولا من الجيل الخامس ولا واحد الى الشام . وحاشى لله من ان يكذب فى خبره

(١) هو العيص بن اسحق عليه السلام وهو أخو يعقوب وهو الذى يذكره فيما يأتى باسم عيسو

علم الذات مطلقا على كونه عالما قادرا وليس الامر كذلك فعرف ان الاعتبارين مختلفان فلايخلو اما ان يرجع الاختلاف الى مجرد اللفظ او الى الصفة وبطل رجوعه الى اللفظ المجرد فان العقل يقضي باختلاف مفهومين معقولين لو قدر عدم الالفاظ رأسا ماارتاب فيما يصوره وبطل رجوعه الي الحال فان اثبات صفة لاتوصف بالوجود ولا بالعدم اثبات واسطة بين الوجود والعدم والاثبات والنفى وذلك محال فتعين الرجوع الى صفة قائمة بالذات وذلك مذهبه * على ان القاضى ابا بكر الباقلاني من اصحاب الاشعرى قد رد قوله فى اثبات الحال ونفيها ويقرر رأيه على الاثبات ومع ذلك اثبت الصفات معانى قائمة لا احوالا وقال الحال الذى اثبته ابو هاشم هو الذى يسميه صفة خصوصا اذ أثبت حالة اوجبت تلك الصفات * قال ابو الحسن البارى تعالى عالم بعلم قادر بقدرة حى بحياة مريد بارادة متكلم بكلام سميع بسمع بصير ببصر وله فى البقاء اختلاف رأى قال وهذه صفات أزلية قائمة بذاته لايقال هى هو ولا غيره ولا لاهو ولا لاغير والدليل على انه متكلم بكلام قديم ومريد بارادة قديمة قال قام الدليل علي انه تعالى ملك والملك من له الامر والنهى فهو آمر ناه فلا يخلو اما ان يكون آمرا بامر قديم او بامر محدث فان كان محدثا فلايخلو اما ان يحدثه فى ذاته او فى محل ولا فى محل يستحيل

فان قيل انما تعد الاجيال من الجيل المعذب قلنا هذا خلاف نص توراتهم . لان نصها الجيل الرابع من الابناء . وايضاً فانه لم يعذب احد من اولاد يعقوب بل كانوا مبرورين وهم الجيل الثالث بنص توراتهم حرفاً حرفاً على مانورد بعد هذا ان شاء الله تعالى. فانما ابتدأ التعذيب فى ابناء يعقوب وهم الداخلون مع آبائهم وهم الجيل الرابع : فعد من حيث شئت لست تخرج من شرك الكذب الفاضح . وفى هذا كفاية . والكذبة الثانية طامة من الطامات. وهى قوله لابراهيم ان نسلك سيكون غريبا فى بلد ليس له ويستعبدونهم ويعذبونهم اربعمائة سنة وبعد ذلك يخرجون . فهذه سوءة وعار الدهر. لانه اذا عذب الاربعمائة سنة من وقت بدأ بتعذيب بنى اسرائيل بمصر . فانما ذلك بعد موت يوسف عليه السلام الى ان خرج بهم موسى عليه السلام نصاً . اذ فى سياق توراتهم . ولما مات يوسف وجمع اخوته وذلك الجيل كله كثر بنو اسرائيل وتكاثروا وتقووا فملكوا الارض وولى عند ذلك بمصر ملك جديد لم يعرف يوسف فقال لاهل مملكته ان بنى اسرائيل قد كثروا وصاروا اقوى منا فاذلوهم بيننا لئلا يزدادوا كثرة ويكونوا عونا لمن رام محاربتنا فقدم عليهم اصحاب صناعته لسخرتهم . هذا نص توراتهم شاهدة بما قلنا . وقد ذكر فى توراتهم اذ ذكر من دخل مع يعقوب من ولده وولد ولده ان قاهاث بن لاوى بن يعقوب والد عمران بن قاهاث وهو جد موسى عليه السلام. وكان ممن ولد بالشام ودخل مصر مع ابيه لاوي وجده يعقوب . وذكر فيها ايضا ان جميع عمر قاهاث المذكور ابن لاوى كان مائة سنة وثلاثا وثلاثين سنة وان جميع عمر عمران بن قاهاث المذكور كان مائة سنة وسبعا وثلاثين سنة . وذكر فيها نصاً ان موسي عليه السلام كان اذ خرج ببنى اسرائيل من مصر ابن ثمانين سنة هذا كله نص توراتهم حرفا بحرف باجماع منهم أولهم عن آخرهم فهبك ان قاهاث كان اذ دخلها ابن أقل من شهر . وان عمران ولد له سنة موته . وان موسى ولد لعمران سنة موته . فالمجتمع من هذا العدد كله ثلاثمائة سنة وخمسون سنة . وهذه كانت مدتهم بمصر من يوم دخولها الى أن خرجوا عنها على هذا الحساب . فاين الاربعمائة سنة ؟ فكيف ولا بد أن يسقط سن قاهاث اذ دخل مصر مع أبيه لاوى المدة التى كانت من ولادة عمران لقاهاث الى موت قاهاث والمدة التى كانت من ولادة موسى عليه السلام الى موت ابنه عمران . وفى كتب اليهود ان قاهاث دخل مصر وله ثلاث سنين وانه كان اذ ولد له عمران ابن ستين سنة . وان عمران كان اذ ولد له موسى عليه السلام ابن ثمانين سنة . فعلى هذا لم يكن بقاء بنى اسرايل بمصر مذ دخلوها مع يعقوب الى أن خرجوا منها مع موسى الا مائتى عام وسبعة عشر عاما فاين الاربعمائة عام ؟ فكيف ولا بد أن يسقط من هذا العدد الاخير مدة حياة يوسف مذ دخل اخوته وأبوهم وبنوهم مصر الى أن مات يوسف عليه السلام . فطول هذا الامد لم يكونوا مستخدمين ولا معذبين ولا مستعبدين بل كانوا أعزاء مكرمين . وفى نص توراتهم ان يوسف عليه السلام كان اذ دخل على فرعون ابن ثلاثين سنة . ثم كانت سنو الخصب سبع سنين . وبدأت سنو الجوع ودخله يعقوب ونسله مصر بعد سنتين من سنى الجوع . فليوسف حينئذ تسع وثلاثون سنة . وفى نص توراتهم ان يوسف كان اذ مات ابن مائة سنة وعشر سنين . فصح ان مدتهم مذ دخلوا مصر الى أن مات يوسف عليه السلام

ان يحدثه فى ذاته لانه يؤدي الى ان يكون محلا للحوادث وذلك محال ويستحيل ان يكون فى محل لانه يوجب ان يكون المحل به موصوفا ويستحيل ان يحدثه لا فى محل لان ذلك غير معقول فتعين انه قديم قائم به صفة له وكذلك التقسيم فى الارادة والسمع والبصر قال وعلمه واحد يتعلق بجميع المعلومات المستحيل والجائز والواجب والموجود والمعدوم وقدرته واحدة تتعلق بجميع مايصح وجوده من الجائزات وارادته واحدة تتعلق بجميع مايقبل الصفات وكلامه واحد هو أمر ونهى وخبر واستخبار ووعد ووعيد وهذه الوجوه ترجع الى اعتبارات فى كلامه لا الى عدد فى نفس الكلام والعبارات اذ للالفاظ المنزلة على لسان الملائكة الى الانبياء عليهم السلام دلالات على الكلام الازلى والدلالة مخلوقة محدثة والمدلول قديم ازلى والفرق بين القراءة والمقرإ والتلاوة والمتلو كالفرق بين الذكر والمذكور فالذكر محدث والمذكور قديم وخالف الاشعرى بهذا التدقيق جماعة من الحشوية اذ قضوا بكون الحروف والكلمات قديمة والكلام عند الاشعرى معنى قائم بالنفس سوى العبارة بل العبارة دلالة عليه من الانسان فالمتكلم عنده من قام به الكلام وعند المعتزلة من فعل الكلام غير ان العبارة كلام اما بالمجاز واما باشتراك اللفظ قال وارادته واحدة قديمة

انها مخلوقة لا من حيث انها مكتسبة لهم فمن هذا قال اراد الجميع خيرها وشرها ونفعها وضرها وكما اراد وعلم اراد من العباد ماعلم وامر القلم حتى كتب فى اللوح المحفوظ فذلك حكمه وقضاؤه وقدره الذي لايتغير ولايتبدل وخلاف المعلوم مقدور الجنس محال الوقوع وتكليف مالا يطاق جائز على مذهبه للعلة التى ذكرناولان الاستطاعة عنده عرض والعرض لايبقى زمانين ففى حال التكليف لايكون المكلف قط قادرا ولان المكلف لن يقدر على احداث ماامر به فاما ان يجوز ذلك فى حق من لاقدرة له اصلا على الفعل فمحال وان وجد ذلك منصوصاً عليه فى كتابه * قال والعبد قادر على افعال العباد اذ الانسان يجد من نفسه تفرقة ضرورية بين حركات الرعدة والرعشة وبين حركات الاختيار والارادة والتفرقة راجعة الى ان الحركات الاختيارية حاصلة بحيث ان القدرة تكون متوقفة على اختيار القادر فمن هـــذا قال المكتسب هو المقدور بالقدرة الحادثة والحاصل تحت القدرة الحادثة ثم على اصل ابى الحسن لاتأثير للقدرة الحادثة فى الاحداث لان جهة الحدوث قضية واحدة لاتختلف بالنسبة الى الجوهر والعرض فلو أثرت فى قضية الحدوث لأثرت فى قضية حدوث كل

السلام كانت احدى وسبعين سنة فقط ولابد . فالباقى مائة سنة وست وأربعون سنة يسقط منها ولابد بنص توراتهم مدة بقاء من بقى من اخوة يوسف بعده . ولم نجد من ذلك الاعمر لاوى فقط فانه على نص التوراة كان يزيد على يوسف ثلاثة أعوام أو اربعة . فعاش بعد يوسف ثلاثة وعشرين عاما فقط ولابد من هذا العدد . فالباقى مائة سنة وثلاث وعشرون سنة . هذه مدة عذابهم واستخدامهم واستعبادهم على أبعد الاعداد وقد تكون أقل . فاين الاربعمائة سنة ؟ ولعل وقاح الوجه يقول : ماأعد ذلك الا من دخول يوسف مصر مستعبداً مستخدما مع انهم مسجونا فاعلم انه لايزيد على المائتى عام وسبعة عشر عاما التى ذكرنا قبل الا اثنين وعشرين عاما فقط . فذلك مائتا عام وتسعة وثلاثون عاما . فاين الاربعمائة سنة ؟ فظهر الكذب المفضوح الذى لايدرى كيف خفى عليهم جيلا بعد جيل . ورأيت لنذل منهم مقالة ظريفة . وهي انه ذكر هذه القصة وقال : انما ينبغى أن تعد هذه الاربعمائة سنة من حين خاطب الله عز وجل ابراهيم بهذا الكلام

(قال أبو محمد رضى الله عنه) وأراد هذا الساقط الخروج من مزبلة فوقع فى كنيف عذرة لانه جاهر بالباطل وتعجل الفضيحة ونسبة الكذب الى الله تعالى ، اذ نص ماحكوه عن الله تعالى انه قال لابراهيم : ان نسلك يستعبد أربعمائة سنة ، ولم يقل له قط من الآن الى انقضاء استخدامهم أربعمائة سنة ، وأيضا فان نص توراتهم ان الله تعالى انما قال هذا الكلام لابراهيم قبل ولادة اسماعيل هذا أيضا ، فكان ابراهيم حينئذ ابن أقل من ستة وثمانين عاما ثم عاش بعد ذلك أربعة عشر عاما وولد له اسحاق ، وعاش اسحاق مائة وثمانين سنة ومات اسحاق وليعقوب مائة وعشرون سنة ، ودخل يعقوب مصر وله مائة وثلاثون سنة كل هذا نصوص توراتهم بلا اختلاف منهم ، ثم مات اسحاق قبل دخول يعقوب مصر بعشرة أعوام ، فمن حين ادعوا ان الله تعالى قال هذا الكلام لابراهيم الى دخول يعقوب مصر مائتا عام وأربعة أعوام ، ومن دخول يعقوب مصر الى خروج موسى عنها كما ذكرنا مائة عام وسبعة عشر عاما ، فحصلنا على أربعمائة عام وأربعة وعشرين عاما ، فلا منجا من الكذب اما بزيادة أو نقصان ، وحاش لله أن يكذب فى حساب بدقيقة ، فكيف باعوام ؟ والله خالق الحساب ومعلمه عباده ، ومعاذ الله أن يكذب موسى عليه السلام أو يخطئ فيما أوحى الله تعالى اليه ، فوضح يقينا لكل من له أدنى فهم ، يقينا كما أن أمس قبل اليوم انها ليست من عند الله تعالى ولا من أخبار نبى ولا من تأليف عالم يتقى الكذب ، ولا من عمل من يحسن الحساب ولا يخطئ فيما لايخطى فيه صبى يحسن الجمع والطرح والقسمة والتسمية ، ولكنها بلاشك من عمل كافر مستخف ماجن سخر بهم وتطايب منهم وكتب لهم ماسخم (١) الله بوجوههم عاجلا فى الدنيا بالفضيحة ، وآجلا فى الآخرة بالنار والخلود فيها ، أومن عمل تيس ارعن تكلف املاء مالم يقم بحفظه جاهل مع ذلك مظلم الجهل بالهيئة وصفة الارض وبالحساب ، وبالله تعالى وبرسله صلى الله عليهم وسلم ، فاملى ماخرج الى فمه من خبيث وطيب ، ولقد كان فى هذا الفصل كفاية لمن نصح نفسه لو لم يكن غيره فكيف ومعه عجائب جمة ؟ ونحمد الله تعالى على نعمة الاسلام كثيرا

(١) سخم الله وجوههم أي رماها بالسخام بالضم وهو سواد القدر والفحم (المصححه)

محدث حتى تصلح لاحداث الالوان والطعوم والروائح وتصلح لاحداث الجواهر والاجسام فيؤدى الى تجويز وقوع السماء على الارض بالقدرة الحادثة غير أن الله تعالى أجرى سنته بان يخلق عقيب القدرة الحادثة او تحتها ومعها الفعل الحاصل اذا اراده العبد وتجرد له وسمى هذا الفعل كسبا فيكون خلقا من الله تعالى ابداعا واحداثا وكسبا من العبد مجعولا تحت قدرته والقاضى ابو بكر الباقلانى تخطى عن هذا القدر قليلا فقال الدليل قد قام على أن القدرة الحادثة لا تصلح للايجاد لكن ليست تقصر صفات الفعل او وجوهه واعتباراته على جهة الحدوث فقط بل هاهنا وجوه أخر ورآء الحدوث من كون الجوهر متحيزا قابلا للعرض ومن كون العرض عرضا ولونا وسوادا وغير ذلك وهذه احوال عند مثبتى الاحوال قال فجهة كون الفعل حاصلا بالقدرة الحادثة أو تحتها نسبة خاصة يسمى ذلك كسبا وذلك هو اثر القدرة الحادثة قال فاذا جاز على اصل المعتزلة ان يكون تأثير القدرة أو القادرية القديمة فى حال هو الحدوث والوجود او فى وجه من وجوه الفعل فلم لا يجوز ان يكون تأثير القدرة الحادثة فى حال هو صفة للحادث أو فى وجه من وجوه الفعل وهو كون الحركة مثلا على هيئة مخصوصة وذلك ان المفهوم من الحركة مطلقا ومن العرض مطلقا مغاير

(فصل) وبعد ذلك ذكر أن الله تعالى قال لابراهيم (لنسلك اعطى هذا البلد من نهر مصر النهر الكبير الى نهر الفرات) وهذا كذب وشهرة من الشهر، لانه ان كان عنى بنى إسرائيل وهكذا يزعمون فاملكوا قط من نهر مصر ولا على نحو عشرة ايام منه شبرا فما فوقه، وذلك من موقع النيل الى قرب بيت المقدس، وفى هذه المسافة الصحارى المشهورة الممتدة، والحضار ثم دفج وغزة وعسقلان وجبال الشراه التى لم تزل تحاربهم طول مدة دولتهم، وتذيقهم الامرين الى انقضاء دولتهم، ولاملكوا قط من الفرات ولا على عشرة أيام منه، بل بين آخر حوز بنى إسرائيل الى أقرب مكان من الفرات اليهم نحو تسعين فرسخا فيها قنسرين وحمص التى لم يقربوا منها قط، ثم دمشق وصور وصيدا التى لم يزل اهلها يحاربونهم ويسومونهم الخسف طول مدة دولتهم باقرارهم ونصوص كتبهم، وحاش لله عز وجل أن يخلف وعده فى قدر دقيقة من سرابة، فكيف فى تسعين فرسخا فى الشمال ونحوها فى الجنوب، ثم قوله النهر الكبير وما فى بلادهم التى ملكوا نهر يذكر الا الاردن وحده، وما هو بكبير انما مسافة مجراه من بحيرة الاردن الى مسقطه فى البحيرة المنتنة نحو ستين ميلا فقط، فان قال قائل انما عنى الله بهذا الوعد بنى اسماعيل عليه السلام، قلنا وهذا ايضا خطأ، لان هذا القدر المذكور هاهنا من الارض أقل من جزء من مائة جزء مما ملك الله عز وجل بنى اسماعيل عليه السلام، وأين يقع ما بين مصب النيل عند تنيس (١) وبين الفرات، ومن آخر الاندلس على ساحل البحر المحيط (٢) وبلاد البربر (٣) كذلك الى آخر السند وكابل (٤) مما يلى بلاد الهند، ومن ساحل اليمن الى ثغور ارمينيه واذربيجان فما بين ذلك، والحمد لله رب العالمين، فكيف وهذه الدعوى باطلة لان ذلك الكلام بعضه معطوف على بعض، فالموعودون بملك ذلك البلد هم المتوعدون بانهم يتملكون ويعذبون فى البلد الآخر، وقد أكرم الله تعالى بنى اسماعيل وصانهم عن ذلك، فوضح الكذب الفاحش فى الاخبار المذكورة، وصح انه ليس من عند الله عز وجل ولا من كلام نبى اصلا بل من تبديل وغد جاهل كالحمار بلادة، أو متلاعب بالدين وفاسد المعتقد، ونعوذ بالله من الخذلان

(فصل) ومنها ان الله تعالى قال لابراهيم: أنا الله الذى أخرجتك من اتون الكردانيين لاعطيك هذا البلد حورا فقال له ابراهيم يارب بماذا اعرف أني أرث هذا البلد

(قال أبو محمد رضى الله عنه) حاشى لله ان يقول ابراهيم ﷺ لربه هذا الكلام فهذا كلام من لم يثق بخبر الله عز وجل حتى طلب على ذلك برهانا، فان قال قائل جاهل فى القرآن انه قال: رب أرنى كيف تحيي الموتى، وان زكريا قال لله تعالى اذ وعده بابن يسمى يحيي: رب اجعل لى آية، قلنا بين المراجعات المذكورة فرق كما بين المشرق والمغرب أما طلب ابراهيم عليه السلام رؤية احياء الموتى فانما طلب ذلك ليطمئن قلبه المنازع له الى

(١) تنيس بكسر التاء وتشديد النون وياء ساكنة جزيرة تقع فى بحيرة المنزله غربى دمياط عند مصب دمياط (٢) المحيط الاطلسى (٣) مراكش (٤) كابل عاصمة أفغانستان الآن المتاخمة للهند والصين (المصحح)

رؤية

رؤية الكيفية فى ذلك فقط * بيان ذلك قوله تعالى له : أولم تؤمن قال بلى ولكن ليطمئن قلبي ، فوضح ان ابرهيم لم يطلب ذلك برهانا على شك ازاله عن نفسه ، لكن ليرى الهيئة فقط ، وأما زكريا عليه السلام فانما طلب آية تكون له عند الناس لئلا يكذبوه ، هذا نص كلامه ، والذى ذكروه عن ابراهيم عليه السلام كلام شاك يطلب برهانا يعرف به صحة وعد ربه له ، تعالى الله عن ذلك وحاشى لابراهيم منه

(فصل) وبعد ذلك قال : وتجلى الله لابراهيم عند بلوطات ممرا وهو جالس عند باب الخباء عند حمي النهار ورفع عينيه ونظر فاذا بثلاثة نفر وقوف أمامه فنظر وركض لاستقبالهم عند باب الخباء وسجد على الارض وقال ياسيدي ان كنت قد وجدت نعمة فى عينك فلا تتجاوز عبدك ليؤخذ قليل من ماء واغسلوا ارجلكم واستندوا تحت الشجرة واقدم لكم كسرة من الخبز تشتد بها قلوبكم وبعد ذلك تمضون فمن اجل ذلك مررتم على عبدكم فقالوا اصنع كما قلت فاسرع ابراهيم الى الخباء الى سارة وقال لها اصنعى ثلاث صيعان من دقيق سميذ اعجنيه واصنعى خبز ملة وحضر ابراهيم الى البقر وأخذ عجلا رخصا سمينا ودفعه للغلام واستعجل باصلاحه وأخذ سمنا ولبنا والعجل الذى صنعوه وقدم بين أيديهم وهو واقف عليهم تحت الشجرة وقال كلوا

(قال أبو محمد رضى الله عنه) فى هذا الفصل آيات من البلاء شنيعة نعوذ بالله من قليل الضلال وكثيره ، فاول ذلك اخباره أن الله تعالى تجلى لابراهيم ، وانه رأى الثلاثة النفر فاسرع اليهم وسجد وخاطبهم بالعبودية ، فان كان اولئك الثلاثة هم الله فهذا هو التثليث بعينه بلا كلفة ، بل هو أشد من التثليث ، لانه اخبار بشخوص ثلاثة ، والنصارى يهربون من التشخيص ، وقد رأيت فى بعض كتب النصارى الاحتجاج بهذه القضية فى اثبات التثليث وهذا كما ترى فى غاية الفضيحة ، فان كان أولئك الثلاثة ملائكة وهكذا يقولون ، فعليهم فى ذلك أيضا فضائح عظيمة وكذب فاحش من وجوه ، اولها : من المحال والكذب ان يخبر بان الله تعالى تجلى له وانما تجلى له ثلاثة من الملائكة ، وثانيها ان يخاطب اولئك الملائكة بخطاب الواحد ، وهذا مما يزيد فى ضلال النصارى فى هذا الفصل ، وهذا ايضا محال فى الخطاب ، وثالثها سجوده للملائكة ، فان من الباطل ان يسجد رسول الله ﷺ وخليله لغير الله تعالى ولمخلوق مثله ، فهذه كذبة ، وان قالوا بل لله سجد ، فهذه كذبة ولابد ، أو يكون الله عندهم الثلاثة المتجلون ، لابد من احداها ، وعادت البلية أشد ما كانت ، ورابعها خطابه لهم بأنه عبدهم ، فان كان المخاطب بذلك هو الله تعالى وهو المتجلى له فقد عادت البلية ، وان كان المخاطبون بذلك الملائكة فحاش لله ان يخاطب ابراهيم عليه السلام بالعبودية غير الله تعالى ومخلوقاً مثله ، مع ان من المحال ان يخاطب ثلاثة بخطاب واحد ، وخامسها قوله يؤخذ قليل من ماء ويغسل ارجلكم واقدم كسرة من الخبز تشتد بها قلوبكم ، فهذه الحالة لئن كان خاطب بهذا الخطاب الله تعالى فهى التى لاسوى لها ولا بقية بعدها والتى تملأ الفم ، وان كان خاطب بذلك الملائكة فهذا أكذب ، لان ابراهيم عليه السلام لا يجهل ان الملائكة لا تشتد قلوبهم باكل كسر الخبز ،

والمفهوم من القيام والقعود غيرهما حالتان متمايزتان فان كل قيام حركة وليس كل حركة قياما ومن المعلوم ان الانسان يفرق فرقا ضروريا بين قولنا اوجد وبين قولنا صلى وصام وقعد وقام وكما لا يجوزان يضاف الى البارى تعالى جهة ما يضاف الى العبد فكذلك لا يجوز ان يضاف الى العبد جهة ما يضاف الى البارى تعالى فاثبت القاضى تأثيراً للقدرة الحادثة وأثرها هى الحالة الخاصة وهى جهة من جهات الفعل حصلت من تعلق القدرة الحادثة بالفعل وتلك الجهة هى المتعينة لان تكون مقابلة بالثواب والعقاب فان الوجود من حيث هو وجود لا يستحق عليه ثواب وعقاب خصوصا على اصل المعتزلة فان جهة الحسن والقبح هي التى تقابل بالجزاء والحسن والقبح صفتان ذاتيتان وراء الوجود فالموجود من حيث هو موجود ليس بحسن ولا قبيح قال فاذا جاز لكم اثبات صفتين هما حالتان جاز لى اثبات حالة هى متعلقة بالقدرة الحادثة ومن قال هى حالة مجهولة فبينا بقدر الامكان جهتها وعرفناها ايش هى ومثالها كيف هى ثم ان امام الحرمين أبا المعالى الجوينى قدس الله روحه تخطى عن هذا البيان قليلا قال أما نفى القدرة والاستطاعة مما يأباه العقل والحس واما اثبات قدرة لا اثر لها بوجه فهى كنفى القدرة اصلا واما اثبات تأثير

فهذه على كل حال كذبة باردة سمجة ، فان قالوا ظنوهم ناساً ، قلنا هذا أكذب لان في اول الخبر يخبر أن الله تجلى له ، وكيف يسجد ابراهيم ويتعبد لخاطر (١) طريق ؟ حاش له من هذا الضلال ، وسادسها اخبارهم انهم أكلوا الخبز والشوى (٢) والسمن واللبن ، وحاشى لهان يكون هذا خبراً عن الله تعالى لاولا عن الملائكة ، اين هذا الكذب البارد الفاضح الذى يشبه عقول اليهود المصدقين به ؟ من الحق المنير الواضح عليه ضياء اليقين من قول الله عزوجل في هذه القصة نفسها : ولقد جاءت رسلنا ابراهيم بالبشرى قالوا سلاما قال سلام فالبث أن جاء بعجل حنيذ فلما رأى ايديهم لاتصل اليه نكرهم واوجس منهم خيفة قالوا لاتخف إنا ارسلنا الى قوم لوط ، الآيات ، هيهات نور الحق من ظلمات الكذب ؟ والحمد لله رب العالمين كثيراً ، وفيها ايضاً وجه سابع ليس كهذه الوجوه في الشناعة وهو اقرارهم بان ابراهيم اطعم الملائكة اللحم واللبن والسمن معاً ، والربانيون منهم يحرمون هذا اليوم ، فأقل ما فيه النسخ على ان يكون سلامته من اطم الدواهى ، والسلامة والله منهم بعيدة

فصل — ثم قال متصلا بهذا الفصل (وقالوا له اين سارة زوجتك فقال هاهى ذه في الخباء قال سأرجع اليك مثل هذا الوقت من قابل ويكون لها ابن وسارة تسمع في الخباء وهو وراءها وكان ابراهيم وسارة شيخين قد طعنا في السن وانتهى لسارة ان لايكون لها عادة كالنساء فضحكت سارة في نفسها قائلة أبعد ان بليت يصير لى ذا وسيدى شيخ قال الله لابراهيم لماذا ضحكت سارة قائلة هل لى ان ألد وانا عجوز وهل يخفى عن الله امري في هذا الوقت اذ قال عز من قائل يكون لسارة ابن فجحدت سارة وقالت لم اضحك لانها خافت وقال السيد ليس كما تقولين بل قد ضحكت فقام القوم من ثم)

(قال ابو محمد رضى الله عنه) عاد الخبر بين سارة وابراهيم وبين الله عزوجل وعاد الحديث الماضى ، ثم في هذا زيادة ان الله تعالى قال ان سارة ضحكت . وقالت سارة لم اضحك . فقال الله بلى قد ضحكت . فهذه مراجعة الخصوم وتعارض الاكفاء . وحاش لسارة الفاضلة المبشرة من الله عزوجل بالبشارة من أن تكذب الله عز وجل فيما يقول . وتكذب هى في ذلك فتجحد ما فعلت فتجمع بين سوءتين . احداهما كبيرة من الكبائر قد نزه الله عز وجل الصالحين عنها . فكيف الانبياء ؟ والاخرى ادهى وامر وهى التى لا يفعلها مؤمن ولو انه افسق اهل الارض لانها كفر ونعوذ بالله من الضلال

فصل — وبعد ذلك وصف ان الملكين باتا عند لوط وا كلا عنده الخبز الفطير . وان لوطا سجد لهما على وجه الارض وتعبد لهما . وقد مضى مثل هذا وانه كذب . وان الملائكة لاتأكل فطيرا ولا مختمرا . وان الانبياء عليهم السلام لايسجدون لغير الله تعالى ولا يتعبدون لسواه .

فصل — وذكر ان ابراهيم عليه السلام قال لله عزوجل اذ ذكر له هلاك قوم

(١) من قولهم خطر في مشيته يخطر بالكسر خطرانا (٢) الشوى بتشديد الياء على فعيل كالشواء بالمد اسم لما يشوي من اللحم (مصححه)

في حالة لاتتقبل كنفى التأثير خصوصاً والاحوال على اصلهم لاتوصف بالوجود والعدم فلابد اذا من نسبة فعل العبد الى قدرته حقيقة لاعلى وجه الاحداث والخلق فان الخلق يشعر باستقلال ايجاده من العدم والانسان كما يحس من نفسه الاقتدار يحس من نفسه ايضا عدم الاستقلال فالفعل يستند وجودا الى القدرة والقدرة تستند وجودا الى سبب آخر يكون نسبة القدرة الى ذلك السبب كنسبة الفعل الى القدرة وكذلك يستند سبب الى سبب حتى ينتهى الي مسبب الاسباب فهو الخالق للاسباب ومسبباتها المستغنى على الاطلاق فان كل سبب مستغن من وجه محتاج من وجه والبارى تعالى هو الغنى المطلق الذى لاحاجة له ولافقر وهذا الرأى انما اخذه من الحكماء الالهيين وأبرزه في معرض الكلام وليس يختص نسبة السبب الى المسبب على اصلهم بالفعل والقدرة بل كل ما يوجد من الحوادث فذلك حكمه وحينئذ يلزم القول بالطبع وتأثير الاجسام في الاجسام ايجادا وتأثير الطبائع في الطبائع احداثا وليس ذلك مذهب الاسلاميين كيف ورأى المحققين من الحكماء ان الجسم لايؤثر في ايجاد الجسم قالوا الجسم لايجوز ان يصدر عن جسم ولا عن قوة ما في جسم فان الجسم مركب من مادة وصورة فلو اثر لاثر من جهته اعني بمادته

لوط

لوط فى كلام كثير : انت معاذ من أن تصنع هذا الامر لاتقتل الصالح مع الطالح فانت معاذ ياحاكم جميع العالم من هذا ولم ينكر الله تعالى عليه هذا القول . وقال بعد ذلك ان الملكين قالا للوط انظر من لك ههنا من صهر بنيك وبناتك وكل مالك فى القرية اخرجهم من هذا الموضع لأنا مهلكون هذا الموضع . وقال بعد ذلك ان لوطاً كلم اصحابه المتزوجين بناته . وقال لهم اخرجوا من هذا الموضع فان الله مهلكهم وانه صار عندهم كاللاعب . ثم قال بعد ذلك ان الملائكة أمسكوا بيد لوط وبيد زوجته وابنتيه لشفقة الله عليهم واخرجوهم خارج القرية. ثم ذكر هلاك القرية بكل مافيها

(قال ابو محمد رضى الله عنه) لاتخلوا أصهار لوط وبنوه وبناته الناكحات من أن يكونوا صالحين أو طالحين ، فان كانوا صالحين فقد هلكوا مع الطالحين ، وبطل عقد الله تعالى مع ابراهيم فى ذلك . وحاشى لله من هذا . وان كانوا طالحين فكيف أمر الملائكة باخراج الطالحين وهم كانوا مبعوثين لهلاكهم ، فلا بد من الكذب في احد الوجهين ، وبالجملة فاخبارهم معفونة جداً (فصل) وبعد ذلك قال : واقام لوط فى المغارة هو وابنتاه فقالت الكبرى للصغرى ابونا شيخ وليس فى الارض احد يأتينا كسبيل النساء تعالي نسق ابانا الخمر ونضاجعه ونستبق منه نسلا فسقتا اباهما خمراً فى تلك الليلة فأتت الكبرى فضاجعت اباها ولم يعلم بنومها ولا بقيامها فلما كان من الغد قالت الكبري للصغرى قد ضاجعت ابي امس تعالى نسقيه الخمر هذه الليلة وضاجعيه انت ونستبقى من ابينا نسلا فسقتاه تلك الليلة خمراً واتت الصغرى فضاجعته ولم يعلم بنومها ولا بقيامها وحملت ابنتا لوط من ابيهما فولدت الكبرى ابناً وسمته مواب وهو ابو الموابين الى اليوم وولدت الصغيرة ابناً سمته ابن عمى وهو ابو العمونيين الى اليوم ، وفى السفر الخامس من التوراة بزعمهم ان موسى قال لبنى اسرائيل ان الله تعالى قال لما انتهينا الى صحراء بنى مواب قال لي لاتحارب بنى مواب ولا تقاتلهم فاني لم اجعل لكم فيما تحت ايديهم سهما لانى قد ورثت بنى لوط (ادوا) وجعلتها مسكنا لهم ، ثم ذكر ان موسى قال لهم ان الله تعالى قال له ايضاً انت تخالف اليوم حوز بنى مواب المدينة التى تدعى عاد وتنزل فى حوز بنى عمون فلا تحاربهم ولا تقاتل احداً منهم فاني لم اجعل لكم تحت ايديهم سهما لانهم من بنى لوط وقد ورثتهم تلك الارض

(قال ابو محمد رضى الله عنه) فى هذه الفصول فضائح وسوآت تقشعر من سماعها جلود المؤمنين بالله تعالى العارفين حقوق الانبياء عليهم السلام ، فأولها ماذكر عن بنتى لوط عليه السلام من قولهما ليس احد فى الارض يأتينا كسبيل النساء تعالى نسق ابانا خمراً ونضاجعه ونستبق منه نسلا ، فهذا كلام احمق فى غاية الكذب والبرد . أترى كان انقطع نسل ولد آدم كله حتى لم يبق فى الارض أحد يضاجعهما ؟ ان هذا لعجب ، فكيف والموضع معروف الى اليوم ؟ ليس بين تلك المغارة التى كان فيها لوط عليه السلام مع بنتيه ، وبين قرية سكنى ابراهيم عليه السلام الا فرسخ واحد لايزيد وهو ثلاثة اميال فقط ، فهذه سوءة ، والثانية اطلاق الكذاب الواضع لهذه الخرافة لعنه الله هذه الطومة

وصورته والمادة لها طبيعة عدمية فلو أثرت لاثرت بمشاركة العدم والثاني محال فالمقدم اذا محال فنقيضه حق وهو ان الجسم وقوة مافى جسم لايجوز ان يؤثر فى جسم وتخطى من هو اشد تحققا واغوص تفكراً عن الجسم وقوة فى الجسم الي كل ما هو جائز بذاته فقال كل ماهو جائز بذاته لايجوز ان يحدث شيئاًما فانه لو احدث لاحدث بمشاركة الجواز والجواز له طبيعة عدمية فلو خلى الجائز وذاته كان عدماً فلو اثر الجواز بمشاركة العدم لادى الي ان يؤثر العدم في الوجود وذلك محال فاذا لايوجد علي الحقيقة الا واجب الوجود بذاته وما سواه من الاسباب معدات لقبول الوجود لامحدثات لحقيقة الوجود ولهذا شرح سنذكره فمن العجب ان أخذ كلام الامام ابى المعالى اذا كان بهذه المثابة فكيف يمكن اضافة الفعل الى الاسباب حقيقة هذا ونعود الى كلام صاحب المقالة قال ابو الحسن الاشعرى اذا كان الخالق على الحقيقة هو البارى تعالى لايشاركه في الخلق غيره فاخص وصفه تعالى هو القدرة علي الاختراع قال وهذا هو تفسير اسمه تعالى الله وقال ابو اسحاق الاسفرائينى اخص وصفه وهو كون يوجب تميزه علي الاكوان كلها وقال بعضهم نعلم يقينا ان ما من موجود الا ويتميز عن

على الله عز وجل من انه اطلق نبيه ورسوله ﷺ على هذه الفاحشة العظيمة من وطء ابنتيه واحدة بعد اخرى ، فان قالوا لا ملامة عليه فى ذلك لانه فعل ذلك وهو سكران ، وهو لا يعلم من هما ، قلنا فكيف عمل اذ رآهما حاملتين ؟ واذ رآهما قد ولدتا ولدين لغير رشدة ؟ واذ رآهما تربيان اولاد الزنا . هذه فضائح الابد وتوليد الزنادقة المبالغين فى الاستخفاف بالله تعالى وبرسله عليهم السلام . والثالثة اطلاقهم على الله تعالى انه نسب اولاد ذينك الزنيين فرخى الزنا الى ولادة لوط عليه السلام . حتى ورثهما بلدين كما ورث بنى اسرائيل وبنى عيسو ابنى اسحاق سواء سواء تعالى الله عن هذا علوا كبيرا فان قالوا كان مباحا حينئذ قلنا فقد صح النسخ الذى تنكرونه بلا كلفة وقال قبل هذا ان ابراهيم اذ أمره الله تعالى بالمسير من حران الى ارض كنعان اخذ مع نفسه امرأته سارة وابن اخيه لوط بن هاران . وذكروا فى بعض توراتهم انه كلمته الملائكة وان الله تعالى ارسلهم اليه . فصح باقرارهم انه نبى الله عز وجل وهم يقولون انه بقى فى تلك المغارة شريداً طريداً فقيراً لاشئ له يرجع اليه . فكيف يدخل فى عقل من له اقل ايمان ان ابراهيم عليه السلام يترك ابن اخيه الذى تغرب معه وآمن به ثم تنبأ مثله يضيع ويسكن فى مغارة مع ابنتيه فقيراً هالكا . وهو على ثلاثة اميال منه . وابراهيم على ماذكر فى التوراة عظيم المال مفرط الغنى كثير اليسار من الذهب والفضه والعبيد والاماء والجمال والبقر والغنم والحمير . ويقولون فى توراتهم انه ركب فى ثلاثمائه مقاتل وثمانية عشر مقاتلا لحرب الذين سبوا لوطا وماله حتى استنقذوه وماله ، فكيف يضيعه بعد ذلك هذا التضييع ؟ ليست هذه صفات الانبياء ولا كرامة ، ولا صفات من فيه شىء من الخير ، لكن صفات الكلاب الذين وضعوا لهم هذه الخرافات الباردة التى لا فائدة فيها ولا موعظة ولا عبرة حتى ضلوا بها ونعوذ بالله من الخذلان

(فصل) وفى موضعين من توراتهم المبدلة أن سارة امرأة ابراهيم عليه السلام أخذها فرعون ملك مصر ، وأخذها ملك الخلص أبومالك مرة ثانية ، وأن الله سبحانه وتعالى أرى الملكين فى منامهما ماأوجب ردها الى ابراهيم عليه السلام ، وذكر ان سن ابراهيم عليه السلام اذ انحدر من حران خمسة وسبعون عاما ، وان اسحاق ولد له وهو ابن مائة سنة ، ولسارة اذ ولد تسعون عاما ، فصح انه كان يزيد عليها عشر سنين ، وذكر ان ملك الخلص أخذها بعد أن ولدت اسحاق وهى عجوز مسنة باقرارها بلسانها اذ بشرت باسحاق ، فكيف بعد أن ولدته وقد جاوزت تسعين عاما ومن المحال أن تكون فى هذا السن تفتن ملكا ، وان ابراهيم قال فى كلتا المرتين هى أختى ، وذكر عن ابراهيم انه قال للملك هى اختى بنت أبى لكن ليست من امي فصارت لى زوجة ، فنسبوا فى نص توراتهم الى ابراهيم عليه السلام انه تزوج اخته ، وقد وقفت على هذا الكلام من بعض من شاهدناه منهم وهو اسماعيل بن يوسف الكاتب المعروف بابن النغرالى فقال لى أن نص اللفظة فى التوراة اخت وهى لفظة تقع فى العبرانية على الاخت وعلى القريبة ، فقلت يمنع من صرف هذه اللفظة الى القريبة هاهنا قوله لكن ليست من امى وانما هى بنت أبي ، فوجب انه

غيره بامر ما والا فيقتضي ان تكون الموجودات كلها مشتركة متساوية والباري تعالى موجود فيجب ان يتميز عن سائر الموجودات باخص وصف الا ان العقل لا ينتهى الى معرفة ذلك الاخص ولم يرد به سمع فيتوقف ثم هل يجوزان يدركه العقل ففيه خلاف ايضا وهذا قريب من مذهب ضرار غير ان ضرارا اطلق لفظ الماهية وهو من حيث العبارة منكر ومن مذهب الاشعرى ان كل موجود فيصح ان يرى فان المصحح للرؤية انما هو الوجود والبارى تعالى موجود فيصح ان يري وقد ورد فى السمع أن المؤمنين يرونه فى الآخرة قال الله تعالي وجوه يومئذ ناضرة الى ربها ناظرة الى غير ذلك من الآيات والاخبار قال ولا يجوزان يتعلق به الرؤية على جهة ومكان وصورة ومقابلة واتصال شعاع اوعلى سبيل انطباع فان ذلك مستحيل وله قولان فى ماهية الرؤية احدهما انه علم مخصوص ويعنى بالخصوص أنه يتعلق بالوجود دون العدم والثاني انه ادراك وراء العلم لا يقتضى تأثيرا فى المدرك ولا تأثيرا عنه واثبت السمع والبصر للباري تعالى صفتين هما ادرا كان وراء العلم يتعلقان بالمدركات الخاصه بكل واحد بشرط الوجود واثبت اليدين والوجه صفات خبرية فنقول ورد بذلك السمع فيجب الاقرار به كما ورد وصفوه الى طريقة السلف من ترك التعرض

أراد

أراد الاخت بنت الاب ، وأقل ما في هذا اثبات النسخ الذي تفرون منه تخالط ولم يأت بشيء .

(فصل) ثم ذكر موت سارة وقال : تزوج ابراهيم عليه السلام امرأة اسمها قطورة وولدت له زمران ويقشان ومدان ومديان ويشبق وشوحا ، وأعطى ابراهيم جميع ماله لاسحاق وأعطى بني الاماء عطايا وأبعدهم عن اسحاق

(قال أبو محمد رضي الله عنه) هذا نص الكلام كله متتابعا مرتبا ، ولم يذكر له زوجة في حياة سارة ولا امة لها ولد الا هاجر ام اسماعيل عليه السلام ، ولا ذكر له بعد سارة زوجة ولا امة ولا اولادا غير قطورة وبنيها ، وفي كتبهم أن قطورة هذه بنت ملك الربذ وهو موضع عمان اليوم بترب البلقاء ، وهذه أخبار يكذب بعضها بعضا

(فصل) ثم ذكر أن رفقة بنت بتوئيل بن تارخ زوجة اسحاق عليه السلام كانت عاقرا ، قال فشفعه الله وحملت وازدحم الولدان في بطنها وقالت لو علمت أن الامر هكذا كان يكون ما طلبته ، ومضت لتلتمس علما من الله عز وجل ، فقال لها الله في بطنك امتان وحزبان يفترقان منه ، أحدهما أكبر من الآخر والكبير يخدم الصغير . فلما كانت أيام الولادة اذا بتوءمين في بطنها وخرج الاول أحمر كله كفروة من شعر فسمي عيسو(١) وبعد ذلك خرج أخوه ويده ممسكة بعقب عيسو فسماه يعقوب

(قال أبو محمد رضي الله عنه) لا مؤنة على هؤلاء السفلة في أن ينسبوا الكذب الى الله عز وجل . وحاش لله أن يكذب . ولا خلاف بينهم في أن عيسو لم يخدم قط يعقوب وأن بني عيسو لم تخدم قط بني يعقوب . بل في التوراة نصا أن يعقوب سجد على الارض سبع مرات لعيسو اذ رآه . وان يعقوب لم يخاطب عيسو الا بالعبودية والتذلل المفرط وان جميع اولاد يعقوب حاشا بنيامين الذي لم يكن ولد بعد كلهم سجدوا لعيسو . وان يعقوب أهدى لعيسو مداراة له خمسمائة رأس وخمسين رأسا من ابل وبقر وحمير وضأن ومعز . وان يعقوب رآها امنة عظيمة اذ قبلها منه . وان بني عيسو لم تزل أيديهم على اقفاء بني إسرائيل من أول دولتهم الى انقطاعها . اما يتملكون عليهم أو يكونون على السواء معهم . وان بني إسرائيل لم يملكوا قط أيام دولتهم بني عيسو . فاعجبوا لهذه الفضائح أيها المسلمون واحمدوا الله على السلامة مما ابتلى به غيركم من الضلال والعمى

(فصل) ثم ذكر ان اسحاق قال لابنه عيسو يا بني قد شخت ولا أعلم يوم موتي ، فاخرج وصد لي صيدا واصنع لي منه طعاما كما أحب . وائتني به لآكله كي تباركك نفسي قبل أن أموت وان رفقة أم عيسو ويعقوب أمرت يعقوب ابنها أن يأخذ جديين وتصنع هي منهما طعاما . ويأتي يعقوب الى اسحاق أبيه ليأكله ويبارك عليه . وان يعقوب قال لأمه ان عيسو أخي أشعر وأنا أجرد لعل أبي أن يحس بي وأكون عنده كاللاعب وأجلب على نفسي لعنة لا بركة ، فقالت له أمه على استدفاع لعنتك ، وان يعقوب فعل ما أمرته به أمه . فأخذت هي ثياب عيسو ابنها الاكبر وألبستها يعقوب ، وجعلت جلود الجديين على يديه وعلى حلقه وأعطته الطعام . وجاء به الى

(١) هكذا في التوراة الحالية وان كان المشهور في كتب العرب العيص

للتأويل وله قول ايضا في جواز التأويل ومذهبه في الوعد والوعيد والاسماء والاحكام والسمع والعقل مخالف للمعتزلة من كل وجه قال الايمان هو التصديق بالقلب واما القول باللسان والعمل على الاركان ففروعه فمن صدق بالقلب اي اقر بوحدانية الله تعالى واعترف بالرسل تصديقا لهم فيما جاؤا به من عند الله تعالى بالقلب صح ايمانه حتى لو مات في الحال كان مؤمنا ناجيا ولا يخرج من الايمان الا بانكار شيء من ذلك وصاحب الكبيرة اذا خرج من الدنيا من غير توبة يكون حكمه الى الله تعالى اما ان يغفر له برحمته واما ان يشفع فيه النبي صلى الله عليه وسلم اذ قال شفاعتي لاهل الكبائر من أمتي واما ان يعذبه بمقدار جرمه ثم يدخله الجنة برحمته ولا يجوز ان يخلد في النار مع الكفار لما ورد به السمع من اخراج من كان في قلبه ذرة من الايمان قال ولو تاب لا أقول بانه يجب على الله قبول توبته بحكم العقل اذ هو الموجب فلا يجب عليه شيء بل ورد السمع بقبول توبة التائبين واجابة دعوة المضطرين وهو المالك في خلقه يفعل ما يشاء ويحكم ما يريد فلو ادخل الخلائق باجمعهم الجنة لم يكن حيفا ولو ادخلهم النار لم يكن جورا اذ الظلم هو التصرف فيما لا يملكه المتصرف او وضع الشيء في غير موضعه وهو المالك المطلق فلا يتصور منه ظلم ولا ينسب اليه جور قال والواجبات

أبيه فقال له يا أبي . فقال له اسحاق من أنت يا ولدى قال يعقوب أنا ابنك عيسو بكرك صنعت جميع ماقلت لى فاجلس وتأكل من صيدى لتبارك على . وان اسحاق قال ليعقوب تقدم حتى أجسك يابنى هل أنت ابنى عيسو أم لا . فتقدم يعقوب فجسه اسحاق وقال الصوت صوت يعقوب واليدان يدا عيسو . وقال هل أنت هو ابنى عيسو فقال أنا فبارك عليه وقال له فى بركته تلك * تخدمك الامم وتخضع لك الشعوب وتكون مولى اخوتك وتسجد لك بنو أمك . ثم ذكران عيسو أتى بالصيد الى اسحاق . فلما عرف اسحاق القصة قال لعيسو عن يعقوب قد صيرته سلطانا وجعلت جميع اخوته عبيدا فرغب اليه عيسو فى أن يباركه أيضا ففعل . وقال فى بركته هوذا بلادسم الارض يكون مسكنك وبلاندى السماء من فوق وبسيفك تعيش ولاخيك تستعبد ولكن يكون حينا تجمح انك تكسر نيره عن عنقك

(قال أبو محمد رضى الله عنه) وفى هذا الفصل فضائح وأكذوبات وأشياء تشبه الخرافات (فأول) ذلك اطلاقهم على نبى الله يعقوب عليه السلام انه خدع أباه وغشه . وهذا مبعد عمن فيه خير من أبناء الناس مع الكفار والاعداء . فكيف من نبى مع أبيه نبى أيضا ؟ هذه سوآت مضاعفات . أين ظلمة هذا الكذب من نور الصدق فى قول الله تعالى ؟ يخادعون الله والذين آمنوا وما يخدعون الا أنفسهم (وثانية) وهى اخبارهم ان بركة يعقوب انما كانت مسروقة مأخوذة بغش وخديعة وتخابث؛ وحاش للانبياء عليهم السلام من هذا . ولعمرى انها الطريقة اليهود فما تلق منهم الا الخبيث المخادع الا الشاذ (وثالثة) وهى اخبارهم ان الله تعالى أجرى حكمه وأعطى نعمته على طريق الغش والخديعة ، وحاش لله من هذا (ورابعة) وهى التى لايشك أحد فى أن اسحاق عليه السلام اذ بارك يعقوب اذ خدعه بزعم النذل الذى كتب لهم هذا الهوس انما قصد بتلك البركة عيسو . وله دعا لا ليعقوب ، فاى منفعة للخديعة ههنا لو كان لهم عقل وما أشبه هذه القضية الا بحمق الغالية من الرافضة القائلين ان الله تعالى بعث جبريل الى على فاخطأ جبريل وأتى الى محمد وهكذا بارك اسحاق على عيسو فاخطأت البركة ومضت الى يعقوب فعلى كلتا الطائفتين لعنة الله فهذه وجوه الخبث والغش فى هذه القضية * وأما وجوه الكذب فكثيرة جدا من ذلك نسبتهم الكذب الى يعقوب عليه السلام وهو نبى الله تعالى ورسوله فى أربعة مواضع (أولها) قوله لابيه اسحاق أنا ابنك عيسو وبكرك فهذه كذبتان فى نسق لانه لم يكن ابنه عيسو ولا كان بكره (وثالثة) قوله لابيه صنعت جميع ماقلت لى فاجلس وكل من صيدى فهذه كذبتان فى نسق لانه لم يكن قال له شيئا ولا أطعمه من صيده وكذبات أخر وهى بطلان بركة اسحاق اذ قال له تخدمك الأمم وتخضع الشعوب وتكون مولى اخوتك ويسجد لك بنو أمك وقوله لعيسو ولاخيك تستعبد وهذه كذبات متواليات والله ماخدمت الامم قط يعقوب ولا بنيه بعده ولا خضعت لهم الشعوب ولا كانوا موالى اخوتهم ولا سجد لهم ولا له بنوا أمه بل بنوا بنى اسرائيل خدموا الامم فى كل بلدة وفى كل أمة وهم خضعوا للشعوب قديما وحديثا فى أيام دولتهم وبعدها فان قالوا سيكون هذا قلنا لهم

هيهات : قد حصلتم على الصفار يقينا ... والامانى بضائع السخفاء

كلها سمعية والعقل ليس يوجب شيئاً ولا يقتضي تحسينا وتقبيحا فمعرفة الله تعالى بالعقل تحصل وبالسمع تجب قال الله تعالى وما كنا معذبين حتى نبعث رسولا وكذلك شكر المنعم واثابة المطيع وعقاب العاصى يجب بالسمع دون العقل لايجب على الله تعالى شيء ما بالعقل لا الصلاح ولا الاصلح ولا اللطف وكل مايقتضيه العقل من الحكمة الموجبة فيقتضى نقيضه من وجه آخر واصل التكليف لم يكن واجبا على الله تعالى اذ لم يرجع اليه نفع ولا اندفع به عنه ضر وهو قادر علي مجازاة العبيد ثوابا وعقابا وقادر علي الافضال عليهم ابتداء تكرما وتفضلا والثواب والتفضل والنعيم واللطف كله منه فضل والعقاب والعذاب كله عدل لايسئل عما يفعل وهم يسئلون وانبعاث الرسل من القضايا الجائزة لا الواجبة ولا المستحيلة ولكن بعد الانبعاث تأييدهم بالمعجزات وعصمتهم من الموبقات من جملة الواجبات اذ لابد من طريق للمستمع يسلكه فيعرف به صدق المدعى ولابد من ازاحة العلل فلا يقع فى التكليف تناقض والمعجزة فعل خارق للعادة مقترن بالتحدى سليم عن المعارضة فينزل منزلة التصديق بالقول من حيث القرينة وهو منقسم الى خرق المعتاد والى اثبات غير المعتاد والكرامات للاولياء حق وهى من وجه تصديق للانبياء وتأكيد للمعجزات والايمان والطاعة بتوفيق

ترجى

ترجى ربيع أن ستحيا صغارها * بخير وقد أعيا ربيعا كبارها

لاسيما مع تنفى جميع الآماد التي كانوا يتشبثون بانها لاتنقضي حتى يرجع امرهم ، واعلموا ان كل أمة أدبرت فانهم ينتظرون من العودة ويمنون انفسهم من الرجعة بمثل ماتمنى به بنو اسراءيل انفسها ، ويذكرون في ذلك مواعيد كمواعيدهم ، فأمل كأمل ولافرق ، كانتظار مجوس الفرس بهرام هماوندراكب البقرة ، وانتظار الروافض للمهدى ، وانتظار النصارى الذين ينتظرون فى السحاب ، وانتظار الصائبين أيضاً لقصة أخرى وانتظار غيرهم للسفيانى

تمن يلذ المستهام بمثله * وان كان لايغنى فتيلا ولايجدى
وغيظ على الايام كالنار فى الحشا * ولكنه غيظ الأسير على القد

واما قوله تكون مولى اخوتك ويسجد لك بنو أمك فلعمرى لقد صح ضد ذلك جهارا ، اذ فى توراتهم ان يعقوب كان راعى ابن عمه لابان ابن ناحور بن لامك وخادمه عشرين سنة ، وانه بعد ذلك سجد هو وجميع ولده حاشا من لم يكن خلق منهم بعد لاخيه عيسو مراراً كثيرة ، وما سجد عيسو قط ليعقوب ، ولا ملك قط احد من بنى يعقوب بنى عيسو ، وان يعقوب تعبد لعيسو فى جميع خطابه له ، وما تعبد قط عيسو ليعقوب وسأله عيسو عن أولاده فقال له يعقوب هم اصاغر من الله بهم على عبدك ، وان يعقوب طلب رضاء عيسو وقال له : (انى نظرت الى وجهك كمن نظر الى بهجة الله فارض عنى واقبل ماهديت اليك) وان عيسو ابا الحر اقبل هدية يعقوب حينئذ . فانرى عيسو وبنيه الاموالى يعقوب وبنيه . وكذلك ملك بنو عيسو باقرار توراتهم ميراثهم لساعير . وهى جبال الشراة وبنو لوط ميراثهم بمواب وعمان قبل أن يملك بنو اسراءيل ميراثهم بفلسطين والاردن بدهر طويل . ثم لم يزالوا يتغلبون على بنى اسراءيل أو يساوونهم طول دولة بنى اسراءيل باقرار كتبهم وما ملك بنو اسراءيل قط بنى عيسو ولا بنى لوط ولا بنى اسماعيل باقرارهم . ولقد بقى بنو عيسو وبنو لوط باقرار كتبهم في ميراثهم بساعير ومواب وعمان بعد هلاك دولة بنى اسراءيل وأخرجهم عن ميراثهم ثم ملكهم بنو اسماعيل الى اليوم . فما نرى تلك البركة كانت الا معكوسة . ونعوذ بالله من الخذلان . ولكن حق البركة المسروقة المأخوذة بالخبث فى زعمهم ان تخرج معكوسة منكوسة

(فصل) ثم ذكر ان يعقوب اذ مضى الى خاله لابان بن بثوال خطب اليه ابنته راحيل . وقال له أخدمك سبع سنين في راحيل ابنتك الصغرى . فقال له لابان (أعطيك اياها أحسن من أن أعطيها رجلاً آخر اقم عندى) وخدم يعقوب فى راحيل سبع سنين . وصارت عنده أياما يسيرة فى محبته لها . وقال يعقوب للابان اعطنى زوجتى اذ قد كملت أيامي فادخل بها ، وجمع لابان جميع أهل الموضع وصنع وليمة ، فلما كان بالعشى أخذ ليئة (١) ابنته وزفها اليه ودخل بها ، فلما كان بالغد ورأى أنها ليئة قال للابان ماذا صنعت اليس فى راحيل خدمتك

(١) المشهور فى كتب التاريخ (ليا)

الله تعالى والكفر والمعصية بخذلانه والتوفيق عنده خلق القدرة على الطاعة والخذلان خلق القدرة على المعصية وعند بعض اصحابه تيسير اسباب الخير هو التوفيق وبضده الخذلان وماورد به السمع من الاخبار عن الامور الغائبة مثل القلم واللوح والعرش والكرسى والجنة والنار فيجب اجراؤها على ظاهرها والايمان بها كما جاءت اذ لا استحالة فى اثباتها وماورد من الاخبار عن الامور المستقبلة فى الآخرة مثل سؤال القبر والثواب والعقاب فيه ومثل الميزان والحساب والصراط وانقسام الفريقين فريق فى الجنة وفريق فى السعير حق يجب الاعتراف به واجراؤها على ظاهرها اذ لااستحالة فى وجودها والقرآن عنده معجز من حيث البلاغة والنظم والفصاحة اذ خير العرب بين السيف وبين المعارضة فاختاروا اشد القسمين اختيار عجز عن المقابلة ومن اصحابه من اعتقد ان الاعجاز فى القرآن من جهة صرف الدواعى وهو المنع من المعتاد ومن جهة الاخبار عن الغيب وقال الامامة تثبت بالاتفاق والاختيار دون النص والتعيين اذ لو كان نص ثم لما خفى والدواعى تتوفر على نقله واتفقوا فى سقيفة بنى ساعدة على ابى بكر رضى الله عنه ثم اتفقوا على عمر بعد تعيين ابى بكر رضى الله عنه واتفقوا بعد الشورى على عثمان رضى الله عنه واتفقوا بعده على على رضى الله عنه وهم مترتبون

فلم خدعتني ؟ فقال لابان لانصنع هكذا في موضعنا أن نزوج الصغري قبل الكبرى أكمل اسبوع هذه واعطيك ايضا هذه بخدمة تخدمها سبع سنين أخرى ، وصنع يعقوب كذلك وأكمل اسبوع ليئة وأعطى راحيل ابنته لتكون له زوجة

(قال أبو محمد رضي الله عنه) في هذا الفصل (١) آبدة الدهر ، وهي اقرارهم أن يعقوب عليه السلام تزوج راحيل فادخلت عليه غيرها ، فجعلت ليئة الى جنبه بلا نكاح وولد لها منه ستة ذكور وابنة ، وهذا هو الزنا بعينه أخذ امرأة لم يتزوجها بخديعة وقد أعاذ الله نبيه من هذه السوءة ، واعاذ أنبياءه عليهم السلام موسى وهارون وداود وسليمان من أن يكونوا من مثل هذه الولادة ، وهذا يشهد ضرورة انها من توليد زنديق متلاعب بالديانات * فان قالوا لابد انه قد تزوجها اذ علم انها ليست التي تزوج * قلنا فهل أن نسمح لكم بهذا فالنسخ ثابت ولابد ، لان نكاح الاختين معا حرام في توراتكم ، وقد قال لي بعضهم في هذا لم تكن الشرائع نازلة من الله تعالى قبل موسى ، فقلت هذا كذب أليس في نص توراتكم ان الله تعالى قال لنوح عليه السلام (كل دبيب حي يكون لكم أكله كخضراء العشب اعطيتكم لكن اللحم بدمه لاتأكلوه وأما دماؤكم في انفسكم فسأطلبها) فهذه شريعة اباحة وتحريم قبل موسى عليه السلام

(فصل) وبعد ذلك ذكر أن يعقوب رجع من عند خاله لابان بنسائه واولاده قال : ولما أصبح أجاز امرأتيه وجاريته وأحد عشر من ولده المخاضة ، وبقي وحده وصارعه رجل الى الصبح فلما عجز عنه ضرب حق فخذه فانخلع حق فخذ يعقوب في مصارعته معه ، وقال له خلني لانه قد طلع الفجر ، قال لست ادعك حتى تبارك علي ، فقال له كيف اسمك ؟ قال يعقوب ، قال له لست تدعى من اليوم يعقوب بل إسرائيل من أجل انك كنت قويا علي الله . فكيف علي الناس ؟ فقال له يعقوب عرفني باسمك ، فقال له لم تسألني عن اسمي ؟ وبارك عليه في ذلك الموضع فسمى يعقوب ذلك الموضع فنيئيل ، وقال رأيت الله تعالى مواجهة وسلمت نفسي وبزغت له الشمس بعد أن جاوز فنيئيل وهو يعرج من رجله ، ولهذا لايأكل بنو إسرائيل العقب الذي على حق الفخذ الى اليوم لانه ضرب حق فخذ يعقوب لمس الله وانقباضه

(قال أبو محمد) في هذا الفصل شنعة عفت على كل ماسلف يقشعر منها جلود أهل العقول ، وبالله العظيم لولا ان الله عز وجل قص علينا كفرهم بقولهم (يد الله مغلولة) وبقولهم (ان الله فقير ونحن اغنياء) لما نطقت السنتنا بحكاية هذه العظائم . لكنا نحكيه منكرين له . كما نتلوه فيما نصه عزوجل لنا تحذيرا من افكهم

(قال أبو محمد رضي الله عنه) ذكر في هذا المكان أن يعقوب صارع الله عز وجل تعالى الله عن ذلك وعن كل شبه لخلقه . فكيف عن لعب الصراع الذي لايفعله الا أهل البطالة ؟ واما أهل العقول فلا يفعلونه لغير ضرورة . ثم لم يكتفوا بهذه الشهرة حتى قالوا

(١) الآبدة الداهية تبقى على الابد والفعلة الغريبة اه مصححه

في الفصل ترتيبهم في الامامة وقال لانقول في عائشة وطلحة والزبير الا انهم رجعوا عن الخطأ وطلحة والزبير من العشرة المبشرين بالجنة ولا نقول في معاوية وعمرو ابن العاص الا انهما بغيا على الامام الحق فقاتلهم علي مقاتلة اهل البغي واما اهل النهر فهم الشراة المارقون عن الدين بخبر النبي ﷺ ولقد كان علي عليه السلام على الحق في جميع احواله يدور الحق معه حيث دار (المشبهة) ان السلف من اصحاب الحديث لما رأوا توغل المعتزلة في علم الله ومخالفة السنة التي عهدوها من الائمة الراشدين ونصرهم جماعة من بني امية علي قولهم بالقدر وجماعة من خلفاء بني العباس على قولهم بنفي الصفات وخلق القرآن تحيروا في تقرير مذهب اهل السنة والجماعة في متشابهات آيات الكتاب وأخبار النبي صلى الله عليه وسلم فأما احمد بن حنبل وداود بن علي الاصفهاني وجماعة من أئمة السلف فجروا على منهاج السلف المتقدمين عليهم من اصحاب الحديث مثل مالك بن انس ومقاتل بن سليمان وسلكوا طريق السلامة فقالوا نؤمن بما ورد به الكتاب والسنة ولانتعرض للتاويل بعد ان نعلم قطعا ان الله عز وجل لا يشبه شيئاً من المخلوقات أن وان كل ماتمثل في الوهم فانه خالقه ومقدره وكانوا يحترزون عن التشبيه الى غاية أن قالوا من حرك يده عند قراءة

ان الله عز وجل عجز عن ان يصرع يعقوب بنص كلام توراتهم . وحقق ذلك قولهم من الله تعالى انه قال (كنت قويا على الله تعالى فكيف على الناس) ولقد أخبرني بعض أهل البصر بالعبرانية انه لذلك سماه إسرائيل . وإيل بلغتهم هو اسم الله تعالى بلا شك ولا خلاف فمعناه اسر الله تذكيرا بذلك الضبط الذى كان بعد المصارعة . اذ قال له دعنى . فقال له يعقوب لا أدعك حتى تبارك على . ولقد ضربت بهذا الفصل وجوه المتعرضين منهم للجدال فى كل محفل . فثبتوا على أن نص التوراة ان يعقوب صارع الوهيم . وقال أن لفظ الوهيم يعبر بها عن الملك فانما صارع ملكا من الملائكة . فقلت لهم سياق الكلام يبطل ما تقولون ضرورة أن فيه (كنت قويا على الله فكيف على الناس) وفيه أن يعقوب قال (رأيت الله مواجهة وسلمت نفسي) ولا يمكن البتة ان يعجب من سلامة نفسه اذ رأى الملك ولا يبلغ من مس الملك (١) لما نص يعقوب أن يحرم على بنى إسرائيل اكل عروق الفخذ فى الابد من أجل ذلك . وفيه انه سمى الموضع بذلك فنيئيل لانه قابل فيه إيل وهو الله عز وجل بلا احتمال عندكم . ثم لو كان ملكا كما تدعون عند المناظرة لكان أيضا من الخطاء تصارع نبي وملك لغير معنى . فهذه صفة المتحدين فى العنصر لا صفة الملائكة والانبياء . فان قيل قد رويتم ان نبيكم صارع ركانة بن عبد يزيد . قلنا نعم . لان ركانة كان من القوة بحيث لا يجد أحدا يقاومه فى جزيرة العرب . ولم يكن رسول الله ﷺ موصوفا بالقوة الزائدة فدعاه الى الاسلام فقال له ان صرعتنى آمنت بك ورأى ان هذا من المعجزات فامره عليه السلام بالتأهب لذلك ثم صرعه للوقت واسلم ركانة بعد مدة فبين الامرين فرق كما بين العقل والحمق ولكل مقام مقال ولكن اذا اكل الملائكة عندكم كسور الخبز حتى تشتد بها قلوبهم والشاى واللبن والسمن والفطائر فما ينكر بعضهم لاصراع مع الناس فى الطرقات وهذه مصائب شاهدة بضلالهم وخذلانهم وصحة اليقين بان توراتهم مبدلة

(فصل) وفي الفصل المذكور ان الله تعالى قال ليعقوب (لست تدعى من اليوم يعقوب لكن اسرائيل) ثم في السفر الثانى من توراتهم ، قال الله تعالى : قل لآل يعقوب وعرف بنى اسرائيل فقد سماه بعد ذلك يعقوب ، وهذه نسبة الكذب الى الله تعالى

(فصل) ثم قال وبينا اسرائيل بذلك الموضع ضاجع رأوبين ابن ليئة سرية ابيه بلهة وهى أم دان ونفثلى وهما اخواه وابنا يعقوب ، ثم اكد هذا بان ذكر فى قرب اخر السفر الاول ذكر موت يعقوب عليه السلام ومخاطبته لبنيه ابنا ابنا وأن يعقوب قال لرؤابين ابنه (انك صعدت على سرير ابيك ووسخت فراشه وليس مما ابتذلت فراشى تخلص) بعد ان ذكر فى توراتهم ان شكيم بن حمور الحوى اخذ دينة بنت يعقوب عليه السلام واضطجع معها وأذلها ، ثم بعد ذلك خطبها الى يعقوب ابيها ، الى ان ذكر قتل لاوى وشمعون لحمور وشكيم ابنه وجميع اهل مدينته وانكار يعقوب على ابنيه قتالهما لهم

(قال ابو محمد رضى الله عنه) معاذ الله ان يخذل الله نبيه ولا يعصمه فى حرمة امرأته وابنته من هذه الفضائح ، ثم لا ينكر ذلك باكثر من التعزير الضعيف فقط

---

(١) فى الكلام نقص ظاهر فليحرر

خلقت بيدى او اشار باصبعه عند روايته قلب المؤمن بين اصبعين من اصابع الرحمن وجب قطع يده وقلع اصبعه وقالوا انما توقفنا فى تفسير الآية وتاويلها لامرين (احدهما) المنع الوارد فى التنزيل فى قوله تعالى فاما الذين فى قلوبهم زيغ فيتبعون ما تشابه منه ابتغاء الفتنة وابتغاء تأويله وما يعلم تاويله الا الله والراسخون فى العلم يقولون آمنا به كل من عند ربنا فنحن نحترز من الزيغ (والثانى) ان التأويل أمر مظنون بالاتفاق والقول فى صفات البارى تعالى بالظن غير جائز فربما اولنا الآية على غير مراد البارى تعالى فوقعنا فى الزيغ بل نقول كما قال الراسخون فى العلم كل من عند ربنا آمنا بظاهره وصدقنا بباطنه ووكلنا علمه الى الله تعالى ولسنا مكلفين بمعرفة ذلك اذ ليس من شرائط الايمان واركانه واحتاط بعضهم اكثر احتياط حتى لم يفسر اليد بالفارسية ولا الوجه ولا الاستواء ولا ما ورد من جنس ذلك بل ان احتاج فى ذكرها الى عبارة عبر عنها بما ورد لفظاً بلفظ فهذا هو طريق السلامة وليس هو من التشبيه فى شىء غير ان جماعة من الشيعة الغالية وجماعة من اصحاب الحديث الحشوية صرحوا بالتشبيه مثل الهشاميين من الشيعة ومثل نصر وكهمش واحمد الهجيمى وغيرهم من اهل الشيعة قالوا معبودهم صورة ذات اعضاء وابعاض اما

(فصـل) وبعد ذلك قال : (واولاد يعقوب اثنا عشر فاولاد ليئة روابين (١) بكر يعقوب وشمعون ولاوى ويهوذا ويساخر وزبولون وابناء راحيل يوسف وبنيامين وابنا بلهة امة راحيـل دان ونفتالى وابنا زلفة امة ليئة جادا واشير (٢) هولاء بنو يعقوب الذين ولدوا له بفدان ارام)

(قال ابو محمد رضى الله عنه) هذا كذب ظاهر ، لانه ذكر قبل ان بنيـامين لم يولد ليعقوب الا بافراثا بقرب بيت لحم على اربعة اميال من بيت المقدس بعد رحيله من فدان ارام بدهر ، والله تعالى لايتعمد الكذب ولا ينسى هذا النسيان

(فصل) وبعد ذلك قال (وكان اسرائيل يحب يوسف لانه كان ولد له فى شيخوخته)

(قال ابو محمد رضى الله عنه) هذه العلة توجب محبة بنيـامين لانه ولد له بعد يوسف بازيد من ست سنين بنص توراتهم ، وتوجب مشاركة يسا كر وزبولون فى المحبة ليوسف لانه ذكر قبل هذا ان يعقوب قال للابان خاله (خدمتك عشرين سنة من ذلك اربع عشرة سنة لابنتيك وست سنين لادواتك) وذكر ان بعد سنين اعطاه ليئة وبعد سبعة ايام اعطاه راحيل لم يكن بينهما الا سبعة ايام وهو اسبوع ليئة فقط ، وان ليئة ولدت له روابين ثم شمعون ثم لاوى ثم يهوذا ثم قعدت عن الولد ، وان راحيل اعطت بعد ذلك يعقوب امتها بلهة فتزوجها فولدت له دانا ثم نفتالى ، ثم اعطت ليئة امتها زلفة ليعقوب فتزوجها فولدت له جادا ثم أشير ، ثم اطلقت له راحيل مماسة ليئة فى لقاح اخذتها منها فولدت له راحيـل يوسف ، ثم بعد ولادة يوسف ابتدأ يعقوب بمعاملة خاله لابان على اجرة ذكرها لرعاية غنمه فرعاها له ست سنين ، هذا كله نص توراتهم ، فصح ان يوسف كان له عنـد تمام الست سنين ست سنين فقط بلاشك ، وان جميع اولاد يعقوب حاشا بنيامين فانما ولدوا ولابد فى السبع سنين التى كانت قبل الست سنين المذكورة بلاشك ، والاولاد سبعة ففى كل عشرة اشهر ولدت ولدا لايمكن اقل من هذا ، فلاشك فى ان زابولون لايزيد على يوسف الاسنة واحدة فقط ، ولايزيد عليه يسا كر الا سنتين فقط ، واقل هذا على ان تلغى المدة التى ذكرنا ان ليئة قعدت فيها عن الولد والمدة التى اعتزلها فيها يعقوب ولابد ان لها مقداراً ما ، فعلى هذا فزابلون ويوسف ولدا معا ، والمدة تضيق عن هذه القسمة ففى هذا الخبر كذب مقطوع به ضرورة ولابد ، ولا يجوز قليل الكذب ولا كثيره على الله تعالى ولا على نبى من الانبياء . فصح انها مفتعلة مبدلة ولو كان لهذا الخبر وجه وان غمض وخرج وان بعد او امكنت فيه حيلة او ساغ فيه تأويل ماذكرناه ونسأل الله العافية . وفى توراتهم عند ذكر اولاد عيسو خبال شديد وتخليط فى الاسماء والوالدات . الا انه ربما خرج على وجوه بعيدة ضعيفة فلم نأتى بايراده لذلك . ولكن نبهنا عليه فالاظهر الاغلب فيه الكذب وانه ايراد جاهل بتلك القضية بلاشك

---

(١) وفى بعض كتب التاريخ روبيل (٢) هو اشار بعينه المتقدم ذكره الا ان الفه لما كانت ممالة فى اللغة العبرية فتارة يكتبه بالالف وتارة يكتبه بالياء كما هنا (المصحح)

روحانية او جسمانية يجوز عليه الانتقال والنزول والصعود والاستقرار والتمكين فاما مشبهة الشيعة فستاتى مقالاتهم فى باب الغلاة واما مشبهة الحشوية فذكر الاشعرى عن محمد ابن عيسى انه حكى عن نصر وكهمش واحمد الهجيمى انهم اجازوا على ربهم الملامسة والمصافحة وان المخلصين من المسلمين يعاينونه فى الدنيا والآخرة اذا بلغوا من الرياضة والاجتهاد الى حد الاخلاص والاتحاد المحض (وحكى الكعبى) عن بعضهم انه كان يجوز الرؤية فى الدنيا يزوروه ويزورهم وحكى عن داود الجواربي انه قال اعفونى عن الفرج واللحية واسألونى عما وراء ذلك وقال ان معبوده جسم ولحم ودم وله جوارح واعضاء من يد ورجل ورأس ولسان وعينين واذنين ومع ذلك جسم لا كالاجسام ولحم لا كاللحوم ودم لا كالدماء وكذلك سائر الصفات وهو لايشبه شيئاً من المخلوقات ولا يشبهه شئ وحكى انه قال هو اجوف من اعلاه الى صدره مصمت ماسوى ذلك وان له وفرة سوداء وله شعر قطط واما ماورد فى التنزيل من الاستواء والوجه واليدين والجنب والمجيء والاتيان والفوقية وغير ذلك فاجروها على ظاهرها اعنى مايفهم عند الاطلاق على الاجسام وكذلك ماورد فى الاخبار من الصورة فى قوله عليه السلام * خلق آدم على صورة الرحمن *

فصل

﴿ فصل ﴾ ثم ذكر بيع اخوة يوسف ليوسف ، وان اخوته كانوا مجتمعين حينئذ يرعون أذوادهم ، ثم قال وفى ذلك الزمان اعتزل يهوذا عن إخوته وكان مع رجل من اهل عدلام يدعى اسمه حيرة ، فبصر فى ذلك الموضع بابنة رجل كنعانى اسمه شوع فتزوجها وضاجعها فحملت وولدت ولدا اسمه عيرا ، ثم حملت ووضعت ثانياً وسماه انان ، ثم حملت ووضعت وسمته شيلة ، ثم أمسكت عن الولد فزوج يهوذا عيرا بكر ولده امرأة وكان عيرا بكر يهوذا مذنباً بين يدى السيد ، ولذلك قتل . فقال يهوذا لابنه أونان ، أدخل الى امراة اخيك وضاجعها لتحيي نسله ، فلما علم انه لا ينسب اليه من ولد له منها دخل الى امرأة اخيه وكان يعزل عنها لئلا يولد لاخيه منه ، ولذلك اهلكه السيد للفاحشة التى اطلع عليها منه ، فعند ذلك قال يهوذا لثامار كنته (١) كونى أرملة فى بيت ابيك الى ان يكبر ابنى شيلة ، وكان يتوقع ان يصيبه من الموت ما اصاب اخاه ان ضاجعها ، فسكنت فى بيت ابيها وبعد ايام كثيرة توفيت بنت شوع امرأة يهوذا فتصبر يهوذا وتسلى عنه حزنها وتوجه الى جزاز أغنامه مع حيرة صديقه العدلامي الى تمنة ، وقيل لثامار ان ختنك (٢) صاعد الي تمنة ليجز أغنامه ، فالقت عن نفسها ثياب الارامل وتقنعت وقعدت فى مجمع الطرق المسلوكة الى تمنة ، فعلت ذلك مذ كبر شيلة ولم تزوج منه ، فلما رآها يهوذا ظنها زانية وكانت غطت وجهها لئلا تعرف فمال اليها وقال ائذنى لى فى مضاجعتك وكان يجهل انها كنته . فقالت له ، ماذا تعطينى ان امكنتك من مضاجعتى ؟ قال لها ابعث اليك جديا من الغنم ، فقالت نعم ان اعطيتنى رهنا الى ان تبعث ما وعدت ، فقال لها يهوذا وما ارهنه لك . قالت ارهن لى خاتمك وحزامك والعصا التى بيدك ، فحبلت من مضاجعة واحدة ، ثم انطلقت والقت الشكل التى كانت فيه وعادت الى شكل الارامل ، وبعث يهوذا الجدى مع صديقه العدلامى ليأخذ من المرأة الرهن الذى وضعه عندها ، فسال عنها اذلم يجدها من سكان ذلك الموضع فقال اين المرأة القاعدة فى مجمع الطرق ؟ فقالوا له لم تكن فى هذا الموضع زانية فانصرف الى يهوذا فقال له : لم اجدها وقال لى سكان ذلك الموضع لم تكن ههنا زانية ، فقال له يهوذا تأخذ ما عندها مخافة ان تكون ضحكة فانى قد ارسلت الجدى اليها وانت تقول لم اجدها ، وبعد ثلاثة اشهر قيل ليهوذا : ان كنتك ثامار قد زنت وقد بدا بطنها يظهر ، فقال يهوذا اخرجوها لتحرق ، فلما اخرجت بعثت الى يهوذا . انما حبلت من الذي له هذا . فاعرف هذا الخاتم والزنار والعصا ، فلما عرف قال هى أعدل منى اذ منعتها شيلة ولدى ، ولم يضاجعها بعد ذلك فلما ادركتها الولادة ظهر فيها توأمان ففى وقت خروجها بدر احدهما واخرج يده فربطت القابلة فى يده خيطا ارجوانا وقالت هذا يخرج اولا . فادخل يده الي نفسه واخرج الولد الآخر . فقالت له القابلة لم افترصت (٣) اخاك فسمى فارصا وبعده خرج الذى ربط في

---

(١) الكنة بفتح الكاف وتشديد النون امرأة الابن (٢) والختن المراد به هنا الصهر وهو يهوذا ابو زوجها المتوفى . واطلاق الختن الشائع انما هو على زوج الابن اه مصححه
(٣) اى لم أخرت نوبتك فى الولادة عن اخيك وجعلته يسبق الى فرصة اي نوبة الخروج من بطن امه قبلك اه مصححه

وقوله حتى يضع الجبار قدمه فى النار * وقوله قلب المؤمن بين اصبعين من اصابع الرحمن * وقوله خمر طينة آدم بيده اربعين صباحاً * وقوله وضع يده او كفه علي كتفى * وقوله حتى وجدت برد انامله فى صدرى الى غير ذلك اجروها على ما يتعارف فى صفات الاجسام وزادوا فى الاخبار اكاذيب وضعوها ونسبوها الى النبى عليه الصلاة والسلام واكثرها مقتبسة من اليهود فان التشبيه فيهم طباع حتى قالوا اشتكت عيناه فعادته الملائكة وبكى علي طوفان نوح حتى رمدت عيناه وان العرش ليئط من تحته كاطيط الرحل الجديد وانه ليفضل من كل جانب اربعة اصابع وروي المشبهة عن النبي عليه الصلاة والسلام انه قال لقينى ربي فصافحنى وكافحنى ووضع يده بين كتفى حتى وجدت برد انامله وزادوا علي التشبيه قولهم فى القرآن ان الحروف والاصوات والرقوم المكتوبة قديمة ازلية وقالوا لا يعقل كلام ليس بحرف ولا كلمة واستدلوا فيه باخبار (منها) ماروى عن النبى عليه الصلاة والسلام ينادى الله تعالى يوم القيامة بصوت يسمعه الاولون والآخرون ورووا ان موسي عليه السلام كان يسمع كلام الله كجر السلاسل وقالوا اجمعت السلف على ان القرآن كلام الله غير مخلوق ومن قال هو مخلوق فهو كافر بالله

ولانعرف من القرآن الاماهو بين اظهرنا فنبصره ونسمعه ونقرأه ونكتبه والمخالفون لنا كالمعتزلة واتفقونا على ان هذا الذى فى ايدينا كلام الله وخالفونا فى القدم وهم محجوجون ايضا باجماع الامة واما الاشعرية فوافقونا على ان القرآن قديم وخالفونا فى ان الذى فى ايدينا ليس فى الحقيقة كلام الله وهم محجوجون ايضاً باجماع الامة ان المشار اليه هو كلام الله فاما اثبات كلام هو صفة قائمة بذات البارى تعالى لانبصرها ولانكتبها ولا نقرأها ولا نسمعها فهو مخالفة الاجماع من كل وجه فنحن نعتقد ان مابين الدفتين كلام الله انزله على لسان جبريل عليه السلام فهو المكتوب فى المصاحف وهو فى اللوح المحفوظ وهو الذى يسمعه المؤمنون فى الجنة من البارى تعالى بغير حجاب ولا واسطة وذلك معنى قوله تعالى سلام قولا من رب رحيم وهو قوله تعالى لموسى انى انا الله رب العالمين ومناجاته من غير واسطة حين قال وكلم الله موسى تكليماً قال وانى اصطفيتك على الناس برسالاتى وبكلامى وروى عن النبى عليه الصلاة والسلام انه قال ان الله تعالى كتب التوراة بيده وخلق جنة عدن بيده وخلق آدم بيده وفى التنزيل وكتبنا له فى الالواح من كل شئ موعظة وتفصيلا لكل شئ قالوا فنحن لانزيد من انفسنا شيئا ولا نتدارك بعقولنا امرا لم يتعرض له

وروى

يده الخيط الارجوان وسمى زارح. تم الفصل

(قال ابو محمد رضى الله عنه) ثم بعد فصول وقصص ذكر اولاد يعقوب المولودين بالشأم الذين دخلوا معه مصر اذ بعث يوسف عليه السلام فيهم كلهم. فذكر يهوذا وبنيه الثلاثة الاحياء شيلة وفارص وزارح. وذكر لفارص هذا نفسه اثنين. وهما حصرون وحامول ابنا فارص ابن يهوذا المذكور

(قال أبو محمد رضى الله عنه) ففى هذا الكلام عار وفضيحة مكذوبة وكذب فاحش مفرط القبح. فاما العار فالذى ذكر عن يهوذا من طلبه الزنا بامرأة لقيها فى الطريق على ان يعطيها جدياً. ثم جوره فى الحكم عليها بالحرق. فلما علم انه صاحب الحصلة اسقط الحكم عن نفسه وعنها. ثم شنعة اخرى وهى قوله. ان ونان بن يهوذا لما عرف انه لا ينسب اليه من يولد له من امرأته التى تزوجها بعد موت اخيه جعل يعزل عنها. وهذا عجب جداً ان ان تلد امرأة رجل من زوجها من لا ينسب اليه لكن الى غيره ممن قد مات قبل ان يتزوجها هذا. فلعل فيهم الآن ولادات وانساب فى كتبهم مثل هذه فهذه والله امور سمجة، ثم دع يهوذا فليس نبياً ولا ينكر ممن ليس نبياً مثل هذا، انما الشأن كله والعجب فى انهم مطبقون باجمعهم قطعاً على ان سليمان بن داود عليهما السلام بن ايشاى بن عوبيذ بن بوعز بن بشاى بن نحشون ابن عميناذاب بن نورام بن حصرون بن فارص المذكور ابن يهوذا، فجعلوا الرسولين الفاضلين مولودين من تلك الولادة الخبيثة راجعين الى ولادة الزنا، ثم اقبح مايكون من الزنا رجل مع امرأة ولده، حاش لله من هذا الافك المفترى، ولقد قال لى بعضهم اذ قررته على هذا الفصل: ان هذا كان مباحاً حينئذ، فقلت له فلم امتنع من مضاجعتها بعد ذلك؟ وكيف يكون مباحا وهى لم تعرفه بنفسها ولا عرفها عند تلك المعاملة الخبيثة بالجدى المسخوط والرهن الملعون؟ وانما وطئها على انها زانية اذا غتلم اليها، لا على انها امرأة الميت ولده، الا ان قلتم ان الزنا جملة كان مباحا حينئذ فقد قرت عيونكم فسكت خزيان كالحا، وتالله مارأيت أمة تقر بالنبوة وتنسب الى الانبياء ماينسبه هؤلاء الكفرة، فتارة ينسبون الى ابراهيم عليه السلام انه تزوج اخته فولدت له اسحق عليهما السلام. ثم ينسبون الى يعقوب انه تزوج الى امرأة فدست اليه اخرى ليست امرأته فولدت له اولاداً منهم انتسل موسى وهارون وداود وسليمان وغيرهم من الانبياء عليهم السلام. ثم ينسبون الى روبان بن يعقوب انه زني بربيبته (١) زوج النبى ابيه وام اخويه. ثم ينسبون الى نبيه يعقوب عليه السلام انه فسق بها كرهاً وافتضها غلبة. ثم ينسبون الى يهوذا ماذكرنا من زناه بامرأة ولديه. فحبلت وولدت من الزنا ولداً منه انتسل داود وسليمان عليهما السلام. ثم ينسبون الى يوشع بن نون انه تزوج رحب الزانية المشهورة الموقفة نفسها للزنا لكل من دب وهب فى مدينة أريحا. ثم ينسبون الى عمران بن قهث بن لاوى انه تزوج عمته اخت والده واسمها يوحانذ ولدت لجده بمصر فولد له منها هارون

(١) فى اللسان ويقال لامرأة الرجل اذا كان له ولد من غيرها ربيبه

وموسى عليهما السلام . هكذا ذكر نسبها في قرب آخر السفر الرابع . ثم ينسبون الى داود عليه السلام انه زنى جهاراً بامرأة رجل من جنده محصنة وزوجها حي . وانها ولدت منه من ذلك الزنا ابناً ذكرا ثم مات ذلك الفرخ الطيب ثم تزوجها . وهي ام سليمان ابن داود عليهما السلام . ثم ينسبون الى امثون بن داود عليهما السلام انه فسق بسرارى ابيه علانية امام الناس . ثم ينسبون الى سليمان عليه السلام العهر ، وانه تزوج نساء لايحل له زواجهن ، وانه بنى لهن بيوت الاوثان وقرب لهن القرابين للاوثان . مع ماذكرنا قبل ونذكر ان شاء الله تعالى من نسبتهم الكذب الى ابراهيم واسحق ويعقوب ويوسف عليهم السلام ولكن أين هذا مما في توراتهم من نسبتهم لعب الصراع الى الله تعالى مع يعقوب والكذب المفضوح فيما وعده واخبر به . فعلى من يصدق بشيء من كل هذا الافك لعنة الله وغضبه . فاعجبوا لعظيم كفر هؤلاء القوم وما افتراه الكفرة اسلافهم الانتان على الله تعالى وعلى رسله عليهم السلام . ثم على كل كتاب حقق فيه شيء من هذا وعلى كاتبه لعنة الله وغضبه عدد كل شيء خلق الله . فاحمدوا الله معاشر المسلمين على ماهدا كم له من الملة الزهراء التى لم يشبها تبديل ولا تحريف والحمد لله رب العالمين

(قال ابو محمد رضى الله عنه) واما الكذبة الفاحشة المفضوحة التى هي من المحال المحض والافتراء المجرد فهو ما اذكره ان شاء الله تعالي فتأملوه تروا عجباً . ذكر في توراتهم نصا ان يهوذا بن يعقوب كان مع اخوته يرعون أذوادهم اذ باعوا اخاهم يوسف . وان يهوذا اشار عليهم ببيعه واخراجه من الجب ليخلصه بذلك من الموت . ثم ذكر بعد ذلك ان يهوذا اعتزل عن اخوته وصار مع حيرة العدلامي . ورأى ابنة رجل كنعانى اسمه شوع فتزوجها وولدت له ولداً اسمه عير ثم ولداً آخر اسمه اونان ثم ولداً آخر اسمه شيلة كما ذكرنا آنفا حرفا حرفا . وذكر بعد ذلك ان عير تزوج امرأة اسمها ثامار ودخل بها وكان مذنبا . ولذلك قتله الله تعالى . فزوجها من اخيه اونان فكان يعزل عنها فمات لذلك وبقيت ارملة ليكبر شيلة وتزوج منه ، وان شيلة كبر ولم تزوج منه ، وقد اعترف بذلك يهوذا اذ قال هى اعدل منى اذ منعتها شيلة ابنى ، وذكر بعد ذلك انها تحيلت حتى زنت بيهوذا نفسه والد زوجها وحبلت منه وولدت منه توءمين فارص وزارح كما ذكرنا قبل ، ثم ذكر بعد ذلك نسل يعقوب واولاد أولاده المولودين بالشام ودخلوا معه مصر ، فذكر فيهم حصرون وحامول ابنى فارص بن يهوذا ، فاضبطوا هذا وذكر فى توراتهم ان يوسف عليه السلام اذ بلغ ست عشرة سنة كان يرعى ذودا مع اخوته عند ابيه ، وانهم باعوه ، فصح انه كان ابن سبع عشرة سنة اذ باعوه ، وهكذا ذكر فى توراتهم ، ثم ذكر فى توراتهم ان يوسف عليه السلام كان اذ دخل على فرعون وفسر له رؤياه في البقرات والسنابل وولاه امر مصر ابن ثلاثين سنة ، ثم ذكر فى توراتهم ان يوسف عليه السلام كان اذ دخل أبوه مصر مع جميع اهله ابن تسع وثلاثين سنة ، هذا منصوص فيها بلا خلاف من احد منهم ، فصح يقينا انه لم يكن بين دخول يعقوب مع نسله مصر وبين بيع يوسف الاثنان وعشرون سنة وربما اشهر يسيرة زائدة لا اقل ولا اكثر ، هذا حساب ظاهر لا يخفى على جاهل ولا عالم ، وقد

استجارك فاجره حتى يسمع كلام الله ومن المعلوم انه ماسمع الا هذا الذى نقراه وقال انه لقرآن كريم فى كتاب مكنون لا يمسه الا المطهرون تنزيل من رب العالمين وقال فى صحف مكرمة مرفوعة مطهرة بايدى سفرة كرام بررة وقال انا أنزلناه فى ليلة القدر وقال شهر رمضان الذى أنزل فيه القرآن الى غير ذلك من الآيات ومن المشبهة من مال الى مذهب الحلولية وقال يجوزان يظهر البارى تعالى بصورة شخص كما كان جبريل عليه السلام ينزل فى صورة اعرابي وقد تمثل لمريم عليها السلام بشراً سوياً وعليه حمل قول النبى ﷺ لقيت ربي فى أحسن صورة وفى التوراة عن موسى عليه السلام شافهت الله تعالى فقال لى كذا والغلاة من الشيعة مذهبهم الحلول ثم الحلول قد يكون بجزء وقد يكون بكل على ماسيأتى تفصيل مذاهبهم ان شاء الله تعالى (الكرامية) أصحاب ابى عبد الله محمد بن كرام وانما عددناه من الصفاتية فانه كان ممن يثبت الصفات الا انه ينتهى فيها الى التجسيم والتشبيه وقد ذكرنا كيفية خروجه وانتسابه الى اهل السنة وهم طوائف يبلغ عددهم الى اثنى عشر فرقة واصولها ستة العابدية والنونية والزرينية والاسحاقية والواحدية واقربهم الهيصمية ولكل واحد

ذكر في توراتهم ان في هذه المدة تزوج يهوذا بنت شوع وولدت له ولدا ثم ثانيا ثم ثالثا ، وان الاكبر بلغ فزوج زوجة ثم مات بعد دخوله بها فزوجت بعده من أخيه فكان يعزل عنها فمات وبقيت مدة حتى كبر الثالث ولم تزوج منه فزنت بيهوذا والد زوجها فولد له منها توءمان ثم ولد لاحد ذينك التوءمين ابنان ، وهذا محال ممتنع لاخفاء به لا يمكن البتة في طبيعة بشر ولا سبيل اليه في الجبلة والبنية بوجه من الوجوه ، هبك ان يهوذا اعتزل عن اخوته وتزوج بنت شوع باثر بيع يوسف بيوم وحملت زوجته وولدت له الولد الاكبر في عامها الثاني ثم الثاني في عام آخر ثم الثالث في عام ثالث ، وهبك ان الاكبر زوج وله اثنا عشر عاما من جملة اثنين وعشرين عاما وبقي معها مابقي ثم زوجت من الثاني وله اثنا عشر عاما فبقي يعزل عنها لئلا ينسب الى اخيه من يولد له منها ثم مات وبقيت تنتظر ان يكبر شيلة وتزوج منه حتى طال عليها ورأت انه قد كبر ولم تزوج منه وهذا لا يكون البتة في اقل من عام ، فهذه اربعة عشر عاما . ثم زنت بيهوذا فحملت فولدت فهذا عام او اقل بيسير فلم يبق من الاثنين وعشرين عاما الا سبعة اعوام الى ثمانية اعوام لا اكثر البتة . فمن المحال الممتنع في العقل ان يوجد لرجل ابن ثمان سنين او سبع سنين ولدان ؟ مارأيت اجهل بالحساب من الذي عمل لهم التوراة ، وحاش لله ان يكون هذا الخبر البارد الكاذب عن الله تعالى او عن موسى عليه السلام ولا عن انسان يعقل مايقول ويستحي من تعمد الكذب الفاضح ونسأل الله العافية

﴿ فصل ﴾ وبعد ذلك ذكر عدد بني يعقوب المولودين بالشام عند خاله لابان الداخلين معه مصر . فذكر الذين ولدت له ليئة . وهم ست ذكور وابنة واحدة . وذكر اولاد هؤلاء الستة وسماهم . فذكر لرأوبين اربعة ذكور . ولشمعون ستة ذكور وللاوى ثلاثة ذكور . وليهوذا ثلاثة ذكور وابني ابن له فهم خمسة . وليساخر اربعة ذكور . ولزابلون ثلاثة ذكور المجتمع من بني ليئة في نص توراتهم بعقب تسميتهم هؤلاء بنو ليئة وعدد اولادها وبناتها ثلاثة وثلاثون هكذا نص توراتهم . وهذا خطاء في الحساب تعالى الله عن ان يخطىء في الحساب او ان يخطىء فيه موسى عليه السلام . فصح انها من توليد جاهل غث او من عابث سخر بهم وكشف سوءاتهم

﴿ فصل ﴾ ثم ذكر بعد هذا اولاد راحيل . فذكر يوسف وبنيامين وبنيهما قال وهم اربعة عشر . وذكر أولاد زلفى جاد واشار وبنيهما قال وهم ستة عشر . وذكر اولاد بلهة دان ونفتالي وبنيهما قال وهم سبعة . ثم وصل ذلك بان قال وعدد نسل يعقوب الذين دخلوا معه مصر سوى نساء اولاده ستة وستون . وابنا يوسف اللذان ولدا له بمصر اثنان . فجميع الداخلين الى مصر سبعون

(قال ابو محمد رضي الله عنه) هذا خطأ فاحش لان المجتمع من الاعداد المذكورة تسعة وستون . فاذا اسقطت منهم ولدى يوسف اللذان ولدا له بمصر بقي سبعة وستون وهو يقول ستة وستون . فهذه كذبة . ثم قال فجميع الداخلين معه الى مصر سبعون . فهذه كذبة ثانية . وقد قدمنا ان الذي عمل لهم التوراة كان ضعيف البصارة بالحساب . وليست هذه صفة الله عزوجل ولا صفة من معه مسكة عقل تردعه عن الكذب وتعمده على الله تعالى وعن تكلف

منهم رأى الا انه لم يصدر ذلك عن علماء معتبرين بل عن سفهاء اغنام جاهلين فلم نفردها مذهبا واوردنا مذهب صاحب المقالة واشرنا الى مايتفرع منه نص ابو عبد الله على ان معبوده على العرش استقرارا او على انه بجهة فوق ذاتا واطلق عليه اسم الجوهر فقال في كتابه المسمى عذاب القبر انه احدى الذات احدى الجوهر وانه مماس للعرش من الصفحة العليا وجواز الانتقال والتحول والنزول ومنهم من قال انه على بعض اجزاء العرش وقال بعضهم امتلا العرش به وصار المتأخرون منهم الى انه تعالى بجهة فوق ومحاذ للعرش ثم اختلفوا فقال العابدية ان بينه وبين العرش من البعد والمسافة مالو قدر مشغولا بالجواهر لاتصلت به وقال محمد بن الهيصم ان بينه وبين العرش بعدا لا يتناهى وانه مباين للعالم بينونة ازلية ونفى التحيز والمحاذاة واثبت الفوقية والمباينة واطلق اكثرهم لفظ الجسم عليه والمقاربون منهم قالوا نعني بكونه جسما انه قائم بذاته وهذا هو حد الجسم عندهم وبنوا على هذا ان من حكم على القائمين بانفسهما ان يكونا متجاورين ومتباينين فقضى بعضهم بالتجاور مع العرش وحكم بعضهم بالتباين وربما قالوا كل موجودين فاما ان يكون احدهما بحيث الآخر كالعرض مع الجوهر واما ان يكون بجهة منه والبارى الحي وبجهة منه ليس بعرض اذ هو قائم بنفسه فيجب ان يكون

مالايحسن ولايقوم به . وذكر فى هذا الفصل قصة أخرى فيها الاعتراض الا انها تخرج على وجه مافلذلك لم نفردلها فصلا . وهى انه ذكر اولاد بنيامين فقال بالع وبا كر واشبيل واجير ونعمان وايحى وروش ومفيم وحفيم وارد . ثم ذكر فى السفر الرابع من توراتهم فذكر بالع واشبيل واجير ومفيم وحفيم فقط . ثم قال وابنا بالع ازدو نعمان ابنى بالع فان لم يكن هذا على انه لم ينسل من أولئك العشرة الاخمسة الذين ذكرهم فى الرابع وان ازدو نعمان ابنى بالع هما غير أزدو نعمان ابنى بنيامين . والافهى كذبة . وقد قلنا ان كل مايمكن تخريجه بوجه وان بعد فلسنا نخرجه فى فضائح كتابهم المكذوب .

(فصل) ثم ذكر بركة يعقوب عليه السلام على بنيه وانه وضع يده اليمنى على رأس افرايم ابن يوسف واليسرى على رأس منسى بن يوسف ، وان ذلك شق على يوسف عليه السلام ، وقال : لايحسن هذا يا أبت لان هذا بكر ولدى فاجعل يمينك على رأسه ، يعنى منسى ، فكره ذلك يعقوب وقال : علمت يابنى علمت وستكثر ذرية هذا وتعظم ، ولكن اخوه الاصغر يكون اكثر منه نسلا وعددا ، يعنى ان افرايم يكون عدد نسله اكثر من عدد نسل منسى ، ثم ذكر فى مصحف يوشع ان بنى منسى كانوا اذ دخلوا الشام وقسمت عليهم الارض اثنين وخمسين الف مقاتل وسبعمائة ، وان بنى افرايم كانوا حينئذ اثنين وثلاثين الفاً وخمسمائة ، وذكر فى كتاب لهم معظم عندهم اسمه سفطيم انه ذكر بنى اسرائيل قبل داود عليه السلام اربعة من ملوك بنى منسى واربعة من بنى افرايم ، وان من جملة بنى منسى المذكورين رجلا اسمه مفتاح بن علفاذ قتل من بنى افرايم اثنين واربعين الف مقاتل حتى كاديستأصلهم ، وفى كتاب لهم آخر معظم عندهم ايضا اسمه ملاخيم انه ملك عشرة اسباط من بنى اسرائيل بعد سليمان عليه السلام الى ان ذهب الاسباط المذكورون وسبوا من بنى افرايم ملكين كانت مدتهما جميعاً ستة وعشرين سنة فقط ، وهما باريعام وابنه باباط ووليهم من بنى منشا خمسة ملوك واتصلت دولتهم مائة عام وعامين وهم زحريابن يربعم بن يؤاش بن يهو ياحاز بن يهو كلهم ملك بن ملك بن ملك بن ملك بن ملك ، ولم يكن فيمن ملك الاسباط العشرة اقوى ملكا من هؤلاء المنشانيين ، وهذا ضد قول يعقوب الذي حكوه عنه ، وحاش لله ان يكذب نبى فيما ينذر به من الله عز وجل . فان قالوا ان يوشع بن نون وربورانسه وملحى المورشى النبى كلهم كان من بنى افرايم وكان بنو افرايم اذ أخرجوا من مصر اربعين الف مقاتل وخمسمائة مقاتل ومائتى مقاتل . وكان بنو منشا يومئذ اثنين وثلاثين الف مقاتل ومائتى مقاتل . قلنا : لم تذكروا ان يعقوب قال (يكون الشرف فى نسل افرايم) انما حكيتم انه قال ان افرايم يكون اكثر نسلا وعددا من منشا على التأبيد والعموم وايصال البركة لا على وقت خاص قليل ثم يعود الامر بخلاف ذلك فتبطل البركة ويصير المبارك مدبراً . والمدبر مباركا فى الابد

(فصل) ثم ذكر عن يعقوب عليه السلام انه قال لرأوبين فى ذلك الوقت انت اول المواهب مفضل فى الشرف مفضل فى العز ولا تفضل منهملة ماء

بجهة من العالم ثم اعلى الجهات واشرفها جهة فوق فقلنا هو بجهة فوق بالذات حتى اذا رؤى رؤى من تلك الجهة ثم لهم اختلاف في النهاية فمن المجسمة من اثبت النهاية له من ست جهات ومنهم من اثبت النهاية من جهة تحت ومنهم من انكر النهاية فقال هو عظيم ولهم فى معنى العظمة خلاف فقال بعضهم معنى عظمته انه مع وحدته على جميع اجزاء العرش والعرش تحته وهو فوق كله على الوجه الذى هو فوق جزء منه وقال بعضهم معنى عظمته انه يلاقى مع وحدته من جهة واحدة اكثر من واحد وهو يلاقى جميع اجزاء العرش وهو العلى العظيم ومن مذهبهم جميعا قيام كثير من الحوادث بذات البارى تعالى *ومن اصلهم ان مايحدث فى ذاته انما يحدث بقدرته ومايحدث مباينا لذاته فانما يحدث بواسطة الاحداث ويعنون بالاحداث الايجاد والاعدام الواقعين فى ذاته بقدرته من الاقوال والارادات ويعنون بالمحدث ماباين ذاته من الجواهر والاعراض فيفرقون بين الخلق والمخلوق والايجاد والموجود والموجد وكذلك بين الاعدام والمعدوم فالمخلوق انما يقع بالخلق والخلق يقع فى ذاته بالقدرة والمعدوم انما يصير معدوما بالاعدام الواقع في ذاته بالقدرة وزعموا ان فى ذاته سبحانه حوادث كثيرة مثل الاخبار عن الامور الماضية والآتية والكتب المنزلة على الرسل

(قال ابو محمد رضي الله عنه) هذا كلام يكذب اوله آخره

(فصل) ثم ذكر انه عليه السلام قال ليهوذا حينئذ: لاتنقطع من يهوذا المخصرة ولا من نسله قائد حتى يأتيني المبعوث الذى هو رجاء الامم

(قال ابو محمد رضى الله عنه) وهذا كذب قد انقطعت من ولد يهوذا المخصرة وانقطعت من نسله القواد ولم يأت المبعوث الذى هو رجاؤهم. وكان انقطاع الملك من ولد يهوذا من عهد بخت نصر مذ ازيد من الف عام وخمسمائة عام الا مدة يسيرة وهى مدة زربابيل بن صلتاييل فقط. وقد قررت علي هذا الفصل اعلمهم واجدلهم وهو اشموال ابن يوسف اللاوى الكاتب المعروف بابن النغرال فى سنة اربع واربعمائة فقال لى لم تزل رؤس الجواليت ينتسلون من ولد داوود وهم من بنى يهوذا وهى قيادة وملك ورياسة فقلت هذا خطأ لان رأس الجالوت لاينفذ امره علي احد من اليهود ولا من غيرهم، وانما هى تسمية لاحقيقة لها ولاله قيادة ولا بيده مخصرة، فكيف وبعد احرب بابن برام لم يكن من بنى يهوذا وال اصلا مدة من ستة اعوام، ثم بعده نشأ الملقب صدقيا بن يوشيا لم يكن منهم لأحد له معين، ولامن يملك علي أحد اثنين وسبعين عاما متصلة حتى ولى زربابيل ثم انقطع الولاة منهم جملة لا رأس جالوت ولا غيره مدة ولاة الهارونيين ملكا ملكا مئين من السنين ليس لاحد من يهوذا فى ذلك امر الى دولة المسلمين اوقبلها بيسير، فاوقعوا اسم رأس الجالوت على رجل من بنى داود الى اليوم، الا ان بعض المؤرخين القدماء ذكر ان هردوس وابنيه وابن ابنه اعريفاس بن اعريفاس كانوا من بنى يهوذا، والاظهر انهم من الروم عند كل مؤرخ، فظهر كذب هؤلاء الانذال بيقين وحاش لله ان يكذب نبى

﴿فصل﴾ ثم ذكر ان يعقوب عليه السلام قال للاوى وشمعون سأبددهما فى يعقوب وأفرقهما فى اسرائيل

(قال أبو محمد رضى الله عنه) اما لاوى فكان نسله مبددا فى بنى اسرائيل كما ذكر، واما بنو شمعون فلا، بل كانوا مجتمعين فى البلد الذى وقع لهم كسائر الاسباط ولافرق، وليس انذار النبوة مما يكذب فى قصة ويصدق فى اخري، هذه صفات انذارات الحساب القاعدين علي الطرق للنساء ولمن لاعقل له

(فصل) وقال فى السفر الثانى من توراتهم ان الله تعالى قال لموسى عليه السلام. قل لفرعون السيد يقول لاسرائيل بكر ولدى ويقول لك ائذن لولدى ليخدمنى وان كرهت الآن ساهلك بكر ولدك

(قال ابو محمد رضى الله عنه) هذا عجب ناهيك به. ليت شعرى ما ذا ينكرون علي النصارى بعد هذا؟ وهل طرق للنصارى سبيل الكفر فى ان يجعلوا لله ولداً؟ ونهج لهم طريق التثليث علي ما ذكرنا قبل هذا الا هذه الكتب الملعونة المبدلة، الا ان النصارى لم يدعوا بنوة لله تعالى الا لواحد اتى بمعجزات عظيمة، واما هذه الكتب السخيفة توكل من

عليهم السلام والقصص والوعد والوعيد والاحكام ومن ذلك التسميات والتبصرات فيما يجوز ان يسمع ويبصر والايجاد والاعدام هو القول والارادة وذلك قوله كن للشىء الذى يريد كونه وارادته لوجود ذلك الشىء وقوله للشىء كن صورتان وفسر محمد ابن الهيصم الايجاد والاعدام بالارادة والايثار قال وذلك مشروط بالقول شرعا اذ ورد فى التنزيل * انما قولنا لشىء اذا أردناه ان نقول له كن فيكون * وقوله انما امره اذا اراد شيئا ان يقول له كن فيكون * وعلى قول الاكثرين منهم الخلق عبارة عن القول والارادة ثم اختلفوا فى التفصيل فقال بعضهم لكل موجود ايجاد ولكل معدوم اعدام * وقال بعضهم ايجاد واحد يصلح لموجدين اذا كانا من جنس واحد واذا اختلف الجنس تعدد الايجاد والزم بعضهم لو افتقر كل موجود او كل جنس الى ايجاد فليفتقر كل ايجاد الى قدرة فالتزم تعدد القدرة تعدد الايجاد وقال بعضهم ايضا بتعدد القدرة بتعدد الاجناس المحدثات واكثرهم على انها تتعدد بتعدد اجناس الحوادث التى تحدث فى ذاته من الكاف والنون والارادة والتسمع والتبصر وهى خمسة اجناس ومنهم من فسر السمع والبصر بالقدرة علي التسمع والتبصر ومنهم من اثبت لله تعالى السمع والبصر ازلا والتسمعات والتبصرات

تدين

تدين بها فانهم ينسبون بنوة لله الى جميع بنى اسرائيل وهم اوسخ الامم وارذلهم ، وكفرهم اوحش وجهلهم افحش

﴿ فصل ﴾ ثم ذكر ان هارون القى العصا بين يدى فرعون وعبيده فصارت حية ، فدعى فرعون بالعلماء والسحرة وفعلوا بالرقى المصرى مثل ذلك ، ولكن عصى موسى ازدرت عصيهم * ثم ذكر ان موسى وهارون فعلا ما أمرهما السيد فرفع العصا وضرب بها ماء النهر بين يدى فرعون وعبيده فعاد دما ومات كل حوت فيه ونتن النهر ولم يجد المصريون سبيلا الى الشرب منه وصار الماء فى جميع ارض مصر دما ، ففعل مثل ذلك سحرة مصر برقاهم * ثم ذكر ان هارون مد يده على مياه مصر وخرجت الضفادع منها وغطت ارض مصر ففعل السحرة برقاهم مثل ذلك واقبلوا بالضفادع على ارض مصر ، ثم ذكر ان هارون مد يده بالعصا وضرب بها غبار الارض فتخلق منها بعوض فى الآدميين والانعام وعاد جميع الغبار بعوضا فى جميع ارض مصر ، فلم يفعل السحرة مثل ذلك برقاهم وراموا اختراع البعوض فلم يقدروا عليه ، فقال السحرة لفرعون هذا صنع الله

(قال أبو محمد رضى الله عنه) هذه الآبدة(١) المصمئلة والصيلم المطبقة ، ولو صح هذا لبطلت نبوة موسى عليه السلام بل نبوة كل نبى ، ولو قدر السحرة على شيء من جنس ما يأتى به النبى لكان باب السحرة وباب مدعى النبوة واحدا ، ولما انتفع موسى بازدراء عصاه لعصيهم ولا بعجزهم عن البعوض وقد قدروا على قلب العصى حيات وعلى اعادة الماء دما وعلى المجيء بالضفادع ولكان لموسى عليه السلام عليهم بنبوته اكثر من انه اعلم بذلك العمل منهم فقط ، ولو كان كما قال هؤلاء الكذابون الملعونون لكان فرعون صادقا فى قوله ، انه لكبيركم الذى علمكم السحر ، ولا منفعة لهم فى قول السحرة فى البعوض هذا صنع الله لانه يقال لبنى اسرائيل فعلى موجب قول السحرة لم يكن من صنع الله قلب العصا حية والماء دما والمجيء بالضفادع . بل من غير صنع الله . وهذه عظيمة تقشعر منها الجلود . أين هذا الافك المفترى البارد من نور الحق الباهر ؟ اذ يقول الله عز وجل (انما صنعوا كيد ساحر) واذ يقول تعالى (وجاء السحرة فرعون قالوا أئن لنا لأجرا ان كنا نحن الغالبين قال نعم وانكم لمن المقربين قالوا ياموسى اما ان تلقى واما أن نكون نحن الملقين قال ألقوا فلما ألقوا سحروا أعين الناس واسترهبوهم وجاؤا بسحر عظيم وأوحينا الى موسى أن ألق عصاك فاذا هى تلقف ما يأفكون فوقع الحق وبطل ما كانوا يعملون فغلبوا هنالك وانقلبوا صاغرين وألقى السحرة ساجدين قالوا آمنا برب العالمين رب موسى وهارون) واذ يقول تعالى (فاذا حبالهم وعصيهم يخيل اليه من سحرهم أنها تسعى) فاخبر عز وجل ان الذى عمل

(١) الآبدة تقدم فى الهامش قريبا انها الداهية تبقى على الدهر ، والمصمئلة الشديدة من قولهم اصمأل الشيء كاطمأن اصمئلالا اى اشتد والصيلم الأمر الشديد المستأصل ومن ذلك قولهم وقعة صيلمة اى مستأصلة اه مصححه من كتب اللغة

هى اضافة المدركات اليها وقد اثبتوا لله تعالى مشيئة قديمة متعلقة باصول المحدثات وبالحوادث التى تحدث فى ذاته واثبتوا ارادات حادثة تتعلق بتفاصيل المحدثات واجمعوا على ان الحوادث لا توجب لله تعالى وصفا ولا هى صفات له فتحدث فى ذاته هذه الحوادث من الاقوال والارادات والتسمعات والتبصرات ولا يصير بها قائلا ولا مريدا ولا سميعا ولا بصيرا ولا يصير بخلق هذه الحوادث محدثا ولا خالقا وانما هو قائل بقائليته وخالق بخالقيته ومريد بمريديته وذلك قدرته على هذه الاشياء * ومن اصلهم ان الحوادث التى يحدثها فى ذاته واجبة البقاء حتى يستحيل عدمها اذ لو جاز عليها العدم لتعاقب على ذاته الحوادث ولشارك الجوهر فى هذه القضية وايضا فلو قدر عدمها فلا يخلو اما ان يقدر عدمها بالقدرة واما باعدام يخلقه فى ذاته ولا يجوز ان يكون عدمها بالقدرة لانه يؤدى الى ثبوت المعدوم فى ذاته وشرط الموجد والمعدم ان يكونا متباينين لذاته ولو جاز وقوع معدم فى ذاته بالقدرة من غير واسطة اعدام لجاز حصول سائر المعدومات ثم يجب طرد ذلك فى الموجد حتى يجوز وقوع موجد محدث فى ذاته وذلك محال عندهم ولو فرض انعدامها بالاعدام لجاز تقدير عدم ذلك الاعدام فيتسلسل فارتكبوا لهذا التحكم استحالة عدم ما يحدث فى ذاته . ومن اصلهم ان المحدث انما يحدث فى ثانى حال ثبوت الاحداث بلا

وموسى حق . وان عصاه صارت ثعبانا على الحقيقة بقوله تعالى (فاذا هي ثعبان مبين) فصح انه تبين ذلك لكل من رآه يقيناً . واخبر ان الذى عمل السحرة انما هو افك وتخييل وكيد . وهذا هو الحق الذى تشهد به العقول لاما فى الكتاب المبدل المحرف * فصح ان فعل السحرة حيلة مموهة لا حقيقة لها ، وهذا الذي يصححه البرهان ، اذ لا يحيل الطبائع الا خالقها شهادة لرسله وانبيائه وفرقا بين الصدق والكذب ، لا قولهم عمل السحرة مثل ما عمل موسى في وقت تكليفه برهان على صدق قوله وعند تحديه لهم على ان يأتوا بمثله ان كانوا صادقين وهو كاذب فأتوا بمثله ، فانظروا النتيجة يرحمكم الله * هذه سوءة تشهد شهادة قاطعة صادقة بأن صانع ذلك الكتاب الملعون المكذوب الذى يسمونه (الحماس) ويدعون انه توراة موسى عليه السلام انما كان زنديقاً مستخفاً بالبارى تعالى ورسله وكتبه وحاش لموسى صلى الله عليه وسلم منه ، وانهم الى الآن يزعمون ان احالة الطبائع وقلب الاجناس عن صفاتها الذاتية الى اجناس أخر واختراع الامور فى المعجزات البينة يقدر على ذلك بالرقى والصناعات * وعلموا ان من صدق بهذا مبطل للنبوة بلا مرية اذ لا فرق بين النبي وغيره الا فى هذا الباب فاذا امكن لغير النبي فلم يبق الا دعوى لا برهان عليها ونعوذ بالله من الضلال * ولقد شاهدناهم متفقين الى اليوم على ان رجلا من علمائهم ببغداد دخل من بغداد الى قريظة في يوم واحد ، وانبت قرنين فى رأس رجل من بنى الاسكندرى كان ساكنا بقرب دار اليهود عند فندق الحرقة كان يؤذى يهود تلك الجهة ويسخر منهم ، وهذه كذبة وفضيحة لا نظير لها والموضع مشهور عندنا بقرطبة داخل المدينة ، وبنو عبد الواحد بن يزيد الاسكندرى من بيته رفيعة مشهورة ادركنا آخرهم . كانت فيهم وزارة وعمالة ليس فيهم مغمور (١) ولا خفى الى ان بادوا ماعرف قط احد منهم هذه الاحموقة (٢) المختلفة * والقوم بالجملة اكذب البرية اسلافهم واخلافهم . وعلى كثرة ماشاهدنا منهم ما رأيت فيهم قط متحرياً للصدق الا رجلين فقط

(فصل) (قال ابو محمد رضي الله عنه) وفي قصة قلب الماء دما فضيحة اخرى ظاهرة الكذب . وهى ان فى نص الكلام الذى يزعمونه التوراة (ثم قال السيد لموسى قل لهارون مد يدك بالعصا على مياه مصر وانهارها واوديتها ومروجها وجناتها لتعود دما وتصير ماء فى آنية التراب والخشب دما ففعل موسى وهارون كما امرهما به السيد) الى قوله وصار الماء فى جميع ارض مصر دما ففعل مثل ذلك سحرة مصر برقاهم واشتد قلب فرعون ولم يسمع لهما على حال ثم انصرف فرعون ودخل بيته ولم يوجه قلبه الى هذا ايضا وحفر جميع المصريين حوالى النهر ليصيبوا الماء منها لانهم لا يقدرون على شرب الماء من النهر

(قال ابو محمد رضى الله عنه) هذا نص كتابهم . فاخبر ان كل ماء كان بمصر فى انهارها واوديتها ومروجها وجناتها واوانى الخشب والتراب والماء كله فى جميع ارض

(١) المغمور يقابل فى اللغة المشهور (٢) والاحموقة أفعولة من الحمق وهو وضع الشئ فى غير موضعه والمختلقة المخترعة

فصل ولا اثر للاحداث فى حال بقائه * ومن اصلهم ان ما يحدث فى ذاته من الامر فينقسم الى امر التكوين وهو فعل يقع تحته المفعول والى ما ليس امر التكوين وذلك اما خبر واما امر التكليف ونهى التكليف وهى افعال من حيث دلت على القدرة ولا يقع تحتها مفعولات هذا هو تفصيل مذاهبهم فى محل الحوادث * وقد اجتهد ابن الهيصم فى ارمام مقالة ابى عبدالله فى كل مسئلة حتى ردها من المحال الفاحش الى نوع يفهم فيما بين العقلاء مثل التجسيم فانه اراد بالجسم القائم بالذات ومثل الفوقيه فانه حملها على العلو واثبت البينونة الغير المتناهية وذلك الخلاء الذى اثبته بعض الفلاسفة ومثل الاستواء فانه نفى المجاورة والمماسة والتمكن بالذات غير مسئلة محل الحوادث فانها ماقبلت المرمة فالزمها كما ذكرنا وهي من اشنع المحالات عقلا وعند القوم ان الحوادث تزيد على عدد المحدثات بكثير فيكون في ذاته اكثر من عدد المحدثات عوالم من الحوادث وذلك محال وشنيع ومما اجمعوا عليه من اثبات الصفات قولهم البارى تعالى عالم بعلم قادر بقدرة حى بحياة شاء بمشيئة وجميع هذه الصفات قديمة أزلية قائمة بذاته وربما زادوا السمع والبصر كما اثبته الاشعرى وربما زادوا اليدين والوجه صفات قائمة به وقالوا له يد لا كالايدى ووجه لا كالوجوه واثبتوا جواز

مصر صار دما . فاى ماء بقى حتى تقلبه السحرة دما كما فعل موسى وهارون ؟ أبي الله الا فضيحة الكذابين وخزيهم . فان قالوا قلبوا ماء الآبار حتى حفرها المصريون حول النهر . قلنا لهم فكيف عاش الناس بلا ماء اصلا اليس هذه فضائح مرددة وهل يخفى ان هذا من توليد ضعيف العقل او زنديق مستخف لايبالى بما أتي به من الكذب ونعوذ بالله من الضلال

(فصل) وبعد ذلك ذكر ان الله تعالى امر موسى ان يقول لفرعون (ستكون يدى على مكسبك الذى لك فى الفحوص (١) وخيلك وحميرك وجمالك وبقرك واغنامك بوباء شديد ويظهر السيد هذا فى الارض ففعل السيد ذلك فى يوم آخر وماتت جميع دواب المصريين ولم يمت لبنى اسرائيل دابة فاشتد قلب فرعون ولم يأذن لهم) ثم ذكر بعد ذلك امر الله تعالى موسى بان يأخذ ما حملت الكف من رماد الكانون ويلقيه الى السماء بين يدي فرعون ليصير غبارا فى جميع ارض مصر فيكون فى الآدميين والانعام خراجات ونفاطات فاخذ رماداً من كانون ووقف بين يدى فرعون ورماه موسى الى السماء وصارت منه نفاطات (٢) في الآدميين والانعام ولم تقدر السحرة على الوقوف عند موسى لما كان اصابهم من ألم النفاطات وكان مثل ذلك فى جميع ارض مصر والسحرة فشدد الله قلب فرعون ولم يسمع لهما على حال ماعهد السيد الى موسى * وبعد ذلك قال ان الله امر موسى ان يقول لفرعون غدا هذا الوقت أمطر بردا كثيرا جدا لم ينزل مثله على مصر من اليوم الذى أسست فيه الى هذا الوقت فابعث واجمع انعامك وكل من تملكه فى الفدان فكل ما ادركه البرد فى الفدان ولم يدخل البيوت فمن خاف وعيد السيد من عبيد فرعون ادخل عبيده وانعامه فى البيوت ومن استهان بوعيد السيد ابقى عبيده وانعامه فى الفدان * وقال السيد لموسى مد يدك الى السماء لينزل البرد فى جميع ارض مصر فمد موسى يده بالعصا فأتى السيد بالرعد والبرد المختلف على الارض ثم امطر السيد البرد فى جميع ارض مصر مخلوطا بنار ولم ينزل بعظمة فى تلك الارض من حين سكن ذلك الجنس فاهلك البرد فى جميع ارض مصر كل ماظهر به فى الفدادين من الآدميين والانعام وجميع عشبهما وكسر جميع شجرها ولم ينزل منه شىء فى ارض قوس حيث كان بنو اسرائيل

(١) فى اللسان الفحص ماستوى من الارض والجمع فحوص وقال ياقوت سألت بعض اهل الاندلس ماتعنون بالفحص فقال كل موضع يسكن سهلا كان أو جبلا بشرط ان يزرع نسميه فحصا (٢) والنفاطات بفتح النون وتشديد الفاء ماء يكون بين الجلد واللحم تطفو قروحه كالرغوة ولعله ما يعبر عنه فى الطب الحديث بالزهرى اما الخراجات فلم اعثر عليه جمعا بهذه الصيغة والذي فى كتب اللغة الخراج كصداع ورم قرح يخرج ببدن انسان او حيوان والجمع اخرجه وخرجان كاكسيه وغلمان ولعله جمعه هذا الجمع ليشاكل بينه وبين نفاطات (لمصححه)

رؤيته من جهة فوق دون سائر الجهات * وزعم ابن الهيصم ان الذى اطلقه المشبهة على الله عز وجل من الهيئة والصورة والجوف والاستدارة والوفرة والمصافحة والمعانقة ونحو ذلك لايشبه سائر ما اطلقه الكرامية من انه خلق آدم بيده وانه استوى على عرشه وانه يجيء يوم القيامة لمحاسبة الخلق وذلك انا لانعتقد من ذلك شيئاً على معنى فاسد من جارحتين وعضوين تفسيرا لليدين ولا مطابقة المكان واستقلال العرش بالرحمن تفسيرا للاستواء ولا ترددا فى الاماكن التى تحيط به تفسيرا للمجيء وانما ذهبنا فى ذلك الى اطلاق ما اطلقه القرآن فقط من غير تكييف وتشبيه وما لم يرد به القرآن والخبر فلا نطلقه كما اطلقه سائر المشبهة والمجسمة وقال البارى تعالى عالم فى الازل بما سيكون على الوجه الذى سيكون وشاء لتنفيذ علمه فى معلوماته فلا ينقلب علمه جهلا ومريد لما يخلق في الوقت الذي يخلق بارادة حادثة وقائل لكل مايحدث بقوله كن حتى يحدث وهو الفرق بين الاحداث والمحدث والخلق والمخلوق * وقال نحن نثبت القدر خيره وشره من الله تعالى وانه اراد الكائنات كلها خيرها وشرها وخلق والموجودات كلها حسنها وقبيحها ونثبت للعبد فعلا بالقدرة الحادثة تسمى ذلك كسبا والقدرة الحادثة مؤثرة فى اثبات فائدة

(قال ابو محمد رضى الله عنه) تأملوا هذا الكذب الهجين (١) اللائح * ذكر اولا ان موسى اتى بالوباء ، واخبر عن الله تعالى انه قال لفرعون ساهلك بكسبك الذى فى الفحوص وخيلك وحميرك وجمالك وبقرك واغنامك فعمم جميع الناس ما ادخل في البيوت . ومالم يدخل بهم جميع الحيوان صنفا صنفا ، ثم اخبر ان جميع دواب المصريين ماتت ولم تمت لبنى اسرائيل ولا دابة . ثم ذكر امر النفاطات . ثم ذكر امر البرد وان موسى انذر فرعون من الله تعالى وامره بادخال انعامه فى البيوت وان ما ادرك البرد منها فى الفحص يهلك فليت شعرى اى دابة بقيت لفرعون واهل مصر وقد ذكر ان الوباء اهلك جميعها ؟ وأين الابل الحمير والخيل والغنم والبقر ؟ أليس هذا عجبا ؟ وليس يمكن ان يقول ان دواب بنى اسرائيل هلكت آخرا اذ سلمت اولا ، لانه قد بين انه لم يقع من البرد شيء فى ارض قوس حيث سكنى بنى اسرائيل . ولم يكن بين آية وآية باقرارهم وقت يمكن فيه جلب انعام اليهم من بلد آخر . لانه لم يكن بين الآية والآية الا يوم او يومان او قريب من ذلك . ومصر واسعة الاعمال ولا تتصل بشيء من العمائر بل بين جميع انتهاء اقطارها من كل جهة وبين اقرب العمائر اليها مسيرة ايام كثيرة . كالشام وبلاد الغرب وارض النوبة والسودان وافريقة . فظهر كذب من عمل ذلك الكتاب المبدل المحرف المفترى الذى يزعمونه التوراة . وحاش لله من ذلك والحمد لله على السلامة من مثل عملهم وضلالهم كثيرا

(فصل) وبعد ذلك قال وكان مسكن بنى اسرائيل بمصر اربعمائة وثلاثين سنة فلما انقضت هذه السنون خرج ذلك اليوم معسكر السيد من ارض مصر

(قال ابو محمد رضى الله عنه) هذه فضيحة الدهر وشهرة الابد وقاصمة الظهر يقول هاهنا ان مسكن بنى اسرائيل بمصر اربعمائة سنة وثلاثون سنة . وقد ذكر قبل ان قاهات بن لاوي دخل مصر مع جده يعقوب ومع ابيه لاوى ومع سائر اعمامه وبنى أعمامه . وان عمر قاهات بن لاوى المذكور كان مائة سنة وثلاثة وثلاثين سنة . وان عمران بن قاهات بن لاوى المذكور كان عمره مائة سنة وسبعا وثلاثين سنة . وان موسى بن عمران بن قاهات بن لاوى المذكور كان اذ خرج ببنى اسرائيل من مصر مع نفسه ابن ثمانين سنة ، هذا كله منصوص كما ذكره فى الكتاب الذى يزعمون انه التوراة ، فهبك ان قاهات دخل مصر ابن شهر أو اقل ، وان عمران ابنه ولد بعد موته ، وان موسى بن عمران ولد بعد موت أبيه ، ليس يجتمع من كل ذلك الا ثلاثمائة عام وخمسون عاما فقط ، فاين الثمانون عاما الباقية من جملة أربعمائة سنة وثلاثين سنة * فان قالوا نضيف الى ذلك مدة بقاء يوسف بمصر قبل دخول أبيه واخوته ، قلنا قد بين فى التوراة انه كان اذ دخلها ابن سبع عشرة سنة ، وانه كان اذ دخلها ابوه واخوته ابن تسع وثلاثين سنة فاذن كان مقامه بمصر قبل ابيه واخوته اثنين وعشرين سنة ، ضمها الى ثلثمائة سنة وخمسين سنة يقوم من الجميع بلاشك ثلاثمائة واثنان وسبعون سنة . اين الثماني والخمسون الباقية من اربعمائة وثلاثين

(١) الهجين المستهجن واللائح البارز الواضح

زائدة علي كونه مفعولا مخلوقا للبارى تعالى تلك الفائدة هي مورد التكليف والمورد هو المقابل بالثواب والعقاب واتفقوا على ان العقل يحسن ويقبح قبل الشرع وتجب معرفة الله تعالى بالعقل كما قالت المعتزلة الا انهم لم يثبتوا رعاية الصلاح والاصلح واللطف عقلا كما قالت المعتزلة وقالوا الايمان هو الاقرار باللسان فقط دون التصديق بالقلب ودون سائر الاعمال وفرقوا بين تسمية المؤمن مؤمنا فيما يرجع الى احكام الظاهر والتكليف وفيما يرجع الى احكام الآخرة والجزاء فالمنافق عندهم مؤمن فى الدنيا حقيقة مستحق للعقاب الابدى فى الآخرة * وقالوا فى الامامة انها تثبت باجماع الامة دون النص والتعيين كما قال أهل السنة الا انهم قالوا يجوز عقد البيعة لامامين فى قطرين وغرضهم اثبات امامة معاوية بالشام باتفاق جماعة من الصحابة واثبات امامة أمير المؤمنين على بالمدينة والعراقين باتفاق جماعة من الصحابة ورأوا تصويب معاوية فيما استبد به من الاحكام الشرعية قتالا على طلب قتلة عثمان رضى الله عنه واستقلالا بمال بيت المال ومذهبهم الاصلى اتهام على رضى الله عنه فى الصبر على ماجرى مع عثمان رضى الله عنه والسكوت عنه وذلك عرق نزع * الخوارج * من ذلك والمرجئة والوعيدية كل من خرج على الامام الحق الذي اتفقت الجماعة عليه

سنة

سنة ؟ هذه شهرة لانظير لها ، وكذب لايخفى على احد ، وباطل يقطع بانه لايمكن البتة ان يعتقده احد في رأسه شيء من دماغ صحيح . لانه لايمكن ان يكذب الله تعالى في دقيقة . ولا ان يكذب رسوله ﷺ عامدا ولامخطئاً في دقيقة . فيقره الله تعالى على ذلك ، فكيف ؟ ولابد ان يسقط من هذه المدة سن قاهات اذ ولد له عمران ، وسن عمران اذ ولد له موسى عليه السلام ، والصحيح الذي يخرج على نصوص كتبهم ان مدة بني اسرائيل مذ دخل يعقوب وبنوه مصر الى ان خرجوا منها مع موسى عليه السلام لم تكن الامائتي عام وسبعة عشر عاما ، فهذه كذبة في مائتي عام وثلاثة عشر عاما (١) ولولم يكن في توراتهم الاهذه الكذبة وحدها لكفت في انها موضوعة مبدلة من حمار في جهله اومستخف سخر بهم ولابد

(فصل) وبعد ذلك قال وعند ذلك مجد موسى وبنو اسرائيل بهذه السورة وقالوا نمجد السيد فانه يعظم ويشرف واغرق في البحر الفرس وراكبه قوتي ومديحي للسيد وقد صار خلاصي هذا الهي امجده واله ابي اعظمه السيد قاتل كالرجل القادر وفي السفر الخامس اعلموا ان السيد الهكم الذي هو نار أكول

(قال ابو محمد رضي الله عنه) هذه سوءة من السوءات لتشبيه الله عز وجل بالرجل القادر ويخبر بانه نار * هذه مصيبة لاتجبر ، ولقد قال بعضهم : أليس الله تعالى يقول عندكم ؟ (الله نور السموات والارض) قلت نعم وقد قال رسول الله ﷺ اذ سأله ابوذر * هل رأيت ربك ؟ فقال نور أني أراه * وهذا بين ظاهر انه لم يعن النور المرئي ، لكن نور لايرى * فلاح ان معنى نور السموات والارض اذ ثبت انه ليس هو النور المرئي الملون انه الهادي لاهلهما فقط ، وان النور اسم من اسماء الله تعالى فقط ، واما قوله تعالى (مثل نوره كمشكاة فيها مصباح المصباح في زجاجة) الى قوله (ولو لم تمسسه نار) فانه شبه نوره الذي يهدي به اولياءه بالمصباح الذي ذكر فانه شبه مخلوقا بمخلوق * وبيان ذلك قوله تعالى متصلا بالكلام المذكور في الآية نفسها (نور على نور يهدي الله لنوره من يشاء) فصح ماقلناه يقينا من انه تعالى انما عنى بنوره هداه للمؤمنين فقط ، وهذا اصح تشبيه يكون لان نور هداه في ظلمة الكفر كالمصباح في ظلمة الليل

فصل — ثم وصف المن النازل عليهم من السماء فقال : وكان ابيض شبيها بزريعة الكزبر ومذاقه كالسميد المبل ، ثم قال في السفر الرابع : كان المن شبيها بزريعة الكزبر ولونه الى الصفرة وكان طعمه كطعم الخبز المعجون بالزيت

(قال ابو محمد رضي الله عنه) هذا تناقض في الصفة واللون والطعم واحدى الصفتين تكذب الاخرى بلاشك

فصل — وبعد ذلك قال ان الله عز وجل قال لبني اسرائيل لقد رأيتموني كلمتكم من السماء فلا تتخذوا معي آلهة الفضة . ثم قال بعد ذلك ثم صعد موسى وهارون وناداب وابيهو وسبعون رجلا من المشايخ ونظروا الى اله اسرائيل وتحت رجليه كلبنة من زمرد فيروزي وكسماء صافية ولم يمد الرب يده الى خيار بني

(١) اى بطرح ٢١٧ من ٤٣٠

يسمى خارجيا سواء كان الخروج في ايام الصحابة على الائمة الراشدين أو كان بعدهم على التابعين باحسان والائمة في كل زمان * والمرجئة صنف آخر تكلموا في الايمان والعمل الا انهم وافقوا الخوارج في بعض المسائل التي تتعلق بالامامة * والوعيدية داخلة في الخوارج وهم القائلون بتكفير صاحب الكبيرة وتخليده في النار فذكرنا مذاهبهم في أثناء مذاهب الخوارج *

الخوارج * اعلم ان أول من خرج على أمير المؤمنين علي ابن أبي طالب رضي الله عنه جماعة ممن كان معه في حرب صفين وأشدهم خروجا عليه ومروقا من الدين الاشعث بن قيس ومسعود بن فدكي التميمي وزيد ابن حصين الطائي حين قالوا القوم يدعوننا الى كتاب الله وأنت تدعونا الي السيف حتى قال أنا أعلم بما في كتاب الله انفروا الى بقية الاحزاب انفروا الى من يقول كذب الله ورسوله وأنتم تقولون صدق الله ورسوله قالوا لترجعن الاشتر عن قتال المسلمين والا لنفعلن بك كما فعلنا بعثمان فاضطر الى رد الاشتر بعد ان هزم الجمع وولوا مدبرين وما بقي منهم الا شرذمة قليلة فيهم حشاشة قوة فامتثل الاشتر امره وكان من امر الحكمين ان الخوارج حملوه على التحكيم اولا وكان يريد ان يبعث عبدالله بن عباس فارضى الخوارج بذلك وقالوا هو منك فحملوه على بعث ابن موسى الاشعري على ان يحكم

اسرائيل الذين نظروا الى الله واكلوا وشربوا وقال بعقربة من ذلك وكان منظر عظمة السيد كنار آكلة في قرن الجبل يراه جماعة من بني اسرائيل

(قال ابو محمد رضى الله عنه) هذا تجسيم لا شك فيه وتشبيه لاخفاء به ، وليس هذا كقول الله تعالى (وجاء ربك والملك صفا صفا) ولا كقوله تعالى (الا ان يأتيهم الله فى ظلل من الغمام والملائكة) ولا كقول رسول الله صلى الله عليه وسلم (ينزل الله تبارك وتعالى كل ليلة فى ثلث الليل الباقى الى سماء الدنيا) لان هذا كله على ظاهره بلا تكلف تأويل انما هى افعال يفعلها الله عز وجل تسمى مجيئا واتيانا وتنزلا . ولا مثل قوله تعالى (يد الله فوق ايديهم) (ويبقى وجه ربك) وسائر مافى القرآن من مثل هذا . فكله ليس بمعنى الجارحة لكن على وجوه ظاهرة فى اللغة قد بيناها فى غير هذا المكان . عمدتها ان كل ذلك خبر عن الله تعالى لايرجع بشىء من ذلك الى سواه اصلا . ثم كيف يجتمع ما ذكرنا عن توراتهم مع قوله فى السفر الخامس (كلمكم الله من وسط اللهيب فسمعتم صوته ولم تروا له شخصا) وهاتان قضيتان تكذب كل واحدة منهما الاخرى ولابد

(فصل) وبعد ذلك قال فلما أطال موسى المقام اجتمع بنو اسرائيل الى هارون وقالوا : قم واعمل لنا الها يتقدمنا فاننا لا ندرى ما اصاب موسى الرجل الذى اخرجنا من مصر فقال لهم هارون اقلعوا اقراط الذهب عن آذان نسائكم واولادكم وبناتكم وائتونى بها ففعلوا ما امرهم به واتوه بالاقراط فلما قبضها هارون افرغها وعمل لهم منها عجلا وقال هذا الهكم يابنى اسرائيل الذى اخرجكم من مصر فلما بصر بها هارون بنى مذبحا بين يدى العجل وبرح (١) مسمعا غدا عيد السيد فلما قاموا صباحا قربوا له قربانا واهدوا له هدايا وقعدت العامة تأكل وتشرب وقاموا للعب * ثم ذكر اقبال موسى وانه لما تدانى من المعسكر بصر بالعجل وجماعات تتغنى وبعد ذلك ذكر انه قال لهارون ماذا فعلت بك هذه الامة اذ جعلتم تذنبون ذنبا عظيما فقال له هارون لاتغضب سيدى فانك تعرف رأى هذه الامة فى الشر قالوا لى اعمل لنا الها يتقدمنا لاننا نجهل ما اصاب موسى الذى اخرجنا من مصر فقلت لهم من كان عنده منكم ذهب فليقبل به الى والقيته فى النار وخرج لهم منه هذا العجل فلما رأى موسى القوم قد تعروا وكان هارون قد عراهم بجهالة قلبه وصيرهم بين يدى اعدائهم عراة

(قال ابو محمد رضى الله عنه) هذا الفصل عفا (٢) على ما قبله وطم عليه ان يكون هارون وهو نبى مرسل يتعمد ان يعمل لقومه الها يعبدونه من دون الله عز وجل . وينادى عليه (غدا عيد السيد) ويبنى للعجل مذبحا ويساعدهم على تقريب القربان للعجل . ثم يجردهم ويكشف أستاههم (٣) الرقص وللغناء امام العجل الا ان تكون احق

---

(١) برح اي خرج مناديا مسمعا قومه يقول (غدا عيد السيد) يعنى العجل
(٢) من عفت الرياح الآثار اذا محتها اى محاما قبله وطم عليه اى غمر وغطى على كل مافات (٣) الاستاه كاجمال جمع است وهو العجز (لمصححه)

بكتاب الله تعالى فجرى الامر على خلاف مارضى به فلما لم يرض بذلك خرجت الخوارج عليه وقالوا لم حكمت الرجال لاحكم الا لله * وهم المارقة الذين اجتمعوا بالنهروان وكبار فرق الخوارج ستة الازارقة والنجدات والصفرية والعجاردة والاباضية والثعالبة والباقون فروعهم ويجمعهم القول بالتبرى عن عثمان وعلى ويقدمون ذلك على كل طاعة ولا يصححون المناكحات الا على ذلك ويكفرون اصحاب الكبائر ويرون الخروج على الامام اذا خالف السنة حقا واجبا (المحكمة الاولى) هم الذين خرجوا على امير المؤمنين على عليه السلام حين جرى امر الحكمين واجتمعوا بحروراء من ناحية الكوفة ورئيسهم عبد الله بن الكواء وعتاب بن الاعور وعبد الله بن وهب الراسبى وعروة بن جرير ويزيد ابن عاصم المحاربى وحرقوص بن زهير المعروف بذي الثدية وكانوا يومئذ في اثنى عشر الف رجل اهل صيام وصلاة اعنى يوم النهروان فيهم قال النبي صلى الله عليه وسلم تحقر صلاة احدكم في جنب صلاتهم وصوم احدكم في جنب صيامهم ولكن لايجاوز ايمانهم تراقيهم * وهم المارقة الذين قال فيهم سيخرج من ضئضىء هذا الرجل قوم يمرقون من الدين كما يمرق السهم من الرمية وهم الذين اولهم ذو الخويصرة

أستاه

أستاه كشفت . ان هذا لعجب نبي مرسل كافر مشرك يعمل لقومه الها من دون الله . او يكون العجل ظهر من غير ان يتعمد هارون عمله فهذه والله معجزة كمعجزات موسى ولا فرق . الا ان هذا هو الضلال والتلبيس . والاشكال والتدليس المبعد عن الله تعالى . اذ لو كان هذا لما كان موسى اولى بالتصديق من عابد العجل الملعون . أترى بعد استخفاف النذل الذى عمل لهم هذه الخرافة بالانبياء عليهم السلام استخفافا حاش لله من هذا ؟ أو ترون بعد حمق من يؤمن بان هذا من عند موسى رسول الله وكليمه عن الله تعالى حمقا . نحمد الله على العافية . اين هذا الهوس البارد والكذب المفترى من نور الحق الذى يشهد له العقل بالصحه الذى جاء به محمد رسول الله صلى الله عليه وسلم عن الله عز وجل حقا ؟ اذ يقول فى هذه القصة نفسها مالا يمكن سواه (واتخذ قوم موسى من بعده من حليهم عجلا جسدا له خوار ألم يروا انه لا يكلمهم ولا يهديهم سبيلا اتخذوه وكانوا ظالمين) وقوله عز وجل (فكذلك القى السامرى فاخرج لهم عجلا جسدا له خوار فقالوا هذا الهكم واله موسى فنسى أفلا يرون ألا يرجع اليهم قولا ولا يملك لهم ضرا ولا نفعا ولقد قال لهم هرون من قبل ياقوم انما فتنتم به وان ربكم الرحمن فاتبعونى واطيعوا امرى قالوا لن نبرح عليه عاكفين حتى يرجع الينا موسى قال ياهرون مامنعك اذ رأيتهم ضلوا ان لا تتبعن أفعصيت امرى قال يا ابن أم لا تأخذ بلحيتى ولا برأسى انى خشيت ان تقول فرقت بين بنى اسرائيل ولم ترقب قولى) وقوله (يا ابن أم ان القوم استضعفونى وكادوا يقتلوننى) فهذا هو الصدق حقا . انما عمل لهم العجل الكافر الضال السامري واما هارون فنهاهم عنه جهده وانهم عصوه وكادوا يقتلونه وقد بين (١) الصبح لذي عينين . ولاح صدق قوله تعالى من كذب الآفكين * واما الخوار فقد صح عن ابن عباس مالا يجوز سواه . وانه انما كان دوى الريح تدخل من قبله . وتخرج من دبره . وهذا هو الحق لانه تعالى أخبر انه لا يكلمهم . ولو خار من عند نفسه لكان ضربا من الكلام . ولكانت حياة فيه وهو محال . اذ لا تكون معجزة ولا احالة لغير نبى اصلا وبالله تعالى التوفيق

﴿ فصل ﴾ - وفي خلال هذه الفصول ذكر ان الله عز وجل قال لموسى دعنى اغضب عليهم واهلكهم واقدمك على أمة عظيمة ، وان موسى رغب اليه وقال له تذكر ابراهيم واسرائيل واسحاق عبيدك الذين خلقتهم بيدك وقلت لهم سأكثر ذريتكم حتى يكونوا كنجوم السماء واورثتهم جميع هذه الارض التى وعدتهم بها ويملكونها فحن السيد ولم يتم ما كان اراد انزاله من المكروه بامته

(قال ابو محمد رضى الله عنه) فى هذا الفصل عجائب * أحدها اخباره بان الله تعالى لم يتم ما أراد انزاله من المكروه بهم ، وكيف يجوز ان يريد الله عز وجل اهلاك قوم قد تقدم وعده لهم بامور ولم يتمها لهم بعد ؟ وحاش لله من ان يريد اخلاف وعده فيريد الكذب *

---

(١) قوله وقد بين الصبح لذى عينين هذا لفظ المثل ومعنى بين تبين

وآخرهم ذو الثدية وانما خروجهم فى الزمن الاول على امرين احدهما بدعتهم فى الامامة اذ جوزوا ان تكون الامامة فى غير قريش وكل من ينصبونه برأيهم وعاشر الناس على ما مثلوا له من العدل واجتناب الجور كان اماما ومن خرج عليه يجب نصب القتال معه وان غير السيرة وعدل عن الحق وجب عزله اوقتله وهم أشد الناس قولا بالقياس وجوزوا ان لا يكون فى العالم امام أصلا وان احتيج اليه فيجوز ان يكون عبداً أوحراً أو نبطياً أو قرشياً * والبدعة الثانية انهم قالوا اخطأ علي فى التحكيم اذ حكم الرجال لا حكم الا لله تعالى ، وقد كذبوا على علي عليه السلام من وجهين احدهما فى التحكيم انه حكم الرجال وليس ذلك صدقا لانهم هم الذين حملوه على التحكيم * والثاني ان تحكيم الرجال جائز فان القوم هم الحاكمون فى هذه المسئلة وهم رجال ولذا قال عليه السلام * كلمة حق اريد بها باطل * وتخطئوا عن التخطئة الى التكفير ولعنوا عليا عليه السلام فيما قاتل الناكثين والقاسطين والمارقين فقاتل الناكثين وما اغتنم أموالهم ولا سبى ذراريهم ونساءهم وقاتل مقاتلة القاسطين وما اغتنم أموالهم ولا سبى ثم رضى بالتحكيم وقاتل مقاتلة المارقين وما اغتنم أموالهم وسبى ذراريهم وطعنوا فى عثمان للاحداث التى عدوها عليه وطعنوا فى أصحاب الجمل واصحاب صفين فقاتلهم علي عليه السلام

وثانيها نسبتهم البدآء (١) الى الله عز وجل وحاش لله من ذلك ، والعجب من انكار من انكر منهم النسخ بعد هذا ، ولا نكرة فى النسخ لانه فعل من افعال الله أتبعه بفعل آخر من افعاله مما قد سبق في علمه كونه كذلك ، وهذه صفة كل ما في العالم من افعاله تعالى ، واما البدآء فمن صفات من يهم بالشيء ثم يبدو له غيره . وهذه صفة المخلوقين لا صفة من لم يزل لا يخفى عليه شيء يفعله فى المستأنف * وثالثها قوله فيها ويملكونها ، وهذا كذب ظاهر ما ملكوها الامدة ثم خرجوا عنها الى الابد والله تعالى لا يكذب ولا يخلف وعده

﴿فصل﴾ وبعد هذا ذكر ان الله تعالى قال لموسى ، اذهب واصعد من هذا الموضع انت وامتك التى اخرجت من مصر الى الارض التى وعدت بها مقسما ابراهيم واسحاق ويعقوب لاورثها نسلهم وابعث بين يديك ملكا لاخراج الكنعانيين والاموريين والحثيين والفرزيين والحويين واليبوسيين تدخل فى ارض تفيض لبناً وعسلا لست انزل معكم لانكم امة قساة الرقاب لئلا تهلكم بالطريق فلما سمعت العامة هذا الوعيد الشديد عجبت ولم تأخذ زينتها فقال السيد لموسى قل لبنى اسرائيل انتم امة قد قست رقابكم سأنزل عليكم مرة واهلككم فضعوا زينتكم لاعلم ما أفعل بكم ، وبعد ذلك بفصول قال : ان موسى قال لله تعالى ان كنت سيدى عنى راضياً فانا ارغب اليك ان تذهب معنا . وبعد ذلك : ان الله تعالى قال لموسى سأخرج بنفسي بين يديك

(قال ابو محمد رضي الله عنه) فى هذا الفصل كذبتان وتشبيه محقق اما الكذبتان (فاحدهما) قوله انه سيبعث بين يدي موسي ملكا لاخراج الاعداء ، واما هو تعالى فليس ينزل معهم ثم نزل معهم ، وهذا كذب لا مخلص منه تعالى الله عن هذا وحاش له من ان يقول سافعل ثم لا يفعل ، وان يقول لا أفعل ثم يفعل (والثانية) قوله اني سأنزل اليكم مرة وأهلككم ثم لم يفعل ، حاش لله من هذا ، واما التشبيه المحقق فامتناعه من ان ينزل بنفسه واقتصاره على ان يبعث ملكا لنصرتهم ثم اجاب الى النزول معهم ، وهذا ما لا يسوغ فيه ما يسوغ فمن حديث التنزيل من انه فعل يفعله تعالى لانه لو كان هذا لكان ارسال الملك اقوى ما يوجد فى العالم ، فاذ قد بطل فقد صح انه نزول نقلة ولابد

﴿فصل﴾ وفى خلال هذه الفصول قال : وكان السيد يكلم موسى مواجهة فما بفم كما يكلم المرء صديقه وان موسى رغب الى الله تعالي ان يراه وان الله تعالى قال له سأدخلك فى حجر وأحفظك بيمينى حتى اجتاز ثم أرفع يدي وتبصر ورائى لانك لا تقدر ان تري وجهى ، ففى هذين الفصلين تشبيه شنيع قبيح جدا من اثبات آخر بخلاف الوجه وهذا ما لا مخرج منه

(فصل) وفى السفر الثالث . ان البارى تعالى قال له : من ضاجع امرأة عمه او خاله او كشف عورة بنته فيحملان جميعا ذنوبهما ويموتان من غير اولاد

---

(١) البداء بالفتح والمد من قولهم بدا له بداء اى تغير رايه على ما كان عليه وقال ابن الاثير هو استصواب شيء علم بعد ان لم يعلم وذلك على الله غير جائز (المصحح)

بالنهروان مقاتلة شديدة فما انفلت منهم الا أقل من عشرة وما قتل من المسلمين الا أقل من عشرة فانهزم اثنان منهم الى عمان واثنان الى كرمان واثنان الى سجستان واثنان الى الجزيرة وواحد الى تل مورون باليمن وظهرت بدع الخوارج فى هذه المواضع منهم وبقيت الى اليوم واول من بويع بالامامة من الخوارج عبد الله ابن وهب الراسبى فى منزل زيد بن حصين بايعه عبد الله ابن الكوا وعروة بن جرير ويزيد ابن عاصم المحاربي وجماعة منهم وكان يمتنع عليهم تحرجا ويستقيلهم ويومىء الى غيرهم تحرزا فلم يقنعوا الا به وكان يوصف برأى ونجدة فتبرأ من الحكمين وممن رضى بقبولهما وصوب امرهما وكفروا امير المؤمنين عليا عليه السلام وقالوا انه ترك حكم الله وحكم الرجال وقيل ان اول من تلفظ بهذا رجل من بنى سعد بن زيد بن مناة ابن تميم يقال له الحجاج ابن عبيد الله يلقب بالبرك وهو الذى ضرب معاوية على أليته لما سمع بذكر الحكمين وقال أتحكم فى دين الله لا حكم الا لله نحكم بما حكم القرآن به فسمعها رجل فقال طعن والله فانفذ فسموا المحكمة بذلك * ولما سمع امير المؤمنين على عليه السلام هذه الكلمة قال كلمة عدل يراد بها جور انما يقولون لا امارة ولا بد من امارة ولا بد من امارة برة او فاجرة ويقال ان اول سيف سل من الخوارج سيف عروة (قال

(قال ابو محمد رضى الله عنه) كنا ذكرنا اننا لا نخرج عليهم من توراتهم كلاما لا يفهم معناه ، اذ للقائل ان يقول قد اصاب الله به ما أراد لكن هذا المكان لم يتخالف فيه وعدنا لانها شريعة مكلفة ملزمة . ومن المحال ان يكلف الله الناس عملا لا يفهمونه ولا يعقلون معنى الامر به

﴿ فصل ﴾ وفي السفر الرابع ذكر ان عدد بني اسرائيل الخارجين من مصر القادرين على القتال خاصة من كان ابن عشرين سنة فصاعدا كانوا ستمائة الف مقاتل وثلاثة آلاف مقاتل وخمسمائة مقاتل وخمسين مقاتل . وانه لا يدخل فى هذا العدد من كان له اقل من عشرين ولا من لا يطيق القتال ولا النساء جملة . وان عددهم اذ دخلوا الارض المقدسة ستمائة الف رجل والف رجل وسبعمائة رجل وثلاثون رجلا . لم يعد فيهم من له اقل من عشرين سنة ، وان على هؤلاء قسمت الارض المقسومة وعلى النساء وعلى من كان دون العشرين ايضا * وفى كتبهم ان داود عليه السلام احصى فى ايامه بنى اسرائيل فوجد بنى يهوذا خاصة خمسمائة الف مقاتل . ووجد التسعة الاسباط الباقية حاش بنى لاوي وبنى بنيامين فلم يحصها الف الف مقاتل غير ثلاثين الفا سوى النساء وسوى من لا يقدر على القتال من صبي او شيخ او معذور وكل هؤلاء انما كانوا فى فلسطين والاردن وبعض عمل الغور فقط والبلد المذكور بحالته كما كان لم يزد بالاتساع ولا نقص . وفى كتبهم ايضا ان ابنا ابن يربعام بن سليمان بن داود قتل من العشرة الاسباط من بنى اسرائيل خمسمائة الف رجل ، وان ابنا قتل اثنين وخمسين الف مقاتل

(قال ابو محمد رضى الله عنه) البلد المذكور باق لم ينقص ولا صغرت ارضه ، وحده باقرارهم فى الجنوب غزة وعسقلان ورحج وطرق من جبال الشراة بلد عيسو ، ولا خلاف بينهم فى انهم لم يملكوا قط قرية فما فوقها من هذه البلاد ، وانهم لم يزالوا من اول دولتهم الى آخرها محاربين مرة لبنى اسرائيل ومرارا عليهم ، وحد ذلك البلد فى الغرب البحر الشامي ، وحده فى الشمال صور وصيدا واعمال دمشق التى لا يختلفون فى انهم لم يملكوا قط منها مضرب وتد ، وانهم لم يزالوا من اول دولتهم الي آخرها محاربين لهم ، فرة عليهم ومرة لهم ، وفى اكثر ذلك يملكون بنى اسرائيل ويسومونهم سوء العذاب . ومرة يخرج بنو اسرائيل عن ملكهم فقط ، وحد البلد المذكور فى الشرق بلاد مواب وعمون وقطعة من صحراء العرب التى هى الفلوات والرمال * ولا خلاف بينهم فى ان نص توراتهم ان الله تعالى قال لموسى وبنى اسرائيل : الى هنا لا تحاربوا بنى عيسو ولا بنى مواب ولا بنى عمون فاني لم اورثكم من بلادهم وطأة قدم فما فوقها لاني قد ورثت بنى عيسو وبنى لوط هذه البلاد كما ورثت بنى اسرائيل تلك التى وعدتهم بها وانهم لم يزالوا من اول دولتهم الى آخرها يحاربونهم فرة يملكهم بنو عمون وبنو مواب ومرة يخرجون عن رقهم فقط ، وطول بلاد بنى اسرائيل المذكورة بمساحة الخلفاء المحققة من عقبة انيق وهى على اربعة وخمسين ميلا من دمشق . الى طبرية ثمانية اميال وهى جبل افرايم . الى الطور اثنى عشر ميلا . الى اللاجون اثنى عشر ميلا . الى علمين عندها

ابن اذينة وذلك انه اقبل على الاشعث فقال ما هذه الدنية يا أشعث وما هذا التحكيم أشرط أوثق من شرط الله تعالى ثم شهر السيف والاشعث تولى فضرب به عجز البغلة فشبت البغلة فنفرت اليمانية فلما رآى ذاك الاحنف مشي هو واصحابه الى الاشعث فسالوه الصفح ففعل وعروة بن أذينة نجا بعد ذلك من حرب النهروان وبقي الي ايام معاوية ثم اتى الى زياد بن ابيه ومعه مولى له فساله زياد عن ابى بكر وعمر فقال فيهما خيرا وساله عن عثمان فقال كنت اتوالى عثمان علي احواله فى خلافته ستة سنين ثم تبرأت منه بعد ذلك للاحداث التى احدثها وشهد عليه بالكفر فساله عن امير المؤمنين على كرم الله وجهه فقال اتوالاه الى ان حكم ثم أتبرأ منه بعد ذلك وشهد عليه بالكفر فساله عن معاوية فسبه سبا قبيحا ثم ساله عن نفسه فقال اولك لزنية وآخرك لدعوة وانت فيما بينهما بعد عاص ربك فامر زياد بضرب عنقه ثم دعا مولاه وقال له صف لى امره واصدق فقال أطنب ام اختصر فقال بل اختصر فقال ما أتيته بطعام فى نهار قط ولا فرشت له فراشا بليل قط هذه معاملته واجتهاده وذلك خبثه واعتقاده (الازارقة) اصحاب ابي راشد نافع بن الازرق الذين خرجوا مع نافع من البصرة الى الاهواز فغلبوا عليها وعلى كورها وما وراءها من بلدان فارس وكرمان فى ايام عبد

ينقطع عمل الاردن ومبدأ عمل فلسطين ميل واحد ، الى الرملة نحو اربعين ميلا ، الى عسقلان ثمانية عشر ميلا . وموضع الرملة هو كان آخر عمل بنى اسرائيل . فذلك ثلاثة وسبعون ميلا . وعرضه من البحر الشامى الى اول عمل جبل الشراة واول عمل مواب واول عمل عمان نحو ذلك ايضا . وعمل صغير شرقى الاردن يسمى الغور فيه مدينة بيسان يكون اقل من ثلاثين ميلا فى ثلاثين ميلا ولا يزيد ، وكان هذا العمل الذي بشرقى الاردن بزعمهم وقع لبنى روابين وبنى جاد ونصف بنى منشا بن يوسف عليه السلام لانه كان يصلح لرعى المواشي وكان هؤلاء اصحاب بقر وغنم فاعجبوا لهذا الكذب المفضوح وهذا المحال الممتنع ان تكون المسافة المذكورة تقسم ارضها على عدد يكون ابناء العشرين منهم فصاعداً خاصة ازيد من ستمائة الف فاين من دون العشرين ؟ واين النساء ؟ والـكل بزعمهم اخذ سهمه من الارض المذكورة ليعيش من زرعها وثمرتها ، واعلموا انه لا يمكن البتة ان يكون فى المساحة المذكورة على ان تكون مساحة كل قرية ميلا فى ميل مزارعها ومشاجرها الا ستة آلاف قرية ومائتا قرية ، هذا على ان يكون جميع العمل المذكور عمرانا متصلا لا مرج فيه ولا شجر ولا ارض محجرة لا تعمر ولا ارض مرملة كذلك ولا سبخة ملح كذلك ، وهذا محال ان يكون . فعلى هذا يقع لكل قرية من الرجال المذكورين مائة رجل اونحو ذلك ، سوي من هو دون العشرين بينهم ، وسوى النساء ، ولا سبيل البتة على هذا ان يدركوا فيها المعاش ، وهذا كذب لا خفاء به ، لاسيما اذ بلغوا الف الف مقاتل وخمسمائة مقاتل سوى من لا يقاتل ، وسوى النساء ، اين هذا الكذب البارد من الحق الواضح فى قول الله تعالى حاكياً عن فرعون انه قال اذ تبع بنى اسرائيل (ان هؤلاء لشرذمة قليلون) هذا الذى لا يجوز غيره ولا يمكن سواه اصلا ، وكذبة اخرى . وهي انهم ذكروا فى كتاب يوشع : ان البلد المذكور كان فيه من المدن فى سهم بنى يهوذا مائة مدينة واربعة مدن . وفى سهم بنى شمعون سبع عشرة مدينة . وفى سهم بنيامين ثمان وعشرون مدينة . وفي سهم بنى زبلون اثنى عشر مدينة . وفى سهم بنى نفتالى تسع عشرة مدينة ، وفى سهم بنى دان ثمان عشرة مدينة فذلك مائتا مدينة واثنتان وست وثلاثون مدينة ، قال فى الـكتاب المذكور سوى قراها لا يحصيها الا الله عز وجل . وذكر فيه انه وقع لنصف بنى منشا بن يوسف بشرقى الاردن باشان وعملها ، وان مدائنهم المحصنة ستون مدينة سوى قراها لا يحصيها الا الله . فالمجتمع من هذه المدن المذكورة ثلاث مائة مدينة غير اربع مدن . ولم يذكر عدد مدائن بنى روابين ولا عدد مدائن بنى جاد ولا عدد مدائن نصف بنى منشا الذي بغرب الاردن ولا مدائن بنى افرايم . وهذه الاسباط التى لم تذكر مدنها تقع على ما توجبه توراتهم فى الربع من جميع بنى اسرائيل يقع لهم على هذا الحساب نحو مائة مدينة . اذا ضمت الى العدد الذى ذكرنا فالتمام الجميع نحو اربعمائة مدينة . فاعجبوا لهذه الشهرة أن تكون البقعة التى قد ذكرنا مساحتها على قلتها وتفاهتها تكون فيها هذه المدن . وقد ذكر ان نصف سبط بنى منشا الذين وقعوا بشرقى الاردن ووقع في خطهم ستون مدينة كانوا ستة وعشرين الف رجل مقاتلين كلهم ليس فيهم ابن اقل من عشرين سنة . والعمل باق الى اليوم لعله اثنى عشر ميلا فى مثلها . ما رأيت

الله بن الزبير وقتلوا عماله بهذه النواحي وكان مع نافع من امراء الخوارج عطية بن الاسود الحنفي وعبد الله بن ماخوز واخواه عثمان والزبير وعمر بن عمير العنبرى وقطرى بن الفجاءة المازنى وعبيدة بن هلال اليشكرى واخوه محرز بن هلال وصخر بن حبنا التميمى وصالح بن مخراق العبدى وعبد ربه الكبير وعبد ربه الصغير فى زهاء ثلاثين الف فارس ممن يرى رأيهم وينخرط في سلكهم فانفذ اليه عبيد الله بن الحرث ابن نوفل النوفلى بصاحب جيشه مسلم بن عنبس بن كريز بن حبيب فقتله الخوارج وهزموا اصحابه فاخرج اليهم ايضا عثمان ابن عبد الله بن معمر التميمى فهزموه فاخرج اليهم حارثة بن بدر العتابى فى جيش كثير فهزموه وخشى اهل البصرة على انفسهم وبلدهم من الخوارج فاخرج اليهم المهلب بن ابي صفرة فبقى فى حرب الازارقة تسع عشرة سنة الى ان فرغ من امرهم فى ايام الحجاج ومات نافع قبل وقائع المهلب مع الازارقة وبايعوا بعده قطرى بن الفجاءة وسموه امير المؤمنين (وبدع الازارقة ثمانية) احداها انه كفر عليا عليه السلام وقال ان الله انزل فى شأنه * ومن الناس من يعجبك قوله فى الحياة الدنيا ويشهد الله على ما فى قلبه وهو ألد الخصام * وصوب عبد الله بن ملجم لعنه الله وقال ان الله انزل

اقل حياء من الذى كتب لهم تلك الكتب المرذولة . وسخم بها وجوههم ونعوذ بالله من الضلال

﴿ فصل ﴾ - ويتصل بهذا الفصل فصل آخر هو اشنع منه في شهرة الكذب وشنعة المحال وظهور التوليد وبشاعة الافتعال . ذكر في صدر السفر الثاني اذ ذكر خروج بني اسرائيل عن مصر مع موسى عليه السلام : ان الله تعالى امر موسى ان يعد بني اسرائيل بعد خروجهم من مصر بسنة واحدة وشهر واحد فقط . فعد جميع قبائلهم فقال : هؤلاء أكابر البيوت في قبائلهم حنوك وفلو وحصرون وكرمي وهم بنو روابين بكر ولد اسرائيل هذه قبائل روابين * وذكر في أول السفر الرابع ان مقدمهم كان اليصور بن شديئور وأن عددهم كان ستة واربعين الف رجل (١) لم يعد منهم من له اقل من عشرين سنة ولا من لا يطيق الحرب وذكر في صدر السفر الثاني فقال وبنو شمعون يموئيل ويامين وأوهد وياكين وصوحر وشاول بن الكنعانية هذه قبائل شمعون * وذكر في اول السفر الرابع ان مقدمهم كان شلوميئيل بن صوريشداى وان عددهم كان تسعة وخمسين الف رجل (٢) لم يعد فيهم من له اقل من عشرين سنة ولا من لا يطيق الحرب * وقال في صدر السفر الثاني : هذه تسمية بني لاوى في قبائلهم جرشون وقهات ومرارى وابنا جرشون لبني وشمعي في قبائلهما وبنو قهات عمرام ويصهار وحبرون وعزئيل وابنا مرارى محلي وموشى هذه انساب بني لاوى في قبائلهم فتزوج عمران يوكابد عمته فولدت له موسى وهارون وبنو يصهار قورح ونافج وذكري وبنو قورح اشير والقانة وابياساف وبنو عزئيل ميشائيل والصافان وستري فتزوج هارون الى اليشابع بنت عميناداب اخت نحشون فولدت له ناداب وابيهوا والعازار وايثامار فتزوج العازار بن هارون في بنات بني فوطيئيل فولدت فيخاس . وقال في صدر السفر الرابع : فكلم السيد موسى في مفاز سيناو قال له عد بني لاوى في بيوت آبائهم واهاليهم فكل ذكر ابن شهر فصاعدا حسبهم موسى كما عهد اليه السيد فوجد ولد لاوى على اسمائهم مسمين جرشون وقهات ومرارى وولد جرشون لبني وشمعى وولد قهات عمرام ويصهار وعزئيل وولد مرارى محلي وموشى وانه عد عامة ذكور بني جرشون ابن شهر فصاعداً فكانوا (٣) ستة آلاف وخمسمائة كانوا في ساقة القبة في الغرب تحت ايدى الياساف بن لايل . وبعد ذلك ذكر انه حسب الفى رجل وستمائة رجل وثلاثين رجلا ، ثم قال هذه نسبة قهات خرج منه رهط عمرام ويصهار وحبرون وعزئيل فحسب من كان منهم ذكرا ابن شهر فصاعدا فوجدهم ثمانية آلاف رجل وستمائة ذكر مقدمهم لصافان بن عزئيل المذكور وامرهم ان يكونوا في جنوب القبة حاشا موسي وهارون وأولادهما فانهم يكونون امام القبة في الشرق وانه حسب من كان منهم ابن ثلاثين سنة الى ابن خمسين سنة فقط فوجدهم الفى رجل وسبعمائة رجل وخمسين رجلا وذكر انه حسب بني مراري محلي وموشى بني مرارى

(١) في التوراة التي بايدينا زيادة خمسمائة رجل اه مصححه (٢) في التوراة التي بايدينا زيادة ثلاثمائة اه (مصححه) (٣) في التوراة التي بايدينا سبعة آلاف وخمسمائة اه (مصححه)

في شانه ومن الناس من يشرى نفسه ابتغاء مرضات الله وقال عمران بن حطان وهو مفتى الخوارج وزاهدها وشاعرها الاكبر في تصويبه بن ملجم لعنه الله * ياضربة من منيب ما اراد بها الا ليبلغ من ذي العرش رضوانا * اني لاذكره يوما فاحسبه * اوفى البرية عند الله ميزانا * وعلى هذه البدعة مضت الازارقة وزادوا عليه تكفير عثمان وطلحة والزبير وعائشة وعبد الله ابن عباس رضي الله عنهم وسائر المسلمين معهم وتخليدهم في النار والثانية انه كفر القعدة وهو اول ما اظهر البراءة من القعدة علي القتال وان كان موافقا علي دينه وكفر من لم يهاجر اليه والثالثة اباحته قتل اطفال المخالفين والنسوان والرابعة اسقاطه الرجم عن الزاني اذ ليس في القرآن ذكره واسقاطه حد القذف عمن قذف المحصنين من الرجال مع وجوب الحد علي قاذف المحصنات من النساء الخامسة حكمه بان اطفال المشركين في النار مع آبائهم السادسة ان التقية غير جائزة في قول ولا عمل السابعة تجويزه ان يبعث الله تعالى نبيا يعلم انه يكفر بعد نبوته او كان كافرا قبل البعثة والكبائر والصغائر اذا كانت بمثابة عنده وهي كفر وفي الامة من جوز الكبائر والصغائر على الانبياء عليهم السلام فهي كفر الثامنة اجتمعت الازارقة علي ان من ارتكب كبيرة من الكبائر

كفر كفر ملة خرج به عن الاسلام جملة ويكون مخلدا في النار مع سائر الكفار واستدلوا بكفر ابليس لعنه الله وقالوا ما ارتكب الا كبيرة حيث امر بالسجود لآدم فامتنع والا فهو عارف بوحدانيـة الله تعالي

(النجدات العـاذرية)

أصحاب نجـدة بن عامر الحنفي وقيل عاصم وكان من شأنه انه خرج من اليمامة مع عسكره يريد اللحوق بالازارقة فاستقبله ابو فديك وعطية بن الاسود الحنفي في الطائفة الذين خالفوا نافع بن الازرق فاخبروه بما أحدثه نافع من الخلاف بتكفير القعدة عنه وسائر الاحـداث والبدع وبايعوا نجدة وسموه أمير المؤمنين ثم اختلفوا على نجـدة فاكفره قوم منهم لامور نقموها عليه منها انه بعث ابنه مع جيش الى أهل القطيف فقتلوا وسـبوا نساء وقوموها على انفسهم وقالوا ان صارت قيمهن في حصصنا فذاك والا رددنا الفضل ونكحوهن قبل القسمة واكلوا من الغنيمة قبل القسمة فلما رجعوا الى نجدة واخبروه بذلك قال لم يسعكم ما فعلتم قالوا لم نعلم ان ذلك لا يسعنا فعذرهم بجهالتهم واختلف أصحابه بعد ذلك فمنهم من واقفه وعذر بالجهالة في الحكم الاجتهادي وقالوا الدين امران احدهما معرفة الله تعالى ومعرفة رسله عليهم السلام وتحريم دماء المسلمين يعنون موافقيهم والاقرار بما جاء من عند الله جملة فهذا واجب على الجميع والجهل به

ومن كان منهم ابن شهر فصاعدا من الذكور فوجدهم ستة آلاف ومائتين مقدمهم صوريئيل ابن أبيحايل وامرهم ان يكونوا في شمال القبة وانه حسب من كان منهم ابن ثلاثين سنة فصاعدا الى خمسين سنة فوجدهم ثلاثة آلاف رجل ومائتي رجل وبعد اذ ذكر من كان من بني لاوى ابن شهر فصاعدا من الذكور كما اوردنا ، قال : فجميع اللاويين الذين حسب موسى وهارون من كل ذكر من ابن شهر فصاعدا اثنان وعشرون الفا * وان السيد اوحى الى موسى احسب بكور ذكور ولد اسرائيل الذكور من ابن شهر فصاعداً وأخذ لي اللاويين عن بكور جميع ولد اسرائيل فعد موسى بكور ولد بني اسرائيل الذكور من ابن فصاعدا فوجدهم اثنين وعشرين الفا ومائتين وثلاثة وسبعين ، فقال السيد لموسي : خذ بني لاوى عن بكور ذكور ولد اسرائيل ليكون بنو لاوى لي وعن المائتين والثلاثة والسبعين الزائدين عن عدد بني لاوى تأخذ عن كل واحد خمسة أشقال (١) بوزن الهيكل فأخذ موسى دراهم الزائدين فبلغت الفا وثلاثمائة وخمسة وستين شقلا واعطاها لهارون وولده على ما عهد عليه السيد * ثم ذكر في سفر يوشع ان العازار بن هارون بنفسه اتى الى يوشع بن نون اذ افتتحت الارض المقدسة وكلمه في ان يعطى بني لاوى مدائن للسكنى ففعل ، وانه وقع لبني هارون خاصة ثلاث عشرة مدينة من مدائن بني يهوذا وبنيامين وشمعون ، وانه وقع لسائر بني قاهاث ابن لاوى عشر مدائن بني دان وبني افرايم ونصف سبط منشا الذين مع سائر الاسباط ، وانه وقع لبني جرشون بن لاوى ثلاث عشرة مدينة من مدائن يساخر واشار ونفتالي ونصف سبط منشا الذي بشرقي الاردن ، وانه وقع لبني مراري بن لاوى ثنتى عشرة مدينة من مدائن بني زابلون وبني راوبين وجاد ابن يعقوب بشرقي الاردن فذلك لبني لاوى ثمان واربعون مدينة ، وذكر في السفر الرابع انه احصي ايضا بني جاد ابن يعقوب الرجال خاصة من كان منهم ابن عشرين سنة فصاعدا المبارزين للحرب فوجدهم خمسة واربعين الف رجل وخمسين رجلا مقدمهم الياساف بن رعوئيل * وانه احصى بني يهوذا الذكور خاصة من كان منهم ابن عشرين سنة فصاعدا المبارزين للحرب خاصة فوجدهم اربعة وسبعين الفا وستمائة رجل ، وقد ذكر قبل وبعد ان هذا العدد كله اتمام من ولد شيلة وفارص وزارح بني يهوذا فقط مقدمهم نحشون بن عميناداب ابن ارام بن حصرون ابن فارص بن يهوذا بن اسراءيل * وانه احصى بني يساخر الذكور خاصة من كان منهم ابن عشرين سنة فصاعدا المبارزين للحرب خاصة ، فوجدهم اربعة وخمسين الف رجل واربعمائة رجل مقدمهم نثنائيل بن صوغر ، وانه احصى بني زبلون الذكور خاصة من كان منهم ابن عشرين سنة فصاعدا المبارزين للحرب خاصة ، فوجدهم سبعة وخمسين الف رجل واربعمائة رجل مقدمهم الياب بن حيلون ، وانه حسب بني يوسف عليه السلام الذكور خاصة من كان منهم ابن عشرين فصاعدا المبارزين للحرب خاصـة ، فوجـدهم اثنين وسبعين الف رجل وسبعمائة رجل ، منهم من ولد افرايم بن

(١) الاشقال جميع شقل بفتح فسكون وفي اللسان عن ابن الاعرابي الشقل الوزن يقال اشقل لي هذا الدينار اي زنه

يوسف

لا يعذر فيه والثاني ماسوى ذلك فالناس معذورون فيه الى ان تقوم عليهم (١٣١) الحجة فى الحلال والحرام قالوا ومن
خاف العذاب على المجتهد المخطئ فى الاحكام قبل قيام الحجة عليه فهو كافر واستحل نجدة بن عامر دماء أهل العهد والذمه وأموالهم على دار التقية وحكم بالبراءة ممن حرمها قال واصحاب الحدود من موافقيه لعل الله تعالى يعفوا عنهم وان عذبهم ففى غير النار ثم يدخلهم الجنة فلا تجوز البراءة عنهم وقال من نظر نظرة أو كذب كذبة صغيرة واصر عليها فهو مشرك ومن زنا وشرب وسرق غير مصر عليه فهو غير مشرك وغلظ على الناس فى حد الخمر تغليظا شديدا ولما كاتب عبدالملك بن مروان واعطاه الرضا نقم عليه أصحابه فيه فاستتابوه فاظهر التوبة فتركوا النقمة عليه والتعرض له وندمت طائفة على هذه الاستتابة وقالوا اخطأنا وما كان لنا ان نستتيب الامام وما كان له ان يستتيب باستتابتنا اياه فتابوا عن ذلك واظهروا الخطأ وقالوا له تب عن توبتك والا نابذناك فتاب من توبته وفارقه ابو فديك وعطية ووثب عليه ابو فديك فقتله ثم برئ ابو فديك من عطية وعطية من ابى فديك وانفذ عبدالملك بن مروان معمر ابن عبدالله ابن معمر الى حرب ابى فديك فحاربه اياما فقتله ولحق عطية بارض سجستان ويقال لاصحابه العطوية ومن أصحابه

يوسف اربعون الف رجل وخمسمائة رجل ، ومقدمهم اليشمع بن عميهود ، ومن ولد منشا بن يوسف اثنان وثلاثون الف رجل ومائتا رجل ، مقدمهم جمليئيل بن فدهصور ، وانه حسب بنى بنيامين الذكور خاصة من كان منهم ابن عشرين سنة فصاعدا المبارزين للحرب خاصة ، فكانوا خمسة وثلاثين الف رجل واربعمائة رجل ، مقدمهم ابيدن بن جدعونى ، وانه حسب بنى دان الذكور خاصة من كان منهم ابن عشرين فصاعدا من المبارزين للحرب خاصة ، فكانوا اثنين وستين الف رجل وسبعمائة رجل ، مقدمهم اخيعزر بن عميشداي ، وكلهم من ولد حوشيم بن دان ، وانه حسب بنى اشير الذكور خاصة من كان منهم ابن عشرين فصاعدا من المبارزين للحرب خاصة ، فوجدهم احدا واربعين الف رجل وخمسمائة رجل ، مقدمهم فجعيئيل ابن عكرن ، وانه حسب بنى نفتالى من كان منهم من الذكور خاصة ابن عشرين فصاعدا المبارزين للحرب خاصة ، فوجدهم ثلاثة وخمسين الف رجل واربعمائة رجل ، مقدمهم اخيرع ابن عينن ، وان هذا الحساب كان بعد عام واحد وشهر واحد من خروجهم من مصر حاشا قسمة المدائن المذكورة ، وانها بعد دخولهم فلسطين والاردن * فليتأمل كل ذى تمييز صحيح من الخاصة والعامه هذا الكذب الفاحش الذى لاخفاء به ، والمحال الممتنع والجهل المفرط الموجب كل ذلك ضرورة انها كتب محرفة مبدلة من تحريف فاسق سخربهم ، وانها لا تمكن البتة ان تكون من عند الله ولا من عند نبى ولا من عمل صادق اللهجة * فمن ذلك اخباره بان رجال بنى دان كانوا اذ خرجوا من مصر اثنين وسبعين الفاً وسبعمائة رجل ، لم يعد فيهم من كان منهم ابن اقل من عشرين سنة ، ولا من لا يطيق البروز للحرب ولا النساء ، وانهم كلهم راجعون الى حوشيم بن دان وحده ، ولم يكن لدان باقرارهم ولد غير حوشيم مع قرب انسابهم من حوشيم ، لان فى نص توراتهم ان الله تعالى قال لابراهيم عليه السلام ان الجيل الرابع من الاولاد يرجعون الى الشام فاضبطوا هذا يظهر لكم الكذب علانية لا خفاء به ، وان بنى يهوذا كانوا اربعة وسبعين الفا وستمائة رجل ليس يعد فيهم من له أقل من عشرين سنة ، وكلهم راجعون كما ذكرنا الى ثلاثة اولاد ليهوذا لم يعقب له غيرهم ، وفى الحياة يومئذ رئيسهم نحشون بن عميناداب بن رام ابن حصرون بن فارص ابن يهوذا وان بنى يوسف عليه السلام كانوا اثنين وسبعين الف رجل وسبعمائة رجل ليس يعد فيهم من له اقل من عشرين سنة ، وكلهم راجع الى افرايم ومنشا لم يعقب ليوسف غيرهما ، وفيهم يومئذ فى الحياة صلفحد بن حافر بن جلعاد بن منشا بن يوسف عليه السلام ، وقد ذكر ايضا فى توراتهم اولاد افرايم فلم يجعل له الا ثلاثة ذكور ، ولم يجعل لمنشا الا ولدين ، وذكر اولاد جلعاد المذكور بن منشا ولم يجعل له الا ستة ذكور فقط * فاجعلوا لمنشا وافرايم اقصى ما يمكن ان يكون للرجل من الاولاد ثم لجلعاد واخوته وبنى عمه مثل ذلك ، ثم لحافر وطبقته مثل ذلك ، وانظروا هل يمكن ان يبلغ ذلك ثلث هذا العدد ، والامر فى ولد دان اشنع من سائر ما فى ولد اخوته وان كان الكذب فى كل ذلك فاحشا ، لان البضع والسبعين الف رجل وزيادة لم يعد فيهم ابن اقل من عشرين

سنة يرجعون الى ثلاثة من ولد يهوذا واثنين من ولد يوسف ، وأما الاثنان وستون الف رجل ونيف لا يعد فيهم ابن اقل من عشرين سنة فانما يرجع الى واحد فقط لم يكن لدان غيره بلا خلاف منهم ، فكيف اذا اضيف الي هذا العدد من له اقل من عشرين سنة من الرجال ؟ والاغلب انهم قريب من عدد المتجاوزين عشرين سنة او اقل بيسير وجميع النساء والاغلب انهن فى عدد الرجال او قريباً من ذلك ، فيجتمع من ولد حوشيم ابن دان وحده فى مدة مائتى عام وسبعة عشر عاما نحو مائة الف وستين ألف انسان ، هذا المحال الممتنع الذى لم يكن قط فى العالم علي حسب بنيته . ويجتمع من ولد يوسف عليه السلام علي هذا ارجح من مائتى الف انسان . ومن ولد يهوذا نحو ذلك وليس يمكنهم ان يقولوا ان الطبقات من الولادات كانت كثيرة جدا لوجهين (احدهما) قوله فى توراتهم ان الجيل الرابع من الاولاد يرجعون الى الشام (والثاني) ان الذى ذكر انسابهم من بنى لاوى وبنى يهوذا وبنى يوسف وبنى رؤابين كانوا متقاربين فى التعداد كموسى وهارون ومريم بنى عمران بن قاهات بن لاوى بن اسرائيل واليصافان بن عزيئيل بن قاهات بن لاوى بن اسرائيل وقورح واخواته بنو يصهار بن قاهات بن لاوى بن اسرائيل ونحشون واخواته بنو عميناداب ابن ارام بن حصرون بن فارص بن يهوذا بن اسرائيل واحار بن كرمى بن سيداى بن شيلة بن يهوذا بن اسرائيل ودابان وابيرام ابنا الياب بن ملوكن بن روبان بن اسرائيل واخوتهم واولادهم واولاد اولادهم ، هذا نص ذكر انسابهم فى توراتهم ، فوضح ان الامر متقارب فى تعدادهم وظهر بهذا عظيم الكذب الفاحش في الاعداد التى ذكروا ، ولا يمكنهم البتة ان يقولوا انه كان لاسرائيل غير من سمينا من الاولاد الاثنى عشر ، ولانه كان لاولاد اسرائيل المذكورين غير من سمينا من الاولاد وعددهم احد وخمسون رجلا فقط ، لبنيامين عشرة . ولجادا سبعة ولشمعون ستة . ولرؤابين واشير وليساخر ونفتالى لكل واحد منهم اربعة اربعة . وليهوذا وللاوى وزبلون لكل واحد منهم ثلاثة ثلاثة . وليوسف اثنان ولدان وواحد فيا للناس كيف يمكن ان يتناسل من ولادة واحد وخمسين رجلا فقط في مدة مائتى عام وسبعة عشر عاما فقط ازيد من الفى الف انسان ؟ هذا غاية المحال الممتنع . لانه نص فى توراتهم انه انتسل منهم ستماية الف وثلاثة آلاف رجال كلهم لم يعد فيهم ابن اقل من عشرين سنة . ولعل من دون العشرين عاما منهم يقاربون هذا العدد . ثم النساء ولعلهن نحو هذا العدد . فاعجبوا لهذا الفضائح . وقد رام بعض من صككت وجهه من علمائهم بهذه الفضيحة ان يلوذ بهذا الشغب . فقلت دع عنك هذا التمويه فقد سدت عليك توراتك كل المذاهب . لان فيها بعلمك حيث ذكر خروجهم من مصر وحيث ذكر دخولهم الى الشام وحيث ذكر قسمة الارض عليهم فى سفر يوشع ذكر اتخاذ قبائلهم وتسمية اسباطهم اسما اسما . فلم تزد علي من سمينا ولا واحدا . فلو كان ما تقول لكانت ايضاً قد كذبت فى هذا الموضع اذ ذكرت بزعمك هذا قسمة الارض ورتبة الجيوش واعداد الاسباط بخلاف ماتزعم . فلابد فيها من الكذب المتيقن كيفما تصرفت الحال فسكت خاسئاً * فان قيل الم يقل يعقوب اذ عرض عليه يوسف ابنه افرايم ومنشا فقال له يعقوب افرايم ومنشا يكونان لى وينسبان الى

وحكى الكعبي عن النجدات ان التقية جائزة فى القول والعمل كله وان كان فى قتل النفس قال واجمعت النجدات على انه لا حاجة للناس الى امام قط وانما عليهم ان يتناصفوا فيما بينهم فان رأوا ان ذلك لا يتم الا بامام يحملهم عليه فاقاموه جاز ثم افترقوا بعد نجدة الى عطوية وفديكية وبرئ كل واحد منهما عن صاحبه بعد قتل نجدة وصارت الدار لابى فديك الا من تولى نجدة واهل سجستان وخراسان وكرمان وقهستان من الخوارج علي مذهب عطية وقيل كان نجدة بن عامر ونافع بن الازرق قد اجتمعا بمكة مع الخوارج علي ابن الزبير ثم تفرقا عنه فاختلف نافع ونجدة ونجدة فصار نافع الى البصرة ونجدة الى اليمامة وكان سبب اختلافهما ان نافعاً قال التقية لا تحل والقعود عن القتال كفر واحتج بقول الله تعالى اذا فريق منهم يخشون الناس كخشية الله وبقوله تعالي يقاتلون فى سبيل الله ولا يخافون لومة لائم وخالفه نجدة وقال التقية جائزة واحتج بقوله تعالى الا ان تتقوا منهم تقاة ومن
وبقوله تعالى وقال رجل مؤمن من آل فرعون يكتم ايمانه وقال القعود جائز والجهاد اذا أمكنه افضل (وفضل الله

المجاهدين على القاعدين أجراً عظيماً) وقال نافع هذا في اصحاب النبي ﷺ حين كانوا مقهورين وأما في غيرهم

ومن ولدك بعدهما ينسبان اليك * قلنا لايخلو يوسف عليه السلام من ان لايكون له ولد غيرهما ممن اعقب خاصة كما نقول نحن وتشهد به نصوص توراتكم وجميع كتبكم . أو يكون ليوسف ولد أعقب غير افرايم ومنشا فلو كان ذلك فكتبكم كلها كاذبة أولها عن آخرها من التوراة فما وراءها . لانه في كل مكان ذكر فيه رتبة معسكر الاسباط سبطاً سبطاً . وعددهم اذ خرجوا من مصر . وعددهم اذ دخلوا الشام . وعددهم اذ أهدوا الكباش والعجول وحقاق الذهب . وعددهم اذ وقفوا على الجبلين للبركة واللعنة . وعددهم اذ نقشت اسماؤهم في الفصوص المرتبة على صدر هارون في ازيد من الف موضع في سائر كتبهم . ولم يذكر ليوسف الاسبطين فقط سبط منشا وسبط افرايم فبطل الاعتراض بذلك الكلام المذكور وبالله التوفيق * وقد علم كل من يميز من الرجال والنساء ان الكثرة الخارجة من الاولاد لم توجد في العالم . لصعوبة الامر في تربية اطفال الناس ولكون الاسقاط في الحوامل . ولابطاء حمل المرأة بين بطن وبطن . ولكثرة الموت في الاطفال . فهذه اربع عوارض قواطع دون الكثرة الخارجية في الاولاد للناس . ثم كون الاناث في الولادات ايضا . ولو طلبنا ان نعد من عاش له عشرون ولداً فصاعدا من الذكور وبلغوا الحلم فما وجدناهم الا في الندرة ثم في القليل من الملوك وذوي اليسار المفرط الذين تنطلق ايديهم على الكثير من النساء والاماء . ثم على الخدام اللواتي هن العون على التربية والكفاية . وعلى كثرة المال الذي لايكون المعاش الا به ، واما من لايجد الا الكفاف وفوقه مما لايبلغ الاكثار من الوفر ولايقدر الا على المرأة والمرأتين ونحو ذلك ، فلا يوجد هذا فيهم البتة بوجه من الوجوه ، ولايمكن ذلك اصلاً لهم لما ذكرنا آنفاً من القواطع الموانع ، وقد شاهدنا الناس وبلغتنا اخبار أهل البلاد البعيدة وكثر بحثنا عما غاب عنا منا ووصلت الينا التواريخ الكثيرة المجموعة في اخبار من سلف من عرب وعجم في كثير من الامم ، فما وجدنا في ذلك المعهود من عدد أولاد الذكور في المكثرين الذين يتحدث بهم عند كثرة الولد الا من أربعة عشر ذكراً فاقل ، واما مازاد الى العشرين فنادر جدا هذه الحال في جميع بلاد أهل الاسلام ، والذي بلغنا عن ممالك النصارى الى أرض الروم وممالك الصقالبة والترك والهند والسودان قديماً وحديثاً ، واما الثلاثون فاكثر فما بلغنا ذلك الاعن نفر يسير ممن سلف * منهم انس بن مالك الانصاري وخليفة بن ابي السعدي ، وابو بكرة ، فان هؤلاء لم يموتوا حتى مشى بين يدي كل واحد منهم مائة ذكر من ولده ، وعبد الملك فانه كان يركب معه ستون رجلا من ولده ، وجعفر بن سليمان بن علي بن عبدالله ، وعمر بن ابن العباس فانه عاش له أربعون ذكراً من ولده سوى ابنائهم ، وعبد الرحمن بن الحكم ابن هشام بن عبد الرحمن بن معاوية فانه ولد له خمسة واربعون ذكراً عاش منهم نيف وثلاثون ، وموسى ابن ابراهيم بن موسى بن جعفر محمد بن علي بن الحسين بن علي ابن ابي طالب فانه بلغ له منهم مبلغ الرجال واحد وثلاثون ابناً ذكوراً كلهم ، وكان ابوه اميراً على اليمن مرة قائماً ومرة والياً للمأمون ، ووصيف مولى المعتصم التركي كان له خمسة وخمسون ذكراً بالغون من ولده الادنين ، وتامرت مولى بني مناد صاحب طرابلس

مع الامكان فالقعدة كفر لقوله تعالى (وقعد الذين كذبوا الله ورسوله) (البيهسية) اصحاب أبي بيهس الهيصم بن جابر وهو احد بني سعد بن ضبيعة وقد كان الحجاج طلبه أيام الوليد فهرب الى المدينة فطلبه بها عثمان بن حبان المزني فظفر به وحبسه وكان يسامره الى ان ورد كتاب الوليد بان يقطع يديه ورجليه ثم يقتله ففعل به ذلك وكفر ابو بيهس ابراهيم وميمون في اختلافهما في بيع الامة وكذلك كفر الواقفية وزعم انه لايسلم احد حتى يقر بمعرفة الله تعالى ومعرفة رسله ومعرفة ماجاء به النبي ﷺ والولاية لاولياء الله تعالى والبراءة من اعداء الله فمن جملة ماورد به الشرع مما حرم الله وجاء به الوعيد فلا يسعه الا معرفته بعينه وتفسيره والاحتراز عنه ومنه ماينبغي ان يعرفه باسمه ولايضر ان لايعرفه بتفسيره حتى يبتلى به وعليه أن يقف عندما لا يعلم ولا يأتي بشيء الا بعلم * وبرىء أبو بيهس عن الواقفية لقولهم انا نقف فيمن واقع الحرام وهو لايعلم أحلال واقع أم حرام قال كان من حقه أن يعلم ذلك * والايمان هو أن يعلم كل حق من باطل وان الايمان هو العلم بالقلب دون القول والعمل * ويحكى عنه انه قال الايمان هو الاقرار والعلم وليس هو أحد الامرين دون الآخر وعامة

فانه كان يركب ومعه ثمانون ذكراً من أولاده الادنين ، الا ان هذا كان يغتصب كل امرأة اعجبته من أمة او حرة ويولدها . ورجل من ملوك البربر من بنى دمر معتزلى كان يركب معه مائتا فارس من ولده وولد ولده ، وتميم بن زيد بن يزيد بن يعلى بن محمد العرنى فانه بلغنا انه كان له نيف وخمسون ذكرا بالغون . وكان ملك بنى نفر ممن ملك بلاداً عظيمة وابو الهار بن زيرى بن منكاد فكان يركب معه ثلاثون ذكراً من ولده الادنين . ومرزوق ابن اشكر بن الشنرى بجهة لارده فكان يركب معه ثلاثون فارساً من ولده الادنين . وبلغنا عن ملك من ملوك الهند انه كان له ثمانون ولدا ذكورا بالغون * وتذكر اليهود فى تواريخهم ان رئيسا كان يدبر امرهم كلهم يسمى جدعون ابن بواش من بنى منشا بن يوسف عليه السلام كان له سبعون ولدا ذكورا ، وان آخر منهم ايضا من سبط منشا يسمى بابين بن جلعاد كان له اثنان وثلاثون ولدا ذكورا ، وآخر من مدبريهم اسمه عبدون بن هلال من بنى افرايم بن يوسف كان له اربعون ابناً ذكوراً بالغون ، وآخر من مدبريهم من سبط يهوذا اسمه افصان من سكان بيت لحم كان له ثلاثون زوجة وثلاثون ابناً ذكوراً وثلاثون بنتاً ، وتزعم الفرس ان جودرز الملك على كرمان كان له تسعون ابناً ذكورا بالغون فاذا كانت هذه الصفة لم نجدها منذ نحو ثلاثة آلاف عام الا فى اقل من عشرين انساناً فى مشارق الارض ومغاربها فى الامم السالفة والخالفة ممن علت حاله وامتد عمره وكثرت امواله وعياله ، فكيف يتأتى من هذا العدد مالم يسمع بمثله قط فى الدهر لافى نادر ولا فى شاذ لبنى اسرائيل كافة بمصر ؟ وحالهم فيها معروفة مشهورة لا يقدر احد على انكارها ، وهى انهم كانوا فى حياة يوسف عليه السلام فى كفاف من العيش اصحاب غنم فقط ، ولم يكونوا فى يسار فائض ، ثم كانوا بعد موت يوسف واخوته عليه السلام فى فاقة عظيمة ، وعذاب ونصب ، وسخرة متصلة ، وذل راتب ، وبلاء دائب ، وتعب زاهق ، يكاد يقطع عن الشبع ، فكيف عن الاتساع فى العيال والأشر فى الاستكثار من الولد ؟ فهذه كذبة عظيمة مطبقة فاضحة * وثانية . وهى ان فى توراتهم انهم كانوا ساكنين فى أرض قوس فقط وان معاشهم كان من المواشى فقط * وذكر فى توراتهم انهم اذ خرجوا من مصر خرجوا بجميع مواشيهم * فاعجبوا أيها السامعون وتفكروا ما الذى يكفى ستمائة الف وثلاثة آلاف لم يعد فيهم بن أقل من عشرين سنة سوى النساء للقوت والكسوة من المواشى ، ثم اعلموا يقينا ان أرض مصر كلها تضيق عن مسرح هذا المقدار من المواشى ، فكيف أرض قوس وحدها ؟ وهم يقولون فى توراتهم ان ابراهيم ولوطا عليهما السلام لم يحمل كثرة مواشيهم أرض واحدة ، ولا أمكنهما أن يسكنا معا ، فكيف بمواش تقوم بأزيد من الف الف وخمسمائة الف انسان ؟ لقد كان الذى عمل لهم هذه الكتب الملعونة المكذوبة ضعيف العقل قليل الفكرة فيما يطلق به قلمه ، فهذه كذبة فاحشة ثانية عظيمة جدا * وثالثة . انه ذكر فى توراتهم انهم كانوا كلهم يسخرون فى عمل (الطوب (١)) ، وتالله ان ستمائة الف طواب لكثير جدا ، لا سيما فى قوس وحدها ، وليس يمكنهم أن يقولوا انهم كانوا متفرقين . فان توراتهم تقول غير هذا

(١) فى صحاح الجوهرى الطوب الآجر بلغة أهل مصر

البيهسية على أن العلم والاقرار والعمل كله ايمان وذهب قوم منهم الى أن مايحرم سوى مافى قوله تعالى (قل لا أجد فيما أوحى الى محرما على طاعم يطعمه) وما سوى ذلك فكله حلال * ومن البيهسية قوم يقال لهم العونية وهم فرقتان فرقة تقول من رجع الى دار الهجرة الى القعود برئنا منه * وفرقة تقول بل نتولاهم لانهم رجعوا الى أمر كان حلالا لهم والفرقتان اجتمعتا على ان الامام اذ كفر كفرت الرعية الغائب منهم والشاهد * ومن البيهسية صنف يقال لهم اصحاب التفسير زعموا ان من شهد من المسلمين شهادة اخذ بتفسيرها وكيفيتها * وصنف يقال لهم اصحاب السؤال قالوا ان الرجل يكون مسلماً اذا شهد الشهادتين وتبرأ وتولى وآمن بما جاء من عند الله جملة وان لم يعلم فيسأل ماافترض الله عليه ولا يضره ان لا يعلم حتى يبتلى به فيسأل وان واقع حراما لم يعلم تحريمه فقد كفر * وقالوا فى الاطفال بقول الثعلبية ان اطفال المؤمنين مؤمنون واطفال الكافرين كافرون ووافقوا القدرية فى القدر وقالوا ان الله تعالى فوض الى العباد فليس لله فى اعمال العباد مشيئة فبرئت منهم عامة البيهسية * وقال بعض البيهسية ان واقع الرجل ونخبر
حراماً لم يحكم بكفره حتى يرفع امره الى الامام والوالى ويحده وكل ماليس فيه حد فهو مغفور * وقال بعضهم ان السكر اذا

كان من شراب حلال فلا يؤاخذ صاحبه بما قال فيه وفعل. قالت العونية السكر كفر ولا يشهدون انه كفر مالم ينضم اليه كبيرة اخري من ترك الصلاة او قذف المحصن * ومن الخوارج اصحاب صالح بن مسرح ولم يبلغنا عنه انه احدث قولاً تميز به عن أصحابه خرج على بشر بن مروان فبعث اليه بشر بن الحارث ابن عميرة او الاشعث بن عميرة الهمداني انفذه الحجاج لقتاله فاصابت صالح جراحة فى قصر جلولا فاستخلف مكانه شبيب ابن يزيد الشيباني ويكنى ابا الضحارى وهو الذى غلب على الكوفة وقتل من جيش الحجاج اربعة وعشرين اميراً امراء الجيوش ثم انهزم الى الاهواز وغرق فى نهر الاهواز وذكر اليمان ان الشبيبية يسمون مرجئة الخوارج لما ذهبوا اليه من الوقف فى امر صالح ويحكى عنه انه بريء منه وفارقه ثم خرج يدعى الامامة لنفسه ومذهب شبيب ما ذكرناه من مذهب البيهسية الا ان شوكته وقوته ومقاماته مع المخالفين مالم يكن لخارج من الخوارج وقصته مذكورة فى التواريخ (العجاردة) اصحاب عبد الكريم بن عجرد وافق النجدات فى بدعهم * وقيل انه كان من أصحاب أبي بيهس ثم خالفه وتفرد بقوله تجب البراءة عن الطفل حتى يدعى الى الاسلام ويجب دعاؤه اذا بلغ وأطفال المشركين فى النار مع آبائهم ولا يرى المال فيأحتى يقتل

وتخبر انهم كانوا مجتمعين ، ذكر ذلك فى مواضع جمة ، منها حيث أمرهم بذبح الخرفان ومس العتب بالدم ، ومنها حيث أباح لهم فرعون الخروج مع موسى عليه السلام فكانوا كلهم مجتمعين بمواشيهم يوم خروجهم . وهذه كذبة عظيمة ثالثة لاخفاء بها * والرابعة انه ذكر أن بنى لاوى ثلاثة رجال فقط ، قهات وجرشون ومرارى ، وان ذكور نسل هؤلاء الثلاثة فقط كانوا اثنين وعشرين الفا من الذكور خاصة من ابن شهر فصاعدا ، من جملتهم ثمانية آلاف رجل وخمسمائة رجل وثمانون رجلا ليس فيهم ابن أقل من ثلاثين سنة ، ولا ابن أكثر من خمسين سنة ثم ذكر أولاد مرارى فلم يذكر له الا ولدين محلى وموشى فقط ، وذكر أولاد جرشون بن لاوى فلم يذكر له الا ولدين لبنى وشمعى ، وذكر أولاد قهات بن لاوى فلم يذكر الا أربعة فقط ، عمرام ويصهار وحبرون وعزيئيل ، فرجع نسل لاوي كله الى هؤلاء الثمانية فقط ، ثم لم يحملوا لتوجيه التأويل فى كذبهم مساغا بل عد أولاد عمرام بأنهم موسى وهارون عليهما السلام فقط ، والعازار وفرصوم ابنى موسى عليه السلام وكانا صغيرين حينئذ جدا ، وأربعة أولاد لهارون عليه السلام ، وعد أولاد يصهار فذكر قورح واخوته وثلاثة أولاد لقورح ، وبقى سائر العدد المذكور من الالوف وهى ثمانية آلاف رجل وستمائة رجل لا يعد فيهم ابن أقل من شهر من بنى قهات خاصة راجعا الي أولاد حبرون وعزيئيل وأخوى قورح فقط ، والصافان بن عزيئيل حى مقدم طبقته سوى النساء ، ولعل عددهن كعدد الرجال ، وهذا من احمق الذى لا نظير له ومن قلة الحياء فى الدرجة العليا ، ومن الكذب البحث فى المقدمة ومن المحال في المحل الاقصى ، وجار مجرى الخرافات التى تقال عند السمر بالليل ، ولعمرى لو ضل بتصديق هذا المهوس الفاجر واحد واثنان لكان عجباً . فكيف أن يضل به عالم عظيم وجيل بعد جيل منذ أزيد من الف وخمسمائة عام منذ كتب لهم عزر الوراق هذا السخام الذى أضلهم به ؟ ونحمد الله على عظيم نعمته علينا كثيرا . ونسأله العصمة فى باقى أعمارنا مما امتحن به من شاء ضلاله آمين آمين * والخامسة قوله فى سفر يوشع : انه وقع لبنى هارون ثلاث عشرة مدينة والعازار بن هارون حى قائم ، فيالله ناس أفى المحال أكثر من أن يدخل فى عقل أحد أن نسل هارون بعد موته بسنة وأشهر يبلغ عددا لا يسعه للسكنى الا ثلاث عشرة مدينة ؟ هل لهذا الحمق دواء الا الغل (١) والقيد والجمعة وما يتبع ذلك من السكى والسوط ؟ ونعوذ بالله من الخذلان * وكذبة سادسة ظريفة جدا . وهي أنه ذكر فى توراتهم أن عدد ذكور بنى جرشون بن لاوي من ابن شهر فصاعدا كانوا ستة آلاف وخمسمائة وان عدد ذكور بنى قهات ابن لاوي من ابن شهر فصاعدا كانوا ثمانية آلاف وستمائة وان عدد ذكور بنى مرارى بن لاوى من ابن شهر فصاعدا كانوا ستة آلاف ومائتين ثم قال بجميع الذكور من بنى لاوى من ابن شهر فصاعدا اثنان وعشرون الفا فكان هذا ظريفا جدا وشيئا تندى منه الآباط وهل يجهل

---

(١) الغل بالضم واحد الاغلال وهو ما يوضع فى العنق أو اليد يقال فى رقبته غل من حديد والقيد معروف وهو ما يوضع فى الرجل والجمعة والجامعة غل يوضع فى اليدين وتجمعان علي مجامع وجوامع ومن الاخيرة قول الشاعر : ولو كبلت فى ساعدي الجوامع . اه لمصححه من كتب اللغة

احدان الاعداد المذكورة انما هي يجتمع منها واحد وعشرون الفاً وثلاث مائة ؟ هذا امر لاندري كيف وقع ؟ اتراه بلغ المسخم الوجه الذي كتب لهم هذا الكتاب الاحمق من الجهل بالحساب هذا المبلغ ، ان هذا لعجب . ولقد كان الثور اهدى منه والحمار انبه منه بلاشك ، اترى لم يأت بعده من اليهود مذ ازيد من الف عام وخمسمائة عام من تبين له ان هذا خطاء وباطل ؟ ولايمكن ان يدعى هنا غلط من الكتاب ولاوهم من الناسخ في بعض النسخ ، لانه لم يدعنا في لبس من ذلك ولا في شك من فساد ما أتى به بل أكد ذلك وبينه وفضحه واوضحه ، بان قال : ان بكور ذكور بني اسرائيل كانوا اثنين وعشرين الفاً ومائتين وثلاثة وسبعين وان الله تعالى امر موسى ان يأخذ بني لاوى الذكور عن بكور ذكور بني اسرائيل وان يأخذ عن المائتين والثلاثة والسبعين الزائدين من بكور ذكور بني اسرائيل عن الاثنين وعشرين الفاً من بني لاوى عن كل رأس خمسة اشقال فضه ، فاجتمع من ذلك الف شقل وثلثمائة شقل وخمسة وستون شقلا ، فارتفع الاشكال جملة ، وبالله التوفيق * وتالله ماسمعنا قط باخبث طينة ولا افسد جبلة ممن كتب لهم هذا الضلال الامن اتبعه وصدق بضلاله . فهذه ست كذبات في نسق لو لم يكن في توراتهم منها الا واحد لكان برهاناً قاطعاً موجباً لليقين بانها كتاب موضوع بلاشك مبدل محرف صغير مكذوب ، فكيف بجميع ما اوردنا من ذلك ونورد ان شاء الله ونعوذ بالله من الخذلان ، ويتلو هذا كذبة شائعة بشيعة شنيعة . وهي انهم لايختلفون في ان داود عليه السلام هو ابن ايشاى بن عونيذ بن بوعز بن شلومون بن نحشون بن عميناداب ابن ارام بن حصرون . لايختلفون في ان عونيذ المذكور جد داود ابا ابيه كانت امه روث العمونية التي لها كتاب مفرد من كتب النبوة . ولايختلفون في ان من خروجهم من مصر الى ولاية داود عليه السلام كانت ستمائة سنة وست وستين * وفي نص التوراة عندهم وبلاخلاف منهم ان مقدم بني يهوذا اذ خرجوا من مصر كان نحشون بن عميناداب المذكور . وانه اخو امرأة هارون عليه السلام * وفي نص توراتهم انهم قالوا : قال الله تعالى انه لايدخل الارض المقدسة من خرج من مصر وله عشرون سنة فصاعداً الا يهوشع بن نون الافرايمي وكالب ابن يفنة اليهوذاني . فصح ضرورة ان نحشون مات في التيه ، وان الداخل في ارض الشام هو ابنه شلومون * فاقسموا الآن ستمائة وست وستين على اربع ولادات فقط . وهذه ولادة بوعز بن شلومون الداخل ثم ولادة عونيذ بن بوعز بن روث العمونية ثم ولادة ايشاى بن عونيذ ثم ولادة داود عليه السلام ثم ايشاى ثم لاتخلف كتبهم في ان داود عليه السلام ولي وله ثلاث وثلاثون سنة عند تمام الستمائة سنة وست وستين . فينبغي ان تسقط سنو داود اذ ولي من العدد المذكور يكون الباقي خمسمائة سنة وثلاثا وسبعين سنة لثلاث ولادات . وهي ولادة ايشاى وولادة عونيذ وولادة بوعز * فتاملوا . ابن كم كان واحد منهم اذ ولد له ابنه المذكور ؟ تعلموا انه كذب مستحيل في نسبة ذلك من اعمارهم يومئذ لان في كتبهم نصا انه لم يعش احد بعد موسى عليه السلام في بني اسرائيل مائة وثلاثين سنة الا يهوياراع الكوهن (١) الهاروني وحده

(١) الكوهن بالعبرية هو الكاهن بالعربيه (المصححه)

صاحبهوهم يتولون القعدة اذاعرفوهم بالديانة ويرون الهجرة فضيلة لافرضا ويكفرون بالكبائر * ويحكى عنهم انهم ينكرون كون سورة يوسف من القرآن ويزعمون أنها قصة من القصص قالوا ولايجوز أن تكون قصة العشق من القرآن * ثم ان العجاردة افترقت أصنافا ولكل صنف مذهب علي حياله الا أنهم لما كانوا من جملة العجاردة أوردناهم علي حكم التفصيل في الجدول والضلع * (الصلتية) أصحاب عثمان ابن أبي الصلت والصلت ابن أبي الصلت تفردوا عن العجاردة بأن الرجل اذا أسلم توليناه وتبرأنا من أطفاله حتى يدركوا فيقبلوا الاسلام * ويحكى عن جماعة منهم انهم قالوا ليس لاطفال المشركين والمسلمين ولاية ولا عداوة حتى يبلغوا فيدعوا الى الاسلام فيقروا أو ينكروا * (الحمزية) أصحاب حمزة بن أدرك وافقوا الميمونية في القدر وفي سائر بدعها الا في أطفال مخالفيهم والمشركين * فانهم قالوا هؤلاء كلهم في النار وكان حمزة من أصحاب الحصين بن الرقاد * الذي خرج بسجستان من أهل أوق وخالفه خلف الخارجي في القول بالقدر واستحقاق الرياسة فبرئ كل واحد منهما عن صاحبه وجوز حمزة امامين في عصر واحد مالم يجتمع الكلمة ولم يقهر الاعدا (الخلفية) أصحاب خلف الخارجي وهم خوارج كرمان ومكران خالفوا الحمزية في القول بالقدر بالضرورة

بالضرورة يجب ان كل واحد ممن ذكرنا كان له ازيد من مائة ونيف واربعين اذولد له ابنه المذكور . وهذه اقوال يكذب بعضها بعضا . فصح ضرورة لامحيد عنها انها كلها مبدلة مستعملة محرفة مكذوبة ملعونة . وثبت ان دياناتهم المأخوذة من هذه الكتب ديانة فاسدة مكذوبة من عمل الفساق ضرورة كالشيء المدرك بالعيان واللمس . ونحمد الله على السلامة

﴿ فصل ﴾ ثم وصف قيام بنى اسرائيل على موسى عليه السلام وطلبهم منه اللحم للاكل . وذكروا شوقهم الى القرع والقثاء والبصل والكراث والثوم الذى تشبه رائحته فى الروائح عقولهم في العقول . وذكروا ضجرهم من المن والله عز وجل قال لموسى عليه السلام تقول للعامة تقدسوا غداً تأكلوا اللحم ها انا اسمعكم قائلين من ذا يطعمنا اكل اللحم قد كنا بخير بمصر ليعطينكم السيد اللحم فتأكلون ليس يوما واحدا ولا يومين ولا خمسة ولا عشرة حتى تكمل ايام الشهر حتى يخرج على مناخركم ويصيبكم التخم لما تخليتم عن السيد الذى هو فى وسطكم ويبكون قدامه قائلين لماذا أخرجنا من مصر فقال موسى لله تعالى هم ستمائة الف رجل وانت تقول انا اعطيهم اللحوم شهرا طعاما اترى تكثر بذبائح البقر والغنم فيقتاتون بها ام تجمع حيتان البحر معاً لتشبعهم فقال له الرب اترى يد السيد عاجزة سترى ان يوافيك كلامي ام لا ثم ذكر ان الله تعالى ارسل ريحاً فاتت بالسماني من خلف البحر الى بنى اسرائيل فأكلوها ودخل اللحم بين اضراسهم واصابتهم التخم واخذهم وباء شديد مات منهم به كثير وان هذا كان في الشهر الثاني من خروجهم من مصر

(قال ابو محمد رضى الله عنه) ذكر فى هذا الفصل آيات من الله رب العالمين ، وما تأتي له طامة الا تكاد تنسى ماقبلها ، فاول ذلك اخبار اللعين المبدل للتوراة بان الله تعالى اذ قال لموسى : غدا تأكلون اللحم الى تمام الشهر ، قال له موسى : هم ستمائة الف رجل وانت تقول انا اعطيهم اللحوم طعاماً شهريا . أترى تكثر بذبائح البقر والغنم يقتاتون بها او تجمع حيتان البحر معاً لتشبعهم ؟

(قال ابو محمد رضى الله عنه) حاش لله ان يراجع رجل له من العقل مسكة ربه عز وجل هذه المراجعة ، وان يشك فى قوته على ذلك وعلى ماهو اعظم منه ، فكيف رسول نبي ؟ أترى موسى عليه السلام دخله قط شك فى ان الله تعالى قادر على ان يكثر بذبائح البقر والغنم حتى يشبعهم ، او على ان يأتيهم من حيتان البحر بما يشبعهم منه حاش لله من ذلك ، اتراه خفى على موسى عليه السلام ان الله تعالى هو الذى يرزق جميع بنى آدم فى شرق الارض وغربها اللحم وغير اللحم ؟ وانه تعالى رازق سائر الحيوانات كلها من الطائر والعائم والمنساب والماشى على رجلين واربع واكثر ، حتى يستنكر ان يشبع شرذمة قليلة لاقدر لها من اللحم . حاش له من ذلك ، فكيف يقول موسى عليه السلام هذا الكلام الاحمق ؟ حاش له من ذلك ، وقبل ذلك بعام وشهر وبعض آخر طلبوا اللحم فأتاهم بالسماني والمن وأكلوا ذلك بنص توراتهم ، أتراه نسى ذلك فى هذه المدة اليسيرة ؟ أويظن انه قدر على الاولى ويعجز عن الثانية ؟ حاشا له من هذا الهوس * ثم زيادة فى بيان هذا الكذب ان فى توراتهم أن بنى اسرائيل اذ خرجوا من مصر مع

وأضافوا القدر خيره وشره الى الله تعالى وسلكوا في ذلك مذهب السنة وقالوا الحمزية ناقضوا حيث قالوا وعذب الله العباد على أفعال قدرها عليهم او على مالم يفعلوه كان ظالما وقضوا بأن أطفال المشركين فى النار ولا عمل لهم ولا شرك فهذا من أعجب مايعتقد من التناقض (الشعيبية) اصحاب شعيب بن محمد وكان مع ميمون من جملة العجاردة الا انه برئ منه حين اظهر القول بالقدر قال شعيب ان الله خالق اعمال العباد والعبد مكتسب لها قدرة وارادة مسئول عنها خيراً وشرا مجازى عليها ثوابا وعقاباً ولا يكون شئ فى الوجود الا بمشيئة الله تعالى وهو على بدع الخوارج فى الامامة والوعيد وعلى بدع العجاردة فى حكم الاطفال وحكم القعدة والتولى والتبرى

(الميمونية) اصحاب ميمون ابن خالد كان من جملة العجاردة الا انه تفرد عنهم باثبات القدر خيره وشره من العبد واثبات الفعل للعبد خلقاً وابداعا واثبات الاستطاعة قبل الفعل والقول بان الله تعالى يريد الخير دون الشر وليس له مشيئة فى معاصى العباد * وذكر الحسين الكرابيسى فى كتابه الذى حكى فيه مقالات الخوارج ان الميمونية يجيزون نكاح بنات البنات وبنات اولاد الاخوة والاخوات وقال ان الله حرم نكاح البنات وبنات الاخوة والاخوات ولم يحرم نكاح بنات أولاد هؤلاء ويحكى الكعبي والاشعرى

موسى خرجوا بجميع مواشيهم من البقر والغنم، وان اهل بيت منهم ذبحوا جديا او خروفا فى تلك الليلة * وذكر في مواضع منها انهم أهدوا الكباش والتيوس والخرفان والجديان والبقر والعجول الى قبة العهد * وذكروا فى آخرها ان بنى روابين وبنى جادا ونصف سبط بنى منشا كان معهم غنم كثير، ومن البقر عددلا يحصى، فى حين ابتداء قتالهم وفتحهم لارض الشام، فاى عبرة فى اشباعهم من اللحم واللحم حاضر معهم كثير لا قليل؟ ثلاثة من الغنم كانت تكفى الواحد منهم شهراً كاملا، وثور واحد كان يكفى اربعة منهم شهراً كاملا. على ان يأكلوا اللحم قوتاً حتى يشبعوا بلاخبز، فكيف اذا تأدموا به؟ وأى عجب فى اشباعهم باللحم؟ حتى يراجع موسى ربه تعالى بانكار ذلك من قوة ربه عزوجل، فهل فى العالم احمق ممن كتب هذه الكذبة الشنيعة الباردة السخيفة الممزوجة بالكفر؟ اللهم لك الحمد على تسليمك لنا مما امتحنتهم به * فان قالوا ان فى كتابكم ان الله تعالى قال لزكريا (انا نبشرك بغلام اسمه يحيى) الآية، وان زكريا قال لربه تعالى (أني يكون لى غلام وكانت امرأتى عاقرا وقد بلغت من الكبر عتيا قال كذلك قال ربك هو على هين) الآية (قال ربى اجعل لى آية قال آيتك انلا تكلم الناس ثلاث ليال سويا) * وفى كتابكم ايضا ان الملك قال لمريم (أنا رسول ربك لاهب لك غلاما زكيا قالت رب انى يكون لى غلام) الآية (قال كذلك قال ربك هو علي هين) الآية * قلنا ليس فى جواب زكريا ومريم عليهما السلام اعتراض على بشرى البارى عز وجل لهما كما فى كتابكم عن موسى عليه السلام، ولا فى كلام زكريا ومريم عليهما السلام انكار على ان يعطيهما ولدين وهما عقيم وبكر، انما سالا ان يعرفا الوجه الذي منه يكون الولد فقط لان انى فى اللغة العربية التى بها نزل القرآن بلاخلاف ان معناها من اين، فصح ما قلنا من انهما سألاه ان يعرفهما الله تعالى من اين يكون لهما الولدان اومن اى جهة أبنكاح زكريا لامرأة اخرى؟ ام نكاح رجل لمريم؟ ام من اختراعه تعالى وقدرته؟ فانما سأل زكريا الآية ليظهر صدقه عند قومه ولئلا يظن أنهما أخذاه وادعياه، هذا هو ظاهر الآيتين اللتين ذكرنا من القرآن دون تكلف تأويل بنقل لفظ أو زيادة أو حذف، بخلاف ما حكيتم عن موسى من الكلام الذى لا يحتمل الا التكذيب فقط

﴿فصل﴾ وبعد ذلك ذكر قيام مريم وهارون اخى موسى عليه السلام معاندين لموسى من اجل امرأته الحبشية (١)

(قال ابو محمد رضى الله عنه) وكيف تكون حبشية وقد قال فى اول توراتهم انها بنت يثرون المديانى وهو بلا شك من ولد مدين بن ابراهيم عليه السلام فاحد هذين القولين يكذب الآخر

(فصل) ذكر كما ذكرنا ان فى الشهر الثانى من السنة الثانية من خروجهم من مصر كان طلبهم اللحم كما ذكرنا، وانه بعد ذلك وقع لهارون ومريم الشغب مع موسى

(١) فى التوراة التى بايدينا الكوشيه اهـ مصححه

عن الميمونية انكار كون سورة يوسف من القرآن وقالوا بوجوب قتل السلطان وحده ومن رضي بحكمه فاما من أنكره فلا يجوز قتاله الا اذا أعان عليه أو طعن فى دين الخوارج أو صار دليلا للسلطان وأطفال الكفار عندهم فى الجنة (الاطرافية) فرقة على مذهب حمزة فى القول بالقدر الا انهم عذروا أصحاب الاطراف فى ترك مالم يعرفوه من الشريعة اذا أتوا بما يعرف لزومه من طريق العقل واثبتوا واجبات عقلية كما قالت القدرية ورئيسهم غالب ابن شاذل من سجستان وخالفهم عبد الله السرنورى وتبرأ منهم ومنهم المحمدية أصحاب محمد بن زرق وكان من أصحاب الحصين ثم برئ منه (الحازمية) أصحاب حازم بن علي على قول شعيب فى ان الله تعالى خالق اعمال العباد ولا يكون فى سلطانه الا ما يشاء وقالوا بالموافاة وان الله تعالى انما يتولى العباد على ما علم انهم صائرون اليه فى آخر أمرهم من الايمان ويتبرأ منهم على ما علم انهم صائرون اليه فى آخر أمرهم من الكفر وانه سبحانه لم يزل محبا لاوليائه مبغضاً لاعدائه ويحكى عنهم انهم يتوقفون فى أمر علي عليه السلام ولا يصرحون بالبراءة منه ويصرحون بالبراءة فى حق غيره (الثعالبة) من ذلك أصحاب اخيهما
ثعلبة بن عامر كان مع عبد الكريم ابن عجرد يدا واحدة الى ان اختلفا فى أمر الطفل فقال ثعلبة انا على ولايتهم صغارا وكبارا

اخيها عليه السلام كما ذكرنا ، وان مريم مرضت واخرجت من المعسكر سبعة ايام حتى برئت ثم رجعت . وان بعد ذلك وجه موسى عليه السلام الاثنى عشر رجلا الذين كان من جملتهم هوشع ابن نون الافرايمي وكالب بن يفنة اليهوذاني ليروا الارض المقدسة وذكر انهم طافوها في اربعين يوما ثم رجعوا وخوفوا بني اسرائيل حاشا كالب وهوشع وان الله تعالى سخط عليهم واهلكهم واوحى الى موسى اما جيفكم فستكون ملقاة في المفاز ويكون اولادكم سائحين في المفاز اربعين سنة على عدد الاربعين يوما التي دوختم فيها البلد اجعل لكم كل يوم سنة وتكافئون اربعين سنة بخطاياكم . وانهم بقوا في التيه اربعين سنة فلما أتموها امرهم الله عز وجل بالحركة فتحركوا : ثم ماتت مريم اخت موسى عليهما السلام . ثم مات هارون عليه السلام . ثم حارب موسى عوج وسحون الملكين واخذ بلادهما واعطى بلادهما لبني روابين وبني جادا ونصف سبط منشا . ثم حارب المدينتين وقتل ملوكها . ثم انه عليه السلام مات وله مائة سنة وعشرون سنة . وفي صدر توراتهم انه عليه السلام اذ خرج عن مصر كان له ثمانون سنة هذا كله نص توراتهم حرفا حرفا

(قال ابو محمد رضي الله عنه) هذا كذب فاحش ، وقد قلنا ان الذى عمل لهم التوراة التى بايديهم كان قليل العلم بالحساب ثقيل اليد فيه جدا ، او عيارا (١) ماجنا مستخفا لادين له سخر منهم بامثال التيوس والحمير : لانه اذا خرج وله ثمانون سنة وبقى بعد خروجه سنة وشهرا ، ثم تاهو اربعين سنة ، ثم قاتلوا ملوكا عدة وقتلوهم واخذوا بلادهم واموالهم ، فقد اجتمع من ذلك ضرورة زيادة على المائة والعشرين سنة اكثر من سنة ولابد ، والاغلب انها سنتان زائدتان فكذب ولابد في سن موسى اذ مات ، او كذب الوعد الذى اخبر عن الله تعالى بتيههم اربعين سنة ، حاشا للبارى تعالى ان يكذب او ان يغلط في دقيقة او اقل ، وحاشا لنبيه صلى الله عليه وسلم من مثل ذلك . وصح انها مولدة موضوعة

(فصل) ثم ذكر في السفر الخامس فقال : ان طلع فيكم نبي وادعى انه رأى رؤيا واتاكم بخبر مايكون وكان ماوصفه ثم قال لكم بعد ذلك اتبعوا ابناء آلهة الأجناس فلا تسمعوا له

(قال ابو محمد رضي الله عنه) في هذا الفصل شنعة من شنع الدهر وتدسيس كافر مبطل للنبوات كلها ، لانه اثبت النبوة بقوله ان طلع فيكم نبي ويصدقه في الاخبار بما يكون ، ثم امرهم بمعصيته اذا دعاهم الى اتباع آلهة الاجناس ، وهذا تناقض فاحش ولئن جاز ان يكون نبي يصدق فيما ينذر به يدعوا الى الباطل والكفر ، فلعل صاحب هذه الوصية من اهل هذه الصفة وما الذى يؤمننا من ذلك ، وهل هاهنا شيء يوجب تصديقه

(١) يفسر العيار هنا بالنشيط في المعاصي . والماجن صاحب المجون الذى لايبالي بما صنع . والمستخف المستجهل الذى يحمل غيره على اتباعه في غيه وجهله . ومنه قوله تعالى (فاستخف قومه فاطاعوه) اى حملهم على الخفة والجهل (لمصححه) من كتب اللغة

حتى نرى منهم انكار الحق ورضي بالجور فتبرأت العجاردة من ثعلبة * نقل عنه أيضا انه قال ليس لهم حكم في حال الطفولية من ولاية وعداوة حتى يدركوا ويدعوا فان قبلوا فذاك وان انكروا كفروا وكان أخذ الزكوات من عبيدهم وقال اني لا ابرأ منه بذلك ولا ادع اجتهادى في خلافه وجوز ان يصير سهام الصدقة سهما واحدا في حال التقية (الرشيدية) أصحاب الطوسي ويقال لهم العشرية وأصلهم ان الثعالبة كانوا يوجبون فيما سقي بالانهار والقنى نصف العشر فاخبرهم زياد بن عبدالرحمن ان فيها العشر ولا يجوز البراءة ممن قال فيها نصف العشر قبل هذا فقال الرشيد ان لم يجز البراءة منهم فانا نعمل بما عملوا فافترقوا في ذلك فرقتين (الشيبانية) أصحاب شيبان بن سلمة الخارج في ايام ابي مسلم وهو المعين له ولعلى بن الكرماني على نصر بن سيار وكان من الثعالبة فلما اعانهما برئت منه الخوارج فلما قتل شيبان ذكر قوم توبته فقالت الثعالبة لايصح توبته لانه قتل الموافقين لنا في المذهب وأخذ أموالهم ولا يقبل توبة من قتل مسلما وأخذ ماله الا بان يقص من نفسه ويرد الاموال أو توهب له ذلك ومن مذهب شيبان انه قال بالجبر ووافق جهم ابن صفوان في مذهبه الى الجبر ونفى القدرة الحادثة * وينقل عن زياد بن عبدالرحمن الشيباني ابي خالد انه قال ان الله تعالى لم يعلم حتى خلق لنفسه

واتباعه ويبينه من الكاذبين الا ما صحح نبوته من المعجزات ؟ فلما لزمت معصيته اذا امر بباطل ، فان معصية موسى لازمة وغير جائزة فى شيء مما امر به اذ لعله امر بباطل اذ كان فى الممكن ان يكون نبي يأتي بالمعجزات يأمر بباطل . وحاش لله من ان يقول موسى عليه السلام هذا الكلام ، والله ما قاله قط . ولقد كذب عليه الكذاب المبدل للتوراة . وكذلك حاش لله ان يظهر آية علي يدي من يمكن ان يكذب او يأمر بباطل هذا هو التلبيس من الله علي عباده ومزج الحق بالباطل وخلطهما حتى لا يقوم برهان على تحقيق حق ولا ابطال باطل * واعلموا ان هذا الفصل من توراتهم والفصل الملعون الذي فيه ان السحرة عملوا مثل بعض ما عمل موسى عليه السلام ، فانهما مبطلان على اليهود المصدقين بهما نبوة كل نبي يقرون له بنبوة قطعا ، لانه لا فرق فيهما بين موسى وسائر انبيائهم وبين الكذابين والسحرة ، وحاش لله من هذا وبه تعالى نعوذ من الخذلان * هذا مع قوله بعد ذلك وايما نبي احدث فيكم من ذاته نبوة مما لم آمره به ولم اعهد اليه به او تنبأ فيكم يدعو للآلهة والاوثان فاقتلوه . فان قلتم فى انفسكم من أين يعلم انه من عند الله او من ذاته فهذا علمه فيكم اذا أنبأ بشيء ولم يكن فاعلموا انه من ذاته

(قال ابو محمد رضى الله عنه) هذا كلام صحيح ، وهذا مضاد للذى قبله من انه ينبئ بالشيء فيكون كما قال ، وهو مع ذلك يدعو الى عبادة غير الله ، والقوم مخذولون نقلوا دينهم عن زنادقة مستخفين لا مؤنة عليهم ان ينسبوا الى الانبياء عليهم السلام الكفر والضلال والكذب والعمد . كالذى ذكرنا قبل ، وكنسبتهم الى هارون عليه السلام انه هو الذي عمل العجل لبنى اسرائيل وبنى له مذبحا ، وقرب له القربان ، وجرد أستاه قومه للرقص والغناء قدام العجل عراة . وكما نسبوا الى سليمان عليه السلام أنه قرب القرابين للاوثان على الكدى (١) وانه قتل يواب بن صوريا صبرا وهو نبي مثله ، وكما نسبوا الى شاول وهو نبي عندهم يوحى اليه قتل النفوس ظلما ، ونسبوا الى بلعام بن باعورا وهو نبي عندهم يوحى الله تعالى اليه مع الملائكة العون علي الكفر وان موسى وجيشه قتلوه ، ثم نسبوا النبوة الى منشا بن حزقيا الملك وهو باقرارهم كافر ملعون يعبد الاوثان ويقتل الانبياء ، وينسبون المعجزات الى شمسون الدابي وهو عندهم فاسق مشهور بالفسق متعشق للفواسق ملم بهن . وينسبون المعجزات الى السحرة ، فاعجبوا للعظيم بليتهم واحمدوا الله على السلامة واسألوه العافية لا اله الا هو

﴿فصل﴾ ثم قال فى آخر توراتهم فتوفى موسى عبد الله بذلك الموضع فى أرض مواب مقابل بيت فغور ولم يعرف آدمى موضع قبره الى اليوم . وكان موسى يوم توفى ابن مائة وعشرين سنة لم ينقص بصره ولا تحركت أسنانه . فنعاه بنو اسرائيل فى أوطئة مواب ثلاثين يوما ، وا كملوا نعيه . ثم أن يشوع بن نون امتلا من روح الله . اذ جعل موسى يديه عليه . وسمع له بنو اسرائيل وفعلوا ما أمر الله به موسي . ولم يخلف موسى فى بنى اسرائيل نبي مثله . ولا من

(١) الكدي جمع كدية كغرفة وغرف الارض الصلبة المرتفعة

علما وان الاشياء انما تصير معلومة له عند حدوثها ووجودها ونقل عنه انه تبرأ من شيبان وكفره حين نصر الرجلين فوقعت عامة الشيبانية بجرجان ونسا وأرمينية والذى تولى شيبان وقال بتوبته عطية الجرجاني وأصحابه (المكرمية) أصحاب مكرم ابن عبد الله العجلى من جملة الثعالبة وتفرد عنهم بان قال تارك الصلاة كافر لا من أجل ترك الصلاة ولكن لجهله بالله تعالى وطرد هذا فى كل كبيرة يرتكبها الانسان وقال انما يكفر لجهله بالله تعالى وذلك ان العارف بالله تعالى وانه المطلع على سره وعلانيته المجازي علي طاعته ومعصيته لن يتصور منه الاقدام على المعصية والاجتراء على المخالفة مالم يغفل عن هذه المعرفة ولا يبالى بالتكليف فيه * وعن هذا قال النبي ﷺ لا يزني الزاني حين يزني وهو مؤمن ولا يسرق السارق حين يسرق وهو مؤمن * الخبر وخالفوا الثعالبة فى هذا القول وقالوا بايمان الموافاة والحكم بان الله تعالى انما يوالى عباده ويعاديهم على ماهم صائرون اليه من موافاة الموت لا على اعمالهم التى هم فيها فان ذلك ليس بموثوق به اصرارا عليه مالم يصل المرء الى آخر عمره ونهاية أجله فحينئذان بقى علي ما يعتقده فذلك هو الايمان فيواليه وان لم يبق فيعاديه وكذلك فى حق الله تعالى حكم الموالاة والمعاداة على ما علم منه حال الموافاة والمعلومية والمجهولية كانوا فى الاصل حازمية

يكلمه

بكلمه الله مواجهة في جميع عجائبه التي فعل على يديه بارض مصر في فرعون مع عبيده وجميع أهل مملكته . ولا من صنع ماصنع موسى في جماعة بني اسرائيل

(قال أبو محمد رضى الله عنه) هذا آخر توراتهم وتمامها . وهذا الفصل شاهد عدل وبرهان تام ودليل قاطع وحجة صادقة في ان توراتهم مبدلة . وانها تاريخ مؤلف كتبه لهم من تحرض بجهله أو تعمد بفكره . وانها غير منزلة من عند الله تعالى . اذ لا يمكن أن يكون هذا الفصل منزلا على موسى في حياته . فكان يكون أخبارا عما لم يكن بمساق ماقدكان . وهذا هو محض الكذب تعالى الله عن ذلك . وقوله لم يعرف قبره آدمي الى اليوم بيان لما ذكرنا كاف . وانه تاريخ ألف بعد دهر طويل ولابد

(قال أبو محمد رضى الله عنه) هاهنا انتهى ماوجدنا من التوراة لليهود التي اتفق عليها الربانيون والعانانيون والعيسويون والصدوقيون منهم مع النصارى أيضا بلا خلاف منهم فيها من (١) الكذب الظاهر في الاخبار وفيما يخبر به عن الله تعالى ثم من ملائكته ثم عن رسله عليهم السلام من المناقضات الظاهرة والفواحش المضافة الى الانبياء عليهم السلام . ولو لم يكن فيها الا فصل واحد من الفصول التي ذكرنا لكان موجبا ولابد لكونها موضوعة محرفة مبدلة مكذوبة . فكيف وهي سبعة وخمسون فصلا من جملتها فصول يجمع الفصل الواحد منها سبع كذبات أو مناقضات فأقل . سوى ثمانية عشر فصلا يتكاذب فيها نص توراة اليهود مع نص تلك الاخبار بأعيانها عند النصارى . والكذب لائح ولابد في احدى الحكايتين . فما ظنكم بمثل هذا العدد من الكذب والمناقضة في مقدار توراتهم وانما هي مقدار مائة ورقة وعشرة أوراق في كل صفحة منها من ثلاثة وعشرين سطرا الى نحو ذلك بخط هو الى الانفساح أقرب يكون في السطر بضع عشرة كلمة

(قال أبو محمد رضى الله عنه) ونحن نصف ان شاء الله تعالى حال كون التوراة عند بني اسرائيل من أول دولتهم أثر موت موسى عليه السلام ، الى انقراض دولتهم ، الى رجوعهم الى بيت المقدس الى أن كتبها لهم عزرا الوراق باجماع من كتبهم . واتفاق من علمائهم دون خلاف يوجد من أحد منهم في ذلك . وما اختلفوا فيه من ذلك نبهنا عليه ليتيقن كل ذي فهم انها محرفة مبدلة وبالله تعالى نستعين

(قال أبو محمد رضى الله عنه) دخل بنو اسرائيل الاردن وفلسطين والغور مع يوشع بن نون مدبر امرهم عليه السلام اثر موت موسى عليه السلام ، ومع يوشع العازار بن هارون عليه السلام صاحب السرادق بما فيه وعنده التوراة لا عند احد غيره باقرارهم ، فدبر يوشع عليه السلام امرهم في استقامة ، وألزمهم للدين احدى وثلاثين سنة مذ مات موسى عليه السلام الى ان مات يوشع ، ثم دبرهم فيخاس بن العزر بن هارون وهو صاحب السرادق ، والكوهن الاكبر والتوراة عنده لا عند أحد غيره خمسا وعشرين سنة في استقامة والتزام للدين ، ثم مات وطائفة منهم عظيمة يزعمون انه حي الى اليوم وثلاثة أنفس اليه ، وهم الياس النبي الهاروني عليه السلام ، وملكيصيدق بن فالج بن عامر بن ارفخشاذ بن سام بن نوح عليه السلام ، والعبد الذي بعثه ابراهيم عليه السلام ليزوج اسحاق عليه السلام رفقة بنت بتوئيل بن ناخور اخي

(١) قوله من الكذب الظاهر الخ بيان لقوله : هاهنا انتهى ماوجدنا من التوراة الخ (مصححه)

الا ان المعلومية قالت من لم يعرف الله تعالى بجميع اسمائه وصفاته فهو جاهل به حتى يصير عالما بجميع ذلك فيكون مؤمنا وقالت الاستطاعة مع الفعل والفعل مخلوق العبد فبرئت منهم الحازمية وأما المجهولية قالت من علم بعض اسمائه تعالى وصفاته وجهل بعضها فقد عرف الله تعالى وقالت أفعال العباد مخلوقة لله تعالى (الاباضية) أصحاب عبد الله ابن اباض الذي خرج في أيام مروان بن محمد فوجه اليه عبد الله ابن محمد بن عطية فقاتله بتبالة وقيل ان عبد الله ابن يحيى الاباضي كان رفيقا له في جميع أحواله وأقواله وقال ان مخالفينا من أهل القبلة كفار غير مشركين ومناكحتهم جائزة وموارثتهم حلال وغنيمة أموالهم من السلاح والكراع عند الحرب حلال وماسواه حرام وحرام قتلهم وسبيهم في السر غيلة الا بعد نصب القتال واقامة الحجة وقالوا ان دار مخالفيهم من أهل الاسلام دار توحيد الا معسكر السلطان فانه دار بغي واجازوا شهادة مخالفيهم على أوليائهم وقالوا في مرتكبي الكبائر انهم موحدون لا مؤمنون * وحكى الكعبي عنهم ان الاستطاعة عرض من الاعراض وهي قبل الفعل بها يحصل الفعل وافعال العباد مخلوقة لله تعالى احداثا وابداعا ومكتسبة للعبد حقيقة لا مجازا ولا يسمون امامهم امير المؤمنين ولا انفسهم مهاجرين وقالوا العالم يفنى كله اذا فني أهل التكليف قال واجمعوا على ان من ارتكب

كفر بنواسرايل وارتدوا
ابراهيم عليه السلام، فلما انقضت المدة المذكورة لفينحاس بن العزر كفر بنواسرايل وارتدوا
كلهم وعبدوا الاوثان علانية ، فلكهم كذلك ملك صور وصيدا مدة ثمانية أعوام على
الكفر * ثم دبر امرهم عثنيال بن قنار بن اخى كالب بن يفنة بن يهوذا اربعين سنة على الايمان .
ثم مات فكفر بنواسرايل كلهم وارتدوا وعبدوا الاوثان علانية . فلكهم كذلك عغلون
ملك بنى مواب ثمان عشرة سنة على الكفر . ثم دبر امرهم اهوذ بن قارا . قيل انه من سبط
افرايم . وقيل من سبط بنيامين . واختلف ايضا فى مدة رياسته . فقيل ثمانون سنة . وقيل
خمس وخمسون سنة على الايمان الى ان مات . ثم دبرهم سمان بن غاث بن سبط اشار خمساً
وعشرين سنة على الايمان . ثم مات فكفر بنواسرايل كلهم وعبدوا الاوثان جهارا .
فلكهم كذلك مراش الكنعانى عشرين سنة على الكفر . ثم دبرت امرهم (دبور) النبتية من
سبط يهوذا وكان زوجها رجلا يسمى السدوث من سبط افرايم الى ان ماتت وهم على الايمان ،
فكان مدة تدبيرها لهم أربعون سنة . فلما ماتت كفر بنواسرايل كلهم وارتدوا وعبدوا
الاوثان جهارا . فملكهم موزاب وزاب ملك بنى مدين سبع سنين على الكفر . ثم دبر أمرهم
جدعون بن يواس من سبط افرايم . وقيل بل من سبط منشا وهم يصفون انه كان نبيا وكان
له واحد وسبعون ابنا ذكورا . فملكهم على الايمان أربعين سنة . ثم مات وولى ابنه ابوملك
ابن جدعون وكان فاسقاً خبيث السيرة فارتد جميع بنى اسرايل وكفروا وعبدوا الاوثان
جهارا . واعانه أخواله من اهل نابلس من بنى اسرايل من سبط يوسف بتسعين ديرا
من بيت (ماعل) الصنم ومضوامعه فقتل جميع اخوته حاشا واحدا منهم أفلت وبقى كذلك
ثلاث سنين الى ان قتل . ودبرهم بعده مولع بن قوا من سبط يساخر ولم نجد بيانا هل كان
على الايمان او على الكفر خمساً وعشرين سنة . ثم مات ثم دبر امرهم بعده يايين بن جلماد من
سبط منشا اثنين وعشرين عاما على الايمان الى ان مات . وكان له اثنان وثلاثون ولدا ذكورا
قد ولى كل واحد منهم مدينة من مدائن بنى اسرايل فارتد بنواسرايل كلهم بعد موته وعبدوا
الاوثان جهارا . وملكهم بنو عمون ثلاث عشرة سنة متصلة على الكفر . ثم قام فيهم رجل من
سبط منشا اسمه هيلع بن جلماد . ولا يختلفون فى انه كان ابن زانية وكان فاسقا خبيث
السيرة . نذر ان اظفره الله بعدوه ان يتقرب لله سبحانه وتعالى اول من يلقاه من منزله
فاول من لقيه ابنته ولم يكن له ولد غيرها فوفى بنذره وذبحها قربانا . وكان في عصره نبى فلم
يلتفت اليه . وانه قتل من بنى افرايم اثنين وأربعين ألف رجل . فملكهم ست سنين ثم مات .
فوليهم بعده افصات من سبط يهوذا من سكان بيت لحم وكان له ثلاثون ابنا ذكورا فوليهم سبع
سنين وقيل ست سنين ثم مات . والاظهر من حاله على ما توجبه اخبارهم الاستقامة . ووليهم
بعده ايلون من سبط زبلون عشر سنين الى ان مات * وولى بعده عبدون بن هلال من سبط
افرايم ثمانى سنين على الايمان . وكان له اربعون ولدا ذكورا . فلما مات ارتد بنواسرايل
كلهم وكفروا وعبدوا الاوثان جهارا فملكهم الفلسطينيون وهم الكنعانيون وغيرهم أربعين سنة
على الكفر . ثم دبرهم شمشون بن مانوح من سبط داني وكان مذكورا عندهم بالفسق واتباع
الزواني . فدبرهم عشرين سنة . وينسبون اليه المعجزات . ثم أسر ومات فدبر بنواسرائيل

كبيرة من الكبائر كفر كفر النعمة لا كفر الملة وتوقفوا فى اطفال المشركين وجوزوا تعذيبهم على سبيل الانتقام
واجازوا ان يدخلوا الجنة
تفضلا وحكى الكعبى
عنهم انهم قالوا بطاعة
لا يراد بها الله تعالى كما قال
ابو الهذيل ثم اختلفوا فى
النفاق ايسمى شركا ام لا
قالوا ان المنافقين في عهد
رسول الله ﷺ كانوا
موحدين الا انهم ارتكبوا
الكبائر فكفروا فى الكبيرة
لا بالشرك وقالوا كل شىء
امر الله تعالى به فهو عام
ليس بخاص وقد أمر به
المؤمن والكافر وليس فى
القرآن خصوص وقالوا
لا يخلق الله تعالى شيئا الا
دليلا على وحدانيته ولا بد
ان يدل به واحدا * وقال
قوم منهم يجوز ان يخلق
الله تعالي رسولا بلا دليل
ويكلف العباد بما يوحى
اليه ولا يجب عليه اظهار
المعجزة ولا يجب على الله
تعالى ذلك الى ان يظهر
دليلا ويخلق معجزة وهم
جماعة متفرقون فى مذاهبهم
تفرق الثعالبة والعجاردة
(الحفصية) منهم أصحاب
حفص بن ابى المقدام تميز
عنهم بان قال ان بين الشرك
والايمان خصلة واحدة
وهى معرفة الله تعالى وحده
فمن عرفه ثم كفر بما سواه
من رسول أو كتاب أو
قيامة أو جنة او نار أو ارتكب الكبائر من الزنا والسرقة وشرب الخمر فهو كافر لكنه بريء من الشرك بعضهم
(الحارثية) أصحاب الحارث الاباضى خالف الاباضية فى قوله بالقدر على مذهب المعتزلة وفى الاستطاعة قبل الفعل وفى اثبات

بعضهم بعضا فى سلامة وايمان أربعين سنة بلا رئيس يجمعهم . ثم دبرهم الكاهن الهاروني علي الايمان عشرين سنة الى أن مات . ثم دبرهم شمويل بن فتان النبي من سبط افرايم قيل عشرين سنة وقيل أربعين سنة كل ذلك في كتبهم على الايمان . وذكروا انه كان له ابنان قوهال وبيابجو ان فى الحكم ويظلمان الناس . وعند ذلك رغبوا الى شمويل أن يجعل لهم ملكاً . فولي عليهم شاول الدباغ (١) بن قيش بن أنيل بن شارون بن بورات بن آسيا بن خس من سبط بنيامين وهو طالوت فوليهم عشرين سنة . وهو أول ملك كان لهم ويصفونه بالنبوة وبالفسق والظلم والمعاصي معا . وانه قتل من بنى هارون نيفا وثمانين انسانا وقتل نساءهم وأطفالهم لانهم أطعموا داود عليه السلام خبزا فقط . فاعلموا الآن انه كان مذ دخلوا الارض المقدسة أثر موت موسى عليه السلام الى ولاية أول ملك لهم وهو شاول المذكور سبع ردات فارقوا فيها الايمان وأعلنوا بعبادة الاصنام . فأولها بقوا فيها ثمانية أعوام . والثانية ثمانية عشر عاما . والثالثة عشرين عاما والرابعة سبعة أعوام . والخامسة ثلاثة أعوام وربما أكثر . والسادسة ثمانية عشر عاما . والسابعة أربعين عاما * فتأملوا أى كتاب يبقى مع تمادى الكفر ورفض الايمان هذه المدد الطوال فى بلد صغير مقدار ثلاثة أيام في مثلها فقط . ليس على دينهم واتباع كتابهم أحد علي ظهر الارض غيرهم * ثم مات شاول المذكور مقتولا وولى أمرهم داود عليه السلام وهم ينسبون اليه الزنا علانية بأم سليمان عليه السلام . وانها ولدت منه من الزنا ابناً مات قبل ولادة سليمان فعلى من يضيف هذا الى الانبياء عليهم السلام ألف ألف لعنة . وينسبون اليه انه قتل جميع أولاد شاول لذنب أبيهم . حاشا صغيرا مقعدا كان فيهم فقط . وكانت مدته عليه السلام أربعين سنة * ثم ولى سليمان عليه السلام وقد وصفوه بما ذكرنا قبل . وذكروا عنه ان نفقته فرضها على الاسباط لكل سبط شهر من السنة . وان جنده كانوا اثنى عشر ألف فارس على الخيل . وأربعين الفا على الرمك (٢) خلافا لما فى التوراة أن لا يكثروا من الخيل وهو الذى بنى الهيكل فى بيت المقدس وجعل فيه السرادق والمذبح والمنارة الآن والقربان والتوراة والتابوت وسكينة بنى هارون فكانت ولايته أربعين سنة . ثم مات عليه السلام فافترق أمر بنى اسرائيل فصار بنو يهوذ وبنو بنيامين لبنى سليمان بن داود عليه السلام فى بيت المقدس . وصار ملك الاسباط العشرة الباقية الى ملك آخر منهم يسكن بنابلس علي ثمانية عشر ميلا من بيت المقدس . وبقوا كذلك الى ابتداء ادبار أمرهم على ما نبين ان شاء الله تعالى . فنذكر بحول الله تعالى وقوته أسماء ملوك بنى سليمان عليه السلام وأديانهم . ثم نذكر ملوك الاسباط العشرة وبالله عز وجل تأييد ليري كل واحد كيف كانت حال التوراة والديانة فى أيام دولتهم

(قال أبو محمد رضى الله عنه) ولى أثر موت سليمان بن داود عليه السلام ابنه رحبعام بن سليمان وله ست عشرة سنة . وكانت ولايته سبعة عشر عاما فأعلن الكفر طول ولايته وعبد الاوثان جهارا هو وجميع رعيته وجنده بلا اخلاف منهم . ويقولون ان جنده كانوا امائة ألف وعشرين الف مقاتل وفى أيامه غزا ملك مصر فى سبعة آلاف فارس وخمسة عشر ألف رجل الى بيت

---

(١) قيل ان طالوت واسمه بلغتهم شاؤل كان راعيا وقيل سقاء وقيل دباغا (المصححه)

(٢) الرمك بالفتح جمع رمكة بفتحات الانثى من البراذين معرب رمه بالفارسية (المصححه)

طاعة لايراد بها الله تعالى (اليزيدية) أصحاب يزيد بن نيسة الذى قال يتولى المحكمة الاولى قبل الازارقة وتبرأ ممن بعدهم الا الاباضية فانه يتولاهم وزعم ان الله تعالى سيبعث رسولا من العجم وينزل عليه كتابا قد كتب في السماء وينزل عليه جملة واحدة ويترك شريعة المصطفى محمد صلى الله عليه وسلم ويكون علي ملة الصابئة المذكورة فى القرآن وليست هى الصابئة الموجودة بحران وواسط وتولى يزيد من شهد المصطفى عليه السلام من اهل الكتاب بالنبوة وان لم يدخل فى دينه وقال ان أصحاب الحدود من موافقيه وغيرهم كفار مشركون وكل ذنب صغير أو كبير فهو شرك (الصفرية) الزيادية أصحاب زياد بن الاصفر خالفوا الازارقة والنجدات والاباضية فى أمور * منها انهم لم يكفروا القعدة عن القتال اذا كانوا موافقين فى الدين والاعتقاد ولم يسقطوا الرجم ولم يحكموا بقتل اطفال المشركين وتكفيرهم وتخليدهم وقالوا التقية جائزة فى القول دون العمل وقالوا ما كان من الاعمال عليه حد واقع فلا يتعدى باهله الاسم الذي لزمه به الحد كالزنا والسرقة والقذف فيسمي زانيا سارقا قاذفا لا كافرا مشركا ومن كان من الكبائر مما ليس فيه حد لعظم قدره مثل ترك الصلاة فانه يكفر بذلك ونقل عن الضحاك منهم انه جوز تزويج المسلمات من كفار قومهم فى دار التقية دون دار العلانية ورأى زياد بن

الاصفر بجميع الصدقات سهما واحدا فى حال التقية ويحكى عنه انه قال نحن مؤمنون عند انفسنا ولا ندرى لعلنا خرجنا من الايمان عند الله وقال الشرك شركان شرك هو طاعة الشيطان وشرك هو عبادة الاوثان والكفر كفران كفر بالنعمة وكفر بانكار الربوبية والبراءة براءتان براءة من أهل الحدود سنة وبراءة من أهل الجحود فريضة ولنختم المذاهب بذكر رجال الخوارج من المتقدمين عكرمة وابو هارون العبدى وابو الشعثاء واسماعيل ابن سميع ومن المتأخرين اليمان بن رباب ثعلبي ثم بيهسى وعبد الله بن يزيد ومحمد ابن حرب ويحيي ابن كامل اباضى (ومن شعرائهم) عمران بن حطان وحبيب بن حدرة صاحب الضحاك ابن قيس والذين اعتزلوا الى جانب فلم يكونوا مع على رضي الله عنه فى حروبه ولا مع خصومه وقالوا لايدخل فى غمارة الفتنة من الصحابة رضى الله عنهم عبد الله ابن عمر وسعد بن أبي وقاص ومحمد بن مسلمة الانصارى واسامة بن زيد بن حارثة الكلبي مولى رسول الله ﷺ وقال قيس بن أبي حازم كنت مع على رضى الله عنه فى جميع احواله وحروبه حتى قال يوم صفين انفروا الى بقية الاحزاب انفروا الى من يقول كذب الله ورسوله فعرفت ايش كان يعتقد فى الجماعة فاعتزلت عنه (المرجئة) الارجاء على

المقدس، أخذها عنوة بالسيف . وهرب رحبعام وانتهب ملك مصر المدينة والقصر والهيكل وأخذ كل مافيها ورجع الى مصر سالما غانما . ثم مات رحبعام على الكفر فولى مكانه ابنه أبيا وله ثمان عشرة سنة . فبقى على الكفر هو وجنده ورعيته وعلى عبادة الاوثان علانية . وكانت ولايته ست سنين . ويقولون قتل من الاسباط العشرة فى حروبه معهم خمسمائة الف إنسان ، ثم ولى بعد موته ابنه اسا بن أبيا وله عشر سنين وكان مؤمنا فهدم بيوت الاوثان ، واظهر الايمان ، وبقى فى ولايته احدى وأربعين سنة على الايمان وذكروا أن جنده كانوا ثلاثمائة الف مقاتل من بنى يهوذا ، واثنين وخمسين الفا من بنى بنيامين ، ومات وولى بعده ابنه يهوشافاط بن اسا وهو ابن خمس وثلاثين سنة ، فكانت ولايته خمسا وعشرين سنة وذكروا عنه انه كان على الايمان الى أن مات فولى ابنه يهورام بن يهوشافاط ، ولم نجد أمر سيرته ودينه الا انه كان مؤلفا لعبادة الاوثان من ملوك سائر الاسباط وولى وله اثنان وثلاثون سنة وكانت ولايته ثمانية أعوام ومات فولى مكانه ابنه (احزياهو) وله اثنان وعشرون سنة فاظهر الكفر وعبادة الاصنام فى جميع رعيته ، وكانت ولايته سنة وقتل فوليت امه (عثلياهو) بنت عمرى ملك العشرة الاسباط ، فتمادت على أشد مايكون من الكفر وعبادة الاوثان ، وقتلت الاطفال وامرت باعلان الزنا فى البيت المقدس وجميع عملها ، وعهدت أن لاتمنع امرأة ممن أراد الزنا معها ، وعهدت أن لاينكر ذلك احد ، فبقيت كذلك ست سنين الى أن قتلت فولى ابن ابنها يوآش بن (احزياهو) وله سبع سنين ، فاتصلت ولايته اربعين سنة واعلن الكفر وعبادة الاوثان ، وقتل زكريا النبى عليه السلام بالحجارة . ثم قتله غلمانه فولى بعده ابنه (أمصياهو) بن يوآش وله خمس وعشرون سنة . فاعلن الكفر وعبادة الاوثان هو وجميع رعيته . فبقى كذلك الى أن قتل وهو على الكفر . وكانت ولايته تسعا وعشرين سنة وفى أيامه انتهب ملوك الاسباط العشرة البيت المقدس واغاروا على كل مافيه مرتين . ثم ولى بعده عزياهو بن امصياهو وله ست عشرة سنة فاعلن الكفر وعبادة الاوثان هو وجميع رعيته الى ان مات . وكانت ولايته اثنتين وخمسين سنة وهو قتل عاموص النبى عليه السلام الداوودي . فولى بعده ابنه يوثام ابن عزياهو وله خمس وعشرون سنة . ولم نجد له سيرة . وكانت ولايته ست عشرة سنة فمات فولى مكانه ابنه احاز بن يوثام وله عشرون سنة . فاعلن الكفر وعبادة الاوثان وكانت ولايته ست عشرة سنة . فاعلن الكفر وعبادة الاوثان الى أن مات . فولى بعده ابنه حزقيا بن احاز وله خمس وعشرون سنة . وكانت ولايته تسعا وعشرين سنة وظهر الايمان . وهدم بيوت الاوثان . وقتل خدمتهما . وبقى على الايمان الى أن مات هو وجميع رعيته . وفى السنة السابعة من ولايته انقطع ملك العشرة الاسباط من بنى إسرائيل . وغلب عليهم سليمان الاعسر ملك الموصل . وسباهم ونقلهم الى آمد (١)

(١) آمد بالمد وكسر الميم كما فى معجم البلدان بلد قديم مبنى على مرتفع تحيط دجلة باكثره من بلاد ديار بكر (المصحح) بتصرف

وبلاد

وبلاد الجزيرة . وسكن فى بلاد الاسباط العشرة أهل آمد والجزيرة . فاظهروا دين السامرة الذين هناك الى اليوم . ثم مات حزقيا وولى بعده ابنه منشا بن حزقيا وله ثنتا عشرة سنة . ففى السنة الثالثة من ملكه اظهر الكفر وبنى بيوت الاوثان وأظهر عبادتها هو وجميع أهل مملكته . وقتل شعيا النبي . قيل نشره بالمنشار من رأسه الى مخرجه وقيل قتله بالحجارة وأحرقه بالنار . والعجب كله انهم يصفون فى بعض كتبهم بان الله أوحى اليه مع ملك من الملائكة . وان ملك بابل كان اسره وحمله الى بلده وادخله فى ثور نحاس واوقد النار تحته . فدعا الله فارسل اليه ملكا فاخرجه من الثور ورده الى بيت المقدس . وانه تمادى مع ذلك كله على كفره حتى مات . وكانت ولايته خمسا وخمسين سنة . فقولوا يامعشر السامعين . بلد تعلن فيه عبادة الاوثان ، وتبنى هياكلها . ويقتل من وجد فيه من الانبياء ، كيف يجوز أن يبقى فيه كتاب الله سالما ؟ أم كيف يمكن هذا ؟ ولما مات منشا ولى مكانه ابنه آمون بن منشا وهو ابن اثنين وعشرين عاما ، فكانت ولايته سنتين على الكفر وعبادة الاوثان الى أن مات ، فولى مكانه ابنه يوشيا بن آموز وهو ابن ثمان سنين . ففى السنة الثالثة من ملكه أعلن الايمان . وكسر الصلبان وأحرقها ، واستأصل هياكلها ، وقتل خدامها ولم يزل على الايمان الى ان قتل . قتله ملك مصر . وفى أيامه أخذ أرميا النبي السرادق والتابوت والنار وأخفاها حيث لايدرى أحد لعلمه بفوت ذهاب أمرهم . ثم ولى بعده ابنه يهوياحوز بن يوشيا وهو ابن ثلاث وعشرين سنة ، فرد الكفر وأعلن عبادة الاوثان . وأخذ التوراة من الكاهن الهاروني ونشر منها أسماء الله حيث وجدها ، وكانت ولايته ثلاثة أشهر ، وأسره ملك مصر فولي مكانه يهوياقيم بن يوشيا أخوه وهو ابن خمس وعشرين سنة . فأعلن الكفر وبنى بيوت الاوثان ، هو وجميع أهل مملكته ، وقطع الدين جملة . وأخذ التوراة من الهاروني فأحرقها بالنار . وقطع أثرها . وكانت ولايته احدى عشرة سنة . ومات فولى مكانه ابنه يهوياكين بن يهوياقيم وتلقب يخنيا وهو ابن ثمان عشرة سنة . فأقام على الكفر وأعلن عبادة الاوثان . وكانت ولايته ثلاثة أشهر . وأسره بختنصر فولى مكانه عمه متنيا بن يوشيا وتلقب صدقيا وهو ابن احدى وعشرين سنة فثبت على الكفر وأعلن عبادة الاوثان هو وجميع أهل مملكته وكانت ولايته احدى عشرة سنة . وأسره بختنصر وهدم البيت والمدينة . واستأصل جميع بنى اسرائيل وأخلى البلد منهم . وحملهم مسبيين الى بلاد بابل . وهو آخر ملوك بنى اسرائيل وبنى سليمان جملة . فهذه كانت صفة ملوك بنى سليمان بن داوود عليهما السلام * فاعلموا الآن ان التوراة لم تكن من أول دولتهم الى انقضائها الا عند الهاروني الكوهن الاكبر وحده فى الهيكل فقط . وأما ملوك الاسباط العشرة فلم يكن فيهم مؤمن قط ولا واحد فما فوقه ، بل كانوا كلهم معلنين بعبادة الاوثان مخيفين للانبياء مانعين القصد الى بيت المقدس . لم يكن فيهم نبى قط الا مقتولا أو هاربا خائفا * فان قيل أليس قد قتل الياس جميع أنبياء بابل لأجل الوثن الذى كان يعبده الملك . والنخلة التى كانت تعبدها بنى اسرائيل وهم ثمانمائة وثمانون رجلا * قلنا انما كان باقرار كتبهم في مشهد واحد . ثم هرب من وقته وطلبته امرأة الملك لتقتله وما أبصره أحد . فأول ملوك الاسباط العشرة يربعام بن نابط الافرايمى وليهم أثر موت سليمان النبى صلى الله عليه وسلم . فعمل من حينه عجلين من ذهب وقال : هذان الاهاكم اللذان خلصاكم من مصر . وبنى لهما هيكلين وجعل لهما سدنة من غير بنى لاوى وعبدها هو وجميع

معنيين * احدهما التأخير قالوا أرجه وأخاه أى امهله واخره * والثاني اعطا الرجاء * اما اطلاق اسم المرجئة على الجماعة بالمعنى الاول فصحيح لانهم كانوا يؤخرون العمل عن النية والقصد واما بالمعنى الثانى فظاهر فانهم كانوا يقولون لاتضر مع الايمان معصية كما لاينفع مع الكفر طاعة وقيل الارجاء تأخير حكم صاحب الكبيرة الى القيامة فلا يقضى عليه بحكم مافى الدنيا من كونه من أهل الجنة أو من أهل النار فعلى هذا المرجئة والوعيدية فرقتان متقابلتان وقيل الارجاء تأخير على رضي الله تعالى عنه عن الدرجة الاولى الى الرابعة فعلى هذا المرجئة والشيعة فرقتان متقابلتان * والمرجئة اصناف أربعة مرجئة الخوارج ومرجئة القدرية ومرجئة الجبرية والمرجئة الخالصة ومحمد بن شبيب والصالحى والخالدى من مرجئة القدرية ونحن انما نعد مقالات المرجئة الخالصة

(اليونسية) أصحاب يونس السمرى زعم ان الايمان هو المعرفة بالله والخضوع له وترك الاستكبار عليه والمحبة بالقلب فمن اجتمعت فيه هذه الخصال فهو مؤمن وماسوى المعرفة من الطاعة فليس من الايمان ولايضر تركها حقيقة الايمان ولا يعذب على ذلك اذا كان الايمان خالصاً واليقين صادقا وزعم ان ابليس لعنه الله كان عارفاً بالله وحده غير انه كفر باستكباره عليه ابى واستكبر

يمكن فى قلبه الخضوع لله والمحبة له على خلوص ويقين لم يخالفه

وكان من الكافرين * قال ومن فى معصية وان صدرت منه معصية فلا يضر يقينه واخلاصه والمؤمن انما يدخل الجنة باخلاصه ومحبته لابعمله وطاعته (العبيدية) اصحاب عبيد المكتب حكى عنه انه قال مادون الشرك مغفور لامحالة وان العبد اذا مات على توحيده لم يضره مااقترف من الآثام واجترح من السيئات وحكى اليمان عن عبيد المكتب واصحابه انهم قالوا ان علم الله تعالى لم يزل شيء غيره وان كلامه لم يزل شيء غيره وكذلك دين الله لم يزل شيء غيره وزعم ان الله تعالى عن قولهم على صورة انسان وحمل عليه قوله ﷺ خلق آدم على صورة الرحمن (الغسانية) أصحاب غسان الكوفى زعم ان الايمان هو المعرفة بالله تعالى ورسوله والاقرار بما انزل الله به مما جاء به الرسول فى الجملة دون التفصيل والايمان يزيد ولاينقص وزعم ان قائلا لوقال اعلم ان الله قد حرم اكل الخنزير ولا ادرى هل الخنزير الذى حرمه هذه الشاة أم غيرها كان مؤمنا ولوقال اعلم ان الله قد فرض الحج الى الكعبة غيرانى لاادرى اين الكعبة ولعلها بالهند كان مؤمنا ومقصوده ان امثال هذه الاعتقادات أمور وراء الايمان لا انه شاكا فى هذه الامور فان عاقلا لايستجيز من عقله ان يشك فى ان الكعبة الى اية جهة هي

أهل مملكته . ومنعهم من المسير الى بيت المقدس وهو كان شريعتهم لاشريعة لهم غير القصد اليه والقربان فيه . فملك أربعا وعشرين سنة ثم مات وولى ابنه ناداب بن يربعام على الكفر سنتين . ثم قتله هو وجميع أهل بيته وولى بعشا بن ايلا من بنى يساخر على عبادة الاوثان علانية أربعا وعشرين سنة . وولى ولده ايلا بن بعشا على الكفر وعبادة الاوثان سنتين الى أن قام عليه رجل من قواده اسمه زمرى . فقتله وجميع أهل بيته وولى زمرى سبعة أيام . فقتل وأحرق عليه داره . وافترق أمرهم على رجلين . أحدهما يسمى تبنى بن جينة والآخر عمرى فبقيا كذلك اثنتى عشرة عاما . ثم مات تبنى وانفرد بملكهم عمرى فبقى كذلك ثمانية أعوام على الكفر وعبادة الاوثان الى أن مات . وولي بعده ابنه أحاب بن عمرى على أشد مايكون من الكفر وعبادة الاوثان احدى وعشرين سنة . وفى أيامه كان الياس النبي عليه السلام هاربا عنه فى الفلوات وعن امرأته بنت ملك صيدا . وهما يطلبانه للقتل ثم مات أحاب وولى ابنه احزيا بن أحاب على الكفر وعبادة الاوثان ثلاث سنين . ثم مات وولى مكانه أخوه يهورام ابن أحاب على الكفر وعبادة الاوثان اثنتى عشرة سنة . الى أن قتل هو وجميع أهل بيته . وفي أيامه كان اليسع عليه السلام وولى مكانه ياهو بن نمشى من سبط منشيا فكان أقلهم كفرا . هدم هيا كل ماعلى الوثن . وقتل سدنته . الا انه لم ينقص قطع عبادة الاوثان بل ترك الناس عليها ولم يظهر الايمان . فولى كذلك ثمانية وعشرين سنة ومات . وولى مكانه ابنه يهوياحاز بن ياهو سبع عشرة سنة فبنى بيوت الاوثان . وأعلن عبادتها هو ورعيته الى أن مات . وفى كتبهم ان أمر الاسباط العشرة ضعف فى أيامه . حتى لم يكن معه من الجند الا خمسون فارسا وعشرة آلاف رجل فقط . لان ملك دمشق غاب عليهم وقتلهم وولى مكانه ابنه يواش ابن يهوياحاز ست عشرة سنة على أشد من كفر أبيه . وأخذ فى عبادة الاوثان وهو الذي غزا بيت المقدس واغار عليه وعلى الهيكل وأخذ كل مافيه ، وهدم من سور المدينة اربعمائة ذراع ، وهرب عنه ملك يهوذ ، ثم مات وولي مكانه ابنه يار بعام بن يؤاش خمسا وأربعين سنة على مثل كفر ابيه وعبادة الاوثان ، وغزا ايضا بيت المقدس وهرب امامه ملكها الداوودى فاتبعه فقتله ، ثم مات وولى مكانه ابنه زخريا بن يار بعام بن يؤاش بن يهوياحاز بن ياهو بن نمشى ستة اشهر على الكفر وعبادة الاوثان ، الى أن قتل هو وجميع أهل بيته ، وولي مكانه شلوم ابن ناءس من سبط نفتلى فملك شهرا واحدا على الكفر وعبادة الاوثان ، ثم قتل وولى بعده مياخيم بن قارا من سبط يساخر عشرين سنة على عبادة الاوثان والكفر ومات وولى مكانه ابنه محيا بن مياخيم على الكفر وعبادة الاوثان سنتين الى أن قتل هو وجميع اهل بيته ، وولى مكانه ناجح بن مليا من سبط داني ، فملك ثمانيا وعشرين سنة على الكفر وعبادة الاوثان الى أن قتل هو وجميع أهل بيته * وفى ايامه أجلى تباشر ملك الجزيرة بنى رؤابين وبنى جادا ونصف سبط منشيا من بلادهم بالغور (١) ، وحملهم الى بلاده

(١) فى معجم البلدان : والغور غور الاردن بالشام بين البيت المقدس ودمشق وهو منخفض عن ارض دمشق وارض البيت المقدس ولذلك سمي الغور طوله مسيرة ثلاثة أيام وعرضه نحو يوم وفيه نهر الاردن اه (مصححه)

وسكن

وسكن بلادهم قوما من بلاده ، ثم ولى مكانه هوسيع بن ايلا من سبط جاذا على الكفر وعبادة الاوثان سبع سنين ، الى أن اسره كما ذكرنا سلمان الاعسر ملك الموصل وحمله والتسعة الاسباط ونصف سبط منشيا الى بلاده اسري وسكن بلادهم قوما من أهل بلده وهم السامرية إلى اليوم ، وهوسيع هذا آخر ملوك الاسباط العشرة ، وانقضى أمرهم فبقايا المنقولين من آمد والجزيرة الى بلاد بنى إسرائيل هم الذين ينكرون التوراة جملة ، وعندهم توراة أخرى غير هذه التى عند اليهود ، ولا يؤمنون بنبي بعد موسى عليه السلام ولا يقولون بفضل بيت المقدس ولا يعرفونه ، ويقولون ان المدينة المقدسة هى نابلس فامر توراة أولئك أضعف من توراة هؤلاء ، لانهم لا يرجعون فيها الى نبي أصلا ، ولا كانوا هنالك ايام دولة بني إسرائيل ، وانما عملها لهم رؤساهم أيضا * فقد صح يقينا أن جميع اسباط بنى إسرائيل حاشا سبط يهوذا وبنيامين ومن كان بينهم من بنى هارون بعد سليمان عليه السلام مدة مائتى عام وواحد وسبعين عاما لم يظهر فيهم قط ايمانا ولا يوما واحدا فما فوقه ، وانما كانوا عباد أوثان ولم يكن قط فيهم نبى الا مخاف ، ولا كان للتوراة عندهم لا ذكر ولا رسم ولا أثر ، ولا كان عندهم شىء من شرائعها اصلا ، مضى على ذلك جميع عامتهم وجميع ملوكهم وهم عشرون ملكا قد سميناهم الى أن أوجلوا ودخلوا فى الامم وتدينوا بدين الصابئين الذين كانوا بينهم متملكين . وانقطع رسمهم ميهم الى الابد . فلا يعرف منهم عين احد . وظهر يقينا أن بنى يهوذا وبنى بنيامين كانت مدة ملكهم بعد موت سليمان عليه السلام أربعمائة سنة غير اعوام . على اختلاف من كتبهم فى ذلك فى بضعة عشر عاما وقد قلنا انها كتب مدخولة فاسدة ملك هذين السبطين فى هذه المدة من بنى سليمان بن داود عليهما السلام تسعة عشر رجلا . ومن غيرهم امرأة تموا بها عشرين ملكا قد سميناهم كلهم آنفا كانوا كفارا معلنين بعبادة الاوثان حاشا خمسة منهم فقط كانوا مؤمنين ولا مزيد . وهم أشا بن أسا ولى احدى وأربعين سنة . وابنه يهوشافاط بن اشا ولى خمسا وعشرين سنة . فهذه ستة وستون . اتصل فيهم الكفر ظاهرا وعبادة الاوثان . ثم ثمانية أعوام ليورام بن يهوشافاط لم نجد له حقيقة دين . فحملناه على الايمان لسبب ابيه ثم اتصل الكفر ظاهرا وعبادة الاوثان فى ملوكهم وعامتهم مائة عام وستين عاما مع كفر سائر اسباطهم فعمهم الكفر وعبادة الاوثان فى اولهم وآخرهم . فاى كتاب اوأى دين يبقى مع هذا ؟ ثم ولى حزقيا المؤمن تسعا وعشرين سنة . ثم اتصل الكفر بعد فى عامتهم وملوكهم وعبادة الاوثان سبعا وخمسين سنة . ثم ولى يوشا المؤمن الفاضل احدى وثلاثين سنة . ثم لم يل بعده الا كافر معلن بعبادة الاوثان مدة اثنين وعشرين عاما وستة أشهر منهم من نشر أسماء الله من التوراة ، ومنهم من احرقها وقطع اثرها ، ولم نجد بعد هؤلاء ظهر فيهم ايمان الا الكفر وقتل الانبياء عليهم السلام ، الى ان انقطع امرهم جملة بغارة بختنصر وسبوا كلهم وهدم البيت واستأصل أثره ، الى غارات كانت على مدينة بيت المقدس وهيكلها الذى لم تكن التوراة عند احد الا فيه لم يترك فيها شىء ، مرة أغار عليهم صاحب مصر أيام رحبعام بن سليمان . ومرتين فى أيام أمصياهو الملك

وان الفرق بين الخنزير والشاة ظاهر * ومن العجب ان غسان كان يحكى عن ابى حنيفة رحمه الله مثل مذهبه ويعده من المرجئة ولعله كذب ولعمرى كان يقال لابي حنيفة وأصحابه : مرجئة السنة وعده كثير من أصحاب المقالات من جملة المرجئة ولعل السبب فيه انه لما كان يقول الايمان هو التصديق بالقلب وهو لا يزيد ولا ينقص ظنوا أنه يؤخر العمل عن الايمان والرجل مع تحرجه فى العمل كيف يفتى بترك العمل وله سبب آخر وهو انه كان يخالف القدرية والمعتزلة الذين ظهروا فى الصدر الاول والمعتزلة كانوا يلقبون كل من خالفهم فى القدر مرجئا وكذلك الوعيدية من الخوارج فلا يبعد أن اللقب انما لزمه من فريقى المعتزلة والخوارج والله أعلم (الثوبانية) أصحاب أبي ثوبان المرجئى الذين زعموا أن الايمان هو المعرفة والاقرار بالله تعالى وبرسله عليهم السلام وبكل مالا يجوز فى العقل أن يفعله وما جاز فى العقل تركه فليس من الايمان وأخر العمل كله من الايمان ومن القائلين بمقالته أبو مروان غيلان بن مروان الدمشقى وأبو شمر ويونس بن عمران والفضل الرقاشى ومحمد بن شبيب والعتابى وصالح أخيه وكان غيلان يقول بالقدر خيره وشره من العبد وفى الامامة أنها تصلح لغير قريش وكل من كان قائما بالكتاب والسنة كان مستحقا لها وانها لا تثبت

الا باجماع الامة. والعجب ان الامة اجتمعت على أنها لاتصلح لغير قريش وبهذا دفعت الانصار عن
دعواهم منا أمير ومنكم أمير
فقد جمع غيلان خصالا
ثلاثا القدر والارجاء
والخروج والجماعة التى
عددناهم اتفقوا على أن الله
تعالي لو عفا عن عاص فى
القيامة عفا عن كل مؤمن
عاص هو في مثل حاله وان
أخرج من النار واحدا
أخرج من هو فى مثل حاله
ومن العجب انهم لم يجزموا
القول بأن المؤمنين من
أهل التوحيد يخرجون
لامحالة من النار * ويحكي
عن مقاتل بن سليمان أن
المعصية لاتضر صاحب
التوحيد والايمان وانه
لايدخل النار مؤمن
والصحيح من النقل عنه
ان المؤمن العاصى يعذب
يوم القيامة على الصراط
وهو على متن جهنم يصيبه
لفح النار ولهبها فيتألم بذلك
على مقدار المعصية ثم يدخل
الجنة ومثل ذلك بالحبة
على المقلاة المؤججة بالنار
ونقل عن بشر بن غياث
المريسى انه قال ان أدخل
أصحاب الكبائر النار فانهم
سيخرجون عنها بعد أن
عذبوا بذنوبهم وأما
التخليد فيها فمحال وليس
بعدل وقيل ان أول من
قال بالارجاء الحسن بن محمد
ابن علي بن أبي طالب وكان يكتب فيه الكتب الى الامصار الا أنه ما أخر العمل عن الايمان كما قالت
المرجئة واليونسية والعبيدية لكنه حكم أن صاحب الكبيرة لايكفر اذ الطاعات وترك المعاصى ليست من أصل الايمان حتى يزول

من

من قبل صاحب العشرة الاسباط . الى أن أملها عليهم من حفظه عزرا الوراق الهاروني . وهم مقرون انه وجدها عندهم وفيها اخلال كثير فأصلحه . وهذا يكفي . وكان كتابة عزرا للتوراة بعد أزيد من سبعين سنة من خراب بيت المقدس . وكتبهم تدل على أن عزرا لم يكتبها لهم ولم يصلحها الا بعد نحو أربعين عاما من رجوعهم الى البيت . بعد السبعين عاما التى كانوا فيها خالين ولم يكن فيهم حينئذ نبي أصلا ولا القبة ولا التابوت . واختلف في النار كانت عندهم أم لا ؟ ومن ذلك الوقت انتشرت التوراة ونسخت وظهرت ظهورا ضعيفا أيضا . ولم تزل تتداولها الايدى مع ذلك الى أن جعل انطاكيوس الملك الذى بنى انطاكية وثنا للعبادة في بيت المقدس وأخذ بنى اسرائيل بعبادته . وقربت الخنازير على مذبح البيت . ثم تولى أمرهم قوم من بنى هارون بعد مئين من السنين . وانقطعت القرابين فحينئذ انتشرت نسخ التوراة التى بأيديهم اليوم وأحدث لهم أحبارهم صلوات لم تكن عندهم جعلوها بدلا من القرابين . وعملوا لهم دينا جديدا ورتبوا لهم الكنائس في كل قرية . بخلاف حالهم طول دولتهم وبعد هلاك دولتهم بأزيد من أربعمائة عام . وأحدثوا لهم اجتماعا في كل سبت على ما هم عليه اليوم . بخلاف ما كانوا طول دولتهم . فانه لم يكن لهم في شيء من بلادهم بيت عبادة . ولا مجمع ذكر وتعلم ، ولا مكان قربان قربة البتة الا بيت المقدس وحده ، وموضع السرادق قبل بنيان بيت المقدس فقط ، وبرهان هذا أن في سفر يوشع بن نون باقرارهم ان بنى رؤابين وبنى جاد ونصف سبط منشا اذا رجعوا بعد فتح بلاد الاردن وفلسطين الى بلادهم بشرقى الاردن ، بنوا مذبحا فهم يوشع بن نون وسائر بنى اسرائيل بغزوهم من أجل ذلك حتى أرسلوا اليه أنا لم نقمه لا لقربان ولا لتقديس أصلا . ومعاذ الله أن نتخذ موضع تقديس غير المجتمع عليه الذى في السرادق وبيت الله . فحينئذ كف عنهم ففي دون هذا كفاية لمن عقل في أنها كتاب مبدل مكذوب موضوع . ودين معمول خلاف الدين الذى يقرون أن موسى عليه السلام أتاهم به . وما يزيد الشيطان منهم أكثر من هذا . ولا في الضلال فوق هذا ونعوذ بالله من الخذلان وأيضا فان في التوراة التى ترجمها السبعون شيخا لبطليموس الملك بعد ظهور التوراة وفشوها مخالفة للتى كتبها لهم عزرا الوراق . وتدعى النصارى أن تلك التى ترجم السبعون شيخا في اختلاف أسنان الآباء بين آدم ونوح عليهما السلام التى من أجل ذلك الاختلاف تولد بين تاريخ اليهود وتاريخ النصارى زيادة ألف عام ونيف على ما نذكر بعد هذا إن شاء الله تعالي . فان كان هو كذلك فقد وضح اليقين وكذب السبعين شيخا وتعمدهم لنقل الباطل . وهم الذين عنهم أخذوا دينهم . وأف أف لدين أخذ عن متيقن كذبه * وأيضا فان في السفر الخامس من أسفار التوراة الذى يسمونه التكرار : ان الله تعالى قال لموسى اصنع لوحين على حال الاولين واصعد الى الجبل واعمل تابوتا من خشب لأكتب في اللوحين العشر كلمات التى أسمعكم السيد في الجبل من وسط اللهيب عند اجتماعكم اليه ويرى بهما الى فانصرفت من الجبل وجعلتهما في التابوت وهما فيه الى اليوم . وفي السفر المذكور أيضا بعد هذا الفصل قال : ومن بعد أن كتب موسى هذه العهود في مصحف واستودعها أمر بنى لاوى حاملي تابوت عهد الرب وقال لهم خذوا هذا المصحف واجعلوه في المذبح واجعلوا عليه تابوت عهد الرب الحكم ليكون عليكم شاهدا . وقال قبل ذلك في السفر المذكور أيضا : اذا استجمعتم على تقديم ملك عليكم على حال ملوك الاجناس فلا تقدموا الا

من ارتضاء الرب من عدد اخوتكم ولا تقدموا أجنبيا علي أنفسكم . الى أن قال : فاذا قعد على سرير ملكه فليكتب من هذا التكرار فى مصحف ما يعطيه الكوهن المتقدم من بنى لاوى بما يشاكله ويكون ذلك معه فيقرأه كل يوم طول ولايته ليخاف الرب الهه ويذكر كتابه وعهده فهذا كله بيان واضح بصحة ماقلنا من أن العشر كلمات ومصحف التوراة انما كان فى الهيكل فقط تحت تابوت العهد وفى التابوت فقط عند الكوهن الاكبر وحده ، لانه باجماعهم لم يكن يصل الى ذلك الموضع أحد سواه ، وفيه أيضا انه أمر أن يكتب الكوهن المذكور من السفر الخامس فقط شيئا يمكن أن يقرأه الملك كل يوم ، ومثل هذا لا يكون الا يسيرا جدا ورقة أو نحو ذلك ، مع انهم لا يختلفون فى انه لم يلتفت الي ذلك البتة بعد سليمان عليه السلام أحد من ملوكهم الا أربعة أو خمسة كما قدمنا فقط من جملة أربعين ملكا ، وأيضا فانه قال فى السفر المذكور : ثم كتب موسى هذا الكتاب وبرى به الى الكهنة من بنى لاوى الذين كانوا يحسنون عهد الرب وقال لهم موسي اذا اجتمعتم للتقديس بين يدى الرب الحكم فى الموضع الذى تخيره الرب فاقرؤا مافى هذا المصحف فى جماعة بنى اسرائيل عند اجتماعهم فقط يسمعوا مايلزمهم

(قال أبو محمد رضى الله عنه) وفى نص توراتهم انهم كانوا لا يلزمهم المجىء الى بيت المقدس الا ثلاث مرات فى كل سنة فقط . فانما أمر بنص التوراة كما أوردنا أن يقرأها عليهم الكوهن الهاروني عند اجتماعهم فقط . فثبت انها لم تكن الا في الهيكل فقط عند الكوهن الهاروني فقط لا عند أحد سواه . وقد أوضحنا قبل أن العشرة الاسباط لم يدخل قط بيت المقدس منهم أحد بعد موت سليمان عليه السلام الى أن انقطعوا ، وان بنى يهوذا وبنيامين لم يجتمعوا اليه الا فى عهد الملوك الخمسة المؤمنين فقط . فظهر بهذا كل ماقلنا ، وصح تبديلها بيقين ، ولاشك فى أن تلك المدة الطويلة التى هى أربعمائة سنة غير شىء ، قد كان فى الكهنة الهارونيين ما كان فى غيرهم من الكفر والفسق وعبادة الاوثان كالذى يذكرون عن ابنى الكوهن عالى الهارونى وغيرهما ممن يقرؤن فى كتبهم أنهم خدموا الاوثان وبيوتها من بنى هارون وبنى لاوى ، ومن هذه صفته فلا يؤمن عليه تغيير ماينفرد به ، وهذه كلها براهين أضوأ من الشمس على صحة تبديل توراتهم وتحريفها

(قال أبو محمد رضى الله عنه) الا سورة واحدة ذكر فى توراتهم أن موسى عليه السلام أمر بان تكتب وتعلم جميع بنى اسرائيل ليحفظوها ويقوموا بها ولا يمتنع احد من نسلهم من حفظها وهذا نصها حرفا بحرف : اسمعى ياسموات قولى وتسمع الارض كلامي يكثر كالمطر وبل كالرذاذ كلامى ويكون كالمطر على العشب وكالرذاذ علي الخصب لانى انادى باسم الرب فيعظمه الرب الهنا الذى اكمل خليقته واعتدلت احكامه الله الامين الذى لايجور العدل القيوم اذنب لديه غير اوليائه ومحت الامة العاصية المستحيلة وهذا شكر للرب يا أمة جاهلة قيمة اماهو ابوكم الذى خلقكم وملككم فتذكروا القديم وفكروا فى الاجناس وسلوا آباكم فيعلمونكم واكابركم فيعرفونكم اذا كان يقسم العلى الاجناس ويميز بين بنى آدم جعل قسمة الاجناس علي حساب بنى اسراءيل فهم الرب امته ويعقوب قسمته وجده

الايمان بزوالها (التومنية) أصحاب أبى معاذ التومنى الذى زعم أن الايمان هو ماعصم من الكفر وهو اسم لخصال اذا تركها التارك كفر وكذلك لو ترك خصلة واحدة منها كفر ولا يقال للخصلة الواحدة منها ايمان ولا بعض ايمان وكل معصية صغيرة أو كبيرة لم تجتمع عليها المسلمون بانها كفر لا يقال لصاحبها فاسق ولكن يقال فسق وعصى وقال تلك الخصال هى المعرفة والتصديق والمحبة والاخلاص والاقرار بما جاء به الرسول قال ومن ترك الصلاة والصيام مستحلا كفر وان تركهما علي نية القضاء لم يكفر ومن قتل نبيا أو لطمه كفر لا من أجل القتل واللطم ولكن من أجل الاستخفاف والعداوة والبغض والى هذا المذهب ميل بن الراوندي وبشر المريسى قالا الايمان هو التصديق بالقلب واللسان جميعا والكفر هو الجحود والانكار والسجود للشمس والقمر والصنم ليس بكفر فى نفسه ولكنه علامة الكفر (الصالحية) أصحاب صالح ابن عمرو الصالحى ومحمد ابن شبيب وأبو شمر وغيلان ابن حرث ومحمد بن التميمى كلهم جمعوا بين القدر والارجاء ونحن وان شرطنا أن نورد مذاهب المرجئة الخالصة الا انه بدا لنا فى هؤلاء لانفرادهم عن المرجئة باشياء فاما الصالحى فقال الايمان هو المعرفة بالله تعالى علي الاطلاق وهو ان للعالم صانعا فقط والكفر هو الجهل به علي الاطلاق قال وقول القائل ثالث

في الارض المقفرة وفي موضع قبيح غير مسلوك فاطلقه واقبل به وحفظه كحفظ الشمر للعين واطارهم كما يستطير العقاب بفراخها وتحرم عليها وتبسط جناحها حفظا لها فاقبل بهم وحملهم على منكبيه فالرب وحده كان قائدهم ولم يكن معه اله غيره فجعلهم في اشرف ارضه ليأكلوا خبزها ويصيبوا عسل حجارتها وزيت جنادلها وسمن مواشيها وابن ضانها وشحوم خرفانها وكباش بني بلسان ولحوم التيوس ولباب البر ودم العنب وتماصوا سمنوا ودبروا واشعوا ثم تخلوا من الله خالقهم وكفروا بالله مسلمهم فاجترم لعبادتهم الاوثان الى ان سخط عليهم ولسجودهم للشيطان لا لله ولسجودهم لآلهة بالاجناس كانوا يجهلونها ولم يعبدها قبلهم آباؤهم فتخلوا من الله الذي ولدهم فنسوا الرب خالقهم فبصر الرب بهذا وغضب له اذ تخلى بنوه وبناته فقال اخفي وجهي عنهم حتى اعلم آخر امرهم فانها امة كافرة عاصية وقد اسخطوني بعبادة من ليس الها واغضبوني بفواحشهم وساغيرهم على يدي امة ضعيفة واخف بهم على يدي امة جاهلة وتتقدم غضبي نار تحرق الى الهواء فتأتي على الارض بما انبته وتذهب اصول الجبال فاجمع عليهم أسي واتقهم بنبلي واهلكهم جوعا واجعلهم طعما للطير واسلط عليهم انياب السباع واعصب عليهم الحياة فان برزوا اهلكتهم رماحا وان تحصنوا اهلكت الشاب منهم والعذار والطفل والشيخ رعبا حتى اقول اين هم فاقطع من الارض ذكرهم لكني رفهت عنهم لشدة حرد اعدائهم لئلا يزهوا ويقولوا ايدينا القوية فعلت لا الرب فهذه الامة لا رأي لها ولا تمييز فليتها عرفت وفهمت وابصرت ما يدركها في آخر امرها كيف يتبع واحد منهم الفا ويفر عن اثنين عشرة آلاف اما هذا بان ربهم اسلمهم وربهم اعلق فيهم ليس الهنا مثل الهتهم وصار حكما كرمهم من كرم سدوم وعناقيدهم من ارباض عامورا فمناقيدهم عناقيد المرارة وشرابهم مرارة الثعابين ومن السم الذي لا دواء له اما هذا في علمي ومعروف في خزائني لي الانتقام وانا أكافىء في وقته فترهق ارجلكم فكان قد حان وقت خرابهم والى ذلك تسرع الازمنة سيحكم الرب على امته ويرحم عبيده اذا أبصرهم قد ضعفوا واغلق عليهم وذهبوا وذهب اواخرهم وقال اين الهتهم التي يتقون ويأكلون من قربانهم ويشربون منه فليقوموا وليغيثوهم في وقت حاجتهم فتبصروا تبصروا انا وحدي ولا إله غيري انا اميت وأنا احيي وانا امرض وانا ابري ولا يتخلص شيء من يدي فارفع الى السماء يدي واقول بحياتي الدائمة لئن حددت رمحي كالصاعقة وابتدأت يميني بالحكم لا كافاني اعدائي وأهل الشنان ولا سكرن نبلي دما ولا فطمن برمحي لحوما فامدحوا يامعشر الاجناس امة فانه سيأخذ بدماء عبيده وينتقم من اعدائهم ويرحم ارضهم

(قال أبو محمد رضي الله عنه) هذه السورة التي ابيحت لهم وامروا بحفظها وكتابتها لا ماسواها بنص توراتهم بزعمهم، وقد بينا قبل انهم لم يشتغلوا بعد موت سليمان عليه السلام لا بهذه السورة ولا بغيرها الامدة الملوك الخمسة فقط لانهم قد عبدوا كلهم الاوثان وقتلوا الانبياء واخافوهم وشردوهم، هذا مالا يشك فيه كافر ولا مؤمن * على ان في هذه السورة من الفضائح مالا يجوز ان ينسب الى الله عز وجل مثل قوله . ان الله تعالى هو ابوهم الذي ولدهم وانهم بنوه وبناته ، حاش لله من هذا وهل طرق للنصارى وسهل

عليهم

ثلاثة ليس بكفر لكنه لايظهر الا من كافر وزعم ان معرفة الله تعالى هو المحبة والخضوع له ويصح ذلك مع جحد الرسول ويصح في العقل ان يؤمن بالله ولا يؤمن برسوله غير ان الرسول عليه السلام قد قال من لا يؤمن بي فليس يؤمن بالله تعالى وزعم ان الصلاة ليست بعبادة لله تعالى وانه لا عبادة الا الايمان به وهو معرفته وهو خصلة واحدة لا يزيد ولا ينقص وكذلك الكفر خصلة واحدة لا يزيد ولا ينقص واما ابو شمر المرجئ القدري فانه زعم ان الايمان هو المعرفة بالله عز وجل والمحبة والخضوع له بالقلب والاقرار به انه واحد ليس كمثله شيء مالم يقم عليه حجة الانبياء عليهم السلام فاذا قامت الحجة فالاقرار بهم وتصديقهم من الايمان والمعرفة والاقرار بما جاؤا به من عند الله غير داخل في الايمان الاصلي وليس كل خصلة من خصال الايمان ايمانا ولا بعض ايمان واذا اجتمعت كانت كلها ايمانا وشرط في خصال الايمان معرفة العدل يريد به القدر خيره وشره من العبد من غير ان يضاف الى الباري تعالى منه شيء واما غيلان بن مروان من القدرية زعم ان الايمان هو المعرفة الثابتة بالله والمحبة والخضوع له والاقرار بما جاء به الرسول وبما جاء من عند الله والمعرفة الاولى فطرية ضرورية فالمعرفة على اصله نوعان فطرية وهو علمه

عليهم أن يجعلوا لله ولدا الاما وجدوا فى هذه الكتب المدونة المكذوبة المبدلة بايدى اليهود ، وليس فى العجب اكثر من ان يجعلهم انفسهم اولاد الله تعالى وكل من عرفهم يعرف انهم (١) أوضر الامم بزة ، وابردهم طلعة ، واغثهم مقاطع ، واتمهم خبثا ، واكثرهم غشا ، واجبنهم نفوسا ، واشدهم مهانة وأكذبهم لهجة ، واضعفهم همة ، وارعنهم شمائل ، بل حاش لله من هذا الاختيار الفاسد * ومثل قوله فى هذه السورة انه تعالى حملهم على منكبيه * ومثل قوله انه قد قسم الاجناس من بنى آدم وجعل قسمة الاجناس على حساب بنى إسرائيل ، وجعلهم سهمه ، فهذا كذب ظاهر حاش لله منه ، لان اولاد بنى إسرائيل اثناعشر ، فعلى هذا يجب ان يكون اجناس بنى آدم اثنى عشر وليس الامر كذلك فان كان عنى من تناسل من بنى إسرائيل فكذب حينئذ اشنع وأبشع ، لان عددهم لا يستقر على قدر واحد . بل كل يوم يزيدون وينقصون بالولادة والموت . هذا مالاشك فيه . فكل هذه براهين واضحة بانها محرفة مبدلة مكذوبة . فاذهى كذلك فلا يجوز البتة فى عقل احد ان يشهد فى تصحيح شريعة . ولا فى نقل معجزة . ولا فى اثبات نبوة . بنقل مكذوب مفترى موضوع . هذا مالا شك فيه . وقد قلنا أو نقول ان نقل اليهود فاسد مدخول . لانه راجع الى قوم اتبعوا من اخرجهم من الذل والبلاء والسخرة والخدمة فى عمل الطوب وذبح اولادهم عند الولادة ومن حال لا يصبر عليها كلب مطلق ولا حمار مسيب الى العز والراحة والعافية والتملك للاموال وان يكونوا آمرين مخدومين آمنين على اولادهم وانفسهم . ولا ينكر فى مثل هذا الحال ان يشهد المخلص للمخلص بكل ما يريد منه . ومع هذا كله فان اتباعهم لموسى عليه السلام الذى اخرجهم من تلك الحالة الى هذه الاخرى . وطاعتهم له كانت مدخولة ضعيفة مضطربة * وقد ذكر فى نص توراتهم انهم اذ عملوا العجل نادوا هذا إله موسى الذى يخلصهم من مصر . ومرة اخرى ارادوا قتله وتصايحوا : قدم على انفسنا قائدا ونرجع الى مصر . ومع هذا كله قولهم : ان السحرة عملوا مثل كثير مما عمل موسى وان كل ذلك بيان ممكن بصناعة معروفة . وفى هذا كفاية . وهم مقرون بلا خلاف من احد منهم انه لم يتبع موسى أمة سواهم ، ولا نقلت لهم معجزة طائفة غيرهم ، وأما النصارى فمنهم أخذوا نبوة موسى ومعجزاته ، وأما سائر الأمم والملل كالمجوس والفرس والصابئين والسريانين والمانية والسمنية والبراهمة والهند والصين والترك فلا (٢) أصلا ، ولا على أديم الارض مصدق بنبوة موسى وبالتوراة التى بأيديهم الام ومن هو شعبة منهم كالنصارى * وأما نحن المسلمين فانما قبلنا نبوة موسى وهارون وداود وسليمان والياس واليشع عليهم السلام وصدقنا بذلك وآمنا

---

(١) فى كتب اللغة الوضر محركة وسخ الدسم واللبن وغسالة السقاء والقصعة ونحوها وما تشمه من ريح تجدها من طعام فاسد أى اقذرهم ثيابا واسمجهم وجها واردؤهم كلاما لان المقاطع نهايات القول وفواصله حيث ينتهى بالمتكلم المعنى والكلام الغث هو الردىء الذى لاطلاوة عليه . وهذه الصفات الى قوله وأرعنهم شمائل اي احمقهم خلائق من الرعونة وهى الحمق والهوج هى صفات اليهود الملازمة لهم الى اليوم (لمصححه)

(٢) أى فلا يصدقون بنبوة موسى أصلا ولعل فى الكلام سقط

رجال المرجئة كما نقل الحسن بن محمد بن علي بن ابى طالب وسعيد بن جبير وطلق بن حبيب وعمرو بن مرة ومحارب بن دثار ومقاتل ابن سليمان وذر وعمرو بن ذر وحماد بن ابى سليمان وابو حنيفة وابو يوسف ومحمد بن الحسن وقديد ابن جعفر وهؤلاء كلهم ائمة الحديث لم يكفروا أصحاب الكبائر بالكبيرة ولم يحكموا بتخليدهم فى النار خلافا للخوارج والقدرية (الشيعة) هم الذين شايعوا عليا عليه السلام على الخصوص وقالوا بامامته وخلافته نصا ووصاية اما جليا واما خفيا واعتقدوا أن الامامة لاتخرج من أولاده وان خرجت فبظلم يكون من غيره أو بتقية من عنده قالوا وليست الامامة قضية مصلحية تناط باختيار العامة وينتصب الامام بنصبهم بل هى قضية أصولية هو ركن الدين لا يجوز للرسول عليه السلام اغفاله واهماله وتفويضه الى العامة وارساله ويجمعهم القول بوجوب التعيين والتنصيص وثبوت عصمة الائمة وجوبا عن الكبائر والصغائر والقول بالتولى والتبرى قولا وفعلا وعقدا الا فى حال التقية ويخالفهم بعض الزيدية فى ذلك ولهم فى تعدية الامامة كلام وخلاف كثير وعند كل تعدية وتوقف مقالة ومذهب وخبط وهم خمس فرق كيسانية وزيدية وامامية وغلاة واسمعيلية

بهم وان موسى الذى أنذر بمحمد صلى الله عليه وسلم لاخبار رسول الله صلى الله عليه وسلم بصحة نبوتهم ومعجزاتهم فقط ، ولولا اخباره عليه السلام بذلك ما كانوا عندنا الا كشموال وإرميا وحزقيال وحقاى وحبقوق وعدوا ويؤال وعاموص وعوبديا وميخا وناحوم وصفيناو ملاخى وسائر من تقر اليهود بنبوته كاقرارهم بنبوة موسى سواء بسواء ولا فرق بين طرق نقلهم لنبوة جميعهم ، ونحن لا نصدق نقل اليهود في شيء من ذلك بل نقول انه قد كان لله تعالى أنبياء فى بنى اسرائيل أخبر بذلك الله تعالى في كتابه المنزل على نبيه الصادق المرسل ، فنحن نقطع بنبوة من سمى لنا منهم ، ونقول فى هؤلاء الذين لم يسم لنا محمد صلى الله عليه وسلم أسماءهم ، الله عز وجل اعلم ان كانوا أنبياء فنحن نؤمن بهم ، وان لم يكونوا أنبياء فلسنا نؤمن بهم ، آمنا بالله وكتبه ورسله لا نفرق بين أحد من رسله ، وهكذا نقر بنبوة صالح وهود وشعيب واسماعيل ، وبأنهم رسل الله يقينا ، ولا نبالى بانكار اليهود لنبوتهم ولا بجهلهم بهم ، لان الصادق عليه السلام شهد برسالتهم . وأما التوراة فما وافقنا قط عليها ، لاننا نحن نقر بتوراة حق أنزلها الله تعالى على موسى عليه السلام وأصحابه لانه تعالى أخبرنا بذلك فى كتابه الناطق على لسان رسول الله صلى الله عليه وسلم الصادق ، ونقطع بأنها ليست هذه التى بأيديهم بنصها . بل حرف كثير منهم وبدل . وهم يقرون بهذه التى بأيديهم ، ولا يعرفون التى نؤمن نحن بها وكذلك لا نصدق بشريعتهم التى هم عليها الآن ، بل نقطع بأنها محرفة مبدلة مكذوبة وهم لا يؤمنون بموسى الذى بشر بمحمد صلى الله عليه وسلم وبرسالته وبأصحابه فاعلموا أننا لم نوافقهم قط على التصديق بشيء من دينهم ولا بما هم عليه ولا بما بايديهم من الكتاب ولا بالنبي الذى يذكرونه لما قد أوضحناه من فساد نقلهم ووضوح الكذب فيه وعموم الدواخل فيه

(قال أبو محمد رضى الله عنه) ونذكر ان شاء الله تعالى طرفا مما فى سائر الكتب التى عندهم التى يضيفونها الى الانبياء عليهم السلام من الفساد كالذى ذكرنا فى توراتهم ولا خلاف فى أن (١) احتبالهم بالتوراة كان أشد وأكثر أضعافا مضاعفة من احتبالهم بسائر كتب أنبيائهم أما كتاب يوشع فان فيه براهين قاطعة بانه أيضا تاريخ ألفه لهم بعض متأخريهم بيقين وان يوشع لم يكتبه قط ولا عرفه ولا أنزل عليه * فمن ذلك أن فيه نصا فلما انتهى ذلك الى دوسراق ملك يبوس التى بنى فيها سليمان بن داود بيت المقدس فعل أمرا ذكره

(قال ابو محمد رضي الله عنه) ومن المحال الممتنع أن يخبر يوشع أن سليمان بنى بيت المقدس ويوشع قبل سليمان بنحو ستمائة سنة ولم يأت هذا النص فى كتاب يوشع المذكور على سبيل الانذار أصلا ، انما ساقه بلا خلاف منهم مساق الاخبار عما قد مضى * وفيه قصة بشيعة جدا وهى أن عخار بن كرمى بن شذان بن شيلة بن يهوذا بن يعقوب عليه السلام غل (٢) من المغنم خيطا أرجوانا وحق ذهب فيه خمسون مثقالا ومائتا درهم فضة . فأمر يوشع برجمه ورجم بنيه

---

(١) الاحتبال يأتى فى اللغة لمعان يقال احتبل اذا اغتنم واحتبل اذا ثكل واحتبل الصيد بناء والاحتبال ضرب من السير والمحتبل الكذاب واحتبل هبلك أى اشتغل بشأنك يقول ان اشتغالهم بها كان أكثر من اشتغالهم بسائر كتب أنبيائهم (٢) غل فى المغنم يغل بالضم خان (المصحح)

وبعضهم يميل فى الاصول الى الاعتزال وبعضهم الى السنة وبعضهم الى التشبيه (الكيسانية) أصحاب كيسان مولى أمير المؤمنين علي عليه السلام وقيل تلميذ للسيد محمد بن الحنفية يعتقدون فيه اعتقادا بالغا من احاطته بالعلوم كلها واقتباسه من السيدين الاسرار بجملتها من علم التأويل والباطن وعلم الآفاق والانفس ويجمعهم القول بأن الدين طاعة رجل حتى حملهم ذلك على تأويل الاركان الشرعية من الصلاة والصيام والزكاة والحج وغيرها على رجال فحمل بعضهم على ترك القضايا الشرعية بعد الوصول الى طاعة الرجل وحمل بعضهم على ضعف الاعتقاد بالقيامة وحمل بعضهم على القول بالتناسخ والحلول والرجعة بعد الموت فمن مقتصر على واحد معتقد انه لا يموت ولا يجوز أن يموت حتى يرجع ومن معد حقيقة الامامة الى غيره ثم متحسر عليه متحير فيه ومن مدع حكم الامامة فليس من الحيرة وكلهم حيارى منقطعون ومن اعتقد ان الدين طاعة رجل ولا رجل له فلا دين له ونعوذ بالله من الحيرة والحور بعد الكور (المختارية) أصحاب المختار بن أبي عبيد كان خارجيا ثم صار زبيريا ثم صار شيعيا وكيسانيا قال بامامة محمد بن الحنفية بعد أمير المؤمنين علي رضى الله عنهما وقيل لا بل بعد الحسن والحسين وكان يدعو الناس اليه ويظهر انه من رجاله ورجم

ورجم بناته حتى يموتوا كلهم بالحجارة ، وأمر باحراق مواشيه كلها ، وحاش لله أن يحكم نبي بهذا الحكم فيعاقب باغلظ العقوبة من لاذنب له من ذرية لم تجن شيئا بجناية أبيهم ، مع أن نص التوراة : لا يقتل الاب بذنب الابن ولا الابن بذنب الاب ؛ فلا بد ضرورة من أن يقولوا انسخ يوشع هذا الحكم فيثبتوا النسخ من نبي لشريعة نبي قبله ، وفي شريعة موسى أيضا أو ينسبوا الظلم وخلاف أمر الله الى يوشع ، فيجعلوه ظالما عاصيا لله مبدلا لأحكامه ، ومافيها حظ لمختار منهم ، وبالله تعالى التوفيق * وفيه أن كل من دخل من بني اسرائيل الارض المقدسة فانهم كانوا مختونين ، وفيه أبناء تسعة وخمسين عاما وأقل ، وان موسى عليه السلام لم يختن ممن ولد بعد خروجه من مصر أحدا ، هذا مع اقرارهم ان الله تعالى شدد في الختان وقال : من لم يختتن في يوم أسبوع ولادته فلتتلف نفسه من أمته بمعنى فليقتل . فكيف يضيع موسى هذه الشريعة الوكيدة ؟ حتى يختتنهم كلهم يوشع بعد موت موسى بدهر . ولقد فضحت بهذا وجه بعض علمائهم فقال لي : كانوا في التيه في حل وارتحال ، فقلت له فكان ماذا ؟ فكيف وليس كما تقولون ؟ بل كانوا يبقون المدة الطويلة في مكان واحد ؛ وفي نص كتاب يوشع بزعمكم : أنه انما ختنهم اذ جازوا الاردن قبل الشروع في الحرب وفي أضيق وقت وختنهم كلهم حينئذ وهم رجال كهول وشبان وتركوا الختان اذ لامؤونة في ختانهم أطفالا تحمله أمه مختونا كما تحمله غير مختون ولا فرق . فسكت منقطعا ، واما الكتاب الذي يسمونه الزبور ففي المزمور الاول (١) منه (قال لي الرب انت ابني أنا اليوم ولدتك)

(قال ابو محمد رضي الله عنه) فاي شيء تنكرون على النصارى في هذا الباب ؟ ماشبه الليلة بالبارحة ! وفيه ايضا : انتم بنو الله وبنو العلي كلكم ، وهذه اطم من التي قبلها ومثل ماعند النصارى أو انتن ، وفيه في المزمور الرابع والاربعين منه (عرشك يا الله في العالم وفي الابد قضيب العدل قضيب ملكك احببت الصلاح وابغضت المكروه من اجل ذلك دهنك الهك بزيت الفرح بين اشراكك)

(قال أبو محمد رضي الله عنه) هذه سوءة الابد ، ومضيعة الدهر ، وقاصمة الظهر واثبات اله آخر على الله تعالى ، دهنه بالزيت اكراماله ، ومجازاة على محبته الصلاح واثبات اشراك (١) لله تعالى وهذا دين النصارى بلامؤونة ولكن اثبات اله دون الله ، وقد ظهر عند اليهود هذا علانية على مانذكر بعد ان شاء الله تعالى ، وبعده بيسير يخاطب الله تعالى (وقفت زوجتك عن يمينك (٣) وعقاصها من ذهب ايتها الابنة اسمعي وميلي باذنيك وابصري

(١) هذا النص مذكور في المزمور الثاني لا المزمور الاول من سفر المزامير طبعة بيروت وكذلك ماذكر انه في المزمور الرابع والاربعين هو في المزمور الخامس والاربعين والمعنى واحد واللفظ مختلف كالكرسي بدل العرش والاستقامة بدل العدل ومسحك بدل دهنك والابتهاج بدل الفرح ورفقائك بدل اشراكك (٢) الاشراك جمع شريك كيتيم وايتام (مصححه)

(٣) وفي سفر المزامير (بنات ملوك بين حظياتك جعلت الملكة عن يمينك)

لاصحابه عند العامة براءه ليصرف الناس عنه ليمشي أمره على امارة الحسين وليجمع أمر زين العابدين على أعداء أهل الدين وانه انما يبث على الخلق ذلك ليتمشى أمره ويجتمع الناس عليه وانما انتظم له ماانتظم بأمرين أحدهما انتسابه الى محمد بن الحنفية علما ودعوة والثاني قيامه بثأر الحسين عليه السلام واشتغاله ليلا ونهارا بقتال الظلمة الذين اجتمعوا على قتل الحسين فمن مذهب المختار أنه يجوز البدأ على الله تعالى والبدأ له معان البدأ في العلم وهو أن يظهر له خلاف ماعلم ولا أظن عاقلا يعتقد هذا الاعتقاد والبدأ في الارادة وهو أن يظهر له صواب على خلاف ماأراد وحكم والبدأ في الامر وهو أن يأمر بشيء ثم يأمر بعده بخلاف ذلك ومن لم يجوز النسخ ظن ان الاوامر المختلفة في الاوقات المختلفة متناسخة وانما صار المختار الى اختيار القول بالبداء لانه كان يدعي علم مايحدث من الاحوال اما بوحي يوحى اليه واما برسالة من قبل الامام فكان اذا وعد أصحابه بكون شيء وحدوث حادثة فان وافق كونه قوله جعله دليلا على صدق دعواه وان لم يوافق قال قد بدا لربكم وكان لا يفرق بين النسخ والبداء قال اذا جاز النسخ في الاحكام جاز البداء في الاخبار وقد

قيل أن السيد محمد بن الحنفية تبرأ من المختار حين وصل اليه أنه قد لبس على الناس انه من دعاته ورجاله وتبرأ من الضلالات التي ابتدعها المختار من التأويلات الفاسدة والمخاريق المموهة * فمن مخاريقه انه كان عنده كرسي قديم قد غشاه بالديباج وزينه بانواع الزينة وقال هذا من ذخائر أمير المؤمنين علي عليه السلام وهو عندنا بمنزلة التابوت لبني اسرائيل فكان اذا حارب خصومه يضعه في براح الصف ويقول قاتلوا ولكم الظفر والنصرة وهذا الكرسي محله فيكم محل التابوت في بني اسرائيل وفيه السكينة والبقية والملائكة من فوقكم ينزلون مددالكم * وحديث الحمامات البيض التي ظهرت في الهوا وقد اخبرهم قبل ذلك بان الملائكة تنزل علي صورة الحمامات البيض معروف والاسجاع التي ألفها ابرد تأليف مشهور وانما حمله علي الانتساب الى محمد بن الحنفية حسن اعتقاد الناس فيه وامتلاء القلوب بحبه والسيد كان كثير العلم غزير المعرفة وقاد الفكر مصيب الخاطر في العواقب قد اخبره امير المؤمنين عن احوال الملاحم واطلعه علي مدارج المعالم قد اختار العزلة وآثر الخمول على الشهرة وقد قيل انه كان مستودعاً علم الامامة حتى سلم الامانة الى أهلها وما فارق الدنيا حتى اقرها في مستقرها وكان السيد الحميري وكثير الشاعر من شيعته قال كثير فيه (قال

(فاسجدي له طوعا) وآنسي عشيرتك وبيت ابيك فيهواك الملك وهو الرب والله

(قال أبو محمد رضى الله عنه) ماشاء الله كان انكرنا الاولاد فأتونا بالزوجة والاختان تبارك الله فما نرى لهم على النصارى فضلا اصلا ، ونعوذ بالله من الخذلان ، وفيه في المزمور الموفى مائة وسبعا (قال الرب لربي اقعد على يمني حتى اجعل اعداءك كرسي قدميك)

(قال أبو محمد رضى الله عنه) هذا كالذي قبله في الجنون والكفر رب فوق رب ، ورب يقعد عن يمين رب ، ورب يحكم علي رب ، ونعوذ بالله من الخذلان * وفيه في المزمور السادس والثمانين منه : يقول روح القدس لصهيون يقال رجل ورجل ولدفيها وهي العلى اسمها الرب الذي خلقها يعد عند مكتبة الامة ان هذا ولد هناك

(قال أبو محمد رضى الله عنه) هذا دين النصارى الذي يشنعون به عليهم من ان الله ولد صهيون ، لو انهدمت الجبال من هذا ما كان عجبا * وفيه في المزمور السابع والسبعين منه (الرب قام كالمنتبه من نومه كالجبار الذي يفربه اثر الخمار (١) كما يقوم الجريش) وفيه (اتقوا ربكم الذي قوته كقوة الجريش)

(قال أبو محمد رضى الله عنه) ماسمع في الحمق اللفيف ، ولا في الكفر السخيف ، بمثل هذا الفعل . مرة يشبه قيام الله تعالى بالمنتبه من نومه ، وقد علمنا انه لا يكون المرء اكسل ولا احوج الى التمدد ، ولا اثقل حركة ، منه حين قيامه منه ، ومرة يشبهه بجبار ثمل وما عهد للمرء وقت يكون فيه انكد ، ولا اثقل عينين ، ولا اخبث نفسا ، ولا آلم صداعا ولا اضعف عويلا ، منه في حال الخمار ، ومرة يمثله بالجريش ، وما الجريش والله ماهو الاثور من الثيران بقرن في وسط رأسه ، حاش لله من هذه النحوس التي حق من يؤمن بها السوط حتى يعتدل دماغه . او يحمق بالكل ويقذف الناس بالحجارة ويسقط عنه الخطاب ، ونعوذ بالله من البلاء * وفيه من المزمور الحادي والثمانين (قام الله في مجتمع الالهة وقف إله العزة في وسطهم يقضي) . وهذه حماقة ممزوجة بكفر صحيح . مجتمع الالهة . وقيام الله بينهم ، ووقوفه في وسط اصحابه ، ماشاء الله كان! الا ان هذا اخبث من قول النصارى ، لان الآلهة عند النصاري من ثلاثة ، وهم عند هؤلاء السفلة الارذال جماعة : ونعوذ بالله من الخذلان * وفيه في المزمور الثامن والثمانين (من ذا يكون مثل الله في جميع بني الله) وبعده يقول (ان داود يدعوني والدا وانا جعلته بكر بني) وبعده (ان عرش داود يبقى ملكه سرمدا أبدا)

(قال ابو محمد رضى الله عنه) هذه كالتي قبلها صارت الآلهة قبيلة و بني اب ، وكان فيهم واحد هو سيدهم ليس فيهم مثله ، والآخرون فيهم نقص بلاشك ، تعالى الله عن ذلك ونحمده كثيرا على نعمة الاسلام ملة التوحيد الصادقة التي تشهد العقول بصحتها وصحة كل مافيها ، مع كذب الوعد في بقاء ملك داود سرمدا * وفيها ما يوافق قول الملحدين الدهرية الناس كالعشب اذا خرجت ارواحهم نسوا ولا يعلمون مكانهم ولا يعرفون بعد ذلك

(١) الخمار بالضم ماخالط المخمور من السكر والمعنى يفربه تأثير الخمر

(قال ابو محمد رضى الله عنه) وان دين اليهود ليميل الى هذا ميلا شديدا ، لانه ليس في توراتهم ذكر المعاد اصلا ولا الجزاء بعد الموت ، وهذا مذهب الدهرية بلا كلفة ، فقد جمعوا الدهرية والشك والتشبيه وكل حمق في العالم ، على ان فيه بما اطلعهم الله على تبديل ما شاء نزعه من كتابهم وكف ايديهم عما شاء ابقاءه حجة لنا عليهم ، ومعجزة لنبينا صلى الله عليه وسلم * وفى المزمور الحادى والستين منه ان العرب و بنى سبا يؤدون اليه المال و يتبعونه ، وان الدم يكون له عنده ثمن وهذه صفة الدية التى ليست الا فى ديننا ، وفيه ايضا و يظهر من المدينة هكذا نصا وهذا انذار بين برسول الله صلى الله عليه وسلم ، واما الكتب التى يضيفونها الى سليمان عليه السلام ، فهى ثلاثة (أحدها) يسمى شارهسير ثم معناه شعر الاشعار ، وهو على الحقيقة هوس الاهواس ، لانه كلام أحمق لا يعقل ولا يدرى أحد منهم مراده ، انما هو مرة يتغزل بمذكر ، ومرة يتغزل بمؤنث ، ومرة يأتى منه بلغم لزج بمنزلة ما ياتي به المصدوع والذى فسد دماغه ، وقد رأيت بعضهم يذهب الى انه رموز على الكيميا ، وهذا وسواس آخر ظريف ، (والثانى) يسمى مثلا معناه الامثال ، فيه مواعظ ، وفيه ان قال قبل ان يخلق الله شيئا فى البدء من الابد انا صرت ومن القديم قبل ان تكون الارض وقبل أن تكون النجوم انا قد كنت احتملت وقد كنت ولدت وليس كان خلق الارض بعد ولا الانهار واذ خلق الله السموات قد كنت حاضرا واذ كان يجعل للنجوم حدا صحيحا و يدق بها وكان يوثق السموات فى العلو و يقدر عيون المياه واذ كان يحدق على البحر بنجمه و يجعل للمياه نحى لئلا تجاوز جوزها واذ كان يعلق اساسات الارض انا معه كنت مهيئا للجميع (قال ابو محمد رضي الله عنه) فهل فى الملحدة أكثر من هذا ، وهل يضاف هذا الحمق الى رجل معتدل ؟ فكيف الى بنى اسرائيل ؟ وهل هذا الا الشرك صحيح ، وحاش لله ان يقول سليمان عليه السلام هذا الكلام ، تالله ما غبط أهل الالحاد بالحادهم الا هذا ومثله ، ورأيت بعضهم يخرج هذا على انه انما أراد علم الله تعالى

(قال ابو محمد رضى الله عنه) ولا يعجز من لا حياء له عن ان يقلب كل كلام الى ما اشتهى بلا برهان ووصف الكلام عن موضعه ومعناه الى معنى آخر لا يجوز الا بدليل صحيح غير ممتنع المراد فى اللغة (والثالث) يسمى قوهلث ، معناه الجوامع . فيه انه قال مخاطبا لله تعالى : اخترنى اميرا لامتك ، وحاكما على بنيك و بناتك ، وهذا كالذي سلف ، وحاش لله أن يكون له بنات و بنون لاسيما مثل بنى اسرائيل فى كفرهم فى دينهم ، وضعفهم فى دنياهم ، ورذالتهم فى أحوالهم النفسية والجسدية : وفي كتاب حزقيا : يقول السيد سامد يدى على بنى عيسو واذهب عن ارضهم الادميين والانعام ، وافقرهم وانتقم منهم على يدى امتى بنى اسرائيل

(قال ابو محمد رضي الله عنه) وهذا ميعاد قد ظهر كذبه يقينا ، لان بنى اسرائيل قد بادوا جملة و بنو عيسو باقون فى بلادهم بنص كتبهم ، ثم بعد ذلك باد بنو عيسو فما على اديم الارض منهم أحد يعرف انه منهم ، وصارت بلادهم للمسلمين ، وسكانها لخم وغيرهم من العرب . و بطل بذلك أن يدعوا ان هذا يكون فى المستأنف ، وفى كتاب اشعيا : انه رأى الله عز وجل شيخا أبيض الرأس واللحية . وهذا تشبيه حاشا لنبى ان يقوله : وفيه . قال الرب من سمع قط مثل هذا انا أعطى غيرى ان يلد ولا ألد أنا وأنا الذي ارزق غيرى الولد أأكون أنا بلا ابن

فسبط سبط ايمان وبر
وسبط غيبته كربلاء
وسبط لا يذوق الموت حتى
يقود الخيل يقدمه اللواء
يغيب ولا يرى فيهم زمانا
برضوى عنده عسل وماء

وكان السيد الحميرى أيضا يعتقد انه لم يمت وانه فى جبل رضوى بين اسد ونمر يحفظانه وعنده عينان نضاختان تجريان بماء وعسل ويعود بعد الغيبة فيملأ العالم عدلا كما ملئت جورا وهذا هو الاول حكم بالغيبة والعود بعد الغيبة حكم به الشيعة وجرى ذلك فى بعض الجماعة حتى اعتقدوه دينا وركنا من اركان التشيع * ثم اختلف الكيسانية بعد انتقال محمد ابن الحنفية فى سوق الامامة وصار كل اختلاف مذهبا (الهاشمية) اتباع ابى هاشم ابن محمد بن الحنفية قالوا بانتقال محمد بن الحنفية الى رحمة الله ورضوانه وانتقال الامامة منه الى ابنه ابى هاشم قالوا فانه أفضى اليه اسرار العلوم واطلعه على مناهج تطبيق الآفاق على الانفس وتقدير التنزيل على التأويل وتصوير الظاهر على الباطن قالوا ان لكل ظاهر باطنا ولكل شخص روحا ولكل تنزيل تأويلا ولكل مثال فى هذا العالم حقيقة فى ذلك العالم والمنتشر فى الآفاق من الحكم والاسرار مجتمع فى الشخص الانسانى وهو العلم الذي استأثر على عليه السلام به ابنه محمد بن الحنفية وهو افضى ذلك السر الى ابنه ابى هاشم

وكل من اجتمع فيه هذا العلم فهو الامام حقا * واختلف بعد ابي هاشم شيعته خمس فرق * قالت فرقة ان ابا هاشم مات منصرفا من الشأم بارض الشراة واوصى الى محمد ابن على بن عبد الله بن عباس وانجزت فى أولاده الوصية حتى صارت الخلافة الى ابي العباس قالوا ولهم فى الخلافة حق لاتصال النسب وقد توفي رسول الله ﷺ وعمه العباس اولى بالوراثة * وفرقة قالت ان الامامة بعد موت ابي هاشم لابن اخيه الحسن بن على ابن محمد بن الحنفية وفرقة قالت لابل ان ابا هاشم أوصى الى اخيه على بن محمد وعلى أوصى الى ابنه الحسن فالامامة عندهم فى بنى الحنفية لاتخرج الى غيرهم * وفرقة قالت ان اباهاشم أوصى الي عبدالله ابن عمرو بن حرب الكندي وان الامامة خرجت من بنى هاشم الى عبد الله وتحولت روح ابى هاشم اليه والرجل ماكان يرجع الى علم وديانة فاطلع بعض القوم على خيانته وكذبه فاعرضوا عنه وقالوا بامامة عبدالله ابن معاوية بن عبد الله بن جعفر بن ابي طالب وكان من مذهب عبد الله ان الارواح تتناسخ من شخص الي شخص وان الثواب والعقاب فى هذه الاشخاص اما اشخاص بنى آدم واما اشخاص الحيوانات قال وروح الله تناسخت حتى

(قال أبو محمد رضى الله عنه) هذا أطم ما سمع به ان يقدس الله عزوجل نفسه فى كون البنين على خلقه ، وكل هذا اشنع من قول النصارى فى اضافة الشرك والولد والزوجة الى الله تعالى ، ونعوذ بالله من الخذلان

(قال أبو محمد رضي الله عنه) لم نكتب مما فى الكتب التى يضيفونها الى الانبياء عليهم السلام الا طرفا يسيرا دالا على فضيحتها ايضا وتبديلها ، وقد قلنا انهم كانوا فى بلد صغير محاط به ، ثم لاندري كيف يمكنهم اتصال شيء من ذلك الى نبي من انبيائهم ؟ لاسيما من لم يكن الا فى ايام كفرهم مخافا ومقتولا ، فصح بلاشك انها من توليد من عمل لهم الصلوات التى هم عليها ، والشرائع التى يقرون انها من عمل احبارهم الثابتة اذ ظهر دينهم ، وانتشرت بيوت عباداتهم ، فصارت لهم مجامع يتعلمون فيها دينهم ، وعلماء يعلمونهم فى كل بلد ، بخلاف ماأوضحنا انهم كانوا عليه ايام دولتهم الاولى من كونهم كلهم كفارا امين من السنين وكونهم لامسجد لهم اصلا الا البيت المقدس ، ولاجمع بعلم لهم اصلا ولا عالما يعلمهم بوجه من الوجوه ولاجامع لشيء من كتبهم ، والحمد لله رب العالمين . ولو تقصينا مافى كتب أنبيائهم من المناقضات والكذب لكثر ذلك جدا وفيما أوردناه كفاية

(قال أبو محمد رضى الله عنه) وقد اعترض بعضهم فيما كان يدعى عليهم من تبديل التوراة وكتبهم المضافة الى الانبياء قبل ان يبين لهم اعيان ما فيها من الكذب البحت ، فقال قد كان فى مدة دولتهم انبياء وبعد دولتهم ومن المحال ان يقر اولئك الانبياء على تبديلها

(قال أبو محمد رضى الله عنه) فجواب هذا القول ان يقال : ان كان يهوديا كذبت مافى شيء من كتبكم انه رجع الى البيت مع زربائيل بن صيلتائيل بن صدقيا الملك بنى اصلا ولا كان معه فى البيت نبي باقرارهم اصلا ، وكان ذلك قبل ان يكتبها لهم عزرا الوراق بدهر وقبل رجوعهم الى البيت مع زربائيل مات دانيال آخر انبيائهم فى ارض بابل ، واما الانبياء الذين كانوا فى بنى إسرائيل بعد سليمان ، فكلهم كما بينا اما مقتول باشنع القتل او مخوف مطرود منفي لايسمع منهم كلمة الا خفية ، حاشا مدة الملوك المؤمنين الخمسة فى بنى يهوذا او بنى بنيامين خاصة ، وذلك قليل تلاه ظهور الكفر وحرق التوراة وقتل الانبياء . وهو كان خاتمة الامر . وعلى هذا الحال واقام انقراض دولتهم . وأيضا فليس كل نبي يبعث بتصحيح كتاب من قبله . فبطل اعتراضهم بكون الانبياء فيهم جملة . وان كان نصرانيا يقر بالمسيح وزكريا ويحيي عليهم السلام . قيل له ان المسيح بلاشك كانت عنده التوراة المنزلة كما انزلها الله تعالى ، وكان عنده الانجيل المنزل . قال الله تعالى (ويعلمه التوراة والانجيل ورسولا الى بنى اسرائيل) الا انه عرض في النقل عنه بعد رفعه عارض اشد وافحش من العارض فى النقل الى موسى عليه السلام . فلا كافة فى العالم متصلة الى المسيح عليه السلام اصلا . والنقل اليه راجع الى خمسة فقط . وهم متى وباطره ابن نونا ويوحنا ابن سبذاى ويعقوب ويهوذا ابناء يوسف فقط . ثم لم ينقل عن هؤلاء الا ثلاثة فقط . وهو لوقا الطبيب الانطاكى ومارقس الهاروني وبولس البنياميني .

وهؤلاء

وهؤلاء كلهم كذابون قد وضح عليهم الكذب جهارا على مانوضحه بعد هذا ان شاء الله تعالى وكل هؤلاء مع ماصح من كذبهم وتدليسهم فى الدين فانما كانوا متسترين باظهار دين اليهود ولزوم السبت بنص كتبهم ، ويدعون الى التثليث سرا ، وكانوا مع ذلك مطلوبين حيث ماظفروا بواحد منهم ظاهر اقتل . فبطل الانجيل والتوراة برفع المسيح عليه السلام بطلاناً كليا . وهذا الجواب انما كان يحتاج اليه قبل ان يظهر من كذب توراتهم وكتبهم ماقد اظهرنا . واما بعد ما أرخنا من عظيم كذب هذه الكتب بما لاحيلة فيه . فاعتراض ساقط . لان يقين الباطل لايصححه شيء أصلا ، كما أن يقين الحق لايفسده شيء أبداً * فاعلموا الآن ان ماعورض به الحق المتيقن ليبطل به ، أو عورض به دون الكذب المتيقن ليصحح به ، فانما هو شغب وتمويه وإيهام وتخييل وتحيل فاسد بلاشك ، لان يقينين لايمكن البتة فى البنية أن يتعارضا أبدا وبالله تعالى التوفيق * فان قيل فانكم تقرون بالتوراة والانجيل، وتستشهدون على اليهود والنصارى بما فيهما من ذكر صفات نبيكم . وقد استشهد نبيكم عليهم بنصها فى قصة الراجم للزانى المحصن * وروى أن عبد الله بن سلام ضرب يد عبد الله بن صوريا اذ وضعها على آية الرجم * وروى أن النبى صلى الله عليه وسلم أخذ التوراة وقال آمنت بما فيك * وفى كتابكم (ياأهل الكتاب لستم على شيء حتى تقيموا التوراة والانجيل وما أنزل اليكم من ربكم) وفيه أيضا (قل فأتوا بالتوراة فاتلوها ان كنتم صادقين) وفيه أيضا (انا أنزلنا التوراة فيها هدى ونور يحكم بها النبيون الذين أسلموا للذين هادوا والربانيون والاحبار بما استحفظوا من كتاب الله وكانوا عليه شهداء) وفيه (وليحكم أهل الانجيل بما أنزل الله فيه ومن لم يحكم بما أنزل الله فأولئك هم الفاسقون) وفيه (ولو أنهم أقاموا التوراة والانجيل وما أنزل اليهم من ربهم لأكلوا من فوقهم ومن تحت أرجلهم) وفيه (ياأيها الذين أوتوا الكتاب آمنوا بما نزلنا مصدقا لما معكم) * قلنا وبالله التوفيق . كل هذا حق . حاشا قوله عليه السلام آمنت بما فيك فانه باطل لم يصح قط . وكله موافق لقولنا فى التوراة والانجيل بتبديلهما وليس شيء منه حجة لمن ادعى أنهما بأيدى اليهود والنصارى كما نزلا على مانبين الآن ان شاء الله تعالى بالبرهان الواضح

(قال أبو محمد رضى الله عنه) أما اقرارنا بالتوراة والانجيل فنعم . وأى معنى لتمويهكم بهذا ونحن لم ننكرهما قط بل نكفر من أنكرهما ؟ انما قلنا ان الله تعالى أنزل التوراة على موسى عليه السلام حقاً . وأنزل الزبور على داود عليه السلام حقاً . وأنزل الانجيل على عيسى عليه السلام حقاً . وأنزل الصحف على ابراهيم وموسى عليهما السلام حقا وأنزل كتبا لم يسم لنا على أنبياء لم يسموا لنا حقا ؛ نؤمن بكل ذلك . قال تعالى (صحف ابراهيم وموسى) وقال تعالى (وانه لفى زبر الاولين) وقلنا ونقول : ان كفار بنى اسرائيل بدلوا التوراة والزبور فزادوا ونقصوا وأبقى الله تعالى بعضها حجة عليهم كما شاء (لايسأل عما يفعل وهم يسألون) (لامعقب لحكمه) وبدل كفار النصارى الانجيل كذلك فزادوا ونقصوا وأبقى الله تعالى بعضها حجة عليهم كما شاء ، لايسأل عما يفعل وهم يسألون * فدرس (١) مابدلوا من الكتب المذكورة

(١) فدرس أى فنى وذهب وكذلك قوله ودرست الصحف

وصلت اليه وحلت فيه وادعى الالوهية والنبوة معا وانه يعلم الغيب

فعبده شيعته الحمق وكفروا بالقيامة لاعتقادهم ان التناسخ يكون فى الدنيا والثواب والعقاب فى هذه الاشخاص وتأول قوله تعالى ليس على الذين آمنوا وعملوا الصالحات جناح فيما طعموا الآية على أن من وصل الى الامام وعرفه ارتفع عنه الحرج فى جميع مايطعم ووصل الى الكمال والبلاغ وعنه نشأت الخرمية والمزدكية بالعراق وهلك عبد الله بخراسان وافترقت أصحابه فمنهم من قال انه بعد حى لم يمت ويرجع ومنهم من قال بل مات وتحولت روحه الى اسحاق بن زيد بن الحارث الانصارى وهم الحارثية الذين يبيحون المحرمات ويعيشون عيش من لاتكليف عليه وبين أصحاب عبد الله بن معاوية وبين أصحاب محمد بن على خلاف شديد فى الامامة فان كل واحد منهما يدعى الوصية من أبى هاشم اليه ولم يثبت الوصية على قاعدة تعتمد (البنانية) اتباع بنان بن سمعان النهدى قالوا بانتقال الامامة من أبى هاشم اليه وهو من الغلاة القائلين بالهية أمير المؤمنين على عليه السلام قال حل فى على جزء الهى واتحد بجسده

فيه كان يعلم الغيب اذا أخبر عن الملاحم وصح الخبر وبه كان يحارب الكفار وله النصرة والظفر وبه قلع باب خيبر وعن هذا قال والله ماقلعت باب خيبر بقوة جسدانية ولا بحركة غذائية ولكن قلعته بقوة ملكوتية بنور ربها مضيئة فالقوة الملكوتية

ورفعه الله تعالى . كما درست الصحف وكتب سائر الانبياء جملة فهذا هو الذي قلنا وقد أوضحنا البرهان على صحة ما أوردنا من التبديل والكذب في التوراة والزبور . ونورد ان شاء الله تعالى في الانجيل وبالله تعالى نتأيد * فظهر فساد تمويههم بانا نقر بالتوراة والانجيل والزبور . ولم يأتمنوا بذلك في تصحيح ما بأيديهم من الكتب المكذوبة المبدلة والحمد لله رب العالمين * واما استشهادنا على اليهود والنصارى بما فيها من الانذار بنبينا صلى الله عليه وسلم فحق . وقد قلنا آنفا ؛ ان الله تعالى اطلعهم على تبديل ما شاء رفعه من ذينك الكتابين . كما أطلق أيديهم على قتل من أراد كرامته بذلك من الانبياء الذين قتلوهم بانواع المثل . وكف أيديهم عما شاء ابقاءه من ذينك الكتابين حجة عليهم . كما كف أيديهم الله تعالى عمن أراد أيضا كرامته بالنصر من أنبيائه الذين حال بين الناس وبين أذاهم . وقد أغرق الله تعالى قوم نوح عليه السلام وقوم فرعون نكالا لهم . وأغرق آخرين شهادة لهم . وأملى لقوم ليزدادوا إثما . وأملى لقوم آخرين ليزدادوا فضلا . هذا ما لا ينكره أحد من أهل الاديان جملة وكان ما ذكرنا زيادة في أعلام النبي صلى الله عليه وسلم الواضحة . وبراهينه اللائحة . والحمد لله رب العالمين *

فبطل اعتراضهم علينا باستشهادنا عليهم بما في كتبهم المحرفة من ذكر نبينا صلى الله عليه وسلم وأما استشهاد رسول الله صلى الله عليه وسلم بالتوراة في أمر رجم الزاني المحصن وضرب بن سلام رضي الله عنه يد ابن صوريا اذ جعلها على آية الرجم فحق . وهو مما قلنا آنفا ان الله تعالى أبقاه خزيا لهم وحجة عليهم ، وانما يحتج عليهم بهذا كله بعد اثبات رسالته صلى الله عليه وسلم بالبراهين الواضحة الباهرة بالنقل القاطع للعذر على ما قد بيناه ونبين ان شاء الله تعالى ، ثم نورد ما أبقاه الله تعالى في كتبهم المحرفة من ذكره عليه السلام اخزاء لهم وتبكيتا وفضيحة لضلالهم ، لا لحاجة منا الى ذلك اصلا والحمد لله رب العالمين . وأما الخبر بان النبي عليه السلام أخذ التوراة وقال آمنت بما فيك ، فخبر مكذوب موضوع لم يأت قط من طرق فيها خير ولسنا نستحل الكلام في الباطل لو صح ، فهو من التكلف الذي نهينا عنه ، كما لا يحل توهين الحق ولا الاعتراض فيه ، واما قول الله عز وجل (يا أهل الكتاب لستم على شيء حتى تقيموا التوراة والانجيل وما أنزل اليكم من ربكم) فحق لا مرية فيه ، وهكذا نقول ولا سبيل لهم الى اقامتهما ابدا لرفع ما اسقطوا منها ، فليسوا على شيء الا بالايمان بمحمد صلى الله عليه وسلم فيكونون حينئذ مقيمين للتوراة والانجيل كلهم يؤمنون حينئذ بما انزل الله منهما وجد أو عدم ، ويكذبون بما بدل فيهما مما لم ينزله الله تعالى فيهما ، وهذه هي اقامتهما حقا ، فلاح صدق قولنا ، ووافقنا نص الآية بلا تأويل والحمد لله رب العالمين * واما قوله تعالى (قل فأتوا بالتوراة فاتلوها ان كنتم صادقين) فنعم انما هو في كذب كذبوه ونسبوه الى التوراة على جاري عادتهم زائد على الكذب الذي وضعه أسلافهم في توراتهم ، فبكتهم عليه السلام في ذلك الكذب الحدث باحضار التوراة ان كانوا صادقين فظهر كذبهم * وكم عرض لنا هذا مع علمائهم في مناظرتنا لهم قبل أن نقف على نصوص التوراة ، فالقوم لا مؤنة عليهم من الكذب حتى الآن اذا طمعوا بالتخلص من مجلسهم لا يكون ذلك الا بالكذب ، وهذا خلق خسيس . وعار لا يرضى به مصحح ونعوذ بالله من مثل هذا * واما قوله تعالى (انا انزلنا التوراة فيها هدى ونور يحكم بها النبيون الذين اسلموا للذين هادوا والربانيون

تعالى

في نفسه كالمصباح في المشكاة والنور الالهي كالنور في المصباح قال وربما يظهر علي في بعض الازمان وقال في تفسير قوله تعالى (هل ينظرون الا أن يأتيهم الله في ظلل من الغمام) أراد به عليا فهو الذي يأتي في ظلل والرعد صوته والبرق تبسمه ثم ادعى بنان انه قد انتقل اليه الجزء الالهي بنوع من التناسخ ولذلك استحق أن يكون اماما وخليفة وذلك الجزء هو الذي استحق به آدم سجود الملائكة وزعم أن معبوده على صورة انسان عضوا فعضوا جزءا فجزءا وقال يهلك كله الا وجهه لقوله تعالى (كل شيء هالك الا وجهه) ومع هذا الخزي الفاحش كتب الى محمد بن علي بن الحسين الباقر ودعاه الى نفسه وفي كتابه أسلم تسلم وترتقي من سلم فانك لا تدري حيث يجعل الله النبوة فأمر الباقر أن يأكل الرسول قرطاسه الذي جاء به فأكله فمات في الحال وكان اسم الرسول عمر بن أبي عفيف وقد اجتمعت طائفة على بنان ابن سمعان ودانوا بمذهبه فقتله خالد بن عبد الله القسري على ذلك

(الرزامية) اتباع رزام ساقوا الامامة من علي الى ابنه محمد ثم الى ابنه أبي هاشم ثم منه الى علي بن عبد الله بن عباس بالوصية ثم ساقوها الى محمد بن علي وأوصى محمد الى ابنه ابراهيم الامام وهو صاحب أبي مسلم الذي دعاه اليه وقال بامامته وهؤلاء ظهروا بخراسان في أيام أبي مسلم حتى قيل ان أبامسلم

والاحبار بما استحفظوا من كتاب الله) فنعم . هذا حق على ظاهره كما هو . وقد قدمنا ان الله تعالى انزل التوراة وحكم بها النبيون الذين أسلموا كموسى وهارون وداود وسليمان ومن كان بينهم من الانبياء عليهم السلام ومن كان فى أزمانهم من الربانيين والاحبار الذين لم يكونوا انبياء بل كانوا حكاما من قبل الانبياء عليهم السلام ومن كان فى أزمانهم من الربانيين والاحبار قبل حدوث التبديل . هذا نص قولنا وليس فى هذه الآية انها لم تبدل بعد ذلك اصلا لا بنص ولا بدليل . وأما من ظن لجهله من المسلمين ان هذه الآية نزلت فى رجم النبي صلى الله عليه وسلم لليهوديين اللذين زنيا وهما محصنان . فقد ظن الباطل . وقال بالكذب وتأول المحال . وخالف القرآن . لان الله تعالى قد نهى نبينا عليه السلام عن ذلك نصا بقوله (وأنزلنا اليك الكتاب بالحق مصدقا لما بين يديه من الكتاب ومهيمنا عليه فاحكم بينهم بما انزل الله ولا تتبع أهواءهم عما جاءك من الحق لكل جعلنا منكم شرعة ومنهاجا ولو شاء الله لجعلكم امة واحدة) وقال عز وجل (ولا تتبع اهواءهم واحذرهم أن يفتنوك عن بعض ما انزل الله اليك

(قال ابو محمد رضى الله عنه) فهذا نص كلام الله عز وجل الذى ماخالفه فهو باطل وأما قوله تعالى (وليحكم أهل الانجيل بما أنزل الله فيه) فحق على ظاهره لان الله تعالى أنزل فيه الايمان بمحمد صلى الله عليه وسلم . واتباع دينه . ولا يكونون ابدا حاكمين بما أنزل الله تعالى فيه الا باتباعهم دين محمد صلى الله عليه وسلم . فانما أمرهم الله تعالى بالحكم بما أنزل فى الانجيل الذى ينتمون اليه فهم أهله . ولم يأمرهم قط تعالى بما يسمى انجيلا وليس بانجيل ولا انزله الله تعالى كما هو قط . والآية موافقة لقولنا وليس فيها ان الانجيل لم يبدل لا بنص ولا بدليل . انما فيه الزام النصارى الذين يتسمون باهل الانجيل ان يحكموا بما أنزل الله فيه وهم على خلاف ذلك . وأما قوله تعالى (ولو انهم اقاموا التوراة والانجيل وما أنزل اليهم من ربهم لاكلوا من فوقهم ومن تحت أرجلهم) فحق كما ذكرناه قبل ولا سبيل لهم الى اقامة التوراة والانجيل المنزلين بعد تبديلهما الا بالايمان بمحمد صلى الله عليه وسلم . فيكونون حينئذ مقيمين للتوراة والانجيل حقا لايمانهم بالمنزل فيهما وجحدهم مالم ينزل فيهما . وهذه هى اقامتهما حقا . وأما قوله تعالى (يا أيها الذين أوتوا الكتاب آمنوا بما نزلنا مصدقا لما معكم) فنعم . هذا عموم قام البرهان على انه مخصوص وانه تعالى انما أراد مصدقا لما معكم من الحق لا يمكن غير هذا . لاننا بالضرورة ندرى ان معهم حقا و باطلا ولا يجوز تصديق الباطل ألبته . فصح انه انما أنزله تعالى مصدقا لما معهم من الحق . وقد قلنا ان الله تعالى ابقى فى التوراة والانجيل حقا ليكون حجة عليهم وزائدا فى خزيهم . وبالله تعالى التوفيق فبطل تعلقهم بشيء مما ذكرنا والحمد لله رب العالمين

(قال أبو محمد رضى الله عنه) وبلغنا عن قوم من المسلمين ينكرون بجهلهم القول بان التوراة والانجيل اللذين بايدى اليهود والنصارى محرفان . وانما حملهم على هذا قلة اهتبالهم (١) بنصوص القرآن والسنن . أترى هؤلاء ما سمعوا قول الله تعالى (يا أهل الكتاب لم تلبسون الحق بالباطل وتكتمون الحق وانتم تعلمون) وقوله تعالى (وان فريقا منهم

(١) اى اشتغالهم وتقدم تفسيرها

كان على هذا المذهب لانهم ساقوا الامامة الى أبي مسلم فقالوا له حظ فى الامامة وادعوا حلول روح الآله فيه ولهذا أيده على بنى أمية حتى قتلهم عن بكرة أبيهم وقالوا بتناسخ الارواح والمقنع الذى ادعى الالهية لنفسه مخاريق أخرجها كان فى الاول على هذا المذهب وتابعه مبيضة ماوراء النهر وهؤلاء صنعة من الخرمية دانوا بترك الفرائض وقالوا الدين معرفة الامام فقط * ومنهم من قال الدين أمران معرفة الامام واداء الامانة ومن حصل له الامران فقد وصل الى حال الكمال وارتفع عنه التكليف ومن هؤلاء من ساق الامامة الى محمد بن علي بن عبد الله بن عباس من أبي هاشم بن محمد بن الحنفية وصية اليه لا من طريق آخر وكان أبو مسلم صاحب الدولة على مذهب الكيسانية فى الاول واقتبس من دعاتهم العلوم التى اختصوا بها وأحس منهم ان هذه العلوم مستودعة فيهم وكان يطلب المستقر فيه فنفذ الى الصادق جعفر ابن محمد انى قد أظهرت الكلمة ودعوة الناس عن موالاة بنى أمية الى موالاة أهل البيت فان رغبت فلا مزيد عليك فكتب اليه الصادق ما انت من رجالي ولا الزمان زماني فحاد الى ابى العباس ابن محمد وقلده الخلافة وكذلك كتب اليه ابو مسلم فاحرق كتابه (الزيدية) اتباع زيد بن علي بن الحسين ابن على عليه السلام ساقوا الامامة فى اولاد فاطمة عليها السلام ولم يجوزوا ثبوت امامة فى غيرهم الا

ليكتمون الحق وهم يعلمون) وقوله تعالى (وان منهم لفريقا يلوون السنتهم بالكتاب لتحسبوه من الكتاب وماهو من الكتاب ويقولون هو من عند الله وما هو من عند الله الى آخر الآية) وقوله تعالى (يحرفون الكلم عن مواضعه) ومثل هذا في القرآن كثير جدا . ونقول لمن قال من المسلمين ان نقلهم نقل تواتر يوجب العلم وتقوم به الحجة لاشك في انهم لايختلفون في ان مانقلوه من ذلك عن موسى وعيسى عليهما السلام لاذكر فيه لمحمد ﷺ اصلا ولا انذار بنبوته . فان صدقهم هؤلاء القائلون في بعض نقلهم . فواجب ان يصدقهم في سائره احبوا ام كرهوا . وان كذبوهم في بعض نقلهم وصدقوهم في بعض فقد تناقضوا وظهرت مكابرتهم ، ومن الباطل ان يكون نقل واحد جاء مجيئا واحدا بعضه حق وبعضه باطل ، فقد تناقضوا . وماندري كيف يستحل مسلم انكار تحريف التوراة والانجيل وهو يسمع كلام الله عز وجل (محمد رسول الله والذين معه اشداء على الكفار رحماء بينهم تراهم ركعا سجدا يبتغون فضلا من الله ورضوانا سيماهم في وجوههم من أثر السجود ذلك مثلهم في التوراة ومثلهم في الانجيل كزرع أخرج شطأه فآزره فاستغلظ فاستوى على سوقه يعجب الزراع ليغيظ بهم الكفار) ؟ وليس شيء من هذا فيما بايدي اليهود والنصارى مما يدعون انه التوراة والانجيل ، فلابد لهؤلاء الجهال من تصديق ربهم جل وعز ان اليهود والنصارى بدلوا التوراة والانجيل ، والا يرجعوا الى الحق ويكذبوا ربهم جل وعز ويصدقوا اليهود والنصارى فيلحقوا بهم ويكون السؤال عليهم كلهم حينئذ واحدا فيما اوضحناه من تبديل الكتابين ، وماأوردناه مما فيهما من الكذب المشاهد عيانا مما لم يات نص بأنهم بدلوها ، لعلمنا بتبديلهما يقينا كما نعلم مانشهده بحواسنا مما لانص فيه * وقد اجتمعت المشاهدة والنص * حدثنا ابو سعيد الجعفري حدثنا ابوبكر الارفوي محمد بن علي المصري * حدثنا ابوجعفر احمد بن محمد بن اسماعيل النحاس * حدثنا احمد بن شعيب عن محمد بن المثنى عن عثمان بن عمر * حدثنا علي هو ابن المبارك * حدثنا يحيى بن أبي كثير عن سلمة عبد الرحمن بن عوف عن أبي هريرة رضى الله عنه قال * كان اهل الكتاب يقرؤن التوراة بالعبرانية ويفسرونها لأهل الاسلام بالعربية فقال رسول الله ﷺ لاتصدقوا أهل الكتاب ولاتكذبوهم وقولوا آمنا بالذي أنزل الينا وانزل اليكم والهنا والهكم واحد

(قال أبو محمد رضى الله عنه) وهذا نص قولنا والحمد لله رب العالمين * مانزل القرآن والسنة عن النبي ﷺ بتصديقه صدقنا به * ومانزل النص بتكذيبه اوظهر كذبه كذبنا به ومالم ينزل نص بتصديقه اوتكذيبه وامكن ان يكون حقا او كذبا لم نصدقهم ولم نكذبهم وقلنا ماامرنا رسول الله ﷺ ان نقوله كما قلنا في نبوة من لم يأتنا باسمه نص والحمد لله رب العالمين حدثنا عبد الله بن عبد الرحمن بن خالد * حدثنا ابراهيم بن احمد البلخي حدثنا العزيزي * حدثنا البخاري * حدثنا ابراهيم بن سعد بن ابراهيم بن عبد الرحمن ابن عوف * حدثنا ابن شهاب عن عبيد الله بن عبد الله ابن عتبة بن مسعود قال ابن عباس

كيف

انهم جوزوا ان يكون كل فاطمي عالم زاهد شجاع سخي خرج بالامامة يكون اماما واجب الطاعة سواء كان من اولاد الحسن او من اولاد الحسين وعن هذا قالت طائفة منهم بامامة محمد وابراهيم الامامين ابني عبدالله بن الحسن بن الحسين الذين خرجا في ايام المنصور وقتلا على ذلك وجوزوا خروج امامين في قطرين يستجمعان هذه الخصال ويكون كل واحد منهما واجب الطاعة وزيد ابن علي لما كان مذهبه هذا المذهب اراد ان يحصل الاصول والفروع حتى يتحلى بالعلم فتتلمذ في الاصول لواصل بن عطاء الغزال رأس المعتزلة مع اعتقاد واصل بان جده علي بن ابي طالب في حروبه التي جرت بينه وبين اصحاب الجمل واصحاب الشام ماكان على يقين من الصواب وان احد الفريقين منهما كان على الخطأ لابعينه فاقتبس منه الاعتزال وصارت اصحابه كلها معتزلة وكان من مذهبه جواز امامة المفضول مع قيام الافضل فقال كان علي بن ابي طالب افضل الصحابة الا ان الخلافة فوضت الى ابي بكر لمصلحة رأوها وقاعدة دينية راعوها من تسكين ثائرة الفتنة وتطييب قلوب العامة فان عهد الحروب التي جرت في ايام النبوة كان قريبا وسيف امير المؤمنين علي عليه السلام عن دماء المشركين من قريش لم يجف بعد والضغائن في صدور القوم من طلب الثار كما هي فما كانت القلوب تميل اليه

كيف تسألون اهل الكتاب عن شيء وكتابكم الذي انزل على رسوله ﷺ حدث تقرؤنه محضا لم يشب وقد حدثكم ان اهل الكتاب بدلوا كتاب الله تعالى وغيروه وكتبوا بايديهم الكتاب وقد قالوا هو من عند الله ليشتروا به ثمنا قليلا

(قال أبو محمد رضي الله عنه) هذا أصح اسناد عن ابن عباس رضي الله عنه وهو نفس قولنا، وماله في ذلك من الصحابة مخالف * وقد روينا أيضا عن عمر رضي الله عنه أنه اتاه كعب الحبر بسفر وقال له هذه التوراة، أفأقرؤها؟ فقال له عمر بن الخطاب، ان كنت تعلم انها التي أنزل الله على موسى فاقرأها آناء الليل والنهار فهذا عمر لم يحققها

(قال ابو محمد رضي الله عنه) ونحن ان شاء الله تعالى نذكر طرفا يسيرا من كثير جدا من كلام أحبارهم الذين عنهم أخذوا كتابهم ودينهم واليهم يرجعون في نقلهم لتوراتهم وكتب الانبياء وجميع شرائعهم، ليرى كل ذي فهم مقدارهم من الفسق والكذب فيلوح له انهم كانوا كذابين مستخفين بالدين وبالله تعالى التوفيق، ولقد كان يكفي من هذا اقرارهم بانهم عملوا لهم هذه الصلوات عوضا مما امر الله تعالى به من القرابين، وهذا تبديل الدين جهارا

(قال ابو محمد رضي الله عنه) ذكر أحبارهم وهو في كتبهم مشهور لاينكرونه عند من يعرف كتبهم: ان أخوة يوسف اذ باعوا اخاهم طرحوا اللعنة على كل من بلغ الى أبيهم حياة ابنه يوسف، ولذلك لم يخبره الله عز وجل بذلك ولا أحد من الملائكة، فاعجبوا لجنون امة تعتقد ان الله خاف ان يقع عليه لعنة قوم باعوا النبي أخاهم، وعقوا النبي اباهم أشد العقوق، وكذبوا أعظم الكذب، فوالله لولم يكن في كتبهم الا هذا الكذب وهذا الحمق وهذا الكفر لكانوا به أحمق الامم واكفرهم وأكذبهم، فكيف ولهم ماقد ذكرنا ونذكر ان شاء الله تعالى؟ وفي بعض كتبهم ان هارون عليه السلام قال لله تعالى اذ أراد أن يسخط على بني اسرائيل: يارب لاتفعل فلنا عليك ذمام وحق لان أخي وانا اقمنا لك مملكة عظيمة

(قال ابو محمد رضي الله عنه) وهذه طامة اخرى حاشا لهارون عليه السلام ان يقول هذا الجنون، أين هذا الهوس وهذه الرعونة من الحق النير اذ يقول تعالى (يمنون عليك أن أسلموا قل لاتمنوا على اسلامكم بل الله يمن عليكم أن هداكم للايمان ان كنتم صادقين)؟ وفي بعض كتبهم ان الصورتين اللتين امر الله تعالى موسى ان يصورهما على التابوت خلف الحجلة في السرداق انما كانتا صورة الله وصورة موسى عليه السلام معه، تعالى الله عن كفرهم علوا كبيرا. وفي بعض كتبهم ان الله تعالى قال لبني اسرائيل من تعرض لكم فقد تعرض حدقة عيني. وفي بعض كتبهم: ان علة تردد بني اسرائيل مع موسى في التيه اربعين سنة حتى ماتوا كلهم انما كانت لان فرعون كان بنى على طريق مصر الى الشام صنما سماه باعل صفون. وجعله طلسما لكل من هرب من مصر يحيره ولا يقدر على النفاذ. فاعجبوا لمن يجيز ان يكون طلسم فرعون يغلب الله تعالى! ويجيز بتيه موسى ومن معه حتى يموتوا. فاين كان فرعون عن هذه القوة اذ غرق في البحر؟ وفي بعض

كل الميل ولا تنقاد له الرقاب كل الانقياد وكانت المصلحة ان يكون القيام بهذا الشان من عرفوه باللين والتودد والتقدم بالسن والسبق في الاسلام والقرب من رسول الله صلى الله عليه وسلم ألا ترى انه لما أراد في مرضه الذي مات فيه تقليد الامر عمر بن الخطاب رضي الله عنه زعق الناس وقالوا لقد وليت علينا فظا غليظا فما كانوا يرضون بامير المؤمنين عمر لشدة وصلابة وغلظه في الدين وفظاظة على الاعداء حتى سكنهم أبو بكر رضي الله عنه وكذلك يجوز أن يكون المفضول اماما والافضل قائم فيرجع اليه في الاحكام ويحكم بحكمه في القضايا ولما سمعت شيعة الكوفة هذه المقالة منه وعرفوا انه لايتبرأ عن الشيخين رفضوه حتى أتى قدره عليه فسميت رافضة وجرت بينه وبين أخيه محمد الباقر مناظرة لامن هذا الوجه بل من حيث كان يتلمذ لواصل بن عطاء ويقتبس العلم ممن يجوز الخطأ على جده في قتال الناكثين والقاسطين ومن يتكلم في القدر على غير ماذهب اليه أهل البيت ومن حيث انه كان يشترط الخروج شرطا في كون الامام اماما حتى قال له يوما على قضية مذهبك والدك ليس بامام فانه لم يخرج قط ولا تعرض للخروج ولما قتل زيد بن علي وصلب قام بالامامة بعده يحيى بن زيد ومضى الى خراسان واجتمعت عليه جماعة كثيرة وقد وصل اليه الخبر

كتبهم ان دينة بنت يعقوب عليها السلام اذ غصبها شكيم بن حمور وزنا بها حملت وولدت ابنة . وان عقابا خطف تلك الفرخة من الزنا وحملها الى مصر ووقعت فى حجر يوسف . فرباها وتزوجها . وهذه أشبه الخرافات التى يتحدث بها النساء بالليل اذا غزلن . وفى بعض كتبهم ان يعقوب انما قال فى ابنه نفثال : ايل مطلق . لانه قطع من قرية ابراهيم عليه السلام التى بقرب بيت المقدس الى منف التى بمصر ورجع الى قرية الخليل فى ساعة من النهار لشدة سرعته لا لان الارض طويت له . ومقدار ذلك مسيرة نيف وعشرين يوما . وفى بعض كتبهم مما لا يختلفون فى صحته : ان السحرة يحيون الموتى على الحقيقة . وان ههنا اسماء لله تعالى ودعاء وكلاما ومن عرفه من صالح اوفاسق احال الطبائع . واتى بالمعجزات واحيا الموتي . وان عجوزا ساحرة احيت لشاول الملك وهو طالوت شموال النبي بعد موته . فليت شعرى اذا كان هذا حقا ؟ فما يؤمنهم ان موسى وسائر من يقرون بنبوته كانوا من أهل هذه الصفة . ولا سبيل الى فرق بين شيء من هذا ابدا * وفى بعض كتبهم ان بعض أحبارهم المعظمين عندهم ذكر لهم انه رأى طائرا يطير فى الهواء . وانه باض بيضة وقعت على ثلاث عشرة مدينة فهدمتها كلها * وفى بعض كتبهم ان المرأة المدنية التى ذكر فى التوراة التى زني بها زمرى بن خالو من سبط شمعون طعنه فينحاس بن الدزار بن هارون برمحه فنفذه ونفذ المرأة تحته ثم رفعهما فى رمحه الى السماء كانهما طائران فى سفود ، وقال هكذا نفعل بمن عصاك ، قال كبير من احبارهم معظم عندهم : انه كان تكسير عجز تلك المرأة مقدار مزرعة مدى خردل وفى كتبهم ان طول لحية فرعون كان سبعمائة ذراع ، وهذه والله مضحكة تسلى الثكالى وترد الاحزان

(قال أبو محمد رضى الله عنه) عن مثل هؤلاء فلينقل الدين ، وتبا لقوم اخذوا كتبهم ودينهم عن مثل هذا الرقيع الكذاب واشباهه * وفى بعض كتبهم المعظمة ان جباية سليمان عليه السلام فى كل سنة كانت ستمائة الف قنطار وستة وثلاثين الف قنطار من ذهب ، وهم مقرون انه لم يملك قط الا فلسطين والاردن والغور فقط ، وانه لم يملك قط رفح (١) ولا غزة ولا عسقلان ولا صور ولا صيدا ولا دمشق ولا عمان ولا البلقاء ولا مواب ولا جبال الشراة . فهذه الجباية التى لو جمع كل الذهب الذى بايدى الناس لم يبلغها من اين خرجت ؟ وقد قلنا ان الاحبار الذين عملوا لهم هذه الخرافات كانوا ثقالا فى الحساب . وكان الحياء فى وجوههم قليلا جدا * وذكروا انه كان لمائدة سليمان عليه السلام فى كل سنة أحد عشر الف ثور وخمسمائة ثور وزيادة ، وستة وثلاثين الف شاة سوى الابل والصيد ، فانظروا ماذا يكفى لحوم من ذكرنا من الخبز ؟ وقد ذكروا عددا مبلغه ستة آلاف مدى فى العام لمائدته خاصة ، واعلموا ان بلاد بنى إسرائيل تضيق عن هذه النفقات ، هذا مع قولهم انه عليه السلام كان يهدى كل سنة ثاني هذا

(١) رفح بفتحتين وحاء مهملة فى حدود الشام على طريق الذاهب الى مصر بينها وبين غزة ثمانية عشر ميلا

كما أخبر وتدفوض الامر بعده الى محمد وابراهيم الامامين وخرجا بالمدينة ومضى ابراهيم الى البصرة واجتمع الناس عليهما فقتلا ايضا وأخبرهم الصادق بجميع ما تم عليهم وعرفهم ان أباءه عليهم السلام أخبروه بذلك كله وان بنى أمية يتطاولون على الناس حتى لو طاولتهم الجبال لطالوا عليها وهم يستشعرون بغض أهل البيت ولا يجوز أن يخرج واحد من أهل البيت حتى يأذن الله تعالى بزوال ملكهم وكان يشير الى أبي العباس وأبي جعفر ابنى محمد بن علي بن عبد الله بن العباس انا لا نخوض فى الامر حتى يتلاعب بها هذا واولاده اشارة الى المنصور فزيد بن على قتل بكناسة الكوفة قتله هشام ابن عبد الملك ويحيى بن زيد قتل بجوزجان خراسان قتله أميرها ومحمد الامام قتله بالمدينة عيسى بن ماهان وابراهيم الامام قتل بالبصرة امر بقتلهما المنصور ولم ينتظم أمر الزيدية بعد ذلك حتى ظهر بخراسان ناصر الاطروش فطلب مكانه ليقتل فاختفى واعتزل الى بلاد الديلم والجبل لم يتحلوا بدين الاسلام بعد فدعى الناس دعوة الى الاسلام على مذهب زيد بن على فدانوا بذلك ونشأوا عليه وبقيت الزيدية فى تلك البلاد ظاهرين وكان يخرج واحد بعد واحد من الائمة ويلي أمرهم وخالفوا بنى أعمامهم من واخبار

العددمن بر، ومثله من زيت الى ملك صور، فليت شعري لاى شيء كان يهاديه بذلك هل ذلك الا لانه كفؤه ونظيره في الملك، وهذه كلمات كذبات، ورعونة لاخفاء بها واخبار متناقضة * وذكروا انه كانت توضع في قصر سليمان عليه السلام كل يوم مائة مائدة ذهب، على كل مائدة مائة صفحة ذهب وثلاثمائة طبق ذهب، على كل طبق ثلاثمائة كاس ذهب، فاعجبوا لهذه الكذبات الباردة * واعلموا ان الذي عملها كان ثقيل الذهن في الحساب، مقصرا في علم المساحة، لانه لا يمكن ان يكون قطر دائرة الصفحة اقل من شبر، وان لم تكن كذلك فهي صحيفة لاصحفة طعام ملك، فوجب ضرورة ان تكون مساحة كل مائدة من تلك الموائد عشرة اشبار في مثلها لا أقل، سوى حاشيتها وارجلها * واعلموا ان مائدة من ذهب هذه صفتها لا يمكن البتة أن يحركها إلا فيل لأن الذهب ارزن الاجسام واثقلها، ولا يمكن البتة ان يكون في كل مائدة من تلك الموائد اقل من ثلاثة آلاف رطل ذهب، فمن يرفعها ومن يضعها ومن يغسلها ومن يمسحها ومن يديرها فهذا الذهب كله وهذه الاطباق من اين * فان قيل انتم تصدقون بان الله تعالى آتاه ملكا لاينبغي لاحد من بعده، وان الله سخر له الريح والجن والطير وعلمه منطق الطير والنمل وان الريح كانت تجري بأمره، وان الجن كانوا يعملون له المحاريب والتماثيل والجفان والقدور * قلنا نعم ونكفر من لم يؤمن بذلك وبين الامرين فرق واضح، وهو ان الذى ذكرت مما نصدق به نحن هو من المعجزات التي تأتي بمثلها الانبياء عليهم السلام داخل كله تحت الممكن في بنية العالم، والذى ذكروه هو خارج عن هذا الباب داخل في حد الكذب والامتناع في بنية العالم * وفي بعض كتبهم المعظمة عندهم ان زارح ملك السودان غزا بيت المقدس في الف الف مقاتل، وان اسا بن ابنا الملك خرج اليه في ثلاثمائة الف مقاتل من بني يهوذا وخمسين الف مقاتل من بني بنيامين فهزم ملك السودان * وهذا كذب فاحش ممتنع، لان من اقرب موضع من بلد السودان وهم النوبة الى مسقط النيل في البحر نحو مسيرة ثلاثين يوما، ومن مسقط النيل الى بيت المقدس نحو عشرة ايام صحارى ومفاوز، الف الف مقاتل لا تحملهم الا البلاد المعمورة الواسعة واما الصحارى الجرد فلا، ثم في مصر جميع اعمال مصر فكيف يخطوها الى بيت المقدس هذا ممتنع في رتبة الجيوش وسيرة الممالك، ومن البعيد أن يكون عند ملك السودان حيث يتسع بلدهم ويكثر عددهم اسم بيت المقدس، فكيف ان يتكلفوا غزوها لبعد تلك البلاد عن النوبة. واما بلد النوبة والحبشة والبجاة فصغير الخطة قليل العدد. وانما هى خرافات مكذوبة باردة. وفي كتاب لهم يسمى شعر توما من كتاب التلمود والتلمود هو معولهم وعمدتهم في فقههم وأحكام دينهم وشريعتهم. وهو من اقوال احبارهم بلا خلاف من أحد منهم ففي الكتاب المذكور ان تكسير جبهة خالقهم من أعلاها الى انفه خمسة آلاف ذراع حاش لله من الصور والمساحات والحدود والنهايات * وفي كتاب آخر من التلمود يقال له سادرناشيم ومعناه تفسير احكام الحيض ان في رأس خالقهم تاجا فيه الف قنطار من

الموسوية في مسائل الاصول ومالت أكثر الزيدية بعد ذلك عن القول بامامة المفضول وطعنت في الصحابة طعن الامامية وهم أصناف ثلاثة جارودية وسليمانية وبترية والصالحية منهم والبترية على مذهب واحد (الجارودية) أصحاب أبي الجارود زعموا أن النبي صلى الله عليه وسلم نص على علي عليه السلام بالوصف دون التسمية والامام بعده علي والناس قصروا حيث لم يتعرفوا الوصف ولم يطلبوا الموصوف وانما نصبوا أبابكر باختيارهم فكفروا بذلك وقد خالف أبو الجارود في هذه المقالة امامة زيد بن علي فانه لم يعتقد بهذا الاعتقاد واختلفت الجارودية في التوفيق والسوق فساق بعضهم الامامة من علي الى الحسن ثم الى الحسين ثم الى علي بن الحسين زين العابدين ثم الى زيد بن علي ثم منه الى الامام محمد بن عبد الله بن الحسن بن الحسين وقالوا بامامته وكان أبو حنيفة رحمه الله على بيعته ومن جملة شيعته حتى رفع الامر الى المنصور فحبسه حبس الابد حتى مات في الحبس وقيل انه انما بايع محمد بن عبد الله الامام في أيام المنصور ولما قتل محمد بالمدينة بقي الامام أبو حنيفة على تلك البيعة يعتقد موالاة أهل البيت فرفع حاله الى المنصور فتم عليه ما تم والذين قالوا بامامة محمد الامام اختلفوا فمنهم من قال انه لم يقتل وهو بعد حي وسيخرج فيملأ الارض عدلا ومنهم من أقر بموته وساق الامامة الى محمد بن القاسم بن علي

ذهب . وفي اصبعه خاتم تفيء منه الشمس والكواكب . وان الملاك الذي يخدم ذلك التاج اسمه صندلفون . تعالى الله عن هذه الحماقات * ومما اجمع عليه احبارهم لعنهم الله ان من شتم الله تعالى وشتم الانبياء يؤدب . ومن شتم الاحبار يموت اي يقتل * فاعجبوا لهذا . واعلموا انهم ملحدون لا دين لهم . يفضلون أنفسهم على الانبياء عليهم السلام وعلى الله عز وجل . ومن الاحبار فعلهم مايخرج من أسافلهم وفيما سمعنا علماؤهم يذكرونه ولا يتناكرونه معنى ان أحبارهم الذين أخذوا عنهم دينهم والتوراة وكتب الانبياء عليهم السلام اتفقوا على ان رشوا (بولس) البنياميني لعنه الله وامروه باظهار دين عيسى عليه السلام . وان يضل اتباعه ويدخلهم الى القول بالاهيته . وقالوا له نحن نتحمل اثمك في هذا . ففعل وبلغ من ذلك حيث قد ظهر * واعلموا يقينا ان هذا عمل لا يستسهله ذو دين اصلا . ولا يخلو اتباع المسيح عليه السلام عند أولئك الاحبار لعنهم الله من ان يكونوا على حق او على باطل . لابد من احدهما * فان كانوا عندهم على حق فكيف استحلوا ضلال قوم محقين . واخراجهم عن الهدى والدين . الى الضلال المبين . هذا والله لا يفعله مؤمن بالله تعالى اصلا * وان كانوا عندهم على ضلال وكفر فحسبهم ذلك منهم . وانما يسعي المؤمن ليهدي الكافر او الضال . واما أن يقوي بصيرته في الكفر ويفتح له فيه ابوابا أشد وأفحش مما هو عليه فهذا لا يفعله أيضا من يؤمن بالله تعالى قطعا . ولا يفعله الا ملحد يريد أن يسخر بمن سواه فمن هؤلاء اخذوا دينهم وكتب انبيائهم باقرارهم * فعجبوا لهذا وهذا أمر لا نبعده عنهم لانهم قد راموا ذلك فينا وفي ديننا فبعد عليهم بلوغ اربهم من ذلك . وذلك باسلام عبد الله بن سبا المعروف بابن السوء اليهودي الحميري لعنه الله . ليضل من امكنه من المسلمين . فنهج لطائفة رذلة كانوا يتشيعون في علي رضى الله عنه ان يقولوا بالهية علي . كما نهج بولس لاتباع المسيح عليه السلام ان يقولوا بالهيته . وهم الباطنية والغالية الى اليوم واخفهم كفرا الامامية . على جميعهم لعائن الله تترى . واشنع من هذا كله نقلهم الذي لا تمانع بينهم فيه عن كثير من احبارهم المتقدمين الذين عنهم اخذوا دينهم ونقلوا توراتهم وكتب الانبياء بأن رجلا اسمه اسماعيل كان اثر خراب البيت المقدس سمع الله تعالي يئن كما تئن الحمامة ويبكي وهو يقول . الويل لمن اخرب بيته وضعضع ركنه وهدم قصره وموضع سكينته ويلي على ما أخربت من بيتي ويلي على ما فرقت من بني وبناتي قامتي منكسة حتى أبني بيتي وارد اليه بني وبناتي * قال هذا النذل الموسخ ابن الانذال اسماعيل : فاخذ الله تعالى بثيابي وقال لي : اسمعتني يا بني يا اسماعيل قلت لا يارب . فقال لي يابني يا اسماعيل : بارك على قال هذا الكلب والجيفة المنتنة فباركت عليه ومضيت

(قال أبو محمد رضي الله عنه) لقد هان من بالت عليه الثعالب . والله ما في الموجودات ارذل ولا انتن ممن احتاج الى بركة هذا الكلب الوضر . فاعجبوا لعظيم ما انتظمت هذه القصة عليه من وجوه الكفر الشنيع * فمنها اخباره عن الله تعالى ان يدعو على نفسه بالويل

ابن الحسين بن علي بن صاحب الطالقان وقد أسر في أيام المعتصم وحمل اليه فحبسه في داره حتى مات ومنهم من قال بامامة يحيى بن عمر صاحب الكوفة فخرج ودعا الناس واجتمع عليه خلق كثير وقتل في أيام المستعين وحمل رأسه الى محمد بن عبد الله بن طاهر حتى قال فيه بعض العلوية

قتلت أعز من ركب المطايا وجئتك أستلينك في الكلام

وعز على أن القاك الا وفيما بيننا حد الحسام

وهو يحيى بن عمر بن يحيى ابن الحسين زيد بن علي وأما أبو الجارود فكان يسمى سرحوب سماه بذلك أبو جعفر محمد بن على الباقر رضى الله عنه وسرحوب شيطان أعمى يسكن البحر قاله الباقر تفسيرا * من أصحاب أبي الجارود فضيل الرسان وأبو خالد الواسطي وهم مختلفون في الاحكام والسير فزعم بعضهم ان علم ولد الحسن والحسين عليهما السلام كعلم النبي صلى الله عليه وسلم فيحصل لهم العلم قبل التعلم فطرة وضرورة وبعضهم يزعم أن العلم مشترك فيهم وفي غيرهم وجائز أن يؤخذ عنهم وعن غيرهم من العامة (السليمانية) أصحاب سليمان ابن جرير وكان يقول ان الامامة شورى فيما بين الخلق ويصح أن ينعقد بعقد رجلين من خيار المسلمين وانها تصح في المفضول مع وجود الأفضل واثبت امامة أبي بكر وعمر حقا باختيار الامة حقا اجتهاديا وربما كان يقول ان الامة اخطأت في البيعة لهما مع وجود علي خطأ لا يبلغ درجة الفسق

بالويل مرة بعد مرة . اويل حقا على من يصدق بهذه القصة وعلي الملعون الذى أتى بها * ومنها وصفه الله تعالى بالندامة على مافعل . وما الذى دعاه الى الندامة ؟ أتراه كان عاجزا ؟ هذا عجب آخر . واذا كان نادما على ذلك فلم تمادى على تبديدهم والقاء النجس عليهم حتى يبلغ ذلك الى القاء الحكة فى أدبارهم كما نص فى آخر توراتهم ؟ مافى العالم صفة أحمق من صفة من يتمادى على من يندم عليه هذه الندامة * ومنها وصفه الله تعالى بالبكاء والانين * ومنها وصفه لربه تعالى بانه لم يدر هل سمعه ام لاحتى سأله عن ذلك . ثم اظرف شيء اخباره عن نفسه بانه اجاب بالكذب وان الله تعالى قنع بكذبه وجاز عنده ولم يدر انه كاذب * ومنها كونه بين الخرب وهى مأوى المجانين من الناس وخساس الحيوان كالثعالب والقطط البرية ونحرها * ومنها وصفه الله تعالى بتنكيس الهامة * ومنها طلبه البركة من ذلك المنتن ابن المنتنة والمنتن . وبالله الذى لااله الاهو ما بلغ قط ملحد ولا مستخف هذه المبالغ الذى بلغها هذا اللعين ومن يعظمه . وبالله تعالى نتأيد ولولا ماوصفه الله تعالى من كفرهم وقولهم يد الله مغلولة . والله فقير ونحن أغنياء . ما انطلق لنا لسان بشيء مما اوردنا . ولكن سهل علينا حكاية كفرهم ماذكره الله تعالى لنا من ذلك . ولاعجب من اخبار هذا الكلب لعنه الله عن نفسه بهذا الخبر . فان اليهود كلهم يعنى الربانيين منهم مجمعون على الغضب على الله وعلى تعييبه وتهوين امره عزوجل فانهم يقولون ليلة عيد الكبود وهى العاشرة من تشرين الاول وهى اكتوبر يقوم الميططرون . ومعنى هذه اللفظة عندهم الرب الصغير تعالى الله عن كفرهم . قال . ويقول وهو قائم ينتف شعره ويبكى قليلا قليلا . ويلى اذ خربت بيتى وأيتمت بنى وبناتى قامتى منكسة لاأرفعها حتى أبنى بيتى وارد اليه بنى وبناتى ويردد هذا الكلام * واعلموا انهم افردوا عشرة أيام من أول اكتوبر يعبدون فيه ربا آخر غير الله عزوجل . فحصلوا على الشرك المجرد * واعلموا ان الرب الصغير الذى افردوا له الايام المذكورة يعبدونه فيها من دون الله عزوجل هو عندهم صندلفون الملك خادم التاج الذى فى رأس معبودهم وهذا أعظم من شرك النصارى * ولقد وقفت بعضهم على هذا فقال لى ميططرون ملك من الملائكة * فقلت وكيف يقول ذلك الملك ويلى على ماخربت من بيتى وفرقت بنى وبناتى ؟ وهل فعل هذا الا الله عزوجل * فان قالوا تولى ذلك الملك ذلك الفعل بأمر الله تعالى * قلنا فمن المحال الممتنع ندامة الملك على مافعله بامر الله تعالى ، هذا كفر من الملك لو فعله فكيف ان يحمد ذلك منه ، وكل هذا انما هو تحيل منهم عند صك وجوههم بذلك * والا فهم فيه قسمان * قسم يقول انه الله تعالى نفسه فيصغرونه ويحقرونه ويعيبونه * وقسم يقول انه رب آخر دون الله تعالى * واعلموا ان اليهود يقومون فى كنائسهم أربعين ليلة متصلة من ايلول وتشرين الاول وهما سبتمبر واكتوبر فيصيحون ويولولون بمصائب * منها قولهم ، لاى شيء تسلمنا ياالله هكذا ولنا الدين القيم والاثر الاول لم يا الله تنصم عنا وأنت تسمع وتعمى وأنت مبصر هذا جزاء من تقدم الى

وذلك الخطأ خطأ اجتهادى غير انه طعن فى عثمان بالاحداث التى احدثها وكفر لذلك وكفر عائشة والزبير وطلحة باقدامهم على قتال على ثم انه طعن فى الرافضة فقال ان أئمة الرافضة قد وضعوا مقالتين لشيعتهم لايظهر أحد قط عليهم احداها القول بالبداء فاذا اظهروا قولا انه سيكون لهم قوة وشوكة وظهور ثم لا يكون الامر على ما اخبروه قالوا بدا لله تعالى فى ذلك والثانية التقية وكل ما أرادوا تكلموا به فاذا قيل لهم ذلك ليس بحق وظهر لهم البطلان قالوا انما قلناه تقية وفعلناه تقية وتابعه على القول بجواز أمامة المفضول مع قيام الافضل قوم من المعتزلة منهم جعفر بن مبشر وجعفر بن حرب وكثير النوى وهو من أصحاب الحديث قالوا الامامة من مصالح الدين ليس يحتاج اليها لمعرفة الله تعالى وتوحيده فان ذلك حاصل بالعقل لكنها يحتاج اليها لاقامة الحدود والقضاء بين المتحاكمين وولاية اليتامى والايامى وحفظ البيضة واعلاء الكلمة ونصب القتال مع أعداء الدين وحتى يكون للمسلمين جماعة ولا يكون الامر فوضى بين العامة فلايشترط فيها أن يكون الامام أفضل الامة علما واقدمهم رأيا وحكمة اذ الحاجة تنسد بقيام المفضول مع وجود الفاضل والافضل ومالت جماعة من أهل السنة الى ذلك حتى جوزوا أن يكون الامام غير مجتهد ولاخبير بمواقع الاجتهاد ولكن يجب أن يكون معه من يكون من أهل

عبوديتك وبدر الي الاقرار بك لم يالله لاتعاتب من يكفر النعم ولاتجازى بالاحسان ثم تبخسنا حظنا وتسلمنا لكل معتد وتقول ان أحكامك عدلة * فاعجبوا لوغادة هؤلاء الاوباش ، ولرذالة هؤلاء الانذال الممتنين على ربهم عز وجل ، المستخفين به وبملائكته وبرسله : وتالله مابخسهم ربهم حظهم . وما حظهم الا الخزى فى الدنيا والخلود فى النار فى الاخرة وهو تعالي موفيهم نصيبهم غير منقوص . واحمدوا الله على عظيم منته علينا بالاسلام الملة الزهراء التى صححتها العقول . وبالكتاب المنزل من عنده تعالى بالنور المبين والحقائق الباهرة نسأل الله تثبيتنا علي مامنحنا من ذلك بمنه الى أن نلقاه مؤمنين غير مغضوب علينا ولاضالين

(قال أبو محمد رضي الله عنه) هذا انتهى ماأخرجناه من توراة اليهود وكتبهم من الكذب الظاهر والمناقضات اللائحة التى لاشك معه فى انها كتب مبدلة محرفة مكذوبة . وشريعة موضوعة مستعملة من اكابرهم . ولم يبق بايديهم بعد هذا شيء أصلا . ولابقى فى فساد دينهم شبهة بوجه من الوجوه . والحمد لله رب العالمين * واياكم أن يجوز عليكم تمويه من يعارضكم بخرافة أو كذبة . فاننا لانصدق فى ديننا بشيء أصلا الا ماجاء فى القرآن أو ما صح باسناد الثقات ثقة عن ثقة حتى يبلغ الى رسول الله صلى الله عليه وسلم فقط . وما عدا هذا فنحن نشهد انه باطل . واعلموا اننا لم نكتب من فضائحهم الا قليلا من كثير ولكن فيما كتبنا كفاية قاطعة في بيان فساد كل ماهم عليه وبالله تعالى التوفيق

تم الجزء الاول من الفصل ويليه الجزء الثانى أوله قال أبو محمد رضى الله عنه
واما الانجيل وكتب النصارى فنحن ان شاء الله الى آخره

الاجتهاد فيراجعه فى الاحكام ويستفتى منه فى الحلال والحرام ويجب ان يكون فى الجملة ذا رأى متين وبصر فى الحوادث نافذ (الصالحية) أصحاب الحسن بن صالح بن حى والبترية أصحاب كثير النوى الابتر وهما متفقان فى المذهب وقولهم فى الامامة كقول السليمانية الا أنهم توقفوا فى أمر عثمان أهو مؤمن أم كافر قالوا اذا سمعنا الاخبار الواردة فى حقه وكونه من العشرة المبشرين بالجنة قلنا يجب أن يحكم بصحة إسلامه وايمانه وكونه من أهل الجنة واذا رأينا الاحداث التى أحدثها من استهتاره بتربية بنى أمية وبنى مروان واستبداده بامور لم توافق سيرة الصحابة قلنا يجب أن يحكم بكفره فتحيرنا فى أمره وتوقفنا فى حاله ووكلناه الى أحكم الحاكمين * وأما على فهو أفضل الناس بعد رسول الله صلى الله عليه وسلم وأولاهم بالامامة لكنه سلم الامر لهم راضيا وفوض الامر اليهم طائعا وترك حقه راغبا فنحن راضون بما رضي مسلمون لما سلم لايحل لنا غير ذلك ولو لم يرض علي بذلك لكان أبو بكر هالكا وهم الذين جوزوا امامة المفضول وتأخير الفاضل والافضل اذا كان الافضل راضيا بذلك وقالوا من شهر سيفه من أولاد الحسن والحسين وكان عالما زاهدا شجاعا فهو الامام وشرط بعضهم صباحة الوجه ولهم خبط عظيم فى امامين وجد فيهما هذه الشرائط وشهرا سيفهما ينظر الى الافضل

(فهرس الجزء الاول من كتاب الفصل فى الملل والاهواء والنحل للامام ابن حزم الظاهرى)

صحيفة

٢ اهداء الكتاب ٣ ترجمة ابن حزم
٧ ترجمة الشهرستانى ٩ خطبة الكتاب
١٠ الكلام على رؤس الفرق المخالفة لدين الاسلام
١٠ الكلام من انه تحدث فى خلال هذه الاقوال آراء مركبة منها
١٠ ذكر مناظرات جرت بين المؤلف وبين من ادعى قدم بعض الاشياء
١٠ باب مختصر جامع فى ماهية البراهين الجامعة الموصلة الى الحق
١٤ باب الكلام على من أبطل الحقائق وهم السوفسطائية
١٥ باب الكلام على أن من قال ان العالم قديم وليس له مدبر
١٥ الكلام على حصر شبههم فى خمس اعتراضات
١٦ افساد الاعتراض الاول
١٧ افساد الثاني ١٧ افساد الثالث
١٨ افساد الرابع ١٨ افساد الخامس
١٩ الكلام عن ايراد البراهين على حدوث العالم
١٩ البرهان الاول ٢٠ البرهان الثانى
٢٠ البرهان الثالث ٢٢ البرهان الرابع
٢٢ البرهان الخامس
٢٦ باب الكلام على من قال العالم لم يزل وله مع ذلك فاعل
٢٧ باب الكلام على من قال ان للعالم خالقا غير ان النفس والمكان والزمان قديمات
٣٥ الكلام على من قال ان فاعل العالم أكثر من واحد
٤٧ على النصارى وهم فرق ٤٧ أصحاب اريوس
٤٧ أصحاب بولس الشمشاطى
٤٧ أصحاب مقدونيوس ٤٨ فرقة الملكانية
٤٨ النسطورية ٤٨ اليعقوبية
٥٩ ومما يعترض به على النصارى
٦٠ الكلام على من يقول ان البارى خلق العالم جملة كما هو بجميع أحواله
٦٣ الكلام على من ينكر النبوة والملائكة
٦٤ القول فى اثبات النبوة

صحيفة

٦٨ الكلام على من قال ان فى البهائم رسلا
٧١ الكلام مع من جعل للجمادات تمييزا
٧٥ الرد على من زعم ان الانبياء عليهم السلام ليسوا أنبياء اليوم وكذا الرسل
٧٦ الكلام على من قال بتناسخ الارواح
٧٩ فصل فى الكلام على من أنكر الشرائع من المنتمين الى الفلسفة وبيان حقيتها على مقتضى أصولهم
٨٢ الكلام على اليهود وعلى من أنكر التثليث من النصارى ومذهب الصابئين ومن اقر بنبوة زرادشت من المجوس وأنكر ماسواه
٩٣ فصل فى مناقضات ظاهرة فى التوراة والانجيل يتبين بها تحريفهما
٩٤ فصل فى أن السامرة بايديهم توراة غير التوراة التى مع سائر اليهود
١١٨ الكلام فى أن النصارى ماقالت مقالتها الا تبعا لما قالته اليهود في بعض أسفارهم
١٢٢ الكلام فى بيان فساد قول اليهود ان مسكن بنى اسرائيل بمصر أربعمائة وثلاثون سنة
١٢٩ فصل الكلام على ماهو أشنع في شهرة الكذب وشنعة المحال الخ
١٣٧ فى وصف قيام بنى اسرائيل على موسى الخ
١٤١ فى الكلام على ماذكره من فصول التوراة التى هي سبعة وخمسون فصلا ومافيها من التحريفات
١٤٩ الكلام على أن التوراة لم تكن موجودة الا فى الهيكل عند الكوهن
١٥٢ الكلام فى ذكر طرف مما فى سائر الكتب التى عندهم
١٥٦ الكلام فى بيان مااعترض به بعضهم والجواب عنه
١٥٧ الكلام فى بيان اقرارنا بالتوراة وغيرها من كتب الانبياء
١٥٩ الكلام فى بيان خطا من أنكر ان التوراة والانجيل غير محرفين
١٦١ الكلام فى ذكر شىء من كلام أحبارهم

فهرس الجزء الاول من كتاب الملل والنحل للشهرستاني الذي بالهامش

صحيفه

٩ خطبة الكتاب

١٠ المقدمة الاولى في بيان اقسام اهل العالم جملة مرسلة

١٢ المقدمة الثانية من تعيين قانون ينبني عليه تعديل الفرق الاسلامية

١٥ المقدمة الثالثة في بيان اول شبهة وقعت في الخليقة ومن مصدرها ومن مظهرها

٢١ المقدمة الرابعة في بيان أول شبهة وقعت في الملة الاسلامية الخ

٣٧ المقدمة الخامسة في السبب الذي اوجب ترتيب هذا الكتاب على طريق الحساب

٤٢ ارباب الديانات والملل من المسلمين وأهل الكتاب وممن له شبهة كتاب

٤٦ المسلمون

٤٨ أهل الاصول المختلفين في التوحيد والوعد والوعيد

٥٠ المعتزلة

٥٣ الواصليه اصحاب ابي حذيفة

٥٧ الهذيلية

٦٠ النظامية

٦٧ الحايطية

٧٠ البشرية

٧٢ المعمرية

٧٥ المزدارية

٧٧ الثمامية أصحاب ثمامة ابن اشرس

٧٨ الهشامية أصحاب هشام كان لا يقول بان الله خلق الكافر

٨٠ الجاحظية أصحاب الجاحظ كان في ايام المعتصم يقول بان القرآن جسد يقلب تارة رجلا وتارة امرأة

٨٢ الخياطية

٨٣ الجبائيه والهشمية

٩٠ الجبرية هي التي لا تثبت للعبد فعلا

٩٠ الجهمية أصحاب جهم بن صفوان

٩٢ البخارية

٩٤ الضرارية أصحاب ضرار بن عمرو

صحيفه

٩٥ الصفاتية

٩٧ الاشعرية

١١٠ المشبهة يجعلون لله أعضاء ويقولون انه جسد وله يد وعين

١١٥ الكرامية من الصفاتية

١٢٣ الخوارج والمرجئة والوعيدية

١٢٤ المحكمة الاولى

١٢٧ الازارقة

١٣٠ النجدات العاذرية

١٣٥ العجاردة

١٣٦ الصلتية

١٣٦ الحمزيه (والخلفية والشعيبية)

١٣٧ الميمونية

١٣٨ الاطرافية (والحازمية)

١٣٨ الثعالبة (والرشيدية)

١٣٩ الشيبانية

١٤٠ المكرمية

١٤١ المعلومية والمجهولية (والاباضية)

١٤٢ الحفصية

١٤٢ الحارثية (واليزيدية والصفرية)

١٤٤ رجال الخوارج

١٤٤ المرجئة

١٤٥ اليونسية (والعبيدية)

١٤٦ الغسانية

١٤٧ الثوبانية

١٤٩ التومنية

١٤٩ الصالحية ورجال المرجئة

١٥١ تتمة رجال المرجئة

١٥١ الشيعة

١٥٢ الكيسانية

١٥٢ المختارية

١٥٥ الهاشمية

١٥٧ البنانية

١٥٨ الرزامية

١٥٩ الزيدية

١٦٢ الجارودية

١٦٤ السليمانية

١٦٦ الصالحية

(تمت)